



الشيخ الرحمن ارحم
أقرى القلوب السعيدة
المناصب التي انشأتها
كلية دار الحديث بطنطا

جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

القبايل العربية

تم اجراء التصديق اللازم

في

الطالب
عبد الرحمن فريخ العفنان

المحرر د. محمد عبد الله

خراسان وبلاد ماوراء النهر

في العصر الأموي



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٢١٢٩

دراسة تاريخية حضارية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

اعداد

عبد الرحمن فريخ العفنان

بإشراف الأستاذ الدكتور

جميل عبد الله محمد المصري

١٤١٣ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده. والسلاة والسلام على من لا نبي بعده :
فان هذا البحث (القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر في العصر الاموي)

تضمن :

- (١) بيئة خراسان وبلاد ماوراء النهر والفتح الاسلامي .
- (٢) اهم القبائل التي استوطنت في خراسان وبلاد ماوراء النهر : تميم ويكر بن وائل وعبد القيس والازد واهل العالية .
- (٣) سياسة بني أمية في توطين القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر .
- (٤) نظام الولاية في خراسان وبلاد ماوراء النهر والاسلوب الاداري الذي كانت تحكم به تلك النواحي وتبعيتها الادارية طوال عصر بني أمية .
- (٥) اهم مواطن استقرار القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر : نيسابور ومرو وهراة وبلخ والبروقان وسمرقند .
- (٦) الصراع السياسي خراسان وبلاد ماوراء النهر وموقف القبائل العربية من الحوادث السياسية .
- (٧) حركة القبائل العربية الاقتصادية والفكرية والاجتماعية .
- (٨) اسهام القبائل العربية في الفتوح الاسلامية شرقا وموقفها من سقوط دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس .

وقد توصل البحث الى نتائج تظهر في ثنايا البحث ومن أهمها :

- (١) اسلمت خراسان وبلاد ماوراء النهر بالصفة العربية الاسلامية وانصهار عناصرهما البشرية في بوتقة الحضارة الاسلامية وأثر الانتشار الاسلامي الواسع وحركة التفریب في نبوغ عدد كبير من العلماء في الدراسات الشرعية واللغوية وقادة الجهاد فسي تلك البلاد . التي أصبحت مراكز للعلوم الشرعية وقواعد طلبة من قواعد دار الاسلام للعمليات الجهادية .
- (٢) انتماء أهل خراسان وبلاد ماوراء النهر الذين أسلموا الى القبائل العربية ولاءً وانتماء أبناء القبائل العربية الى الامصار والمدن والقرى .
- (٣) أجاب البحث عن تساؤل : لماذا لم ينشئ الأمويون مدنا عربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر ؟ .
- (٤) كشف البحث عن زيف الادعاء بوجود التمايز الطبقي واضطهاد العرب لسكان البلاد الاطليين وحرمانهم من العطاء وتبين تهافت القول بأن كثرة الثورات في خراسان وبلاد ماوراء النهر انما هو تمرد من الموالى على الحكم العربي الاسلامي بسبب حنقهم وبرمهم من الطريقة التي يعاملون بها وأوضح اللبس الحاصل بين مفهوم الجزية والخراج وأنه لا يؤثر في نظام الاراضي الخراجية كون صاحبها مسلما أو كافرا عربيا أو عجميا .
- (٥) بين البحث زيف الادعاء على أن العصبة القبلية كانت المحرك للحوادث التي ألمت بساحة الدولة الاسلامية في خراسان وبلاد ماوراء النهر بل هي قد ظلت حييصة خافتة تنمو أثناء الاضطرابات وتستغل لرغد المصالح الشخصية وتستفز لخدمة الفتن المذهبية وتوجه من قبل التيارات الفكرية المختلفة .
- (٦) كشف البحث عن زيف الادعاء على أن الحركة العباسية كانت فارسية فقد كان معظم الذين شاركوا فيها من القبائل العربية المستقرة في خراسان . والله الموفق .

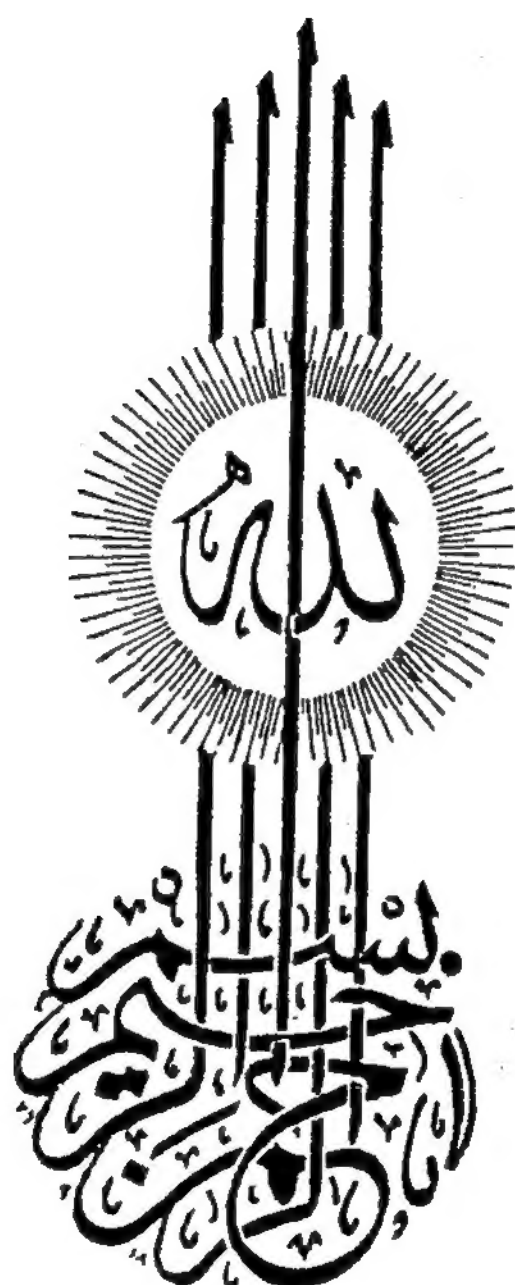
المشرف

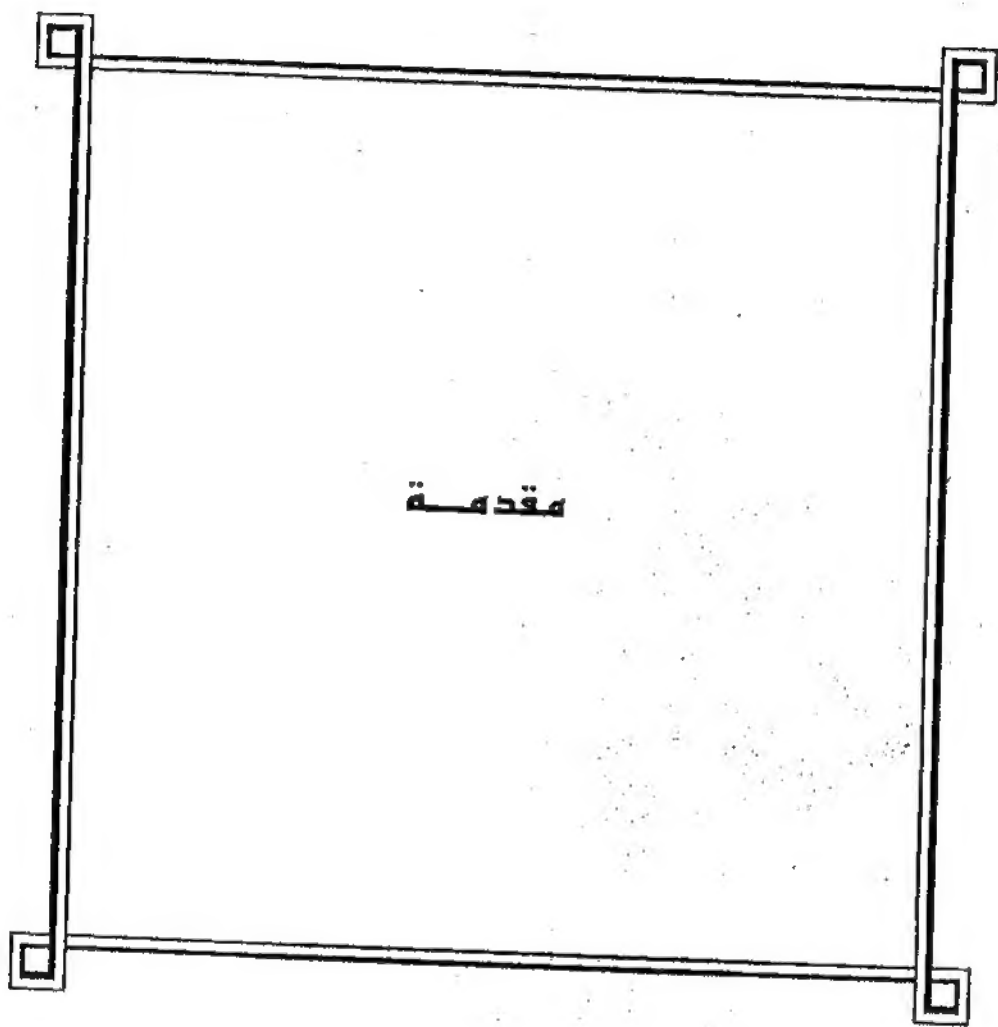
الطالب

عبد الرحمن فريح العفنان د. جميل عبد الله المصري د. / عابد محمد السفياني

١٤١٢/١٢/١١
١٤١٢/١٢/١١

١٤١٢/١٢/١١





مقدمة

يشكل النظام القبلي وما يتصل به من العناية بالنسب والعصبية والولاء للقبيلة ركيزة أساسية في التركيبة الاجتماعية العربية . وفي ظل الإسلام أصبحت القبائل وحدات مقاتلة في قوة الفتح العسكرية ، تسير براياتها تحت إمرة زعمائها في إطار القيادة العامة للجيش ، فاستفادت الفتوح من هذا التنظيم القبلي عسكرياً ، وظل الفهم العميق للقبيلة وفرسانها ومشاهير قادتها وأفرادها مهماً لمعرفة العسكرية الإسلامية والإحاطة بشؤونها ، كما أن النظام الاجتماعي مفيد في فهم القضايا الاقتصادية والسياسية المرتبطة بهذا النظام ، وكل هذا لازم لدراسة التاريخ الحضاري .

وحين تمت عملية إستيطان العرب في الأمصار الجديدة أخذ التخطيط شكل التنظيم القبلي بحيث عرفت كل قبيلة أو مجموعة من القبائل بخطة محددة معينة يرتبط الأفراد برؤساء خططهم ويعرفون بهم ، بل ويؤخذ الرؤساء أحياناً بجرائر أفرادهم ، وبذلك أصبحت القبيلة تدور في فلك التنظيم الإداري الحكومي العام الذي يخضع القبيلة للتوطين في أماكن محددة ، ويخضع رؤساء القبائل للعزل والتعيين من قبل الإدارة العليا .

وعلى هذا النحو من الأشكال التنظيمية التي أحيطت بها القبائل العربية سار العرب إلى خراسان وبلاد ماوراء النهر فاتحين ومستقرين .

ونتج عن الفتح والاستقرار إسهام كبير من القبائل في نشر الإسلام والتعريب اللغوي ، ودفع الآداب العربية المشبعة بالروح الإسلامية إلى آفاق بعيدة كل البعد عن صحراء العرب ومواطنهم الأولى .

وانتشر الإسلام في خراسان وبلاد ماوراء النهر ، وتعرّبت تلك الأقاليم في فترة

قياسية وجيزة ، وانتمى أهلها إلى القبائل العربية ولأى وإلى الإسلام فكراً وثقافة ،
وانتمى أبناء القبائل إلى الأمصار التي حلوا بها فحصل احتكاك مباشر بين العنصرين
العربي والعجمي أدى إلى الإنصهار في بوتقة الحضارة الإسلامية ، وأثمر علماً ،
وأدباً .

وحاكى أبناء القبائل أهل البلاد الأصليين في الملبس والمطعم وبنوا الدور
والمساكن وأصبحوا ذوى أملاك زراعية يحرثونها ويجرون إليها الماء ، مع بقاء الأراضي
الخراجية بوضعها الذي لا يؤثر فيه إسلام مالك الأرض ولا كفره ولا كونه عربياً أو
عجمياً ، وأيضاً بقاء الإدارات المحلية وجباية الخراج بأيدي الدهاقين ، والمرازمة من
العجم .

وبرز من أبناء العشائر العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر قادة وأمراء تولوا
مناصب مهمة في العصر الأموي ، وظهر فيهم شعراء وأدباء وعلماء في أماكن مختلفة
متباعدة تبعاً لمواطن الاستقرار المتباعدة بسبب تباين الأمصار واختلاف التضاريس ،
وانضوت الفروع الصغرى في المسميات الكبرى ، مع بقاء القبائل ذاتها مرتبطة
بمسميات التخطيط الخماسي الذي كان صورة طبق الأصل لمخطط إنزال العرب في
البصرة .

وظلت العصبية حيصة خافتة لا تحرك الحوادث السياسية لكنها تنمو في غياب
الأمن ، وتُستغل لرفد المصالح الشخصية وتستفز لخدمة الفتن المذهبية . ونأى الولاة
بأنفسهم عنها ، وتعرض من يثيرها منهم للمؤاخذه ، مع أن إغراض الولاة عن تبني
العصبية لم يمنع من استفادة بعض القبائل ونموها في ظل الولاة المنسوبين إليها .

وفي ضوء ماتقدم تتضح أهمية موضوع القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء
النهر في العصر الأموي وفائدته في الفهم الجيد لقضايا الفكر والاقتصاد والسياسة وما
يلتحق بها من أنظمة عسكرية إدارية في تلك الجهات إبان العصر المشار إليه .

كما أنَّ مآثير من المطاعن والشكوك كعدم القدرة - في رأي المغرضين ومن شايعهم - على الحد من نفوذ القبيلة وعصبيتها الطاغية التي كانت - في رأيهم - هي الموجه الأول للحوادث السياسية ، وكعلاقة القبائل العربية بالموالي وما أحيطت به من افتراءات وأقاويل كانت مشجعة جداً لدراسة هذا الموضوع دراسة تاريخية واعية ، وحضارية متأنية تكشف الزيف ، وتصصح المفاهيم المغلوطة .

وكانت صلتني بهذا الموضوع قديمة ، وكانت دراستي في مرحلة الماجستير عن « قبيلة بكر بن وائل منذ ظهور الإسلام حتى بداية العصر الأموي » حيث تتبعته مواطن القبيلة في جاهليتها وعلاقتها بالعرب والفرس ، وانتشارها في صدر الإسلام في البلدان المفتوحة ، وموقفها من الحوادث السياسية .

وبديهي أن تكون العلاقة بين هذين الموضوعين كبيرة قوية ، غير أن بحثي الأخير عن القبائل في خراسان وبلاد ماوراء النهر في العصر الأموي من الشمولية بحيث استنفد جهداً كبيراً وأخذ وقتاً طويلاً احتجت معهما إلى الإحاطة بكافة جوانب الموضوع ونواحيه مع الوقوف على مختلف الآراء التي تناولته قديماً وحديثاً .

وقد قسمت البحث إلى : تمهيد وخمسة فصول ، ويتطرق التمهيد في فقرته الأولى إلى التعريف بجغرافية خراسان وبلاد ماوراء النهر وحدودهما الإقليمية المتعارف عليها في العصر الأموي ، وأيضاً حدودهما الإدارية التي قد تتجاوز الحدود الإقليمية تبعاً لإتساع نفوذ الإدارة السياسية ، مع إلقاء الضوء على أهم الأقاليم الرئيسية في تلك البلاد ، ومواطن الاستقرار فيها ، وعرض لأهم النشاطات الاقتصادية هناك .

وتتحدث الفقرة الثانية عن السكان ، والأصول التي ينحدرون منها ، والعلاقة العرقية التي تربط أهالي ماوراء نهر « جيحون » بمن يعيشون دونه ، وكيف أنَّ المنطقة المحيطة بهذا النهر هي المنطلق القديم للأصول الآرية الإيرانية ، والمنبت الأساسي لديانتهم المجوسية .

وتعرض الفقرة الثالثة لعلاقة العرب بخراسان وبلاد ماوراء النهر قبل الإسلام ،
وانحصار هذه العلاقة في النشاط الفارسي التجاري عبر أراضي شبه الجزيرة العربية ،
وامتيطان بعض القبائل العربية في أطراف الأراضي الفارسية الغربية واحتكاكهم الحربي
بولاية الفرس ، وبالمناذرة اليمانيين المواليين للأكاسرة الساسانيين .

والفصل الأول عن القبائل العربية التي شاركت في فتوح خراسان وبلاد ماوراء النهر
واستوطنت فيهما . ويعرض لفتح خراسان والأقوال التي قيلت في تحديد زمنه ، وقادته ،
والقبائل التي شاركت فيه ، وهي القبائل ذات الخطط الخماسية في البصرة : تميم ، وبكر
ابن وائل ، وعبد القيس ، والأزد ، وأهل العالية .

ويشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث :

ففي المبحث الأول : تعريف بني تميم المضربين العدنانيين ، ومواطن استقرارهم
الأولى ، والمزايا التي عرفوا بها في جاهليتهم ، وأشهر أيامهم ووقائعهم الحربية مع القبائل
العربية ، والفرس ، والمناذرة ، وبني غسان ، في الدهناء ، والصمّان ، وأطراف الأمبراطورية
الفارسية ، ثم الوقوف على أشهر فروعهم المنتية إلى بطونهم الرئيسية : عمرو ، وحنظلة ،
وسعد . مع الإشارة إلى مشاهير فرسانهم في الجاهلية والإسلام ، والنابعين من شعرائهم .
وإيضاح اتساع مسمى تميم في الإسلام بحيث أصبح يشمل حلفاء التميميين وأبناء
عمومتهم ، من الرّباب ، وضبة ، ومزينة ، وإسهام بني تميم في الفتوح وانتشارهم في
الأمصار الإسلامية الجديدة بصفة عامة ، وخراسان بصفة خاصة ، وانضمام بعض أفرادهم
لبعض الفرق الدينية والتيارات المذهبية .

وفي المبحث الثاني : تعريف بني بكر الربيعيين العدنانيين ، وبنوهم ، وأفخاذهم ،
ومنازلهم في عالية نجد ، واليمامة ، وجنوب العراق . وحديث عن أيامهم في الجاهلية ،
وعلاقتهم بالفرس ودولة المناذرة ثم إسلامهم ، ومشاركتهم في الفتوح ومنازلهم الجديدة في
البلاد المفتوحة . وأهم الفروع البكرية التي استوطنت في خراسان ، وزعمائهم في الإسلام ،
ومواقفهم المختلفة من الحوادث السياسية ، والخوارج .

وفي البحث الثالث : تعريف بني عبد القيس الربيعيين العدنانيين . وخروجهم من تهامة إلى البحرين ، وجنوب العراق ، مع الإمام بأشهر بطونهم ، وزعمائهم . وسبقهم إلى الإسلام . وانتقال كثير من فروعهم إلى خارج الجزيرة ، وخاصة في البصرة ، وخراسان .

وفي البحث الرابع : تعريف بالأزد الكهلانية اليمانية التي كانت تضم عدداً من القبائل القحطانية كالأوس والخزرج في المدينة ، وخزاعة في مكة ، وبني غسان في الشام ، ثم اقتصر مسماها وشهرتها على أزد شنوءة ، وعلى من بقي في السراة ومن سكن عمان من الأزديين . ويتطرق الحديث عن الأزد إلى أشهر فروعهم في عمان ، ونزولهم البصرة وخراسان ، ومنافستهم لتميم ، وحلفهم لربيعة . وأيضاً التعريف بإخوتهم بني عمرو الغوث الذين تنتمي إليهم بجيله المتفرع عنها بنو قسر اليمانيون .

وفي البحث الخامس : تعريف بأهل العالية الذين أخذوا هذا الاسم من موطنهم في عالية نجد مع انتمائهم إلى قبائل قيسية مضرية عدنانية عدة ، يأتي في مقدمتها بنو عامر الهوازنية ، وغطفان (عبس وذبيان) وسليم ، مع من انضوى إليهم في البصرة ، وخراسان من أهل مكة والمدينة . ويتضمن التعريف ذكر زعماء هذه القبائل ومشاهيرها في الجاهلية والإسلام .

والفصل الثاني : عن سياسة بني أمية في توطين القبائل العربية في خراسان وبلاد ما وراء النهر . وهو مقسم إلى أربعة فصول : الأول منه خاص بنظام الولاية ، ويعرض للأسلوب الإداري الذي كانت تدار به خراسان ، وطريقة تعيين واليها ، وتبعيتها الإدارية منذ الفتح إلى قيام دولة بني أمية ، ثم نظام الولاية في زمن الأسرة السفليانية (٤٠ - ٦٤ هـ) ، وعلاقة خراسان بالبصرة في تلك الفترة ، وتوطين العرب هناك ، ودفع حركة الفتح شرقاً ، ثم الاضطراب القبلي العنيف الذي شهدته الفترة (٦٤ - ٧٣ هـ) ، وهي سنوات خلافة عبد الله بن الزبير ، ونظام الولاية زمن الأسرة مروانية

(٧٣ - ١٢٥ هـ) .

وأخيرا نظام الولاية زمن اضطراب الدولة الأموية ، بعد هشام بن عبد الملك
(١٢٥ - ١٣٤ هـ) .

والبحث الثاني : عن عدم إنشاء بني أمية مدناً خاصة بالعرب في خراسان وبلاد
ماوراء النهر ، وتفضيل العرب للنزول في الحاميات والمعسكرات خارج المدن ، ثم
استقرارهم في مراكز الاستقرار القائمة ، واختلاطهم بالأجناس الأخرى على عكس
الطريقة التي اتبعت حين استقرت القبائل في العراق بالرغم من أخذها لنظام الأخماس
القبلي المعروف في البصرة والذي اقتصر على التنظيم العسكري فحسب إلى أن تلاشى
مسمى الأخماس في أخريات عصر بني أمية .

والبحث الثالث : خاص بتوطين العرب وأثره على السياسة الأموية ، ودفع أفواج
من العرب لمساندة الولاية في خراسان ، وتثبيت دعائم السلطان هناك ، وما أدت إليه
هذه الحركة من الاختلاط بالسكان والاتصال بالأرض ، وثمرة ذلك في تخطي
مساحة تلك البلاد الشاسعة ، والانتقال بهذه البلاد إلى طور آخر من الحياة يغير
الأعراف والتقاليد السائدة ، وتكامل العمليتين التوطينية والجهادية .

والبحث الرابع : عن أهم مواطن استقرار القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء
النهر . والتعريف بأرباع خراسان « نيسابور » و « مرو » « وهراة » « وبلخ » باعتبارها
أشهر المدن التي استوطنها العرب هناك ، ووصفها وبيان معالمها الطبيعية واقتصادها ،
وأهم مايتبعها من المدن والقرى والرساتيق ، وأهم العشائر التي سكنتها ، ورجالاتها
البارزين ، ووصف منطقة « الصغد » التي تضم أكبر مدينتين استوطنتهما العرب ببلاد
ماوراء النهر وهما « بخارى » « وسمرقند » والتركيز بصفة خاصة على الأخيرة
منهما .

والفصل الثالث : عن الصراع القبلي في خراسان وبلاد ماوراء النهر ، وموقف

القبائل العربية من الحوادث السياسية ، ويشتمل هذا الفصل على ستة مباحث يتناول الأول منها : العصبية القبلية : الألفة الجامعة المعتمدة على قرابة الدم ، والحلف ، والموالة ، والجوار والمؤاخاة ، والتي هي قوام المجتمع القبلي ، وعماد نظامه السياسي والاجتماعي ، وماتؤدي إليه من مفاخرات ، ومنافرات ، وماينتج عنها من مفاضلة في الدماء ، وفي الديات ، ألغائها الإسلام ، وجعل الثأر كزعامة القبيلة منوطاً بالدولة لا بالقبيلة ، وذلك في نظامه الوحدوي القائم على أساس الدولة الإسلامية بدلاً من الوحدات الصغيرة القائمة على نظام القبيلة .

ويتناول المبحث الثاني : موقف القبائل العربية من حركة عبد الله بن الزبير ، ويركز بصفة خاصة على بيان أن صراع آل الزبير وبني أمية لم يكن صراعاً قبلياً أطرافه اليمن وقيس كما توهم بعض الباحثين الذين جعلوا هذا الصراع يوجه حوادث المناطق الإسلامية بما فيها خراسان . وبيان أن الفتن القبلية تنمو حين يضعف السلطان مدفوعة بالمصالح الشخصية ، وتنكمش حينما تحكم الدولة سيطرتها على البلاد وانطباق هذا على موقف القبائل في خراسان أيام ابن الزبير التي لم تكن فيها اليمانية والقيسية بذات شأن يذكر .

ويتناول المبحث الثالث ولاية ابن خازم على خراسان في عام ٦٤ هـ وصراعه مع بكر بن وائل التي أصبحت قوة رئيسية في خراسان لا بإجتماع فروعها التي كانت أشبه ماتكون مستقلة عنها قبل الإسلام فحسب بل وباجتماع بكر إلى غيرها من الربيعين وطمعها في إمتلاك الأراضي الخراسانية مستغلة الصراع على الخلافة بين الزبيريين والأمويين ، واستعانة ابن خازم عليهم ببني تميم ، ثم صراعه مع بني تميم زمناً طويلاً إلى أن قضوا عليه في عام ٧٣ هـ ، وافتراقهم هم أثناء إمرة بكير بن وشاح التميمي ، وما أدى إليه هذا من صراع قبلي خطير .

ويتناول المبحث الرابع آل المهلب وظهور عصبية الأزدي ، وأثر ذلك في الحياة

السياسية العامة ، ويعرض لآل المهلب في البصرة وقوتهم فيها أيام معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد ، ونباهة المهلب وبلائه في فتوح خراسان . وحروب الأزارقة الخوارج ، ثم ولايته في خراسان في عام ٨١ هـ وعلو شأن قومه الأزديين فيها بسبب علو شأنه هو ، وإفساح المهالبة المجال للشعراء والمسترفدين وطالبي الفضل والإحسان ، وأسباب عزل آل المهلب عن خراسان في عام ٨٦ هـ ، وعودة يزيد بن المهلب إليها والياً في عام ٩٧ هـ ، والنمو المتزايد لعصبية الأزدي بصفة خاصة واليمن بصفة عامة في مطلع القرن الثاني للهجرة وبخاصة في ولايتي أسد القسري في عام ١٠٦ هـ ، وعام ١١٧ هـ . وظهور مناوئين للحكم الأموي من اليمانيين في الولاية الأخيرة .

ويتناول المبحث الخامس قتيبة بن مسلم ، وظهور عصبية القيسية ، وأثر ذلك في الحياة السياسية العامة ، ويبدأ بالحديث عن عصامية قتيبة ، وقبيلته باهلة وعلاقته بالحجاج بن يوسف ، وعماً إذا كان في ذلك أثر على القيسية التي تربط بينهما ، ومناقشة الأقوال في ذلك ، والخروج من ذلك بنتائج منها أن قتيبة لم يتبنَّ سياسة قبلية ، وأنه اعتمد على العنصر العربي والعجمي في حروبه . ثم التطرق لوضع القيسيين في خراسان وإنهم لم يكونوا بذوي خمس خاص بهم ، ولم يبرز فيهم شعراء ، على أن الولاة منهم كثيرون ، استفاد بعضهم من الرابطة المضرة التي تربط قيساً بتميم ، وإن لم يكن بين هاتين القبيلتين حلف كالذي بين ربيعة (بكر وعبد القيس) والأزد .

ويتناول المبحث السادس موقع بني تميم في الصراع القبلي . ويعرض لبني تميم كأكبر كتلة قبلية في البصرة وخراسان ، وأن قادة الفتح في خراسان وفي بلاد فارس عموماً كانوا من التميميين ، وكيف أن خراسان وبلاد ما وراء النهر شهدت حضوراً قليلاً من كافة فروع هذه القبيلة التي أنجبت فرساناً مشاهير ، وقادة متميزين في تلك البلاد ، مع تفوق شعري لم يكن مردّه إلى كثرة شعراء تميم بخراسان فحسب بل وبسبب أن شعراءها بالبصرة عاشوا بأحاسيسهم ومشاعرهم وكأنهم في البلاد الخراسانية ، ويعرض أيضاً لانقسام تميم بين زعيمها بكير بن وشاح ، وبحير بن ورقاء



حتى عام ٨١ هـ ، وللحركة الإنشاقية التي قادها الحارث بن سريج في عام ١١٦ هـ .
ولموقف بني تميم من قتيبة بن مسلم ومصرعه على يد قائدهم وكيع بن حسان في
عام ٩٦ هـ .

والفصل الرابع عن حياة القبائل العربية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية .
وَيَسْتَمُرُّ عَلَى خَمْسَةِ مَبَاهِجَ، يَبْحَثُ الْمَجْمَعُ الْأَوَّلُ مِنْهَا فِي عِلَاقَةِ الْعَرَبِ بِالْعَجَمِ ابْتِدَاءً مِنْ
الطَّرِيقَةِ الَّتِي تَمَّ الصِّلْحُ بِهَا عَلَى الْأَرْضِ ، وَبَقَاءِ جَبَايَةِ الْخَرَجِ وَإِمَارَاتِ الْمَدَنِ فِي أَيْدِي
الْمَرَاذِبِ وَالْأَصْبَهَنِيِّينَ وَالذَّهَاقِينَ مِنَ الْعَجَمِ ، وَبُرُوزِ زُعَامَاتٍ مِنْ سُكَّانِ الْبِلَادِ الْأَصْلِيِّينَ
كَانَ لَهَا أَثَرٌ فِي مَسِيرِ الْحَوَادِثِ ، ثُمَّ مَنَاقِشَةُ الْأَرَاءِ الْخَاصَةِ بِالْمَوَالِي وَمَا أَثِيرَ حَوْلَ التَّعَايِزِ
الطَّبَقِيِّ فِي خِرَاسَانَ وَبِلَادِ مَاوَرَاءِ النَّهْرِ .

وَيَبْحَثُ الْمَجْمَعُ الثَّانِي فِي مَوْقِفِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ ، وَأَهَمِّ
الْأَعْمَالِ الَّتِي زَاوَلَهَا الْعَرَبُ فِي خِرَاسَانَ وَبِلَادِ مَاوَرَاءِ النَّهْرِ . وَيَتَطَرَّقُ إِلَى ارْتِبَاطِ الْعَرَبِ
بِالْجَنْدِيَّةِ ، وَبَعْدَهُمْ عَنِ الْإِحْتِكَاكِ الْمُبَاشِرِ بِالْحَرْفِ الْيَدَوِيَّةِ ، ثُمَّ النِّشَاطِ الزَّرْعِيِّ الْعَرَبِيِّ
الَّذِي بَدَأَ بِشَكْلٍ وَاضِحٍ فِي مَطْلَعِ الْقَرْنِ الثَّانِي الْهَجْرِيِّ وَمَحَاكَاةِ الْعَرَبِ لِلْعَجَمِ فِي
الْمَلْبَسِ وَالْمَأْكَلِ وَحُضُورِهِمُ الْأَعْيَادَ ، وَتَبَادُلِ الطَّرْفَيْنِ الْهَدَايَا ، وَأَيْضًا اسْتِقْرَارَ الْعَرَبِ فِي
الدَّوْرِ الَّتِي تَشْرَفُ الدَّوْلَةُ عَلَى تَنْظِيمِهَا .

وَيَبْحَثُ الْمَجْمَعُ الثَّلَاثُ فِي مَوَاقِفِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْفَتَنِ الْمَذْهَبِيَّةِ . إِذْ نَشَأَتْ فِي
خِرَاسَانَ بَعْضُ الْأَفْكَارِ الْمَذْهَبِيَّةِ لِبَعْدِ خِرَاسَانَ عَنْ دَارِ الْخِلَافَةِ وَلَوْجُودِ عِدَدٍ مِنَ الدِّيَانَاتِ
وَالْعَقَائِدِ الْمُخْتَلِفَةِ بِهَا ، وَقَدْ سَارَ بَعْضُ أَفْرَادِ الْقَبَائِلِ فِي رِكَابِ هَذِهِ الْأَفْكَارِ كَفَكْرِ
الْمَرْجُئَةِ الَّتِي تَطَوَّرَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَى أَنْ اخْتَلَطَ بِالْجَبْرِ وَالْقَدَرِيَّةِ ، وَنَشَأَتْ فِي خِرَاسَانَ
الدَّعْوَةُ لِبَنِي الْعَبَّاسِ فِي رَأْسِ الْمِائَةِ الْأُولَى الْهَجْرِيَّةِ فَكَانَ لَهَا أَنْصَارٌ وَمُؤَيِّدُونَ .

وَيَبْحَثُ الْمَجْمَعُ الرَّابِعُ فِي شَعْرِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي خِرَاسَانَ وَبِلَادِ مَاوَرَاءِ النَّهْرِ مِنْذُ
حَرَكَةِ الْفَتْحِ الْأَوَّلِيِّ وَمُرَافَقَةِ الشَّعْرِ لَهَا كَمَقْطُوعَاتٍ يَرُدُّهَا الْفَاتِحُونَ ، وَحَتَّى أَصْبَحَتْ

تلك البلاد مصوراً ضخماً لأشعار عربية كثيرة مرتبطة بالواقع السياسي الحربي والقبلي ، ويشيد فيها الشعراء بالانتصارات ، ويتوجعون على الإنكسارات ، ويصفون المعارك ، وفتح القلاع والحصون ، ويلتحمون فيها أيضاً مع بعضهم في هجاء مقذع ، ونقائض مرّة . ويبحث أيضاً في أثر اللغة والأدب العربيين في تلك البلاد ، حيث تمكنت العربية من النفوس فتمثلها الموالي وفقهوها حتى نبغ منهم شعراء كالعرب .

ويبحث المبحث الخامس في جهود العلماء العرب في خراسان وبلاد ماوراء النهر في الدراسات الشرعية ، ويعرض لنزول عدد من الصحابة في تلك الأراضي ، وبعضهم من المهاجرين الأولين ، وما حظيت به خراسان وبلاد ماوراء النهر من استقرار عدد من التابعين وأتباع التابعين بها ، وما تميزت به أكثريتهم من التعمق في الدين ، والتبصر في العربية ، ووجود عدد من المدارس في المدن الرئيسية نتيجة لذلك .

والفصل الخامس عن إسهام القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر في الفتح الإسلامي شرقاً وموقفها من سقوط دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس . وهو حُفِّم إلى أربعة مجاميع يختص الأول منها بسياسة الولاة في تسيير حركة الفتح التي تختلف باختلاف الظروف والدواعي وطريقة كل وال في تسييرها ومدى تدخل والي العراق ، والخليفة في الشام في شئونها ، ثم موقف القبائل العربية من هذه السياسة .

ويختص المبحث الثاني بالمواقع التي أسهمت القبائل العربية في فتحها ، فقد شاركت القبائل في خراسان وبلاد ماوراء النهر في الفتوح لكن مناطق معينة عرفت بإسهام خاص لبعض القبائل كـ « بخارى » التي تعتبر فتحاً تميمياً و « جرجان » و « طبرستان » اللتين أسهم أهل اليمن في وقائعهما في عام ٩٨ هـ إسهاماً متميزاً ومن ذلك أيضاً مشاركة أهل العالية (القيسية) مع أشرس السلمي في عام ١١٠ هـ ، وتفرد ربيعة ببعض فتوحات نصر بن سيار في عام ١٢١ هـ .

ويختص المبحث الثالث بالفتن المذهبية والتمهيد للدعوة العباسية وموقف القبائل

العربية من هذه الدعوة ، ويركز على النشاط العباسي اعتباراً من عام ١٠٠ هـ ، ومساندة بني خزاعة الأزدية لهذه الدعوة ، وإفادة الدعوة من الانشقاق الذي أحدثته ثورة الحارث ابن سريج ، ومن الحركات الفردية التي كانت تظهر بين حين وآخر .

ويختص المبحث الرابع بالقبائل التي أسهمت في إقامة دولة بني العباس وإسقاط دولة بني أمية ، وأهمها في هذا النشاط : القبائل اليمانية وبالذات خزاعة الأزدية التي كانت مواقفها في دعم دعوة العباسيين أبين وأوضح من مواقف الموالي ، على العكس مما ذهب إليه كثير من الباحثين حينما جعلوا أدالة دولة بني أمية لصالح بني العباس جهداً أعجمياً خالصاً قام به العجم انتقاماً من العرب وغضباً من السياسة الأموية .

وقد كانت ملازمة المصادر القديمة - ولفترة طويلة - هي خير معين على اجتياز ماواجه هذا البحث من مصاعب ، ومن هنا كان الغوص في أعماق أقدم المصادر لازماً وضرورياً ، مع التعويل بالدرجة الأولى على مصادر التاريخ العربي الإسلامي وكتب السير والتراجم ، والاستعانة بما كتبه الجغرافيون القدامى في المعاجم البلدانية ، والاستعانة أيضاً بمصادر الأنساب والرجوع إلى الآراء الحديثة بشأنها من أجل المقارنة والاستنتاج ، والاستئناس بكتب الأدب .

وتعددت المصادر التي استقى البحث منها مادته العلمية ، ويأتي « الطبري » المتوفى في عام ٣١٠ هـ في طليعتها ، وكتابه « تاريخ الأمم والملوك » مليء بالأخبار التي ترتبط بهذه الدراسة ، وغني بالروايات المختلفة والمتناقضة أحياناً والتي تتطلب جهداً للتوفيق بينها أو للبحث عن عوامل الترجيح لإختيار أحدها .

ولا يعدو « ابن الأثير » المتوفى في عام ٦٣٠ هـ أن يكون ناقلاً للأخبار التي وردت في تاريخ الطبري ، والتي تهم هذا البحث ، وإن كان من إضافة فهي قليلة نادرة في كتابه « الكامل في التاريخ » . ويكاد « ابن كثير » المتوفى في عام ٧٧٤ هـ يشبهه

« ابن الأثير » في عدم إضافة جديد على مارواه الطبري وكتابه هو « البداية والنهاية » .

وهناك « البلاذري » المتوفى في عام ٢٧٩هـ ، وكتابه « فتوح البلدان » جيد ومفيد لهذه الدراسة غير أن رواياته لم تسلم من أخبار شعبية تحمل في ثناياها دساً كثيراً وتدليساً متعمداً .

أما مصادر التراجم فمنها ، « ابن سعد » المتوفى في عام ٢٣٠هـ في « الطبقات الكبرى » ، ولا يقل عنه أهمية « ابن حجر » المتوفى في عام ٨٥٢هـ في « الإصابة في تمييز الصحابة » و « ابن خلكان » المتوفى في عام ٦٨١هـ في « الأعيان » ، وهذه الكتب تدور حول معنى واحد هو تراجم الأعلام ، ومثلها في ذلك كتاب « الأمصار ذوات الآثار » « للذهبي » المتوفى في عام ٧٤٨هـ ، و « مشاهير علماء الأمصار » « للبستاني » المتوفى في عام ٣٥٤هـ ، وفائدة هذين الكتابين في هذا المعنى قيمة جلية .

هذا في حين تمّ الاعتماد في موضوع الأنساب على مصادر أشهرها « الكلبي » المتوفى في عام ٢٠٤هـ ، وكتابه هو « جمهرة النسب » وابن حزم المتوفى في عام ٤٥٦هـ ، وكتابه هو « جمهرة أنساب العرب » . وربط « ابن سعيد » المتوفى في عام ٦٥٨هـ بين معلومات الأنساب العربية ومرويات التاريخ الجاهلي ربطاً قوياً في كتابه « نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب » فكانت الأخبار فيه جيدة مفيدة . وأشبه « القلقشندي » المتوفى في عام ٨٢١هـ ابن حزم والكلبي في رصد سلالات النسب ، وتتبع التفرعات القبلية ، والتعريف بأماكن سكنى البطون والأفخاذ في مختلف المواطن والأمصار وذلك في كتابه « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » .

كما تمّ الاستعانة بعدد من تقاويم البلدان كـ « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » لـ « المقدسي » المتوفى في عام ٣٧٥هـ ، و « مسالك الممالك » ، « للأصطخري » المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، و « معجم ما

استعجم « لـ » البكري المتوفى في عام ٤٨٧ هـ ، و « معجم البلدان » لـ « ياقوت » المتوفى في عام ٦٢٦ هـ . وكل ذلك من أجل تحديد المواضع ومعرفة الأماكن ، وإن كانت الاستعانة بمعجم ياقوت قد تمت بشكل أكبر ، مع ملاحظة أن الاستفادة من كتب التراجم والأنساب ومعجم البلدان لا تقتصر على المادة التي تختص بها هذه المصادر إذ أن فيها من الأخبار ما يخدم الحوادث التاريخية ويعين على فهم بعض الجوانب الاجتماعية والسياسية وغيرها .

وبالإضافة إلى ما تقدم فهناك مجموعة من المصادر الأدبية كـ « ابن سلام الجعفي » المتوفى في عام ٢٣٢ هـ في « طبقات فحول الشعراء » و « ابن قتيبة » المتوفى عام ٢٧٦ هـ في « الشعر والشعراء » و « ابن عبد ربه » المتوفى في عام ٣٢٧ هـ في « العقد الفريد » .

ويتضح من مطالعة ثبت المصادر والمراجع في آخر هذا البحث أن هناك مجموعة من المصادر لم يشر إليها هنا ، وما يجدر التنبيه له هو أن هذه المصادر لا تقل أهمية عما ورد في هذه المقدمة ، كما أنه تمت الاستعانة بعدد من المراجع العربية والأجنبية الحديثة ، وبعض دواوين الشعر وكل هذا مثبت في موضعه من الهوامش ، ومقيد في آخر البحث .

وفي الختام أتقدم بخالص الشكر والتقدير لجامعة أم القرى ممثلة بمعالي مديرها وعميد كلية الشريعة وقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية حيث هيئ الجو العلمي للباحثين ، وأثني على جهود الاستاذ الدكتور محمد حمدي المناوي المشرف السابق على هذا البحث ، وأشكر الاستاذ الدكتور جميل عبد الله المصري المشرف على البحث والذي منحني جزءاً كبيراً من وقته وبذل من النصيح والإرشاد والتوجيه ما كان له أكبر الأثر ، كما أتقدم بخالص الشناء والامتنان للاستاذين الكريمين الاستاذ الدكتور محمد ضيف الله البطايه والاستاذ الدكتور محمد جبر أبو سعده حيث تفضلا بالعطاء من وقتهم وجهدهما في الاطلاع على البحث ومناقشته سائلاً المولى جل وعلا ان يكون ذلك في ميزان حسناتهما . والله الموفق .

نهييـد

- بيئة خراسان وبلاد ماوراء النهر الجغرافية والاقتصادية .
- السكان ، الأصول والمعتقدات .
- علاقة العرب بخراسان وبلاد ماوراء النهر قبل الفتح الإسلامي .

بيئة خراسان وبلاد ماوراء النهر الجغرافية والاقتصادية :

كانت خراسان ^(١) تمثل جزءاً مهماً من البلاد الإسلامية في العصر الأموي . وخراسان تشمل الأرض المحصورة بين نهر جيحون ^(٢) شمالاً وسجستان وجبال الهندوكوش الهندية جنوباً ^(٣) ، ويحدها من الغرب المفازة ^(٤) وقوهستان فاصلة بينها وبين إقليم فارس ^(٥) ، ومن الشرق صحراء الصين والباير ^(٦) وسجستان ^(٧) ، ومن الشمال الغربي طبرستان وجرجان وخوارزم ^(٨) .

ولا يمكن التوسع بأرض خراسان لتشمل بلاد ماوراء نهر « جيحون » وسجستان وطبرستان وجرجان إلا بالنظر إلى واقع الإدارة السياسية حيث يدير الوالي في أحيان كثيرة شئون عدد من الأقاليم من « مرو » العاصمة الخراسانية ^(٩) .

(١) نقل البكري عن الجرجاني أن معنى خرّ : كُلّ ، وأسان معناه سهل أي كل بلا تعب ، ونقل عن غيره أن معنى خراسان بالفارسية : مطلع الشمس . والعرب إذا ذكرت المشرق كله قالوا : فارس ، وخراسان من فارس . انظر أبو عبيد الأندلسي البكري : معجم ما استعجم . القاهرة ١٩٤٥ م ، ٤٩٠ .

(٢) ورد في المعاجم العربية كالأصطخري اسم « جيحون » و « سيحون » . انظر إبراهيم بن محمد الأصطخري : مسالك الممالك ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ ، ص ٢٨٥ . وكان يطلق على « جيحون » اسم « أوكسس » وعلى « سيحون » اسم « جكزرتس » ويعرفان الآن باسم « أموداريا » و « سيرداريا » . انظر كي لسترخ : بلدان الخلافة الشرقية بغداد ، ١٩٥٤ م ، ص ٤٧٧ .

(٣) انظر محمد المقدسي : أحسن التقاسيم ، لندن ، ١٩٠٩ م ، ٣١٣ .

(٤) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣٣٣ .

(٥) انظر شهاب الدين ياقوت الحموي : بيروت ، ١٤٠٤ هـ ، ج ٤ ، ٤١٦ .

(٦) انظر محمد البار : أفغانستان ، ط ١ ، جدة ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٣٠ .

(٧) انظر الأصطخري : مسالك الممالك ، ٢٤٠ ، وسجستان هي سيستان وسمتها المصادر العربية « سجستان » .. انظر كي لسترخ : بلدان الخلافة الشرقية ٣٧٢ .

(٨) انظر محمد بن حوقل : صورة الأرض ، لندن ، ١٩٦٧ م ، ٢٦٩ ، المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣٥٨ .

(٩) ذكر ياقوت أنّ أعمال خوارزم وبلاد ماوراء النهر تعد في بعض الأقوال من خراسان لأنها كانت تابعة لوالي خراسان . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ٤٠٨ .

ومع أن « سجستان » و « طبرستان » وبلاد ما وراء النهر وغيرها قد أديرت سياسياً من قبل العاصمة خراسان في عهد كثير من الولاة الأمويين ^(١) فإن صلة ما وراء النهر بخراسان ظلت هي الأقوى وماذاك إلا لكون أراضي هذين الأقليمين إنما هي امتداد لبعضها وبدون حاجز يذكر سوى نهر « جيحون » ، ولقاربة الدم التي تربط بين سكانهما ، ثم أن بلاد ما وراء النهر لم تدر كولاية مستقلة عن خراسان طوال العهد الأموي .

وينبع نهر جيحون المعروف حالياً باسم « أموداريا » من جبال « البامير » التي تُسمى سقف العالم ، في شمال شرق أفغانستان بالقرب من حدودها مع الصين والاتحاد السوفيتي ^(٢) ويتلقى تغذيته من ذوبان الثلوج في جبال الهندوكوش ومن روافده التي تلتقي به في منطقة « الخطل » وذلك كنهر « جرياب » ، و « وخش » وأنهار منطقتي « نخشاب » و « البتم » ^(٣) .

ويسير نهر « جيحون » باتجاه الغرب إلى أن يصل إلى مدينة « ترمذ » واضعاً حداً

(١) قلماً انفردت « طبرستان » بوال مستقل ، بينما حدث أن استقلت « سجستان » بوال خاص بها في أحيان كثيرة من ذلك مثلاً أن الربيع بن زياد الحارثي كان عليها من قبل زياد بن أبيه ووليها بعده عبيد الله بن أبي بكر إلى أن مات زياد عام ٥٣ هـ ثم وليها عباد بن زياد إلى عام ٦١ هـ ، وفيما تلا ذلك كانت « سجستان » مربوطة في أكثر أوقاتها بولاية بني أمية في خراسان ، وذلك كما في أيام أمية بن عبد الله (٧٤ - ٧٨ هـ) ، وأيام قتيبة بن مسلم (٨٦ - ٩٦ هـ) ، وأيام يزيد بن المهلب في ولايته الثانية (٩٧ - ٩٩ هـ) . انظر أحمد البلاذري : فتوح البلدان ، بيروت ، ص ٣٨٥ . وعن فتح سجستان الذي تم في عام ٢٣ هـ انظر عز الدين بن الأثير : الكامل ، ط ٥ ، بيروت ، ج ٣ ، ٢٢ .

(٢) انظر محمد البار : أفغانستان ، ٣٥ .

(٣) انظر د . جميل المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، ص ٤١٣ ، ٥٥١ ، كي لسرغ : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٧٦ .

طبيعياً بين خراسان وبلاد ماوراء النهر^(١) .

وفي أرض « ترمذ » يُعرف نهر « جيحون » باسم « ماله » ومنها يتجه شمالاً فاصلاً أيضاً بين خراسان وبلاد ماوراء النهر ، بحيث تصبح « ترمذ » في جانبه الشرقي في أرض ماوراء النهر ، ويقابلها « بلخ » في الجانب الخراساني^(٢) .

ويلاحظ أن النهر يستبحر ماؤه في أرض « ترمذ » و « بلخ » بعد أن تنحلب إليه مياه عظيمة ، أما بعد « ترمذ » فإن مجراه يضيق ثم ينبسط عند « زم »^(٣) الواقعة على جانبه الغربي في مقابلة رمال غزيرة في الشرق تؤدي إلى « نخشب » ومن ثم إلى « سمرقند » في بلاد « الشاش »^(٤) .

ويستمر النهر في مسيره إلى « آمل » الخراسانية المقابلة لـ « فربز »^(٥) التي يؤدي طريقها إلى « بخارى » ، وينتهي النهر إلى « خوارزم » في البحيرة المعروفة بـ « الجرجانية »^(٦) والتي هي بحر « الآرال » الذي يصب فيه أيضاً نهرا « فرغانة » و « الشاش » من بلاد ماوراء النهر^(٧) .

(١) انظر الاصطخري : مسالك الممالك ، ٢٨٧ . ويبلغ طول نهر « جيحون » حوالي ٢٢٤٠ كم منها ٩٦٠ كم في بلاد الأفغان « أفغانستان » . انظر محمد البار : أفغانستان ٦٢ .

(٢) انظر علي بن الحسن المسعودي : التنبيه والإشراف ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٧٢ . ويلاحظ أن نهر « جيحون » يفصل الآن بين أفغانستان جنوباً ، والتركستان الغربية شمالاً انظر جميل المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ٤٣١ .

(٣) هي « آمل زم » و « آمل جيحون » و « آمل الشط » و « آمل المفازة » بينها وبين « مرو » رمال صعبة المسالك . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ٥٧ .

(٤) انظر المسعودي : التنبيه والإشراف ، المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣٠٣ .

(٥) بينها وبين ضفة نهر جيحون اليمنى نحو فرسخ ، توصف بكثرة أعناقها ، انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٩٠ .

(٦) الجرجانية هي عاصمة « خوارزم » انظر البكري : معجم ما استعجم ، ٥١٥ .

(٧) انظر الاصطخري : مسالك الممالك ، ٣٠٤ ، المسعودي : مروج الذهب ، ج٥ ، ١٩٧٣ م ، ج١ ، ١٠١ ، محمد بن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، ج٣ ، ٧ .

أما روافد نهر « جيحون » في الأراضي الخراسانية فأهمها : نهرا « هاري رود » و « نهر الروذ »^(١) وهذان النهران مع أنهار أخرى تميز الأرض الخراسانية إضافة إلى كثرة المفاوز والجبال ، وذلك كالمقازة الفاصلة بين خراسان وفارس ، ومقازة « أمل » و « زم » ومقازة « مرو » وجبال « الطالقان » المتصلة بجبال « الجوزجان » في الشرق ، والجبال الواقعة شمال « هراة » ، ومنطقة « الخطل » التي تكاد أن تكون كلها جبلاً ، ومنطقة « الغور »^(٢) .

وأرض خراسان مقسمة إلى أربع مناطق^(٣) ، تشمل الأولى : الجزء الغربي وهو إقليم نيسابور « أبرشهر »^(٤) مدخل السائرين إلى خراسان من الغرب عبر « الطبسين »^(٥) ، والمعلوم أن لخراسان طريقين أحدهما : طريق « الطبسين » المعروف بطريق القوافل ، والثاني : طريق البريد المار بـ « قومس » الواقعة بين « الري » و « نيسابور » في ذيل جبل « طبرستان »^(٦) وهو إلى الجنوب من الطريق الأول^(٧) .

(١) انظر الأصبخري : مسالك الممالك - ٢٦١ . ويلتقي « هاري رود » برافده نهر « مشهد » التي هي طوس الخراسانية المقابلة لـ « سرخس » الواقعة شرق النهر في أرض التركمنستان ، التي ينتهي النهر إلى رمالها بالقرب من « يهق » انظر حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، ط ١ ، القاهرة ، ص ١١٦ . أما « نهر الروذ » فهو « نهر المرخاب » أيضاً انظر محمد البار : أفغانستان ، ٣٨ .

(٢) انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣٧ .

(٣) انظر الأصبخري : مسالك الممالك ، ٢٥٣ ، وانظر التفاصيل في القسم الرابع من الفصل الثاني في هذه الدراسة .

(٤) تقع نيسابور في عصرنا الحاضر في الجزء الشمالي الشرقي من إيران . انظر محمود شاهر : خراسان ، دمشق ، ١٩٧٩ م ص ١٠ .

(٥) طبس العناب ، وطبس التمر ويقال لهما : باب خراسان ، والطبس في العربية الأسود من كل شيء ، والطبس بالكسر الذئب : انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ٤١٤ .

(٦) تقدمت الإشارة إلى « طبرستان » وأنها لا تعد داخلة في خراسان جغرافياً على أن الاستاذ محمود شاهر عدّها ضمن الأراضي الخراسانية . انظر محمود شاهر : خراسان ، ٧ .

(٧) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣١٨ .

ومهما يكن من أمر فإن كلا الطريقين ينتهيان إلى نيسابور ، ومن نيسابور يتجه طريق إلى « مرو الشاهجان » بعد أن يمر بـ « سرخس » ثم يتجه إلى ضفة نهر جيحون ليقع إلى « آمل » ثم إلى بلاد ماوراء النهر إلى أن يصل « الشاش » و « فرغانة » ، ويتجه طريق آخر من « مرو الشاهجان » إلى « مرو الروذ » فـ « بلخ » و « طخارستان » ومن « بلخ » يستد طريق إلى « بخارى » و « سمرقند » من جهة « كندك » (١) .

ويعمل أهل نيسابور بالزراعة ، ويسقون مزارعهم من نهر شقوا له القنوات ، إضافة إلى اشتغالهم بصناعة المنسوجات القطنية والحريرية حتى قيل : أنه ليس بخراسان مدنية ادوم تجارة وأكثر سابلة وأعظم قافلة من نيسابور (٢) .

أما المنطقة الثانية فهي الاقليم الشمالي . اقليم « مرو » (٣) الذي يشتهر بالزراعة والرساتيق الكثيرة بالإضافة إلى صناعة الحرير والقطن والשיاب (٤) . وإلى الشمال من هذا الاقليم تقع المنطقة الثالثة ، لمنطقة « هراة » (٥) وعاصمتها « هراة » تقع على نهر يحمل اسمها (٦) ، ويخرج منها طريق إلى اقليم « سجستان » مخترقاً مدينة « مالق »

(١) انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣٣١ .

(٢) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٣٣١ .

(٣) هناك « مرو الشاهجان » « مرو الكبرى » عاصمة خراسان وهي الشمالية ، و « مرو الروذ » « مرو الصغرى » وهي إلى الجنوب من الأولى . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ١١٦ . وتقع « مرو » حالياً في جمهورية « التركمنستان » الموفيتية في تركستان الغربية وقد اندثر اسمها وحل محله اسم « بيرام علي » انظر جميل المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ٥١٢ .

(٤) انظر الأصبخري : مسالك الممالك ، ٣٦٠ ، المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٩٧ .

(٥) تقع هراة حالياً في شمال غرب أفغانستان وماتزال تعرف باسمها القديم . انظر محمد البار : أفغانستان ، ٣٧ .

(٦) انظر الاصبخري : مسالك الممالك ، ٢٦٦ .

ذات العديد من القرى ، وكورة^(١) « أسفزار » ، ثم كورة « الباميان » في آخر الطرف الجنوبي من خراسان^(٢) .

وأخيراً فإن « بلخ »^(٣) هي المنطقة الجغرافية الخراسانية الرابعة ، وأكبر توابعها « طخارستان »^(٤) وهي مقسومة إلى : طخارستان العليا ، وطخارستان السفلى ، والأولى : هي الأبعد شرقاً^(٥) . وتشتمل « طخارستان » على عدد من المدن منها : « الطالقان » ويتبعها : « خلْم » و « سمينجان » و « الجوزجان » وتعرف عاصمة الجوزجان باسم « الطالقان » تقع بأرض سهلية ، وبينها وبين « مرو الروذ » تقع مدينة « ميمنة » و « كند دروم » في أرض جبلية وأصغر من هاتين المدينتين هناك مدينة « الفارياب » بين « الطالقان » و « شبورقان » غرباً^(٦) .

واشتهرت « بلخ » بكثرة خيراتها ، وعدّت من أجل مدن خراسان بسعة الغلة التي تحمل إلى الآفاق ، وبوفرة الصناعات المتعددة^(٧) .

هذا وتعتبر « سمرقند » و « بخارى » من أعظم بلاد ما وراء النهر^(٨) ، وإلى

(١) الكورة مثل استان جمعها كور وتعنى كل صقع يشتمل على عدة مدن وقرى . انظر الفيروز آبادى (مجد الدين يعقوب) : القاموس المحيط ، ط ١٣٨١ هـ ، مادة . الكاف .

(٢) انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣١٩ .

(٣) تعرف « بلخ » حالياً باسم « مزارى شريف » في شمال أفغانستان . انظر حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، ١١٦ ، ١٤٥ ، محمد البار : أفغانستان ، ٣٧ .

(٤) انظر الأصطخري : مسالك الممالك ، ٢٧٩ .

(٥) العليا في شرق « بلخ » في محاذة نهر « جيحون » والسفلى في جنوبها الشرقي . انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ٢٦٩ .

(٦) انظر الأصطخري : مسالك الممالك ، ٢٧٩ .

(٧) انظر ياقوت ، ج ٢ ، ٥٠١ ، المقدسي : أحسن التقاسيم ٢٩٧ .

(٨) انظر الأصخري : مسالك الممالك ، ٣١٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ٤٠٥ ، ج ٢ ، ٣٩٨ ، وتقع كل من « سمرقند » و « بخارى » في جمهورية أوزبكستان السوفيتية في أرض التركستان السابقة . انظر المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ٥٢٠ .

أقصى الشرق منها تقع ولاية نهر « سيحون » « سيرداريا » في تخوم بلاد الترك ^(١) و « الشاش » ^(٢) ، لكن قبل هذا وإلى الجنوب الغربي منه توجد « فرغانة » مدينة وكورة واسعة على يمين القاصد لبلاد الترك ليس وراءها في بلاد ما وراء النهر سوى « كاشغر » ^(٣) .

وتعتبر « طشقند » « تاشكند » عاصمة لبلاد « الشاش » ^(٤) ومن أعظم المدن فيما وراء النهر بعد « بخارى » و « سمرقند » ، وبلاد « الشاش » جبلية يخرج منها الحديد ، والنحاس ، والذهب ، ويوجد بها جبل حجارته سود يحترق كما يحترق الفحم ^(٥) .

وفيما بين « سمرقند » ونهر « سيحون » توجد « أشروسنة » ^(٦) التي تتوسط « فرغانة » شرقاً ، و « سمرقند » غرباً ، و « الشاش » شمالاً ، و « شومان » و « واشجرد » و « كش » و « الصغانيان » جنوباً ^(٧) .

وبلاد ما وراء النهر من أنزه الأقاليم وأخصبها وأكثرها خيراً ومياها ، ينقل منها

(١) انظر الأصبخري : مسالك الممالك ، ٣٣٦ .

(٢) تقع « الشاش » على ضفة نهر « سيحون » اليمنى أي الشمالية الشرقية . انظر كي لسترغ : بلدان الخلافة الشرقية ، ٥٢٣ .

(٣) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٧١ ، و « فرغانة » تقع فيما يعرف الآن باسم جمهورية قيرغيزيا على حدود « تركستان الشرقية » في الاتحاد السوفيتي ، انظر المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ٥٢٥ .

(٤) كان العرب يسمون « تاشكند » « الشاش » ويسمونها الفرس « جاج » . انظر الأصبخري : مسالك الممالك ، ٣٣٢ ، المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٧٢ . ومعنى « تاشكند » مدينة الحجر . انظر كي لسترغ : بلدان الخلافة الشرقية ، ٥٢٥ .

(٥) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ٩٢ .

(٦) ويقال لها : « بونجكت » . انظر الأصبخري : مسالك الممالك ، ٣٢٥ .

(٧) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٧٧ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣٧٩ .

القرز والصوف ، والقطن إلى الآفاق بالإضافة إلى المسك والزعفران ، وبها من السناجب والثعالب الشيء الكثير ، ولذا فهي تشتهر بالفرو والأوبار ^(١) .

السكان ، الأصول ، والمعتقدات :-

ظلت بلاد ماوراء النهر تعرف بالترك سكاناً لها فالذين بالقرب من خراسان يقال لهم : الترك الغزية ، وأهل « فرغانة » الترك الخرخية ، أما أهل « الصغد » فهم الترك الصغديون ^(٢) .

وفصل نهر « جيحون » بين هؤلاء الأقوام الناطقين بالتركية وبين الخراسانيين الناطقين بالفارسية ، وقد يطلق على الأولين اسم توران وعلى الآخرين اسم إيران ^(٣) ، وفي تقسيم آخر يقال لمن وراء النهر الهياطلة ^(٤) نسبة إلى هيطل بن عالم ولمن دون النهر الخراسانيين نسبة إلى خراسان بن عالم ^(٥) .

واطلق أهل خراسان وبلاد ماوراء النهر على أنفسهم اسم الآريين في حوالي الألف الثالث قبل الميلاد ^(٦) ، بعد أن ظهر فيهم « زردشت » ^(٧) صاحب الديانة الزردشتية الذي ناصره الملك « كشتاسب » . وشنّ هو ورجاله حرباً لا هوادة فيها على

(١) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٤٥ .

(٢) وقيل أنهم فئات فمنهم : الأسافل والأعالي والأواسط ، وأن الغزية من أشد الترك بأساً . انظر المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ١٠١ .

(٣) انظر الهادي الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، تونس ، ١٩٧٦ ، ص ١٩ .

(٤) أو « الهيطل » وهم « الافثلاطيون » ويعرفون بـ « الهون البيض » . انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٧٦ .

(٥) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٤٥ ، المقدمي : أحسن التقاسيم ، ٢٦١ ، مع ملاحظة ما سبقت الإشارة إليه من أن اسم « خراسان » يعني : مطلع الشمس .

(٦) انظر أمين بدوي : القصة في الأدب الفارسي ، بيروت ، ١٩٢٠ م ، ص ٢٠ .

(٧) هو زردشت بن يورشب ، أبوه من « اذريجان » وأمه من « الري » وظهر في « بلخ » . انظر محمد ابن عبد الكريم الشهرستاني : الملل والنحل ، بيروت ، ٢٣٧ ، ولد في منتصف القرن السابع ق . م =

مخالفهم في العقيدة (١) .

وانخزل من الآريين شعبة اتجهت إلى الشرق عن طريق جبال « الهندوكوش » ونزلت حوض السند ومنه اتجهت إلى شمال الدكن وجنوب جبال الهملايا ، وخليج البنغال وبحر العرب (٢) ، أما من بقوا في آسيا الوسطى فقد كان مركزهم نهر « جيحون » أو النهر المقدس كما كانوا يسمونه ، وربما أطلقوا على موطنهم اسم « اثيرينه ونجه » أي وطن الآريين ، وهو أقدم مهد للحضارة الإيرانية (٣) .

وقد توغل الآريون وبسطوا سلطانهم في بلاد أطلقوا عليها اسم « أثريانا » الذي تحوّر في البهلوية إلى « آران » وفي الفارسية الإسلامية إلى « إيران » (٤) . وظلت خراسان جزءاً أساسياً في بلاد الامبراطورية الفارسية الإيرانية ، أما اسم فارس فقد جاء من اسم الاقليم المجاور لخراسان من الغرب (٥) والذي هو موطن « قورش » مؤسس الامبراطورية الهخامنشية (٦) ، ومهد الساسانيين الذين أعادوا للفرس مجدهم

= ومات في منتصف القرن السادس ق.م ، انظر حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٣١٤ .

(١) كشتاسب بن لهراس من الطبقة الثالثة من ملوك الفرس الأولى « الكيانيين » . انظر المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٩٥ ، الشهرستاني : الملل والنحل ، ٢٣٧ .

(٢) انظر حسن بيرنيا : تاريخ إيران ، ١٤ ، كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٢٣٧ .

(٣) انظر حسن بيرنيا : تاريخ إيران ، ١٤ .

(٤) انظر محمود شيت خطاب : قادة فتح فارس ، ١٤ ، أمين بدوي : القصة في الأدب الفارسي ، ٢١ .

(٥) ذكر ياقوت أن أقليم فارس سمي بفارس بن طموث الذي ينسب إليه الفرس : وهو ملك عادل قريب المهد من الطوفان ، أو بفارس بن عَلم بن سام بن نوح . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ٢٢٦ .

(٦) قورش هو « بادشاه فارس » أي حاكم فارس (المتوفى عام ٥٢٩ ق.م) ينتمي إلى أسرة الهخامنشين التي عرفت في حوالي عام ٧٣٠ ق.م . انظر حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ٧١ .

ووجدتهم^(١) .

ويتكلم الإيرانيون بالفارسية القديمة « لغة الأبتاق »^(٢) وقد تطوّرت هذه اللغة إلى البهلوية فالبهلوية الساسانية وإلى أن تحولت إلى الفارسية الإسلامية^(٣) .

وذكر ياقوت أن البهلوية هي كلام الملوك في مجالسهم منسوبة إلى فهلو أو فهلة التي تضم عدداً من المدائن في قلب فارس ، وأنّ هناك عدداً من اللغات كالخوزية والسريانية والدريّة . والدريّة هي لغة أهل خراسان و « بلخ » بالذات^(٤) .

وكان الآريون يؤلهون الظواهر الطبيعية التي يعيشون تحت تأثيرها فيتقربون إلى السماء الصافية ويعبدون النار والشمس والأرض والهواء والماء والرعد والبرق ، وهي عندهم آلهة الخير التي يستعينون بها على الظلام والقحط والجفاف وغيرها من الظواهر التي ينزلونها منزلة الشياطين ويعتقدون أنّها أرواح شريرة يجب لعنها^(٥) .

واختصت السماء الصافية المحيطة بالعالم من بين معبودات هؤلاء القوم بنوع من التعظيم انفردت به عمّا سواها^(٦) ، وأُحييت السماء والأرباب الأخرى بهالات من الأوهام والأخيلة والأساطير ، وتمّ تصوير العالم على أنه مسرح للصراع بين قوى الخير

(١) هم الطبقة الخامسة من ملوك الفرس الثانية ، أولهم أردشير بن بابك شاه بن ساسان . انظر المسعودي : مروج الذهب ، ٢٤٣ . وكان ساسان سادناً لبيت نار أقيم في « أصطخر » وأصبح ملكاً في عام ٢١٢ م . انظر حسن بيرنيا : تاريخ إيران ، ٢٢١ .

(٢) ويقال لها الأوستا ، وهي التي صنف زردشت بها كتابه انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ٢٣٩ ، والأبتاق تقابل المنسكزية التي دون الهنود بها كتابهم المقدس « الودا » . انظر أمين بدوي : القصة في الأدب الفارسي ، ٢٥ .

(٣) انظر أمين بدوي : القصة في الأدب الفارسي ، ٢٩ ، حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ٣٤٣ .

(٤) وأضاف ياقوت : أنّ فهلو منسوبة إلى فهلوج بن فارس . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ٢٨١ .

(٥) انظر أمين بدوي : القصة في الأدب الفارسي ، ٢١ .

(٦) انظر حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ٣١٦ .

والشر^(١) .

وقد تمكنت هذه العقيدة من النفوس ، وهي في خراسان أشد تمكناً منها في بلاد ماوراء النهر ، بل أن التقاليد الدينية فيما وراء النهر قد ظلت في معظمها وثنية غير ذات جذور^(٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن « الزردشتية » لم تصبح ديناً رسمياً للدولة إلا أيام الساسانيين^(٣) ، وذلك على الرغم مما بذله « كشتاسب » في بلخ من محاولة لإرغام الناس على اعتناق هذا المذهب^(٤) .

والذي يلاحظ هو أن « الزردشتية » لم تزد على أن تكون تجديداً في أصل الديانة المجوسية « الكيومرتية » بحيث كره « زردشت » تعدد الألهة ومن ثم نادى بـ « أهورا مزدا » أي الإله العالم بكل شيء^(٥) ، وكانت المجوسية القديمة تقول بأن « يزدان » وهو النور المخلوق قد فكر تفكيراً رديئاً فظهر المخلوق الثاني وهو الظلمة التي ترمز للشر والفتنة

(١) انظر أمين بدوي : القصة في الأدب الفارسي ، ٢٣ .

(٢) انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ٢٠٩ . ويلاحظ أن خراسان كانت جزءاً مهماً من مملكة فارس على العكس من بلاد ماوراء النهر ، وكان على خراسان وقت انتشار الإسلام في عهد أبي بكر ووائل عهد عمر رضي الله عنهم أحد دهاة الفرس وشجعانهم وهو « رستم فرخ هرمز » ، وهو الذي قاد جيش الفرس في معركة القادسية ، وفيها قتل ، قتله هلال ابن علفة التميمي . انظر أحمد كمال : القادسية ، بيروت ، ١٣٩٧هـ ، ٢١٨ ، حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ٢٨٤ .

(٣) انظر المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ٢٢٩ ، وبالرغم من أن الساسانيين نادوا بالزردشتية ديناً رسمياً للدولة فإنها لم تكن عقيدة للفرس كافة بسبب منازعة عدد من الديانات الأخرى لها . انظر محمود شيت خطاب : قادة فتح فارس ، ١٥ ، أمين بدوي : القصة في الأدب الفارسي ، ٢٣ .

(٤) انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ٢٣٧ .

(٥) انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ٢٣٧ . ومع أن هناك زمناً طويلاً بين ظهور « زردشت » وظهور حكام الفرس الساسانيين فإنه لم يكن للدولة الفارسية دين رسمي قبل بني ساسان . انظر حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ٣١١ .

وعلى هذا الأساس بينوا سبب خلاص النور من الظلمة وقالوا بأن الامتزاج مبدأ والخلاص معاد^(١) ، ومع ذلك فإن هناك من المجوس من زعم بأن النور والظلمة أزليان ويعرف هؤلاء بأصحاب العقيدة الثنوية^(٢) التي أعقبها ظهور « المانوية »^(٣) أيام الساسانيين . والمانوية خليط من المجوسية والنصرانية^(٤) ، وقد لقيت معاضدة في عهد سابور بن أردشير^(٥) ، غير أن العهد الذي أعقبه شهد ظهور ديانة جديدة عرفت باسم « المزدكية »^(٦) انتصر لها الملك الفارسي « قباد »^(٧) وحمل الناس على اعتناقها ، وأدى به الحماس لها إلى عزل المناذرة اليمانيين عن إمارة « الحيرة » لما رفضوا اعتناقها^(٨) .

ومع هذه الديانات التي عرفت بالامبراطورية الفارسية فقد نشأت فلسفة يونانية كان

-
- (١) انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ٢٣٨ .
(٢) انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ٢٤٥ .
(٣) تنسب المانوية إلى ماني بن فاثك الحكيم الذي ظهر في زمن سابور بن أردشير (٢٤١ - ٢٧١) .
انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ٢٤٥ .
(٤) وتقول المانوية بالنور وتبرأ من الظلمة غير أن أردشير لم يستمر في معاضدتها واضطر ماني إلى أن يلحق بأرض الهند . انظر المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، ٢٤٩ .
(٥) يعرف بسابور الأول ، والعرب تلقبه سابور الجند ، له حروب كثيرة ، وتنسب إليه مدائن عديدة . انظر المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، ٢٤٩ .
(٦) أحلّ « مزدك » النساء وأباح الأموال . وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء .
انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ٢٥٠ ، ويطلق على مزدك لفظ « الزنديق » انظر المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، ٢٦١ ، وهو من أهل نيسابور . انظر حسن بيرنيا : تاريخ إيران ، ٢٥١ .
(٧) هو قباد بن فيروز ويعرف بقباد الأول حكم ثلاثاً وأربعين سنة . انظر المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، ٢٦٣ . وقد ولي قباد الحكم عام ٤٨٧ م ، وهرب في عام ٤٩٨ م إلى الهياطلة خوفاً من بطش الناقمين على مذهب مزدك وعاد في عام ٥٠١ م وظل يؤمن بمذهب مزدك سراً . انظر حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ٢٥٢ .
(٨) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ٧٨ وما يذكر هو أن « مزدك » قُتل على يد « انوشروان بن قباد » الذي ولي الحكم بعد أبيه . انظر المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، ٢٦٣ .

لها تأثير كبير في تكوين العقلية الإيرانية ^(١) ، وتسربت البوذية إلى خراسان من الهند ^(٢) ، وكان لليهودية علاقة وثيقة بأرض الأمبراطورية الفارسية منذ أن انتصر قورش لليهود أثناء إصطدامهم بالبابليين ^(٣) ، وعرفت المسيحية طريقها إلى فارس قبل الإسلام بحوالي خمسة قرون عن طريق الشام وآسيا الصغرى ^(٤) .

علاقة العرب بخراسان وبلاد ماوراء النهر قبل الفتح الإسلامي :

ليس ثمة علاقة كبيرة واضحة مباشرة بين العرب وأهل تلك النواحي قبل الإسلام ، ومرد ذلك إلى المساحة الشاسعة التي تفصل بين الطرفين ، غير أنه يمكن القول بأن الأطراف الغربية للإمبراطورية الفارسية قد عرفت نوعاً من الاحتكاك الحربي المباشر بالعرب . وقبل الحديث عن ذلك نحسن الإشارة إلى أن القوافل الفارسية التجارية كانت تخترق أرض الجزيرة العربية إلى اليمن والحبشة ^(٥) ، ويقوم على أمر هذه القوافل أدلاء من العرب ، بل وتنتقل هذه التجارة بين القبائل العربية من خفارة قبيلة إلى خفارة قبيلة أخرى ^(٦) ، وهذا يعني أن هناك علاقة تجارية قائمة بين الفرس والعرب قبل الإسلام .

(١) وذلك بسبب التجار طائفة من الحكماء البيزنطيين إلى « انوشروان » . انظر أمين بدوي : القصة في الأدب الفارسي ، ٢٤ .

(٢) ومن معابدهم المشهورة معبد « النوبهار » . أشار إلى ذلك أمين بدوي وإلى البرامكة القائمين عليه ونفى أن يكون هذا المعبد من بيوت نار المجوس . انظر أمين بدوي : القصة في الأدب الفارسي ، ٢٣ . وهذا يخالف ماورد في بعض المصادر كالمسعودي الذي ذكر أن « النوبهار » من البيوت المجرسية المعظمة في « بلخ » وأن خالد بن برمك كان من أبناء مدنة هذا البيت . انظر المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ٢٣٨ .

(٣) انظر محمود شيت خطاب : قادة فتح بلاد فارس ، ١٥ .

(٤) انظر محمود شيت خطاب : قادة فتح فارس ، ١٥ ، حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ٣٢٢ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ٩٨ .

(٦) كانت تجارة الفرس تسير من المدائن حتى تدفع إلى المناذرة في « الحيرة » ويسيرها المناذرة بخفارة من =

وتُعتبر إمارة « الحيرة » في أرض العراق إمارة عربية من حيث أنَّ حكامها المناذرة من العرب اليمانيين ^(١) ، غير إن هذه الإمارة تقوم على أمر الفرس أكثر من اهتمامها بالشئون العربية ^(٢) ، وبعبارة أخرى فهي أشبه ماتكون بولاية فارسية صغيرة ^(٣) تمنع العرب من التحرش بالفرس أو الرعي في أراضيهم وتشارك مع الفرس في حروبهم ضد الروم ^(٤) .

وظلَّ بلاط الملوك المناذرة مقصداً للزعماء والشعراء من القبائل العربية ^(٥) . ومع

= ربيعة العدنانية حتى تدفع إلى بني حنيفة البكرين الربيعين في اليمامة ، ومن أرض بني حنيفة تدفع إلى بني تميم ، والخفراء من بني تميم يدفعونها إلى عمال كسرى في اليمن . انظر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ١٣٩٩ هـ ، ج ٢ ، ١٣٢ ، أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي : العقد الفريد ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ج ٣ ، ٢٥٤ .

(١) ينتمي المناذرة إلى بني نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث من بني لخم المنتميين إلى يشجب بن سبأ ابن قحطان ، أي أنهم من القحطانيين اليمانيين من غير فرعي قحطان الشهيرين حمير ، وكهلان . انظر علي بن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب ، ط ١ ، القاهرة ، ص ٤٢٢ .

(٢) أول من ملك الحيرة من المناذرة عمرو بن عدي اللخمي اليماني ، وقد شهد عهده قيام دولة بني ساسان . انظر علي بن موسى بن سعيد الأندلسي : نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، ط ١ ، عمان ، ١٩٨٢ م ، ج ١ ، ٢٦٩ .

(٣) قام أردشير بن بابك الساساني بالتنسيق على عرب الحيرة وأكرامهم على قبول مالا يوافقهم . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ٥٩ ، وكان عرب الحيرة ينقسمون إلى عرب الضاحية (سكان الوبر) وأكثريتهم من التنوخيين اليمانيين ، والعباد (نصارى الحيرة) وينتمون إلى تميم العدنانية وكلب وطيء اليمانيين وغيرها والاحلاف وهم : جيران المناذرة ممن يقصدون الحيرة ويستقرون بها معترفين بسيادة بني المنذر . انظر عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ م ، ص ١٧ .

(٤) ونصطدم بالفساسة الذين هم للروم بالشام كالمناذرة للفرس في العراق ، انظر ابن الأثير : الكامل ج ١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ . ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٢ ، ٩٢ .

(٥) انظر علي سبيل المثال أخبار النابغة الذبياني وقومه الذبيانيين ، وأخبار بني عامر وزعيمهم خالد ابن جعفر ابن كلاب ، وخير قبيلتي بكر وتغلب الوثليتين الربيعتين في ابن لأثير : الكامل ج ١ ، ٣٣٥ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ، ٩٣ ، أحمد الأمين الشنقيطي : المعلقات العشر ، ط ١ ، =

الهيئة التي تبثها في النفوس سطوة الملك فقد تطاولت بعض القبائل العربية كتميم وبكر على بني المنذر رافضة الإذعان لمشيئتهم ، بل لقد سعى ملوك المناذرة إلى استرضاء القبائل المرهوبة الجانب ، وخصوا بني تميم وبكر بن وائل بمزايا مالية ومناصب شرفية (١) .

ولم تكن القبائل العربية لترضى دائماً بما منحه الفرس لإمارة « الحيرة » من حيث كونها واسطة العقد بين العرب والأكاسرة بل ربما احتك العرب مباشرة بفارس بالرعي في سواد العراق (٢) أو بالاستيطان في الأراضي الفارسية (٣) أو بمهاجمة قوافل التجارة (٤) .

وقد نفذت قبيلة إياد المضربة العدنانية إلى أرض العسراق وانتشرت بين « كاظمة » (٥) و « سنداد » (٦) وبلغت الجزيرة الفراتية وكثيراً ما كانت هذه القبيلة

= حلب ، ص ٤٧ ، ديوان النابغة الذبياني ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٧ .

(١) من ذلك أنَّ المناذرة جعلوا الردافة لبني يربوع من بني حنظلة من تميم . انظر أياً . الفرج الأصبهاني : الأغاني ، ط ٣ ، بيروت ، ج ٣ ، ١٧٦ ، أبا عبيدة معمر بن المثنى : نقائض جرير والفرزدق ، لندن ، ١٩٠٥ م ، ص ٤٤٨ .

(٢) كما فعل العرب وأكثرتهم من تميم أيام سابور ذي الأكتاف (المتوفى عام ٣٧٩ م) . انظر المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ٢٤٧ .

(٣) نفذ بنو بكر الوائلون إلى الأراضي الفارسية وحصل زعيمهم قيس بن مسعود الشيباني على إقطاعات في أراضي الأبله وماجاورها . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ٢٨٩ . وكان ذلك بعد موت قبّاذ (في عام ٥٣١ م) . انظر كسندر : الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، بغداد ، ٧٦ م ، ١٦ .

(٤) من ذلك مثلاً قيام بني تميم بالاستيلاء على قافلة كسرى انوشروان بن قبّاذ ، وأسرهم للأساورة ، وزعيم اليمامة هوزة بن علي خفير القافلة في أرض بني حنيفة باليمامة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ، ١٣٢ .

(٥) تقع كاظمة بين أرض البحرين والبصرة على سيف البحر . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ٤٣١ . وكاظمة هي ما يعرف حالياً باسم الكويت . انظر حمد الجاسر : معجم المنطقة الشرقية ، ١٢٧ .

(٦) سنداد في أرض الحيرة اتخذ المنذر الأكبر لبعض ملوك العجم وعليه كانت منازل إياد . انظر البكري : -

تتحرش بالفرس إلى أن أوقعوا بها (١) .

ودفعت معارك العرب الجاهلية ببعض القبائل إلى الهجرة إلى أرض العراق ومن هؤلاء تغلب الربعية العدنانية التي اضطرتها حرب البسوس (٢) مع اختها بكر إلى النزوح من نجد (٣) ، وقد تبعها بكر إلى أطراف العراق بعد صراع هذه الأخيرة مع بني تميم في شمال الجزيرة في أوائل البعثة النبوية (٤) ، ونفذ قسم من تميم أيضاً إلى بلاد « الأهواز » (٥) ، كما توسعت بعض البطون التميمية الأخرى في الأرض الشمالية الشرقية من الجزيرة العربية مجاورة لبلاد الفرس شأنها في ذلك شأن قبيلة عبد القيس الربعية العدنانية (٦) .

ومع تقدير العرب لما كان يتمتع به الفرس من بسطة الملك ورفعة الشأن إلا أنهم كانوا على درجة كبيرة من الاعتزاز بالنفس ، ولقد رفض النعمان بن المنذر (٧) وهو من

= معجم ما استعجم ، ٥١٧ ، ٧٦١ .

(١) أياد قبيلة معدية عدنانية ينتمي إليها بعض مشاهير الجاهلية مثل : قس بن ساعدة الأيادي حكيم العرب ، وسكنت أرض العراق أيام الساسانيين واصطدمت بهم عدة مرات بسبب المرعى ، ووقع بها سابور ذو الأكتاف في حملته ضد العرب انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٢٧ ، المسعودي : مروج الذهب ، ٢٤٧ .

(٢) هي البسوس بنت منقذ من بني سعد من تميم ، بسببها نشبت الحرب بين بكر وتغلب في عالية نجد وذلك حينما قتل كليب التغلبي ناقة جارها ، فانتصر لها ابن اختها جساس بن مرة البكري . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ٣٨٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٦ ، ٩٧ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ٣٩٦ .

(٤) انظر محمد جاد المولى : أيام العرب في الجاهلية ١٧٠-٢٢٦ ، حمد الجاسر : معجم المنطقة الشرقية ، ١٢٧ .

(٥) انظر البكري : معجم ما استعجم ، ٢٠٦ ، عبد الرحمن بن خلدون : المعبر ، بيروت ، ١٣٩١ هـ ، ج٢ ، ٣٠٢ .

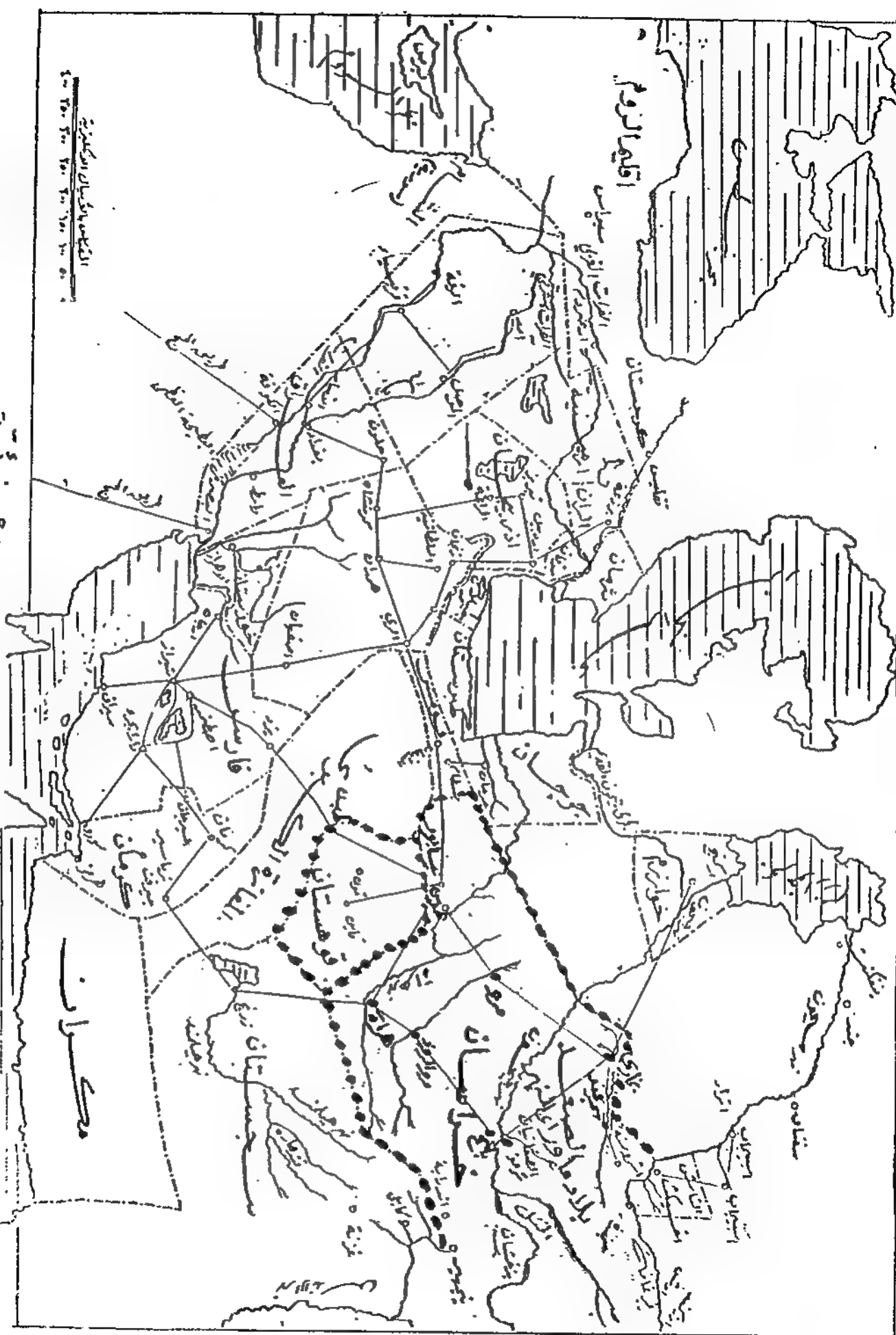
(٦) انظر ابن خلدون ، المعبر ، ج٢ ، ٣١٥ ، البكري : معجم ما استعجم ، ج١ ، ٨٨ .

(٧) هو النعمان بن المنذر بن عمرو بن هند ، صاحب يومي النعيم والبؤس ، وقاتل عبيد بن الأبرص الأسدي ، الشاعر الجاهلي ، انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ج١ ، ٢٨٠ . وأم النعمان بنت صائغ

امراء الحيرة التابعين للفرس أن يزوج كسرى (١) إحدى بناته (٢) ، وأفضى ذلك إلى يوم مشهور عرف بيوم « ذي قار » (٣) انتصرت فيه قبيلة بكر بن وائل على الفرس (٤) .

وكثيراً ما كانت الحملات الفارسية توقع بالعرب في الجزيرة العربية وأطرافها الشمالية والشمالية الشرقية لرفضهم الإذعان لمشيئة عمال الفرس وأساورتهم ، وذلك في حملة سابور ذي الاكتاف على العرب (٥) ، وكما في يوم « الصفقة » بأرض البحرين (٦) .

-
- = من أهل « فدك » ، وقد تربى هو في حجر عدي بن زيد التميمي الذي كان ترجماناً في بلاط كسرى ، وقتل في حوالي عام ٦٠٥ م . انظر عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ١٨٨ .
- (١) هو كسرى أبريز المقتول في عام ٦٢٨ م . انظر حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ٢٧٥ .
- (٢) ساءت العلاقة بين آل عدي التميميين والنعمان بن المنذر فقتل النعمان عدي بن زيد ، فكاد له آل عدي عند كسرى ودفعوا كسرى إلى الخطبة من النعمان ، فلما رفض النعمان قتله كسرى ، وطلب ودائع من بني شيان البكرين فرفضوا . انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ج١ ، ٢٨٠ .
- (٣) ذو قار ماء لبني بكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ٢٩٣ .
- (٤) أورد الطبري أن النبي ﷺ قال : هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبني نصر ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ١٤٦ . وحدثت موقعة ذي قار فيما بين عامي ٦٠٤ و ٦١٠ م انظر عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ١٩١ ، حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ٢٨٢ .
- (٥) أطبقت أياد على سواد العراق بقيادة الحارث بن الأغر الأبادي ، فلحقاً شب سابور بن هرمز (سابور ذي الاكتاف) عن الطوق نهض إليهم وقتك بهم وامتدت غزوته إلى أرض البحرين فأوقع ببني تميم ، انظر المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، ٢٥٦ .
- (٦) وقد يقال له يوم « المشقر » نسبة إلى حصن شهير في « هجر » بأرض البحرين ، ومن خبر هذا اليوم أن كسرى أنوشروان أوعز إلى المكعب عامله على البحرين أن يحتال على بني تميم ويقتلهم لنهبهم قافلته المتقدم الإشارة إليها . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ٢٧٥ .



موقع خراسان و بلاد ماوراءالنهر في الشرق والوسطى ايام بني أمية
 نقاشی کرده کتاب: بلدان الخرافة لشرقية لبي لسنجی

الفصل الأول
القبائل العربية التي شاركت في فتوح
خراسان وبلاد ماوراء النهر واستوطنت فيهما

- ١ - بنو تميم .
- ٢ - بكر بن وائل .
- ٣ - عبد القيس .
- ٤ - الأزد .
- ٥ - أهل العالية .

تفيد إحدى الروايات أن فتح خراسان قد تم في عام ١٨ هـ^(١) وهذه الرواية
ذكرها سيف بن عمر الأسيدي التميمي^(٢).

وأشارت بعض المصادر كالطبري وابن الأثير لرواية سيف هذه ، غير أن الطبري
وابن الأثير أدرجا فتح خراسان ضمن حوادث عام ٢٢ هـ مما يدل على أنهما لم يأخذا
بهذه الرواية^(٣).

والقول أن فتح خراسان قد تم في عام ١٨ هـ يصعب قبوله لأن المسلمين لم
يكونوا آنذاك قد قضوا على فلول الفرس في البلاد الواقعة بينهم وبين خراسان ، بل
ويحول بينهم وبينها قوات ضخمة حشدتها « يزديجرد » آخر الملوك الساسانيين ليواجه
بها القوات الإسلامية^(٤).

وكان يزديجرد قد ألتجأ إلى « جلولاء »^(٥) بعد سقوط « المدائن »^(٦) العاصمة
الساسانية فحشد بها جموعاً ضخمة غير أنه أخفق وفر إلى « أصبهان » في عام

(١) انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ٢٦٢، ابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ١٧.

(٢) هو سيف بن عمر الضبي من بني أسيد من بني عمرو من تميم . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب
العرب ، ٢١٠ ، وكان سيف أخبارياً عارفاً ، ضعيفاً في الحديث ، عمدة في التاريخ ، له كتب
منها « الفتوح الكبير » و « الردة » و « الجمل وسير عائشة وعلي » وقد اعتمد الطبري على سيف
في تأريخ حوادث صدر الإسلام وقيل أن سيفاً كان يتعصب لقومه بني تميم ، انظر سيف بن عمر :
الفتنة ووقعة الجمل ، بيروت ، ١٩٧٧ م . ص ٢٧ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٢٦٢ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ١٧ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ١٩٢ .

(٥) هي المرحلة الثانية في الطريق إلى خراسان من بغداد ، على نهر تيسر فيه السفن من « باعقوبا » إلى «
باجسرا » انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ٢٢٧ . ووهم البكري فذكر أن « جلولاء » في
الشام وأن المعركة التي وقعت في عام ١٦ هـ تسمى « فتح الفتوح » انظر البكري : معجم ما استعجم
ج ١ ، ٣٩٠ .

(٦) هي « طيسفون » الفارسية بينها وبين بغداد ستة فراسخ ، سماها العرب المدائن لأنها سبع مدائن
على جانبي دجلة بين كل مدينة إلى الأخرى مسافة قرية أو بعيدة ، انظر ياقوت : معجم البلدان ،
ج ٥ ، ٧٥ .

١٩ هـ^(١) ، وهناك اجتمع عليه ما يقارب المائة ألف مقاتل وجههم إلى « نهاوند »^(٢) لكن المسلمين بقيادة النعمان بن مقرن المزني هزموا جيشه في عام ٢١ هـ في أرض « نهاوند » وسموا المعركة « فتح الفتوح » لعظمتها^(٣) .

وبعد هذه المعركة فرّ « يزدجرد » إلى خراسان . وهنا تكون الرواية التي تشير إلى أن فتح خراسان قد تمّ في عام ٢٢ هـ أولى بالقبول ، فالطريق إلى خراسان أصبحت سالكة بعد « فتح الفتوح » واستسلام عدد من المدن والقلاع^(٤) . ووجود ملك الفرس هناك لاشك أنه سبب قوى يدعو إلى مواصلة الفتح ومطاردة العدو^(٥) ، وفي هذا المعنى قال الأحنف بن قيس^(٦) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : « يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد وإن ملك فارس بين أظهرهم ولا يزالون يقاتلون مادام ملكهم فيهم ، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم وغدرهم وأن ملكهم هو الذي يبعثهم

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٤ ، ٢٣٢ .

(٢) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٠٠ . ونهاوند جنوب همدان بينهما ثلاثة أيام . انظر ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ، ٣١٢ وهما في إقليم الجبال أو فيما يعرف بالعراق المعجمي إلى الغرب من إقليم فارس . انظر كي لسترخ : بلدان الخلافة الشرقية ، ٢٣٢ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣ . والنعمان صحابي من مزينة المضربة العدنانية أسلم في السنة الخامسة واستشهد في هذه المعركة . انظر أحمد بن علي بن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، القاهرة ، ١٣٩٢ هـ ، جـ ٥ ، ٢٩٧ .

(٤) مثل : الدينور ، وهمدان ، والماهين ، وأصبهان ، والرّي . انظر ابن الأثير : الكامل جـ ٣ ، ٧ - ١٢ .

(٥) سار يزدجرد إلى « الرّي » بعد هزيمة أهل « جلولا » ، ثم إلى « أصبهان » و « كرمان » ، وأخيراً حلّ في « مرو » ومن هناك كاتب أهل « فارس » و « إقليم الجبال » ، فثاروا على المسلمين . انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ١٦ .

(٦) الأحنف بن قيس من بني سعد من بني تميم المضربة العدنانية . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢١٢ . وسيأتي التعريف به كاملاً .

ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم فهناك ينقطع رجاء أهل فارس .

فقال عمر : « صدقني والله » . وأذن في الانسياح في بلاد فارس في عام ٢٢هـ^(١) .

ويكاد ينفرد البلاذري بذكر أن فتح خراسان لم يتم إلا بعد عام ٢٩هـ^(٢) وأورد في ذلك خبراً مفاده أن يزدجرد هرب من « أصبهان »^(٣) إلى « اصطخر »^(٤) وأن أبا موسى الأشعري^(٥) رام فتح « اصطخر » فلم يمكنه ذلك ، وقدم عبد الله بن عامر ابن كرز^(٦) البصرة سنة ٢٩هـ وقد افتتحت فارس كلها إلا « اصطخر » فافتتح من أرض فارس ما أفتتح ثم غزا خراسان في سنة ٣٠هـ في وقت انتقل فيه « يزدجرد » من « كرمان » إلى « مرو »^(٧) .

والذي يلاحظ على رواية البلاذري أنها لم تفرق بين الفتح الأولي لخراسان وإعادة الفتح الذي اضطر إليه المسلمون بعد أن توفي الخليفة عمر بن الخطاب رضي

(١) انظر محمود شيت خطاب : قادة فتح بلاد فارس ، ٢١٩ .

(٢) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣١١ ، ٣٩٤ .

(٣) أصبهان من أعظم مدن الامبراطورية الفارسية في إقليم الجبل ، وكان اسمها يطلق على الأقليم بأسره ، وقيل معناها بلاد الفرسان ، وذكر ياقوت أن علماءها في الإسلام كثيرون ، وهي من فتوح أهل البصرة ، انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ٢١٠ .

(٤) اصطخر بلدة في إقليم فارس وحصن منيع فيه ، ينسب إليها كثير من أهل العلم . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ٢١١ .

(٥) هو : عبد الله بن قيس من بني الأشعر القحطانيين اليمانيين ، استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البصرة عام ١٧هـ ، وأقره عثمان بن عفان رضي الله عنه عليها ، ثم عين أميراً على الكوفة .

(٦) من بني أمية من قريش . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٤٥ . وسيأتي التعريف به .

(٧) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣١١ ، ٣٩٤ .

الله عنه وثار أهل خراسان بعمّالهم^(١) .

وقد كانت فتوح الأقاليم التي مهدت السبيل للوصول إلى خراسان فتوحاً بصرية في معظمها^(٢) غير أن « نهاوند » كانت من فتوح أهل الكوفة في عام ٢١ هـ^(٣) ، فلما كثر المسلمون بالكوفة احتاجوا إلى أن يزدادوا في النواحي التي كان خراجها مقسوماً فيهم فصيّرت لهم « الدينور »^(٤) وهي من الفتوح البصرية ، وعوّض أهل البصرة « نهاوند »^(٥) .

لكن أهل البصرة كانت لهم مشاركة في فتح « نهاوند » حيث جاءوا مدداً وعليهم أبو موسى الأشعري^(٦) ، وقد اتجه قائدهم بعدها وفي نفس العام إلى فتح « قم »^(٧) ، ووجه الأحنف إلى « قاشان »^(٨) ففتحها^(٩) ، في الوقت الذي قصد

(١) أنظر أخبار فتح خراسان وإعادة الفتح في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٣ ، ٢٦٢ ، جـ ٥ ، ٦٨ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٧ ، ١٥ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٠٤ .

(٤) انتحها أبو موسى الأشعري حينما قدم أهل البصرة مدداً لأهل الكوفة في « نهاوند » . انظر البلاذري :

فتوح البلدان ، ٣٠٤ . ويقال للدينور : ماء الكوفة لأن مالها يحمل في أعطيات الكوفة ، انظر ابن

الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ١٥ . والدينور في إقليم الجبال أو ما يعرف بالعراق العجمي . انظر

كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٢٤٢ .

(٥) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٠٤ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣ .

(٧) قال ياقوت « قم » كلمة فارسية مدينة تذكر مع « قاشان » ثم قال هي مدينة مستحدثة إسلامية لا

أثر للأعاجم فيها ، وساق خبر فتحها نقلاً عن البلاذري على يد أبي موسى الأشعري . انظر ياقوت :

معجم البلدان ، جـ ٤ ، ٣٩٧ .

(٨) « قاشان » في إقليم الجبال بالقرب من أصبهان . انظر ياقوت : معجم البلدان . جـ ٤ ، ٢٩٦ .

(٩) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٩ . وقد تمّ فتح « قم » و « قاشان » و « أصبهان » في أوقات

متقاربة من عام ٢١ هـ . وعند ابن الأثير أنّ فتح « أصبهان » تمّ أولاً ، وعند البلاذري أنّ فتح

« أصبهان » هو الأخير . وقال البلاذري : أنّ أبا موسى وجه عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي -

فيه « يزدرج » « مرو » ونزلها وبني بها بيتاً للنار^(١) ، وكتب إلى خاقان ملك الترك ، وملك الصغد وملك الصين^(٢) .

وشهد « يزدرج » التفافاً فارسياً قوياً حوله فشجعه ذلك على مكاتبة أهل البلاد المفتوحة للانتقاض على المسلمين واطمأن هو عند ماهويه مرزبان « مرو الشاهجان » ، وأمن من أن يؤتى^(٣) .

ولما أذن عمر للجيش الإسلامي أن يتحرك إلى خراسان بعد اللاحاح كان أهل البصرة هم جند هذا الجيش وعليهم الأحنف ، وقد دخلوا خراسان من « الطبيين » وفتحوا « هراة » عنوة^(٤) ، واستخلف الأحنف عليها صحار بن فلان العبدى الربيعي^(٥) ، وأرسل إلى « نيسابور » مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري^(٦) ، وإلى « سرخس » الحارث بن حسان البكري الربيعي^(٧) ، أما هو فقد اتجه إلى

= إلى أصبهان ، ثم ذكر أنه وجهه أيضاً إلى « الطبيين » بوابة خراسان . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٠٨ ، ٣٩٤ ، وما ذكره البلاذري من أن القائد هو عبد الله الخزاعي وهم نبه إليه الطبري وقال أن القائد : هو عبد الله بن ورقاء الرياحي التميمي ، أما عبد الله الخزاعي فقد كان صيباً في عام ٢١ هـ . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ٢٤٦ .

(١) انظر البلاذري : فتوح الباقان ، ٣١١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ١٨ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ٢٦٤ .

(٣) انظر محمود شيت خطاب : قادة فتح بلاد فارس ، ٢٢٣ . حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ٢٩٠ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ج٣ ، ١٩ .

(٥) من بني عبد القيس الربيعية العدنانية ، والنسبة إلى عبد القيس ، عدي ، وعقبسي ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٩٨ . وسيأتي الحديث عنه .

(٦) من بني عامر الهوازنية القيسية المضرية (من أهل العالية في البصرة) انظر هشام الكلبي : جمهرة النسب ط١ ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٢٣٤ .

(٧) من بني بكر بن وائل الربيعية العدنانية ينتمي إلى بني ذهل كان من وفد قومه إلى النبي ﷺ وقتل في معركة الجمل . انظر ابن حجر : الإصابة ، ج١ ، ٢٩٠ .

« مرو الشاهجان » حيث يقيم « يزدرجرد » فما أن دنا منها حتى أخلاها « يزدرجرد » ونزل « مرو الروذ »^(١) . فاستخلف الأحنف عليها حارثة بن النعمان الباهلي^(٢) وسار صوب « مرو الروذ » واضطر « يزدرجرد » إلى النزوح منها إلى « بلخ »^(٣) .

وفي هذه الأثناء قدم إلى الأحنف مدد من أهل الكوفة^(٤) فوجههم إلى « بلخ » فكانت من فتوحهم بعد أن أخلاها « يزدرجرد » فأرأى إلى بلاد ما وراء النهر^(٥) .

ولم يكن الأحنف ليتجاوز نهر « جيحون » قبل أن يأخذ رأي الخليفة عمر ، فكتب إليه بالنصر ، فسرَّ الخليفة وقال عن الأحنف : أنه سيّد أهل المشرق المسمّى بغير اسمه^(٦) ، غير أنه أمره بالاعتصار على مادون النهر ونهاه عن اجتيازه^(٧) .

-
- (١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ، ٢٢٦ .
(٢) من بني باهلة القيسية المضربة العدنانية (من أهل العالية في البصرة) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٢٧ . وسيأتي التعريف به كاملاً .
(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٢٦٢ .
(٤) وكانوا على أربعة أمراء : علقمة بن النضر النضري . وربيعي بن عامر التميمي ، وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ١٧ .
(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٢٦٢ .
(٦) لكن عمر قال أيضاً : لوددت أني لم أكن بعثت إلى خراسان جنداً ، ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٢٦٣ . وهذا يبين سياسته في التريث في الفتح بعد تكوين قواعد قوية ونقاط انطلاق .
(٧) قال عمر : لا تجوزن النهر واقتصر على مادونه وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خراسان فداوموا على الذي دخلتم به يدم لكم النصر ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٢٦٣ . ولا شك أن الحق مع عمر في عدم التوسع في الفتح خاصة وقد اتسعت رقعة البلاد المفتوحة . وطالت خطوط مواصلات المسلمين كثيراً وتوزعت قواتهم ، ولم يلبث « يزدرجرد » أن عاد ومعه خاقان فذل ذلك على أن الخليفة كان حصيف الرأي بعيد النظر . انظر محمود شيت خطاب : قادة فتح بلاد فارس ، ٢٢٣ .

ولم يستقر الأمر طويلاً فقد عاد « يزديجرد » ومعه خاقان الترك ، ومدد من أهل « فرغانة » فجاءوا نهر « جيحون » كآرين إلى « بلخ » فتركها أهل الكوفة وانحازوا إلى الأحنف ، فالتحم الطرفان من جديد حتى دارت الدائرة على « يزديجرد » مرة أخرى فعبر النهر مهزوماً ، وصالح أهل خراسان الأحنف على بلادهم ^(١) .

وبعد مقتل عمر انتفض الخراسانيون وقدم عليهم « يزديجرد » فنهض أمير البصرة عبد الله بن عامر بن كرز لمقاتلتهم في عام ٣١ هـ ، وجعل على مقدمته الأحنف ابن قيس قائد الفتح الأول ^(٢) ، ووجه أمير بن أحمر اليشكري البكري ^(٣) إلى « قهستان » ، والأسود بن كلثوم العدوي إلى « بيهق » ^(٤) ، وفتح هو « نيسابور » صلحاً ، وولى عليها قيس بن الهيثم السلمي ، وأرسل عبد الله بن خازم السلمي إلى « سرخس » ثم « هراة » ^(٥) . وقد تتابع فتح المدن الخراسانية صلحاً في وقت اندفع فيه الأحنف إلى « طخارستان » في غرب خراسان ، وعلى مقدمته الأقرع بن حابس التميمي فآتم فتح ما بقي من البلاد في العام ذاته ، وهو العام الذي هلك فيه « يزديجرد » في « مرو » ^(٦) .

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢٠ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٢٦٥ .

(٣) من بني بكر بن وائل ومن قادة فتح خراسان وأمرائها . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠١ .

(٤) الأسود بن كلثوم من بني عدي الرباب من تميم استشهد في « بيهق » ومعنى بيهق بالفارسية :

الأجود وهي من نواحي نيسابور ، وأخرجت عدداً كبيراً من الفضلاء والعلماء والفقهاء والأدباء ، وعناها الحريش بن هلال السعدي التميمي حينما رثى قطن بن عمرو بن الأهم التميمي بقوله :

أتاه نعيم يتغيه فلم يجد
بـ « بيهق » إلا جفن سيف واعظما

انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢٠ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ٥٣٦ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٢٦٥ . وقيس بن الهيثم ، وعبد الله بن خازم من قادة

الفتح وأمراء خراسان ، انظر الفصل الثاني من هذا البحث .

(٦) كان يزديجرد عند ماهوية مرزيان « مرو » فساءت الحال بينهما بسبب طلب يزديجرد أموالاً من ماهوية ،

فتحول يزديجرد عن « مرو » ماشياً على شط نهر « المرغاب » إلى أن آوى إلى بيت طحان فقتله .

انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٩٥ . وقيل أن الطحان واسمه « خسرو » قتل يزديجرد طمعاً في =

ويمكن القول في ضوء أخبار الفتح أن فتوح خراسان الأولى كانت فتوحاً بصرية في معظمها^(١)، وأن جيوش إعادة الفتح كانت مكونة من أهل البصرة كذلك^(٢)، وأهل البصرة هم أبناء القبائل التي استوطنتها بعد تمصيرها في عام ١٤هـ^(٣)، وكانت هذه القبائل مكونة من العرب الذين كانوا على صلة بأرض البصرة قبل الإسلام كبنو تميم، وبكر بن وائل، وعبد القيس^(٤)، ويلاحظ أن هذه القبائل كانت في الطليعة من أصحاب الخطط حينما تم تخطيط «البصرة»^(٥)، فكان لبني تميم خمس، ولبكر بن وائل خمس، ولعبد القيس خمس، وشاركهم الأزديون، وأكثرتهم من أزد عمان في نزول البصرة فكان لهم خمس^(٦)، ولأهل العالية^(٧) - وهم عدة قبائل غالبيتهم من قيس المضربة - خمس^(٨).

= ملبسة الفاخرة وجواهره، وبعد يزدجرد الذي مات في عام (٣٢٢ هـ، ٦٥٢ م) آخر ملوك الدولة الساسانية. انظر حسن يرنيا: تاريخ إيران القديم، ٢٨٠، ٢٩٠.

(١) انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ٢٦٤.

(٢) انظر ابن الأثير: الكامل، ج٣، ٦٠.

(٣) انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ١٥١.

(٤) انظر عون هاشم: شعر البصرة في العصر الأموي، بيروت، ١٣٩٢ هـ، ص ١١.

(٥) انظر إحسان النص: العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، بيروت، ١٩٧٣ م، ص ٢٢٧، ماسنيون: خطط البصرة وبغداد، ١٩٨١ م، ص ٢٤.

(٦) كان عدد الأزد قليلاً في بداية تمصير البصرة بالنسبة لعدد كل من قبيلة تميم وبكر، وقد زاد عدد الأزد في مطلع العصر الأموي بعد أن قدمت أعداد من أزد السراة ونزلوا البصرة. انظر إحسان النص: العصبية القبلية، ١٧٢. ويرى شارل بلا: أن بني تميم هم المؤسسون الحقيقيون للبصرة وهم الذين أكسبوها طابعها السني. انظر شارل بلا: الجاحظ في البصرة وبغداد، دمشق، ٦١ م، ص ٥٤.

(٧) نسبة إلى عالية نجد التي يقطنها القيسيون المضربون، وفي البصرة وخراسان أصبح اسم أهل العالية يعني القيسيين المضربين ومن أنضوى إليهم من أهل الحجاز من مكة والمدينة (قريش والأنصار).

انظر التفاصيل في الفصل الأول من هذا البحث.

(٨) انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ١٩٨.

وظلت خراسان أشبه ماتكون تابعة للبصرة في نظامها الاجتماعي والقبلي من حيث ترتيب أمر نزول القبائل (١) ، وفي نظامها الإداري على اعتبارها تابعة لإمارة البصرة في أزمان طويلة من عصر بني أمية (٢) .

والقبائل التي استوطنت في خراسان هي القبائل التي شاركت في الفتح ، وهي في غالبيتها من قبائل البصرة .

غير أن تلك البلاد لم تشهد استيطاناً فعلياً قبل عصر بني أمية أما في العصر الأموي فقد استوطن العرب في خراسان وأخذوا شكل التنظيم المتبع في البصرة، أي نظام الأخماس وأهل الأخماس هم :

١ - بنو تميم .

٢ - بكر بن وائل .

٣ - عبد القيس .

٤ - الأزد .

٥ - أهل العالية .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٣٤ .

(٢) انظر صالح العلي : امتداد العرب في صدر الإسلام ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٥ .

١ - بنو تميم :

ينتسب بنو تميم^(١) إلى المضربة العدنانية التي هي العرب المستعربة ، والمعروفة أيضاً باسم النزارية المعدية^(٢) .

وبنو تميم قاعدة من أكبر قواعد العرب^(٣) ، كانوا حكام الحج وقضاة سوق عكاظ وأرباب الحكم فيه ، وكانت السدانة لهم قبل أن يتسلمها قصي الاب الخامس للرسول صلي الله عليه وسلم بنحو نصف قرن .

وقد بقي بأيديهم الاشراف والتصرف بحوض ماء عرفات والسقاية منه ، وما كان يُسمح بالاستفادة من الماء إلا بعد أن يأخذ زعيم بني تميم كفايته^(٤) .

ويعتبر بنو تميم من أرحاء العرب الذين أحرزوا مياهاً وأراضي شاسعة وداروا عليها دوران الأرحية حول أقطابها في الوبر والمدر^(٥) ، وانتشرت فروعهم في أرض نجد

(١) هم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، انظر أحمد القلقشندي : نهاية الأرب ، بغداد ، ١٩٥٨م ، ٤٥ .

(٢) قيل : أن العرب المستعربة هم بنو قحطان ، وبنو عدنان في مقابل العرب العاربة أو العرب الذين هم عاد ولمود وطسم وجديس البالدون ، وقيل أن العاربة إنما هم بنو قحطان والمستعربة بنو عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام الذي اصهر إلى جرحم القحطانية اليمانية فأنجب العدنانيين . انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ١٥ .

ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ٧ .

(٣) انظر ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ٢٠٧ .

(٤) انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ٣١٧ .

(٥) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ٢١٨ .

الفسيحة بعد التحول عن أرض الحجاز فعرفتهم أرض اليمامة ^(١) ، والدهناء ^(٢) ،
والصمان ^(٣) ، والبحرين ^(٤) .

وجرى لهم في هذه المواطن أيام مع القبائل الربعية العدنانية كبكر وتغلب وأيام مع
القبائل القيسية المضرية العدنانية كغطفان وهوازن ، وأيام مع القبائل اليمانية القحطانية
كمذحج وطيء . واصطدمت تميم بالفرس في الجاهلية ، وهاجمت قوافلهم ومنعت
تغلغل سراياهم في أرض الجزيرة ، كما التحمت بجيوش بني المنذر وآل غسان ملوك
الحيرة والشام ، وحازت على منصب الردافة عندهما ^(٥) .

وتعد أيام تميم مع بكر من أكثر أيام هاتين القبيلتين في الجاهلية ، وقد وقعت
هذه الأيام في أماكن عدة في اليمامة وفي شمال الجزيرة وشرقها ، وعرفت هذه الأيام

(١) اليمامة بفتح الياء والميمين قلب جزيرة العرب وتسمى قديماً جَوْاً . انظر البكري : معجم ما استعجم ،
٨٣ .

(٢) في جزيرة العرب رمال كثيرة من أشهرها الدهناء انظر البكري : معجم ما استعجم ، ٧٤ . والدهناء
تمتد من الأفلاج شرقاً وتذهب مشملة آخذة ما بين الصُّلب شرقاً والعرمة غرباً حتى تجتاز جبلي طيء
وتقف قريباً من تيماء تضيق في بعض الأماكن فيبلغ عرضها ٢٢ كيلاً وتوسع فتبلغ ٩٩ كيلاً
أحياناً . انظر عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٨ ، ص ٤٣٨ .

(٣) شرقي الدهناء وجنوبي وادي الباطن في شمال جزيرة العرب ، وهي لاخلاط تميم والرباب . انظر
ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ٨٠ .

(٤) البحرين اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان قصبتها هجر . انظر ياقوت :
معجم البلدان ، ج ١ ، ٣٤٦ . وهي تشمل ما يعرف بالمنطقة الشرقية في البلاد السعودية والكويت
التي تضم أواره وبرقان ، وشبه جزيرة قطر . انظر حمد الجاسر : معجم المنطقة الشرقية ، الرياض ،
١٤٠٠ هـ ، ص ١٧ .

(٥) الردافة هي أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه فإذا شرب شرب الردف قبل الناس وإذا عادت
كثيبة الملك أخذ الردف المربع (ربع الغنيمة) ، وكانت ردافة بني المنذر لبني يربوع من تميم لأنه
لم يكن في العرب أكثر إغارة على ملوك الحيرة منهم فصالحوهم على أن جعلوا لهم الردافة ويكفوا
الغارة عن أهل العراق ، أمّا ردافة بني غسان فكانت لبني زُرارة من تميم . انظر الجوهري : الصحاح
ط ١ ، بيروت ، ١٣٧٦ هـ ، مادة ردف .

بأسماء الأماكن التي حدثت بها كيوم : الوقيط ^(١) ، والشَّيْطِين ^(٢) ، والأَيَاد ^(٣) ، ومُبَايِض ^(٤) .

أما أيام بني تميم مع القيسية فاشهرها : يوم جبلة ^(٥) ، وذو نجب ^(٦) ، والمرّوت مع بني عامر بن صعصعة من هوازن القيسية ، ويوم الصرائم ، وثنية أقرن ، والفروق ^(٧) مع بني عيس من غطفان القيسية المضرية ^(٨) .

هذا في حين يُعتبر يوم الكلاب الثاني ^(٩) من أشهر أيام تميم مع اليمن ، وقد جاء بعد يوم الصَّفقة الذي أوقع به كسرى بالتميميّين ^(١٠) بعد استيلائهم على قافلة

(١) في أعلى بلاد بني تميم قريب من اللصافة في شمال جزيرة العرب . انظر البكري : معجم ما استعجم ، ج٤ ، ٣٨٢ .

(٢) ثنية شَيْط انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٣ ، ٣٨٥ ، والشَّيْطَان يعرفان بهذا الاسم إلى الآن في شمال شرق جزيرة العرب . انظر حمد الجاسر : معجم المنطقة الشرقية ، ٩٤٠ .

(٣) وقد يُقال له يوم أعشاش ويوم الأفافه ويوم المعطالي ويوم مليحة ، وكلها أسماء مواضع متقاربة بين أراضي تميم وبكر بن وائل . انظر البكري : معجم ما استعجم ، ج١ ، ١٧١ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٨٧ وهذه المواضع بقرب حدود البلاد السعودية عندما تلتقي بحدود العراق . انظر حمد الجاسر : معجم شمال المملكة ، ٩٨ ، ١٥٤ .

(٤) لا تزال تعرف بهذا الاسم في سدير بنجد وفي هذه المعركة قُتل طريف بن تميم فارس بني تميم قتله حمصيصه الشيباني البكري ، انظر ابن خميس : معجم اليمامة ، ج٢ ، ٣٢٦ .

(٥) أعظم أيام العرب في الجاهلية وجبلة موضع في عالية نجد . انظر البكري : معجم ما استعجم ، ج١ ، ٨٠ ، وابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٦ ، ٩٨ .

(٦) ذو نجب والمرّوت في عالية نجد ، انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ١٢٨ ، ج٥ ، ٢٤٩ .

(٧) الصرائم ، وثنية أقرن ، والفروق . مواضع بالدنهان . انظر البكري : معجم ما استعجم ، ص ٩٠ ، ١١٥ ، ٢٨٠ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٢ ، ٩٨ .

(٨) انظر أخبار هذه الأيام في ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ٢٥٨ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٦ ، ٩٩ .

(٩) الكلاب موضع بين الكوفة والبصرة وقعت به معركة بين بني تميم ومَذْحِج . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ٤٥٨ ، ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ٣٧٩ .

(١٠) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ١٦٩ .

له إلى اليمن كانت بخفارة هوزة بن علي الحنفي (١) .

وأشهر أيام تميم مع المناذرة يوم أواره (٢) ، والصفقة (٣) ، ومع الغساسنة يوم كنهل . وكما كانت تميم من أرحاء العرب فهي من الجمّاجم الشهيرة التي أكتفى كثير من أبنائها بالإنتماء إلى فروعها لسعة بطونها وعظمتها (٤) .

ويقسم النسابون تميمًا إلى بطون وأفخاذ عدة أهمها : بنو عمرو الذين ينتمي إليهم بنو أسيد قوم أكنم بن صيفي حكيم العرب (٥) ، وأبو هالة زوج أم المؤمنين خديجة قبل الرسول ﷺ (٦) ، والشاعر أوس بن حجر (٧) ، وحنظلة ابن الربيع (الكاتب) (٨) ، والقعقاع بن عمرو الفارس الشهير ، وأخوه عاصم فاتح سجستان (٩) .

(١) هوزة بن علي زعيم حنفي ، بكري ، وإثلي شهير ، ألبه كسرى التاج حين وفد عليه ليغريه بالإيقاع بيني تميم الذين سطوا على قافلة كسرى وقتلوا الأساورة وأسروا هوزة نفسه في يوم الصفقة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٢ ، ص ١٦٩ .

(٢) ماء أوجبل لبني تميم حرقهم به عمرو بن هند بعد أن اغراه عمرو بن ملقط الطائي بذلك ، انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ١ ، ص ٣٣٤ ولا يزال هذا الموقع يعرف باسمه القديم مع قليل من التحريف وهو بقرب حقول النفط الكويتية ببيرقان . انظر حمد الجاسر : معجم المنطقة الشرقية ، ص ١٧٩ .

(٣) تقدمت الإشارة إلى هذا اليوم وقد ترتب عليه أن أوقع المكعبر عامل كسرى على البحرين بيني تميم في حصن المشقر بهجر . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٢ ، ص ١٦٩ .

(٤) انظر ابن سعيّد : نشوة الطرب ، ٢١٨ .

(٥) من حكام بني تميم في عكاظ ورؤسائهم في المعارك مات في طريقه إلى الرسول ﷺ لبسّم ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢١٠ .

(٦) اسمه هند بن زرارة النبّاش . انظر المصدر السابق .

(٧) شاعر المضربة حتى ظهر النابغة وزهير فاصبح شاعر تميم فقط . انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٤٥ .

(٨) انظر القلقشندي : نهاية الأرب : ٤٠ .

(٩) انظر عن أخبار هذين الفارسين الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٢ ، ١٤٥ .

وينتمي إلى بني عمرو أيضا : بنو مازن ، ومن هؤلاء قَطَرِيُّ بن الفُجَاءة أحد زعماء الخوارج في عصر بني أمية ^(١) ، وأخوه جَرْمُوز ، ومالك بن الرِّيب اللص الفاتك ، الذي ترك اللصوصية وشارك في جيوش خراسان حتى هلك ^(٢) « بمرور » ، وعباد بن أخضر قاتل ^(٣) مِرْدَاس بن أدية الذي ادَّعاه عدد من الملل والنحل في العصر الأموي ^(٤) .

وقد برز في بني مازن عدد من المشاهير كحاجب بن ذبيان من شعراء تميم المعدودين في خراسان ^(٥) ، وسَلَم بن أَحْوَز قاتل جَهْم بن صفوان « بمرور » ، وهلال ابن أَحْوَز الذي قضى على آل المهلب « بقنْدَابِيل » ^(٦) .

وكان بنو مازن في جاهليتهم يقطنون في شمال جزيرة العرب ، في بطن فَلَج ^(٧) وماحوله ، بجوار أبناء عموماتهم من تميم ، ومن مشاهيرهم كان زهير بن عروة ، الشاعر الجاهلي الفارس ^(٨) ، ومن ذرية هذا عرف أبو الحسن النضر بن شميل اللغوي

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣٨٩ ، جـ ٤ ، ص ٦٤ - ٦٩ .

(٢) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ١١١ .

(٣) منسوب إلى زوج أمه ، وإلا فهو عباد بن علقمة بن عباد المازني مات سنة ٦١ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل جـ ٣ ، ٣٠٣ .

(٤) وهو : أخو عروة بن أدية أول من قال لا حُكْم إلا لله في صفين . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ص ١١٨ .

(٥) انظر المرتضى : الأمالي ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ .

(٦) انظر أخبار آل أَحْوَز المازنيين في ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ، ص ١٧٥ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١١ .

(٧) هو منطقة حفر الباطن في شمال البلاد السعودية الآن ، وكان يسكنه بنو مازن وبنو العنبر من بني عمرو بن تميم في الجاهلية وصدر الإسلام قال الرازي .

إن بني العنبر احموا فلجا

انظر ياقوت : جـ ٤ ، ص ٩٨ ، حمد الجاسر : معجم شمال المملكة ص ١٤٢٠ .

(٨) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١١ .

النحوي صاحب « مرو » (١) .

ويعدّ بنو الهُجيم من أفخاذ بني عمرو ، ومنهم الحليم بن نُهيك ، الذي ولي
كرمان للحجاج بن يوسف (٢) ، وواصل بن عليم والي أصطخر (٣) ، ويذكر الطبري
أن أولّ خارجي خرج بعد النهر هو سهم بن غالب المنسوب إلى بني الهُجيم هؤلاء (٤) .

وأُنجب بنو جندب بن العنبر بن عمرو عدداً من أبطال تميم ، ورجالاتها ، ومن
هؤلاء ناشب بن بشامة ، وهو جاهلي (٥) ، وسمرّة بن عمرو (٦) ، خليفة خالد ابن
الوليد على اليمامة ، ورقبة بن الحرّ من فرسان خراسان (٧) ، والهذيل التميمي والي
أصبهان في أخريات بني أمية (٨) .

وكما كان في بني تميم بطن يُعرف باسم بني الحارث ، والذين هم الشُّقرات
ففي بني عمرو بن تميم فخذ يعرف ببني الحارث أيضا ، وهؤلاء الأخيرون هم

(١) ومن بني مازن أيضا أبو عمرو بن العلاء العالم اللغوي الشهير ، وسعد بن ناشب بن معاذ من فتيان
تميم بالبصرة وهو القائل حين هدم أبو بلال بن أبي يرّة بن أبي موسى الأشعري داره
عليكم بداري فاهدموها فأنها تراث كريم لا يخاف العواقبا

انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١١ .

(٢) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٧٦ .

(٣) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١١ .

(٤) سهم بن غالب خرج في ولاية عبد الله بن عامر ثم هرب إلى الأهواز حين قدم زياد إلى البصرة ،

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ، ص ١٧١ ، ٢٢٨ .

(٥) انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٢٣٨ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٧) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١١ .

(٨) الهذيل بن قيس ولي أصفهان لمروان بن محمد . انظر ابن دريد : الاشتقاق ، القاهرة ، ١٩٥٨ م ،

ص ٢١٤ .

الجبطات ، أصحاب عبّاد بن الحصين^(١) ، صاحب شرطة مصعب بن الزبير بالبصرة ، وقائد تميم في فتنها القبلية مع الأزد وربيعة في عام ٦٤هـ في وقت كان الصراع القبلي فيه على أشده في خراسان بين تميم وعبد الله بن خازم السلمي ، وقد انجب عبّاد عمراً وجهضماً ، ويلقب عمرو بالمسور وهو من سادات تميم بالبصرة ، والقائم بشؤونها أيام فتنه يزيد بن الوليد مروان بن محمد^(٢) (١٢٦ - ١٣٢هـ) . أمّا بنو الحارث بن تميم فمن مشاهيرهم المُنسب بن شريك فقيه ولد ومات بخراسان^(٣) عام ١٨٥هـ .

وينتمي إلى بني تميم : بنو زيد مناة ، وهم بطون وأفخاذ كثيرة جداً أشهرها : بنو سعد ، وبنو حنظلة ، وأقلها عدداً بنو عامر ، وبنو امرئ القيس ، ومن بني أمرئ القيس هؤلاء لاهز بن قريظ تميمي شهير في خراسان^(٤) .

ويقال لبني سعد بن تميم الأكثرين ، ومنهم عمرو وكعب المعروفون باسم البطون ، وفي كعب العدد والشهرة ، وابنائهم : الأجارب ، تسعة بطون^(٥) ، والمزروعان مالك وعمرو ، وفي عمرو هذا بنو مقاعس : صريم ، وعبيد ، وعمير^(٦) ،

(١) عبّاد بن الحصين بن يزيد بن عمرو كان يعدل بألف فارس وهو صاحب « عبّادان » المدينة الإيرانية ، قتل في كابل عام ٨٥هـ . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٦١ . وحسين حسن : أعلام تميم ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٣٦٢ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٦ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١٢ .

(٣) وبنو الحارث هؤلاء هم : الشقرات سموا بذلك لقول الحارث :

وقد أحمل الرمح الأصم كموه به من دماء القوم كالشقرات

وهم قليل كبني القليب بن عمرو ، قوم الشاعر عتيبة بن مرداس .

انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١٨٥ ، والكلبي : جمهرة النسب ، ص ١٩٢ .

(٤) ومن هؤلاء : عدي بن زيد الشاعر ، صاحب النعمان بن المنذر بالحيرة ، وموسى بن كعب القائم بدعوة بني العباس بخراسان ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١٤ .

(٥) القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٦٢ .

(٦) ومن بني عمير بن مقاعس السليك بن السلكة العداء الجاهلي الشهير انظر التفاصيل في ابن سعيد :

نشوة الطرب ، ص ٤٣٤ .

والصريميون فيهم عبد الله ابن إياض رأس الإباضية ، وعبد الله بن صفار ، رأس الصُفْريَّة (١) ، والبرك بن عبد الله الخارجي ، وبحير بن ورقاء سيد تميم بخراسان (٢) .

أما عبيد ففيهم بنو منقر قوم فدكي بن أعبد الفارس الجاهلي ووالد مسعر ابن فدكي الخارجي الشهير (٣) ، ومنهم قيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتم ، وشبيب ابن شيبه (٤) . ولهؤلاء عقب بخراسان كانوا سبياً في غضب تميم على قتيبة بن مسلم وما أعقب ذلك من أحداث سيأتي بيانها .

وأخوة عبيد هم زيد ، وعامر ، ومرة ، وعبد عمرو ، ومن بني مرة بن عبيد الأحنف بن قيس فاتح خراسان ، وهو أبو بحر الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين ابن عبادة ، وأمه حبة بنت عمرو بن قريظ من بني باهلة القبيلة القيسية المضربة العدنانية ، وقد قُتل أبو الأحنف في الجاهلية قتله بنو مازن التميميون (٥) ، أما جده فقد

(١) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٣٦ .

والإباضية عرفت أيام صاحبها ابن إياض التميمي في أواخر عهد بني أمية وهي : مذهب يُكفر أصحابها مخالفينهم من المسلمين ولا يعتبرونهم مشركين ويحلون مصاهرتهم وإن دارهم دار توحيد ، وقد انقسمت الإباضية إلى عدة أقسام ، أما الصُفْريَّة فقد خالفوا الأزارقة والنجدات والأباضية في أمور منها : أنهم كفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٣٤ - ١٣٧ .

(٢) ومن بني صريم أيضا عيس وكهمس وهما أخوان أولهما رأس تميم وأحلافها في البصرة في أحداث عام ٦٤ ، والثاني : من أصحاب أبي بلال مرداس بن أدية . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٦٥ ، والكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٣٦ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ج ٣ ، ص ١٥٠ ، ١٧١ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢١٦ .

(٤) قيس بن عاصم بن مينا بن خالد بن منقر ، سماه الرسول ﷺ سيد أهل الوبر وهو من قادة تميم في الجاهلية والإسلام ، أسهم في القضاء على حركة الردة ، ومن ذريته مية بنت مقاتل بن طلحة ابن قيس صاحبة ذي الرمة الشاعر ، وأبناء عمه الأهاتم خطباء مشاهير منهم : عمرو بن الأهتم ابن سمي بن مينا ، وشبيب بن شيبه ، انظر ابن هشام : السيرة ، ص ٨٩ ، وابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٤٣٢ ، والكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٣٢ .

(٥) انظر ابن قتيبة : المعارف ، ص ٤٢٣ .

قتله عنتره بن شداد العبسي^(١)، وللأحنف اثنان من الأعمام من سادة تميم ومشاهيرها الأول هو : المتشمس والثاني صَعَصعة^(٢) .

ولد الأحنف سنة ٣ ق . هـ . ولم يذكر المؤرخون شيئاً عنه في حياة الرسول ﷺ وخلافة أبي بكر الصديق ، وما عرف عنه هو أنه ثبت على إسلامه في الردة ، وكان ذا تأثير قوى على صمود كثير من تميم على الإسلام ، وسخر هو وعمه المتشمس من نبوءة مسيلمة^(٣) ، أما في خلافة عمر بن الخطاب فقد كان الأحنف سيد قومه في البصرة^(٤) بدون منازع .

وحين قدم الأحنف إلى عمر في وفد أهل البصرة احتبسه عمر حولاً كاملاً ليلوه ويختبره ، وحين عرفه معرفة شخصية ورأى منه عقلاً وديناً دفع له لواء خراسان^(٥) .

وشهد الأحنف قبل أن يتوجه لفتح خراسان فتح « نهاوند » ، « وقم » ووجهه أبو موسى الأشعري إلى « قاشان » ففتحها^(٦) .

ودخل الأحنف خراسان من « الطيسين » فافتتح « هراة » عنوة سنة ٢٢ هـ وسار نحو « مرو الروذ » حيث يقيم يزدجرد ، فلما دنا منها تحول عنها يزدجرد إلى « بلخ » وقد كتب إلى خاقان ملك الترك وملك الصغد يستمدهم . وفي « مرو الروذ » لحق

(١) انظر ابن خلكان : وفیات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ١٩١ .

(٢) ومن بني مرة بن عبيد ، عمارة بن سليمان بن قيس بن عمارة الذي ضرب السلسلة في حصن المشقر ، حين حصر عامل كسرى بني تميم به في الجاهلية . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٣٤ .

(٣) انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ص ٦٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٧٧ ، ٣٨٨ .

(٥) انظر ابن سعد : الطبقات ، جـ ٧ ، ٦٦ .

(٦) انظر ابن الأثير : ، جـ ٣ ، ١٤٢ .

الأحنف بامدادات أهل الكوفة التي فتحت « بلخ »^(١) .

وكتب الأحنف بخبر الفتح إلى عمر فقال عمر عنه هو : سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه .

وفوجئ الأحنف بيزدجرد وأعوانه يعبرون النهر إليه بعد أن كان يزدجرد قد جاوزه منهزماً ، وكان الأحنف في عشرة آلاف من أهل البصرة مع امدادات من أهل الكوفة ، وفي ليلة من ليالي المواجهة كان الأحنف طليعة لأصحابه بقرب معسكر خاقان فخرج مقاتل في وجه الصبح فقتله الأحنف ، ثم خرج ثان فقتله فتشاءم خاقان وانصرف ، وانقض أهل فارس على يزدجرد وأخذوا خزائنه وصالحوا الأحنف^(٢) .

وانتفض أهل خراسان في عهد عثمان وقدم إليهم يزدجرد فسار الأحنف طليعة لعبد الله بن عامر إلى « مرو » فاعاد فتحها بعد أن هزم الهياطلة وأشياهم ، وبعد أن التجأ يزدجرد إلى طاحونة فقتله أهل « مرو » ، وسار الأحنف إلى « بلخ » يريد خاقان الترك الذي ترك « بلخ » فعادت إلى الإسلام ثانية في سنة ٣٢ هـ^(٣) .

وقد لقي الأحنف مقاومة عنيفة في « طخارستان » حيث اجتمع أهل « الجوزجان » و « الطالقان » و « الفارياب » في وقت رفض هو الاستعانة بأهل « مرو » ممن لم يدخلوا في الإسلام ، وقد تولى الأقرع بن حابس إعادة فتح « الجوزجان » ببني تميم^(٤) ، وسار الأحنف إلى « خوارزم » على نهر جيحون وعاد منها إلى بلخ بعد أن

(١) انظر التفاصيل في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٢ ، ص ٢٧٠ .

(٢) انظر التفاصيل في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٣ ، ص ٢٤٦ ، وابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ١٤ .

(٣) انظر خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ط ٢ ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ ، ص ١٦٤ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، القاهرة ، ١٣٧٦ هـ ، جـ ٢ ، ص ٣١ .

(٤) وكان مما قاله لهم : « يا بني تميم تحابوا وتبادلوا تعدل أموركم ، وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم » .

استعصت عليه ، وحول « مرو الروذ » بني قصرة المعروف بقصر الأحنف وله رستاق عظيم يعرف برستاق الأحنف (١) .

وقد اعتزل الأحنف حرب الجمل ، وانضم إلى علي في صفين ، وكان ذا شأن كبير أيام بني أمية مقدماً في مجتمع البصرة وفي قبيلته تميم حتى توفي في عام ٧١ هـ (٢) .

ومن أعمام الأحنف جزء بن معاوية ، صحابي أسلم في السنة التاسعة للهجرة ، وعهد إليه عمر بتتبع الهرمزان بعد فتح سوق الأهواز فكان أن فتح مدينة « دُورق » (٣) ، وصالح الهرمزان في سنة ١٧ هـ فعينه عمر بعد ذلك عاملاً على الأهواز (٤) .

ويعرف عدد من بني سعد التميميين باسم الأبناء ، اخوان البطون وهم : الحارث وعوافة وجشم ومالك وعبشمس (٥) كانوا يتعصبون في خراسان لبحير بن ورقاء الصريمي التميمي ضد منافسه بكير بن الوشاح العطاردي التميمي أثناء صراع تميم في خراسان (٦) .

ويقال لعبشمس الذين هم من الأجارب : بنو عبقر ، وتنسب إليهم جنة عبقر (٧) ، ومنهم إياس بن قتادة حامل ديات الأزديمانية في معركتها مع تميم بالبصرة في عام

= انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ٣٥٧ ، والبلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٩٨ .

(١) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٩٦ .

(٢) انظر ابن سعد : الطبقات ، ج ٧ ، ص ٦٦ ، وابن خلّكان : وفیات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٣٠ .

(٣) دورق هي : مدينة سرق بلدة بخورستان قسبة كورة سرق ويقال لها دورق الفرس ، فيها كثير من المعادن ، انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٠٠ .

(٤) انظر ابن حجر : الإصابة ، ج ١ ، ص ٢٨٣ .

(٥) انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٦٢ . وعبشمس من عبد شمس .

(٦) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١٨ ، وابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٧٦ .

(٧) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٤٦ والعبر موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن ونسبوا إليه كل شيء تمجّبوا من حذقه . انظر الجوهري : الصحاح ٧٢٤ .

٦٤هـ (١) ، ومنهم الشاعر عبده بن الطيب ، وعبد الرحمن بن عبيد بن طارق الذي ولاه الحجاج شرطة الكوفة والبصرة (٢) ، وعاصم بن عمير من فرسان تميم في خراسان .

أما بنو مالك أخوة عبشمس فمنهم الراجز الأموي رؤبة بن العجاج كما أن الأغالبة ملوك إفريقية (١٨٤ - ٢٩٦هـ) ينتسبون إلى بني مالك السعديين هؤلاء (٣) .

وأشهر أجداد بني سعد بنو عوف ، وفيهم بنو بهدلة عشيرة ذي البردين ، والزبيرقان بن بدر (٤) ، ويعد بنو عطاردة من أخوة عوف ومنهم بكير بن وشاح الذي ادعى قتل عبد الله بن خازم والي خراسان ، وهو صاحب الانشقاق الخطير في صفوف تميم والذي كان من أمره أن تمرد مرات عدة على أمية بن عبد الله حتى قتل على يد ابن عمه بحير بن ورقاء (٥) .

وقوم بكير ذوو صيت ذائع في تميم منذ أن آلت إليهم سدانة البيت الحرام ونبغ فيهم من مشاهير الجاهلية كرب بن صفوان (٦) ، وعوير بن شجنة (٧) ، ويلتقي معهم

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ج٣ ، ص ٣٣٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ص ٥٤ .

(٣) ينسب الاغالبة إلى الأغلب بن سالم بن عقال التميمي ، أمير من الشجعان ، كان مع أبي مسلم في خراسان ولاه المنصور إفريقية . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ، ص ٣٣٩ .

(٤) بنو بهدلة من أشرف تميم ، وذو البردين هو : أحيمر بن خلف بن بهدلة ، لبس بردي المنذر بن ماء السماء لفضله وعلو منزلته ، وهو جاهلي ، أما الزبيرقان فقد أدرك الإسلام وكان شاعر تميم عند النبي ﷺ . انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٤٣٨ ، وحسين حسن : أعلام تميم ص ٧٠ ، ٢٨٠ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ٣٧٧ ، ج٤ ، ٩٨ .

(٦) كانت سدانة البيت لآل صوفة من بني الفوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد ابن عدنان قالت إلى أبناء عمومته من بني عطاردة بن سعد بن تميم بن مر بن أد ، وكان كرب ابن صفوان ابن شجنة بن عطاردة يدفع بالناس من عرفة . انظر القلقسندی : نهاية الأرب ، ٣٦٣ .

(٧) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٢٣٨ وعوير هو الذي استجار به حجر والد امرئ القيس الشاعر وفي =

فى سلسلة النسب العوفي السعدي بنو قريع المعروفون ببني أنف الناقة^(١) ، وفارسهم المقدم فى خراسان هو الحريش بن هلال أول من نqm على الولاة الأمويين هناك وتمرد ضدهم^(٢) ، وأنف الناقة هو جعفر بن قريع سيد فى تميم فى الجاهلية ، كما كان الأضببط بن قريع سيداً مطاعاً^(٣) .

ولم يبق فى الأجارب سوى الإشارة إلى بني حمّان وفيهم بيت من أهل العلم بالشعر والنحو واللغة وهم من بني عبد العزى بن كعب بن سعد^(٤) ، والإشارة أيضا إلى ربيعة بن كعب ، والأعرج بن كعب ، ومن الأولين المستوغر بن ربيعة الشاعر الجاهلي^(٥) ، وجارية بن قدامة الذى صدّ هجوم ابن الحضرمي رسول معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه إلى البصرة^(٦) سنة ٣٧هـ ، وعمرو بن جرموز قاتل الزبير ابن العوام رضى الله عنه^(٧) ، ومن الأخيرين زهرة بن الحوية الزعيم الجاهلي الذى أسلم وشهد القادسية وقتل الجالنيوس الفارسي ، وانتهت حياته فى يوم سوق حكمة حيث

= ذلك قال امرؤ القيس

وما فعلوا فعل العوير بجاره لدى باب هند إذ تجرد قائما

انظر أحمد الطاهر مكى : امرؤ القيس حياته وشعره ، ٩٧ .

(١) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٤٣٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٣٥ .

(٣) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٤٣٩ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٢٤٧ .

(٤) ومنهم نيرة بن مرة بن حمّان بيت تميم فى القديم ، والحصين بن مشمت وفد على الرسول ﷺ وأقطعه ماء من مياه بني تميم ، ونزل قوم منهم فى خراسان ينسب إليهم المحدث الشهير أبو إسحاق

النيسابوري إبراهيم التميمي الحماني المتوفى فى عام ٣١٢هـ ، ونسب الكلبي الشاعر ثابت قطنة إلى

بني حمّان التميميين مع أنه من قبيلة الأزد اليمانية . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص

٣١٨ ، والكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٤١ .

(٥) انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٢٤٨ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ١٧٢ ، ١٩٣ .

(٧) انظر الطبري : تاريخ الأم والملوك ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ .

قتله أصحاب شبيب الخارجي مع عتاب بن ورقاء الرياحي التميمي (١) .

والمتنمون إلى زيد مناة من تميم ليسوا هم بنو سعد فحسب بل هناك ربيعة ومالك ، وقد دخلت ربيعة في بني نهشل بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، أما مالك فقد انجب بني حنظلة البطن التميمي الكبير وفيه البراجم وهم (٢) قلة وإليهم ينسب ابن راهوية ، وراهوية كلمة فارسية أطلقها أهل « مرو » على إبراهيم بن مخلد التميمي ، وهي تعني الطريق (٣) ، ومنهم عمير بن ضابئ الذي قتله الحجاج عام ٧٥ هـ (٤) ، وإسحاق بن محمد أحد فرسان خراسان الذين غزوا بلاد ماوراء النهر مع أشرس السلمي في عام ١١٠ هـ (٥) .

وينتسب إلى بني حنظلة بنو ربيعة الذين اشتهر منهم أبو بلال مرداس بن أدية المتقدم ذكره ، وأخوه عروة أول المحكمين في صفين (٦) ، والمغيرة بن حبناء شاعر تميم المقدم في خراسان ، الفارس الغليظ القلب ، أحد رجال المهلب المحدثين في حرب الخوارج ، ومغازي بلاد ماوراء النهر (٧) .

ويأتي بنو يربوع في عداد الفروع الحنظلية الشهيرة ، وهم : الحي المصرم النكد ، أحمال وعقداء ، فالأحمال ثعلبة والحارث وعمرو وصبير ، والعقداء كليب وغدانة والعنبر تعاقدا على أخيههم رباح فصار الأحمال معه (٨) .

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ٣١١ ، ٣٣٥ ، ج ٤ ، ص ٥٥ .

(٢) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٤٤٧ .

(٣) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٢ .

(٤) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٤٢٤ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ج ٤ ، ص ٢٠٣ .

(٦) انظر المنقري : وقعة صفين ، ص ٥١٣ .

(٧) انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٢٢٠ ، والأصبهاني : الأغاني ، ج ١٣ ، ص ٨٤ .

(٨) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٤٤٨ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٤ .

ومن بني رياح عتاب بن ورقاء المتقدم ذكره ، وقد قتله شبيب الخارجي سنة ٧٧هـ^(١) ، والرياحيون هم : أرداف الملوك في الجاهلية ، والردافة لعتاب بن هرمي^(٢) وأبنائه وقد اشتهر من آل عتاب في الإسلام الحر بن يزيد صاحب الحسين رضي الله عنه^(٣) ، ومن عموم بني رياح اشتهر سحيم بن وثيل^(٤) ، ومعقل بن قيس الرياحي^(٥) ، وشيت بن ربعي ، وإلى هذا الأخير ينسب أبو الهندي ، من شعراء خراسان في عصر بني أمية ، ومن العاكفين على اللهو والملذات^(٦) .

وبرز في خراسان وكيع بن حسان بن أبي سود ، فاتك رهيب غداني من بني يربوع حمل لواء تميم في ثورة القبائل على قتيبة بن مسلم الباهلي وقتك به عام ٩٦هـ وتولى إمرة خراسان^(٧) ومن ذويه برز حارثة بن بدر الغداني - أمير أثير عند زياد ابن أبيه وابنه عبيد الله - تولى إمرة مرو ، وأحرق أخوه « ذراع » مع « ابن الحضرمي » .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ص ٢٤٢ .

(٢) انظر النقااض ، ٦٦ ، والجوهري : الصحاح ، مادة ردف .

(٣) كان من أمر الحر بن يزيد أن عبيد الله بن زياد أرسله لمنع الحسين من دخول العراق ، لكن الحر انضم إلى الحسين وقتل معه ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ص ٢٣٤ .

(٤) مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام ، وهو صاحب البيت الشعري :

أنا ابن جلا وملاح الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

مات عام ٦٠هـ ، انظر حسين حسن : اعلام تميم ، ص ٢١٠ .

(٥) قتل عام ٤٣هـ وقد بارز المستورد بن علفه الخارجي فصرعه ومات هو . انظر ابن الأثير الكامل ، ج٣ ، ص ٢١٦ .

(٦) شيت بن ربعي التميمي اليربوعي شيخ مضر وأهل الكوفة في زمنه ، أدرك عصر النبوة ، ارتد وعاد إلى الإسلام ، وخرج مع المختار الثقفي ثم انقلب عليه وأبلى في قتاله مات حوالي عام ٧٠هـ وأبو الهندي غالب وقيل عبد الله بن عبد القدوس بن شيت بن ربعي من شعراء خراسان . انظر ابن الأثير ج٢ ، ص ٢٤٠ ، ج٣ ، ٢٨٢ ، وابن حجر : الإصابة ج٣ ، ص ١١٥ ، والأصبهاني : الأغاني ، ج٢١ ، ١٧٩ .

(٧) سيأتي الحديث مفصلا عن هذا الموضوع .

أحرقه رجل من بني سعد من تميم^(١) سنة ٣٧ هـ .

وعُرف في يربوع آل الماحوز ، سليطيون ، جدهم الحارث أحد الأحمال ، تولوا إمرة الخوارج الأزارقة فترات طويلة ، وظهر لهم ند من سليط هو : حارثة بن بدر ابن ربيعة ، مناوي للخوارج ، ومقاتل لهم^(٢) .

وفي يربوع بيت من بيوت تميم الشهيرة - ينسب إلى بني ثعلبة - ومن هؤلاء : عتيبة بن الحارث - المعروف بصياد الفوارس - والمشهور بسم الفرسان - جاهلي رهيب ، يخلع القلوب ؛ ويهتك البيوت^(٣) . وقد أصهر بنو أمية إلى ذريته^(٤) ، ومن هذا الفخذ : مالك ، ومتمم ابن نيرة^(٥) ، والكلجة اليربوعي ، هبيرة بن عبد مناف ، فارس العرادة^(٦) ، أما جرير الشاعر الأموي الشهير فهو يربوعي من بني كليب^(٧) .

والذي يضارع يربوعاً في الشهرة والسؤدد هم : بنو مالك بن حنظلة ، وفيهم بنو دارم ، أصحاب شرف وجلالة^(٨) ، منهم سورة بن أبجر بن نافع ، صاحب قتال

(١) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٦ .

(٢) أشهرهم الزبير بن الماحوز قتل عام ٦٨ هـ واخوته هم : عثمان ، وعلي ، وعبد الله ، وعبيد الله ابن بشير الماحوز ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ١٦٢ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٦ .

(٣) قتله ذؤاب بن ربيعة الأسدي في يوم نحو بقرب سميراء في أرض بني أسد قرب جبل سلمى . انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٧٨ .

(٤) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٦ .

(٥) قتل مالك بن نيرة على الردة واخوه متمم من شعراء المراثي ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٢٠ وياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٨٥ .

(٦) قبل الكلجة هو : صوت النار ، لقب لهبيرة بن عبد مناف العرني اليربوعي من فرسان الجاهلية . انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٤٤٨ .

(٧) انظر النفااض ، وديوان جرير .

(٨) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٤٤٩ .

الترك في « سمرقند »^(١) ، وقومه الدارميون مشهورون جاهلية وإسلاماً ففيهم : المنذر ابن ساوي ، ملك البحرين ، الذي كاتبه الرسول ﷺ^(٢) ، ومنهم : آل زرارة من البيوتات العربية ، وحكام الجاهلية ، زادهم الإسلام جلالاً ومهابة ، وبرز فيهم زرارة ابن عدس ، وأبنائوه : حاجب صاحب القوس ، أبو عكرشة ، والد عطارد ، وافد تميم على الرسول ﷺ ، ولقيط قتيل يوم جيلة ، ومعبد صاحب يوم رحرحان وهو : والد القعقاع ، تيار الفرات ، وغير زرارة ، أنجب عدس عمرواً ، والد عمرو بن عمرو ، فارس تميم^(٣) . وآل زرارة من بني عبد الله بن دارم .

ولبني عبد الله أخوه يعرفون ببني نهشل ، ومجاشع ، ومن بني مجاشع^(٤) : الحارث بن سريج صاحب العصبية بخراسان أيام نصر بن سيار^(٥) ، وصاحب جهم ابن صفوان مولى تميم الذي كان كاتباً له^(٦) ، ومنهم : الترجمان بن هريم ، فارس خراساني شهير^(٧) ، والأقرع بن حابس فاتح « الطالقان » الذي مات بها^(٨) ، والفرزدق الشاعر^(٩) ، أمّا ابنو نهشل فهم قوم خزيمة بن خازم ، الأمير

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٤٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٣ ، ص ١٤٥ .

(٣) انظر أخبار بني عدس بن عبد الله بن دارم في ابن الأثير : الكامل ، جـ ١ ، ص ٣٣٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٩٠ وقد تقدم التعريف بيوم جيلة أما رحرحان فهو جبل قرب عكاظ بأرض الحجاز ، انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١٠ .

(٤) يروى عن عمرو بن معدى كرب الزبيدي الفارس اليماني قوله : لله مجاشع ما أشد في الحرب لقاءها وأجزل في اللزبات عطاءها وأحسن في المكرمات بناءها . انظر ابن سميد : نشوة الطرب ، ص ٤٥٣ .

(٥) نأثر من أهل خراسان سيأتي الحديث عنه مفصلاً . انظر ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ، ص ٢٠٣ .

(٦) رأس مذهب الجهمية تتلمذ على يد الجعد بن درهم وسيأتي الحديث عنه لاحقاً .

(٧) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٩ .

(٨) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٦٣ .

(٩) انظر النقائض ، وديوان الفرزدق .

الخراساني^(١)، وفيهم من المشاهير العرب خالد بن مالك بن ربيعة سيد جاهلي^(٢)،
وعبد بن مسعود صهر علي بن أبي طالب^(٣).

ولم يعد اسم بني تميم في عصر بني أمية مقتصراً على المنتمين إلى بني تميم
ابن مر بن أد بن طابخة فحسب بل تعداه ليشمل جميع المنتسبين إلى بني طابخة ابن
اللياس وذلك في إطار دائرة العصبية الكبيرة في ذلك العصر.

والذين أصبحوا يشملهم اسم تميم هم : الرباب : ثور ، وعكل ، وتيم ،
وعدي^(٤)، بالإضافة إلى بني ضبة^(٥)، ومزينة . وكان الرباب قد تحالفوا مع ضبة في
الجاهلية ضد تميم وغمّسوا أيديهم في رب ، ثم أن ضبة تركت هذا الحلف إلى أن
ابتلعت تميم ضبة والرباب معاً وأصبحوا في عدادها^(٦).

وكانت الرباب تسكن في أرض الدهناء بجوار تميم ، وضبة ، وانتشرت هي
وضبة في البلاد المفتوحة في الإسلام ، وأصبح لضبة أراضي معروفة في الجزيرة
الفراتية^(٧).

(١) خزيمه بن خازم بن عبد الله بن حنظلة بن نضلة أحد الجبابرة في الحرب والضيوط من ولاية بني
العباس في خراسان توفي سنة ٢٠٣هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٨٣ .

(٢) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٤٥٣ .

(٣) تزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليلى بنت مسعود وهي أم ولديه أبي بكر وعبيد الله . انظر
ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٩ .

(٤) انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٢٦ .

(٥) ضبة بن أد بن طابخة بن ألياس ، العمارة الكبيرة المعروفة ، قيل منهم باسل بن ضبة بن أد أبو الديلم ،
كما قيل أنهم من أشعر قبائل العرب . انظر المغربي : الأيناس في علم الأنساب ، الرياض ، ١٤٠٠هـ ،
ص ١٩٧ .

(٦) انظر حمد الجاسر : جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، ١٢٨ .

(٧) انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٢٦ ، ٣١٩ .

ومن بني ضبة زيد الفوارس ، الجاهلي الشهير ^(١) ، وعاصم بن خليفة قاتل بسطام بن قيس الشيباني فارس بكر بن وائل ^(٢) ، ويعلى بن عامر بن سلمة الذي كان على خراج « الرّي » و « همذان » ^(٣) ، وعميرة بن يثربي قاضي عمر ابن الخطاب على البصرة ^(٤) ، ومن آل يثربي هؤلاء كان محمد بن عمرو صاحب مال سجستان مع طلحة بن عبد الله الخزاعي المعروف بـ « طلحة الطلحات » .

ويعدّ بنو السيّد من أشهر بطون ضبة ، ومنهم زيد بن حصين أمير أصبهان ^(٥) أمّا زعيم ضبة بل وزعيم تميم في خراسان في وقته فهو ضرار بن الحصين الضبي ^(٦) .
وأبرز بطون الرّباب هي : تيم عشيرة المستورد بن علفّة الخارجي ، قاتل عتاب ابن ورقاء المتقدم ذكره ^(٧) ، وعدي عشيرة غيلان الشاعر الشهير بذي الرّمة ^(٨) .

(١) زيد بن حصين بن ضرار الضبي فارس شاعر في منزلة الرئيس الأول الذي هو محمّد بن سويط الضبي الذي ربح ضبة وتميم والرّباب . انظر . حماسة أبي تمام ص ٥٥٧ ، وابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٩٨ .

(٢) عاصم بن خليفة بن معقل الضبي ، أدرك الإسلام وسكن البصرة ، انظر ابن حجر : الإصابة ، ص ١٩٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٩٤ .

(٣) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٩٧ .

(٤) آل يثربي من زعماء ضبة وكانوا مع عائشة رضي الله عنها في موقعة الجمل . انظر ، سيف ابن عمر ، الفتنة ووقعة الجمل ، ص ٢٣ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢٢٢ ، ٢٥٦ ، الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٩٧ . وبنو السيّد من بني مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد ، وزيد بن حصين هذا هو الذي عناه الشاعر بقوله .
أذكّر إذ لحافك جلد شاه وإذ نعلاك من جلد البعير

انظر الفلقشتدي : نهاية الأرب ، ص ٦٠ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٣١ ، وسيأتي الحديث عنه مفصلاً .

(٧) وفي الجاهلية كان منهم مشاهير فرسان أمثال النعمان بن مالك ، وابن قهوس ، والنمر بن تولب شاعر مخضرم ، انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٧٨ .

(٨) هو غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة توفي في خلافة هشام بن عبد الملك ، انظر ديوان ذي الرّمة .

ومُزينة التي أصبحت في عداد تميم هم : بنو عمرو بن أد بن طابخة ، كانت منازلهم في الجاهلية بوادي سالم من ضواحي المدينة ووادي الصَّفراء والغميم^(٣) ، وانتشر منهم في خراسان بنو المحتفز بن عثمان^(٤) .

١

(١) من مشاهير مُزينة : زهير بن أبي سلمى المُزني الشاعر الجاهلي ، وابنه كعب ، والنعمان بن مقرن صاحب « نهاوند » انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٧٣ ، ص ٨٤ ، وابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٤ ، ٨ ، ٩ .

(٢) المحتفز بن عثمان بن بشر بن أوس بن نصر من ولد ذؤيب بن سعد ، انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٩١ .

٢- بكر بن وائل :-

بكر هي إحدى القبائل الربعية العدنانية ذات الشأن في الجاهلية والإسلام ، ويرد في سلسلة نسب البكرين أنهم من بني بكر بن وائل بن قاسط ^(١) ، وأن عدداً من القبائل تشاركهم في النسب الربعي وذلك كتغلب ^(٢) ، والنمر ^(٣) ، وعبد القيس ^(٤) ، وعنزة ^(٥) .

ولبكر عدد من البطون والأفخاذ ، ويوجد في بطونها من استقل بنسبه الخاص وعُرف به حتى لكأنه قبيلة أخرى لا ترتبط ببكر ، وأقرب الأمثلة على ذلك بنو حنيفة في اليمامة ، ومن أجل هذا صنفت قبيلة بكر فيمن يطلق عليها لفظ الجماجم من القبائل العربية ^(٦) .

وأبرز بطون بكر : بنو يشكر ^(٧) الذين ينتمى إليهم الحارث بن حلزة ، شاعر

(١) ابن أفضى بن دُعمي بن جديلة بن أمد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . انظر : المغربي : الأيناس ، ص ٨١ .

(٢) تغلب بنت وائل الغلباء من أشهر بطونها : أوس ، وغنم ، وعمران ومن ديارهم في عصر بني أمية الجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين ، وكانت النصرانية غالبية عليهم لمجاورة الروم . انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٨٧ .

(٣) النمر بن قاسط بن أفضى بن دُعمي بن جديلة بن أمد ، منهم صهيب الرومي الصحابي رضي الله عنه ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٠٨ .

(٤) قبيلة كبيرة سيأتي الحديث عنها في الصفحات التالية . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٠٥ .

(٥) هي أقل القبائل الربعية في الجاهلية وصدر الإسلام وعصر بني أمية عدداً . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٣١٥ .

(٦) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٦٠٤ .

(٧) يشكر : يفعل من الشكر ، والشكير مانبت من العشب تحت ماهر اغلظ منه انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٣٩ .

بكر في الجاهلية المقدم ، ولسانها الناطق في مجال المفاخرات ^(١) ، وأمير بن أحمر صاحب خراسان في عهد بني أمية ، والشاعر أبو جلدة اليشكري ^(٢) ، وبنو صعب ابن علي الذين ينقسمون إلى : مالك ، ولجيم ، وعُكابة ^(٣) ، فمالك ينتسب إليه : بنو زمان ، أما لجيم فله من الولد ، عجل ، وحنيفة ، والحنفيون هم : عامر ، وعدّي ، والدّول ^(٤) . في حين أن عُكابة أنجب ثعلبة ، الذي تنتمي إليه مجموعة كبيرة من الأفخاذ البكرية أولها شيبان ، ومن نسله ذهل جد أبناء مرة ، الذين أصبح كل واحد منهم جد عشيرة ^(٥) ، وانتشر بعضهم في خراسان ، وتيم بن شيبان ، وثعلبة ، وعوف ^(٦) .

وثانيها ذهل الذي تنتمي إليه كل من ، سدوس ، ومازن ، وثالثها قيس وثعلبة الذي انحدر منه مالك ، وجحدر ، وعباد ، وسعد ، ورابعها تيم الله بن ثعلبة ^(٧) .

ومن أشهر من عرفت أرض خراسان من بني بكر : الرقاشيون ^(٨) ، وهم من بني

(١) شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات كان أثيراً عند عمرو بن هند ملك الحيرة انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٣٣٦ . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١١٦ .

(٢) كان أبو جلدة يهاجي زياداً الأعجم في خراسان وسيأتي الحديث عنه ، وانظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٤٩٤ .

(٣) المُكابة هو : الدخان . انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٤٩ .

(٤) انظر السويدي : سبائك الذهب ، ص ٥١ ، ٥٧ .

(٥) أبناء مرة بن ذهل هم : همّام ، وجساس ، ونُضلة ، ودُب ، وكسر ، وسعد ، وججير ، وجندب ، وشراحيل ، والحارث ، كما أن لمرّة أخاً هو مُحكم ينتمي إليه بنو ربيعة ابن مُحكم ، ومن نسل همّام آل ذي الجدين من البيوتات العربية الشهيرة وفيهم قيس بن مسعود وابنه بسطام الفارس الشهير . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٠٩ .

(٦) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٥٠٨ .

(٧) انظر السويدي : سبائك الذهب ص ٥٣ .

(٨) وهم ملكان وزيد بن مناة بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ، ورقاش امرأة من بني ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة ، انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٢٥٦ ، وابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٦٣٧ .

ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، كان رائدهم في عصر بني أمية الحُضَيْن بن المنذر ، وابنه يحيى بن الحُضَيْن ، الذي قتل في خراسان ، والحُضَيْن بن يحيى بن الحُضَيْن قتل خراسان أيضاً^(١) .

وكذلك بنو عائش بن مالك بن تيم الله ، عشيرة أوس بن ثعلبة ، الذي تولى بعض خراسان وقتل بنو نواحي هراة ، وهؤلاء من بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة ، وآل مرثد من بني قيس بن ثعلبة الذين قاموا بأمر بكر بن وائل في خراسان أيام حربها مع ابن خازم في عام ٦٤ هـ^(٢) .

وفي وقت مبكر بالنسبة لنزوح العدنانيين في الجاهلية من أرض تهامة والحجاز ظهر بنو بكر إلى أرض نجد وعلى أثر حرب جرت بين عبد القيس الربعية وبني النمر ابن قاسط ارتحلت عبد القيس إلى البحرين فتبعته بكر ، واستقرت في ظواهر نجد مما يلي الحجاز ، ومعها أبناء عمومته التغلبيون^(٣) .

وفي عالية نجد^(٤) دارت بين ابني وائل - بكر وتغلب - الحرب الضروس ، المعروفة باسم حرب البسوس^(٥) ، وقد انتشرت فروع بكر بعد هذه الحرب فيما بين

(١) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣١٧ ، وسيأتي التعريف بالحُضَيْن وأبنائه والحديث عنهم مفصلاً .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٣١ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣١٨ .
(٣) انظر البكري : معجم ما استعجم ، ص ٨١ ، ويلاحظ أنَّ عملية انتقال القبائل العربية هي حلقات في سلسلة الهجرات من جنوب الجزيرة إلى الشمال منذ أقدم الأزمنة .

(٤) العالية اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمارها إلى تهامة . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ص ٣٢٢ .

(٥) دارت رحى هذه الحرب في عالية نجد بين بكر وتغلب ابني وائل ومبيها قيام جساس بن مرة البكري بقتل كليب بن ربيعة الزعيم التغلبي الوائلي الكبير ، والبسوس هي خالة جساس من بني منقذ ابن سعد بن نعيم ، وكان كليب قد قتل ناقة جارها . انظر ابن الأثير : الكامل ج ١ ، ص ١٣٣ ، وابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٩٧ .

اليمامة والبحرين ، ثم ساحل كاظمة ^(١) إلى تخوم سواد العراق بين الأبله إلى هيت ^(٢) ، وقطنت دجلة في المنطقة المعروفة باسمهم ، وهي ماغرب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ، غير أن بني حنيفة من بكر لم يشاركوا بني قومهم في نزول العالية واستيطان المناطق المشار إليها بعد حرب البسوس إذ أنهم خرجوا من الحجاز مباشرة إلى اليمامة في المواطن التي كانت تسكنها طسم وجديس ، القبيلتان البائدتان ^(٣) .

ولبكر أثر واضح في الحروب الجاهلية إلى جانب اختها تغلب ، كما في يوم خزاز ^(٤) ، وبمفردها كما في أيام كثيرة تقدمت الإشارة إلى بعض منها . ولم يمض وقت طويل على بكر وتغلب في أرض العالية حتى فرقت بينهما حرب البسوس وأصبحت بكر بعدها أكثر احتكاكاً بالقبائل في شمال الجزيرة وبملوك الحيرة والفرس .

وتعود علاقة بكر بن وائل بالفرس إلى عهد الملك سابور ذي الأكتاف ^(٥) حيث أوقع هذا الملك بالعرب في سواد العراق ، والبحرين ، ومن بينهم البكريون ، الذين قتل عدداً منهم ، وأسكنهم أبان ^(٦) .

(١) يُحدّد مكانها البكري بما رواه عن الأصمعي فيقول : تخرج من البصرة فتسير إلى كاظمة ثلاثاً وهي طريق المنكدر . انظر البكري : معجم ما استعجم ، ص ١١٠٩ .

(٢) الهيت (الهوة) وهي تقع على شاطئ الفرات في هوة . انظر البكري : معجم ما استعجم ، ص ١٣٥٧ .

(٣) انظر ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ ، والدينوري : الأخبار الطوال ، ص ١٧ .

(٤) في يوم خزاز فض كليب بن ربيعة بقومه تغلب وبكر جموع اليمن ، وخزاز جبل بازاء حمى ضرية بواد يقال له منمع من بلاد بني أسد انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٦٤ ، وهو إلى الجنوب من الرس المدينة المعروفة في القصيم بالسعودية . انظر محمد العبودي : معجم القصيم ، ص ٨٨٩ .

(٥) أحد ملوك بني ساسان وهو الحادي عشر منهم ، ملك خمس سنين وأربعة أشهر . انظر المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ١٠٤ .

(٦) تقع « أبان » في الأهواز ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ، ص ٥٧ ، المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

وحينما عزل قَبَّاذ - خليفة سابور على فارس - المنذر بن ماء السماء ^(١) عن الحيرة لعدم قبوله اعتناق المجوسية طلب من عامله الجديد الحارث بن عمرو ابن آكل المزار ^(٢) الذي قبل المجوسية على المذهب المزدكي أن يكف بكر بن وائل عن أرض فارس ^(٣) ، ومع هذا فقد حصل البكريون من كسرى أبرويز على اقطاعات تمثلت في منحه لقيس بن مسعود الشيباني أراضي الأبله ^(٤) ، وماجاورها . وفي عهد هذا الملك نشبت معركة ذي قار بين بكر والفرس ، ويلاحظ أن علاقة بكر بفارس قد نتج عنها اعتناق بعض البكريين للمجوسية في الجاهلية وأن كان غالبيتهم وثنيين ، وذوي أصنام معروفة ^(٥) .

ووجد في بني بكر بن وائل عدد من أشهر الجاهليين في الفروسية والكرم ، والجود ، كقيس بن مسعود ، وابنه بسطام ^(٦) ، والحارث بن عبَّاد ^(٧) ، وهمام ابن

(١) المنذر بن امرئ القيس بن النعمان التنوخي اليماني يقال له : ذو القرنين من ملوك الحيرة وكان ملكه تسعاً وأربعين سنة ، قتله الحارث الأعرج الغساني ، وماء السماء هي أمه مارية بنت ربيعة أخت كليب ومهلل التغلبيين الوائليين . انظر ابن سعيد ، نشوة الطرب ، ص ٢٧٦ .

(٢) الحارث المقصور بن عمرو بن حجر آكل المزار من بني معاوية الأكرمين ملوك كندة الكهلانية القحطانية اليمانية كانوا من سادة العرب ، وملوكا عليها منهم امرؤ القيس الشاعر الجاهلي وبنو الأشعث المشهورون في صدر الإسلام ، وعصر بني أمية . انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٢٤٥ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ص ٤٠٣ .

(٤) الأبله هي موقع مدينة البصرة أو هي قرية من الخربة في البصرة الحالية على الشط في زاوية الخليج وفيها مسالح لكسرى . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٣ ، ص ٣٤٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٧٦ .

(٥) وقيل : إن المجوسية لم يعتنقها سوى الحارث بن عمرو الكندي وبعض آل زُرارة من تميم بسبب علاقتهم بملوك فارس ، وقد رد بعض الباحثين على اعتناق تميم للمجوسية وانكره . أما أصنام بكر ابن وائل فاشهرها ، المحرق ، وأوال ، وعوض ، وذو الكمبين وقيل : أن بطونا بكريه قد شهرت بالنصرانية وذلك كحنيفة ، وعجل ، انظر عما تقدم ابن الكلبي : الأصنام ، ص ٦ ، ٧ ، والنويري : نهاية الأرب ، ج١٨ ، ٧٢ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٢٧٤ ، والمعيني : شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، ص ٩ .

(٦) وهم آل ذي الجدين ، من الجد وهو الحظ ، وقد مات قيس في سجن كسرى ، وعرف عن ابنه -

مرة ، وأخوه جساس ، والحوفزان بن شريك ^(١) ، وبرز في البكرين عدد من فحول الشعراء ، كطرفة بن العبد ، أحد أصحاب المعلقات ^(٢) ، والأعشى ، وهما من بني قيس بن ثعلبة ، التي ينتمي إليها أيضاً الشاعر المرقش الأكبر ، والمرقش الأصغر ^(٣) ، ومن غير بني قيس بن ثعلبة هناك المنخل اليشكري ^(٤) ، والفند الزماني ^(٥) .

وفي السنة التي أوفد فيها النبي عليه الصلاة والسلام الرسل إلى الملوك ، كان العلاء بن الحضرمي هو داعي أهل البحرين ومن بينهم بنو بكر بن وائل إلى الإسلام ، كما كان الرسول عليه السلام قد وجه رسالة خاصة لهوذة بن علي الحنفي البكري في الإمامة ^(٦) ، وفي هذه الأثناء كان النزاع على أشده بين بكر وتميم في أطراف

= بسطام أنه واحد من ثلاثة اتفق العرب على أنهم أشهر فرسان الجاهلية وهؤلاء الثلاثة هم : بسطام ابن قيس وعامر بن الطفيل من بني عامر بن صعصعة ، وعتيبة بن الحارث من تميم . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٥ .

(٧) هو الحارث بن عباد الضبيعي من بني قيس بن ثعلبة ويقال له فارس النعامة جاهلي شهير اعتزل حرب البسوس في أيامها الأولى وقاد بكرأ في موقعة تخلاق اللثم بعد أن قتل مهلهل ابنه بجيرا . انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ص ٦٠٤ .

(١) والده شريك بن مطر من أكابر الناس عند المنذر وكذا كان هو ، والحوفزان لقب غلب عليه حين حفزه قيس بن عاصم بالرمح في وركه يوم جدود والإ فإن اسمه هو الحارث ومن ذريته معن ابن زائدة . انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٥٨ ، والكلبي : جمهرة النسب ، ص ٥١١ .

(٢) من أهل البحرين قتله عمرو بن هند وهو ابن ست وعشرين سنة . انظر ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ١٩٦٩م ، ج ١ ، ص ٤٠ .

(٣) لقب المرقش جاء من قول المرقش الأكبر :

الدار قفر والرسوم كما
رقش في ظهر الأديم قلم

انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٢١٦ ، ٢٢٠ ، واسم الأكبر عوف ، والأصغر عمرو .

(٤) هو المنخل بن مسعود بن عامر بن ربيعة . انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٤١١ .

(٥) هو شهل بن شيان بن مالك من بني زمان . انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٤٤ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ٦٤٤ ، وابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .

العراق حتى صار لا يلقى بكري تميمياً إلا قتله ولا يلقى تميمي بكرياً إلا قتله^(١).

وقد أسلم بعض البكرين في السنوات الأولى من الإسلام ، ووفد عدد منهم إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وذلك كثُمَامَةَ بن أُنَال ، وفَرَات بن حَيَّان^(٢) ، وشارك بكريون آخرون في قمع الردة^(٣) ، وكان منهم طلائع الفتح الإسلامي في مناطق مختلفة في أرض العراق ، واشتهر في ذلك : المثنى بن حارثة الشيباني^(٤) ، وقطبة ابن قتادة السدوسي^(٥) ، وقد جرَّأ هذان بقومهما المسلمين على مهاجمة الفرس وقاما بما يمكن أن يسمى تمهيداً لفتح العراق ، بل والمشرق كله .

وفي عام ٢٠هـ اسند عمر بن الخطاب مهمة قمع التمرد في الأهواز إلى عدد من الأشخاص من بينهم مجزأة بن ثور ، زعيم بكري ، واشترك فرسان بكريون ، كالنسير بن ديسم^(٦) ، وعتيبة بن النّهماس العجليين^(٧) في فتوح « نهاوند » و « الري » ،

(١) كان البكريون في صراع مع جيرانهم بني تميم حتى السنة التاسعة للهجرة ، والتي كانت فيها وقعة الشّيطين التي أسلم على إثرها القوم . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج١ ص ٣٧٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٦ ، ص ٩٧ .

(٢) ثُمَامَةُ بن أُنَال الحنفي من مسلمي بني حنيفة القدامى وقد أسهم في قمع ردة بني حنيفة ، أمّا فرات فهو فرات بن حَيَّان بن ثعلبة بن عبد العزى من بني عجل . انظر ابن سعد : الطبقات ، ج٥ ، ص ٥٥ ، ج٦ ، ص ٤٠ ، ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٤٦ .

(٣) وظهر في بني بكر عدد من المرتدين كمسيلمة الذي أدعى النبوة باليمامة ، وكمرتدة بنى قيس ابن ثعلبة بقيادة الحطيم بن ضبيعة في البحرين . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٣ ، ص ٢٤٢ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٩٤ .

(٤) أسلم المثنى سنة ٩ وغزا بلاد فارس في أيام أبي بكر قبل قدوم خالد بن الوليد ، واستشهد عام ١٤هـ . انظر ابن حجر : الإصابة ، ١٣٩ .

(٥) شجاع من القادة مات سنة ١٤هـ . انظر ابن خياط : الطبقات ، ص ١٤٧ .

(٦) مجزأة بن ثور بن عفير السدوسي البكري ، وينسب إليه الفضل في فتح « تستر » حيث دخل عليها مع موضع فيه ماء فاجتازه وهو يحبو ، وينبطح على بطنه أحياناً . انظر ابن خياط : تاريخ خليفة ابن خياط ، ص ١٤٢ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٠٩ .

(٧) النّسير بن ديسم بن ثور بن عريجة بن مُحَلِّم بن هلال العجلي ، أدرك النبي ﷺ ، وشهد القادسية ، =

وكان الحارث بن حسان الذهلي في طليعة جيش الأحنف إلى « مرو » كما كان هو المكلف بأمر سرخس (١) .

وحين استقر الفاتحون في البلاد الجديدة نزلت غالبية بكر في أرض العراق وفارس وخراسان ، ولما كانت علاقة بكر بأرض البصرة ترجع إلى ما قبل العصر الإسلامي كان من الطبيعي أن يستوطنوها بعد الإسلام ، ويكونوا من مؤسسيها الحقيقيين شأنهم في ذلك شأن تميم ، والأزد .

ونزل البكريون - وهم يشكلون أحد الأخماس البصرية - في القسم الأوسط من الجهة الشمالية الشرقية من البصرة (٢) ، وتزعمهم فيها بيت من البيوتات البكرية العريقة ، وهو بيت المسامعة (٣) ، وكان لهم من الأملاك باطنة ، المحيطة بجامع البصرة ، والزابوقة . ويشارك المسامعة في الزعامة بنو سدوس ، ولهم من الأملاك الخرية (٤) .

وتولى بنو شيان من بكر حراسة القوافل من البصرة إلى مكة ومن البصرة إلى خراسان ، ولهم نصيب في خمس بني قومهم في البصرة ، كما أن لبني يشكر نصيباً

= وإليه تنسب قلعة النسير بقرب « نهاوند » مات في حوالي عام ٣٥هـ . انظر ابن حجر : الإصابة ، ص ١٧٩ . وكان معه في « نهاوند » قومه عجل وخنيفة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ١٤٦ .

(٧) هو عبدل بن حنظلة (النحاس) من كبار المعجليين ، ومن الكماة الشجعان . انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٤٦ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٠٧ .

(١) الحارث بن حسان الذهلي البكري من القادة الشجعان كان من وفد بكر على النبي ﷺ قتل في يوم الجمل وكان يحمل راية بكر مع علي . انظر . ابن حجر : الإصابة ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .

(٢) تقع البصرة بين البصرة الحالية والزبير وتبعد عن البصرة الحالية بمقدار خمسة وعشرين كيلاً في الجهة الجنوبية الغربية وتشمل كل من البطينة ، والحدان ، وهداد ، والزابوقة ، والسبخة .

(٣) وأشهر المسامعة هو : مالك بن مسمع أبو غسان من بني قيس بن ثعلبة ، مقدم رئيس يطمح دائماً إلى الولاية ولم ينلها مات في عام ٧٣هـ . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٠٧ ، وابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١٧٤ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ٥٩٣ ، والزابوقة تعني المحل المقشور أو الملجأ انظر البكري : معجم ما استعجم ، ج ٢ ، ص ٦٩١ .

آخر (١).

وكان البكريون يسيرون إلى فتوح فارس وخراسان من محلتهم في البصرة على اعتبار أن البصرة هي القائمة بمهمة الفتح ، ثم يعودون إلى محلتهم ، قبل أن تتم عملية الاستيطان في خراسان والبلاد المجاورة لها .

والذي يلاحظ هو أن بني تميم ، وهم الأعداء الألداء لبكر قبل الإسلام ، كانوا يمثلون نسبة مرتفعة من سكان البصرة حتى قيل : أن بني تميم هم : مؤسسو البصرة الحقيقيون ، وأن الطبقة الفكرية والدينية والسياسية في عصر البصرة الأول هي في غالبيتها تميمية لذا فإن بكرًا وفي عهد الفتن القبلية قد اضطرت إلى عقد أو تجديد تحالفها مع اليمن (٢) .

ومهما يكن من أمر فإن البصرة قد عرفت بالقبيلتين معاً فهما أول وأشهر من سكنها ، إضافة إلى علاقتهما بها من قبل وإذا كانت الأزدي تنافسهما فإن الذي تميزتا به هو السبق ، إذ أن الأزدي لم يكتمل نزولها إلا في عهد متأخر (٣) .

وكما أريد من البصرة أن تكون مجمعاً للجيش العربية لفتح الأقاليم الشرقية ومن بينها خراسان ، واسكنت فيها القبائل مع مراعاة الاعتبارات الحربية في توزيع المقاتلة ، أريد من الكوفة (٤) ، وقد قسم جندها إلى أعشار أول الأمر ، وروعي في توزيع

(١) ومن زعماء يشكر الذين استوطنوا البصرة ، عبّاد بن شرحبيل اليشكري ، انظر ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٧ ، ص ٥٤ .

(٢) ويعرف هذا الحلف باسم حلف ربيعة واليمن وأبرز قبيلتين فيه بكر والأزدي ، وهو من أشهر المحالفات القبلية التي شهدتها العصر الأموي وأشارت المصادر إلى أن كتابين كتبوا في توثيق هذا الحلف وتوكيده وقد امتد أثر هذا الحلف إلى خراسان في ولاية المهلب بن أبي صفرة عليها (٧٨ - ٨٢ هـ) .
انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٤ ، ص ٣٩٦ ، جـ ٥ ، ص ١٦٢ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ، ١٠٥/٤ ، والدينوري : الأخبار الطوال ، جـ ١ ، ص ٣٥٢ .

(٣) انظر البلاذري : أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ٢٥٩ .

(٤) قيل في سبب تسميتها بالكوفة : أنه من التكوّف وهو الاجتماع وقيل أن المواضع المستديرة من

الأعشار المبدأ القبلي فكل قبيلة أو مجموعة من القبائل التي ترجع إلى أصل واحد تؤلف عشرا ، وكانت بكر من بين القبائل التي صار لها حظ في الكوفة ، وحين تحولت أعشار الكوفة إلى أسباع تغير نظام بكر تبعاً لهذا التغير غير أنها لم تنفرد بسبع واحد كما تفردت بخمس في البصرة حيث شاركها في سبعة قبائل من ربيعة كتغلب ، وأخرى من مضر كبني أسد ، وغطفان ، ولما أجرى تعديل على أسباع الكوفة وأصبحت أربع مناطق دخلت جميع قبائل ربيعة في نصيب بكر بالإضافة إلى قبيلة كندة اليمانية (١) .

وإذا كان قد قيل عن الكوفة أنها تضم صفوة الأرستقراطية العربية ، وبيوت الشرف المعروفة منذ الجاهلية فإن بيتاً من هذه البيوت ينتمي إلى بكر بن وائل (٢) ، وكما اختصت بكر بإماكن معروفة وقصور ومقابر في البصرة كان لها أيضاً مثلها في الكوفة وأشهرها دارأسعد بن همام من آل ذي الجدين ، الذين استوطن عدد منهم في خراسان (٣) .

= الرمل تسمى كوفاني ، وبعضهم يسمي الأرض التي فيها الحصباء مع الطين والرمل كوفة ، انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٧٤ وقد تم بناء الكوفة في عام ١٧ هـ واشترك في أسباعها عدد كبير من القبائل اليمانية القحطانية بالإضافة إلى قبائل نزارية عدنانية . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٤٨ .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٤٨ .

(٢) البيت البكري هو بيت آل ذي الجدين الشيبانيين وهو يتمم مع بيت آل زُرارة من دارم من تميم ، وآل حذيفة بن بدر بن فزارة من غطفان من قيس عيلان ، وآل الأشعث من كندة من اليمن ماقيل من أن هذه البيوتات هي أشهر البيوت عند العرب وقد ذكر في ذلك قصة مفادها أن كسرى قال للنعمان بن المنذر : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال : نعم ، قال : بأي شيء ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع ، والبيت من قبيلته فيه فطلب ذلك فلم يصب إلا في البيوت الأربعة المذكورة . انظر ابن رشيح القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وأدبه ، بيروت ، ١٩٧٢ م ، ج ٢ ، ١٨٣ ، ١٩١ ، ٢٢٢ .

(٣) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٢٦ ، وابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٢٧٨ .

وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان قام والي الشام معاوية بن أبي سفيان بترتيب أمر نزول ربيعة في الديار المعروفة باسمها في الجزيرة الفراتية ^(١) .

ومن المعلوم أنَّ خراسان قد تم فتحها من قبل المسلمين وثبتت أقدامهم فيها في أواخر عهد عمر بن الخطاب وفي زمن عثمان غير أنه لا يوجد ذكر لنزول العرب في خراسان إلا في وقت متأخر عن ذلك ، والمصادر عادة تكتفي بالإشارة إلى أنَّ الفاتحين إنما هم من أهل البصرة وأحياناً من أهل البصرة والكوفة ^(٢) دونما التطرق إلى ذكر الإستيطان ، والذي عليه غالبية الآراء هو أنَّ سبب عدم استقرار الفاتحين في خراسان يرجع إلى عدم السيطرة عليها تماماً في البداية إذ أن بعضها افتتح بشكل مؤقت حين يعقد بين الطرفين صلح غالباً ما يؤدي إلى العصيان هذا بالإضافة إلى أنَّ الدولة هي التي ترتب عملية الاستيطان وهي التي لم تكن راغبة وخاصة في زمن عمر باختلاط الفاتحين العرب بغيرهم من الأجناس الأخرى .

على أنه يمكن القول بأنَّ جماعة بكرية من بني يشكر كانت لهم الريادة في نزول خراسان في وقت مبكر ، وذلك حين تولَّى أمير بن أحمر اليشكري إمارة « زرخ » في أواخر أيام عثمان ، وأمير هذا هو الذي تولَّى إمارة « مرو » من قبل زياد ابن أبية في عهد بني أمية ، في عام ٤٥ هـ بالتحديد ^(٣) .

وتأرجحت زعامة بكر بن وائل بين بني سدوس عشيرة مجزأة بن ثور ، الذي قتل في معارك خراسان والمسامعة ^(٤) ، غير أنها قد ظلت لآل ثور في الصفة الرسمية

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٨٧ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأم والملوك ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ .

(٣) أمير بن أحمر بن مسهر بن أمية بن قيس بن مالك بن ثعلبة بن جشم اليشكري ، أول من اسكن العرب في خراسان . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٥٧٦ .

(٤) يستند بنو مسمع على مالهم من مجد سالف في القبيلة فجدهم ربيعة بن ضبيعة (جَحْدَر) صاحب يوم تخلاق اللحم (قَضَّة) الذي انتصرت فيه بكر على تغلب بعد هزائم متوالية كاد أن يفنى -

مع احتفاظ المسامحة بمكانتهم الاجتماعية ، وينظر إلى بني بكر بن وائل على أنها أطوع من غيرها للحكام ^(١) بالرغم من إثارة بعضهم الشغب على الخلافة الراشدة فمن بين ثلاثة بطون بكرية هي : حنيئة ، ويشكر ، وقيس بن ثعلبة خرج ثائرون على عثمان بن عفان رضى الله عنه ^(٢) ، وفي ظل هذه الظروف اصطدمت بكر ببني تميم في حروب لا يوجد بينها وبين حروب الجاهلية أي فرق ^(٣) .

وقد انضمت أغلبية بكر إلى علي بن أبي طالب في حرب الجمل ^(٤) ، لكنها بأكملها ومعها جميع القبائل الربعية قد أصبحت في صف علي أيام صفين ، تحت راية الحضيض بن المنذر الرقاشي ^(٥) ، الذي أصبح أبناؤه من أبرز العشائر البكرية الخراسانية ، وولاء زعماء بكر لعلي لا يشوبه سوى ماروي من أن خالد بن المعمر السدوسي مالا معاوية في حرب صفين ، وأن معاوية وعد خالداً بإمرة خراسان ^(٦) . وأيدت بعض المصادر ذلك بالقول بأن خالدًا غدر بالحسن وبائع لمعاوية ^(٧) ، ونقل

فيها البكريون ثم اكتسبوا شهرة عريضة في البصرة احرزها لهم مالك بن مسمع سيد ربيعة في زمانه . انظر ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، جـ ١ ، ص ٢٥٦ .

(١) انظر المسعودي : مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٣٤ .

(٢) انظر ابن العربي : العواصم من القواصم ، ص ١٢٤ .

(٣) وذلك في يومي الوقى والشباك ، والوقى ماء لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم في شمال الجزيرة العربية ، والشباك عن يمين المصعد إلى مكة من واقصة غربا . انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٧٧ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٣١٧ ، جـ ٤ ، ص ٢١٥ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ١٠٣ ، وسيف بن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص ٩٥ .

(٥) انظر المنقري : وقعة صفين ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ وابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، جـ ١ ، ص ٧٥٧ .

(٦) خالد بن معمر بن سليمان السدوسي قائد من رؤساء بكر بن وائل ادرك عهد النبوة قال فيه الشاعر
معاوي أكرم خالد بن معمر فإنك لولا خالد لم تؤمر

توفي في عام ٥١ هـ ، انظر ابن الأثير : الكامل جـ ٣ ، ص ١٤٦ .

(٧) انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٥٧ وابن حجر : الإصابة ، ص ١٥٨ .

البلاذري — كما سيأتي بيانه — أن خالداً مات في طريقه إلى خراسان مؤمراً عليها من قبل معاوية (١) .

وكما ظهر في تميم عدد من مشاهير الخوارج فإن عدداً لا يستهان به من الخوارج ينتسبون إلى بني بكر بن وائل ، ويعتبر نافع بن الأزرق وهو حنفي بكري من أشدهم وهو من أصحاب النهروان غير أنه اعتزلهم فحكموا عليه بالضلال ، وقبل أن يكون خارجياً كان زعيم قومه ، وقد اشتهر بالشدة والصرامة حتى لقي مصرعه على يد المهلب بن أبي صفرة ، أمير خراسان ، الشهير بقتال الخوارج وذلك في معركة « دولاب » بقرب الأهواز في عام ٦٥ هـ (٢) .

ويعتبر ابن الكواء البشكري من أوائل الخوارج البكرين ، وهو من الذين ثاروا على عثمان ، ثم كان من المتحمسين لنصرة علي غير أنه أنكر التحكيم وخرج مع أهل النهروان ، وانقطعت أخباره بعد ذلك إلا ما قيل عن أنه استوطن خراسان (٣) ، ومثله في ذلك أشرس بن عوف الشيباني (٤) ، والبطين الخارجي من بني محلم ابن ذهل بن شيبان (٥) ، والضحاك بن قيس من بني محلم أيضاً ، وهو الذي بايعه مائة وعشرون ألف مقاتل على مذهب الصُّفَرِيَّة ، وسلم عليه بالخلافة جماعة من قريش وفي ذلك قيل :

ألم تر أن الله أظهر دينه وصلّت قريش خلف بكر بن وائل (٦)

(١) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٨٦ .

(٢) هو نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري ، حروري تنسب إليه الأزارقة انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ص ٨٥ ، وعن حروراء انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٧٥ .

(٣) وابن الكواء هو : عبد الله بن عمرو بن ظالم ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٠٨ .

(٤) وكان أشرس من وجوه قومه وشجعانهم ، خرج على علي بن أبي طالب وقتل بالأنبار عام ٣٨ هـ ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ١٧١ ، ص ١٨٧ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ص ٢١٥ .

(٦) وقد قتله مروان بن محمد . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٢٢ .

وشبيب بن يزيد من آل ذى الجدين من بني شيبان ^(١) ، ونجدة بن عامر الحنفي ^(٢) الذي استقل عن نافع بن الأزرق ، وانخزل إليه جماعة أبي طالوت الخارجي البكري ^(٣) ، وعمران بن حطان ^(٤) ، وعبيدة بن هلال اليشكري ^(٥) .

أما الشعر فكان لبني بكر بن وائل نصيب وافر في خراسان وعرف نهار بن توسعة البكري بأنه شاعر بكر المقدم هناك ^(٦) .

(١) شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو من أكبر الثائرين على بني أمية ، داهية شديد الطموح . وأمه جهيزة التي يضرب بها المثل في الحمق مات في عام ٧٧ هـ وتنسب إليه فرقة تعرف باسم الشيبية وله ابن خرج أيام خالد القسري اسمه الصخاري . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٢٣ ، الكلب : جمهرة النسب ، ص ٥١٢ .

(٢) نجدة بن عامر بن عبد الله بن سيار من بني عدي بن حنيفة رأس الفرقة النجدية التي تنسب إليه بعد أن فارق نافعاً بن الأزرق ، قتل عام ٦٩ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ج ٤ ، ص ٧٨ والكلبي : جمهرة النسب ، ص ٥٤٣ .

(٣) هو مطر بن عقبة بن زيد بن الفند الشاعر الجاهلي شهل بن شيبان من بني زمان ، خرج بواد الخضارم بالبحامة . انظر المبرد : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٨٥ .

(٤) هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي البكري ، ويكنى بأبي سماك تلقى الحديث عن أبي موسى واشتهر بطلب العلم ثم أنه تزوج امرأة من الخوارج فكان تأثيرها عليه قوياً فالتحق بهم وكان شاعراً مفلحاً حتى قيل : أن أكثر الشعر المنسوب إلى الخوارج إنما هو من نظمه خدمة منه لمذهبهم وهو القائل في رثاء مرداس التميمي :

يا عين فابكي لمرداس ومصرعه يارب مرداس اجعلني كمرداس

وقد مات عمران في عام ٨٤ هـ . انظر الهاشمي : النهروان أو الخوارج ، ص ١٦٨ ، والمسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٤٢٧ .

(٥) من زعماء الخوارج الأزارقة للقلمين طارده سفيان بن الأبرد الكلبي حتى قتل في قومس عام ٧٧ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ج ٤ ، ص ٦٨ ، وابن دريد : الاشتقاق ، ص ٢٠٧ .

(٦) انظر المسعودي : التبيين والاشراف ، ٢٧٨ ، والآمدي : المؤلف والمختلف ، ص ١٩٣ .

٣- عبد القيس :-

تقدم أن عبد القيس تشارك بكر بن وائل في الانتساب إلى ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان ، وفي كتب الأنساب أنَّ عبد القيس هو ابن أفضى بن دُعمي بن جديلة ابن أسد بن ربيعة (١) .

وقد خرجت عبد القيس من أرض تهامة إلى البحرين بعد حربها مع أبناء عمومتها من بني النمر بن قاسط ، وزاحمت قبائل البحرين حتى قاسمتهم أملاكهم (٢) .

وعبد القيس من أرحية العرب التي حازت على مياه وأراضٍ واسعة في شرق جزيرة العرب في الجاهلية ، وامتلكت أراضي جديدة بعد الإسلام في البلاد المفتوحة ، وفي الجزيرة الفراتية وخراسان بالذات ، غير أنَّ عبد القيس لم تكن من الجماجم التي يقتصر بعض أفرادها على الانتساب إلى بطن من بطونها وذلك على ما في بعض المصادر (٣) ، غير أن بعض المصادر تذكر أن بعض بني عبد القيس يقفون في النسبة على شن ، أحد بطون القبيلة (٤) .

ويعرف في عبد القيس بطنان شهيران : شن ، ولكيز وأمهما ليلي بنت فران ابن بلي بن عمرو بن إلحاف بن قضاة من العرب القحطانية اليمانية وهي التي أطلقت المثل الشهير « يحمل شن ويفدى لكيز » (٥) .

-
- (١) ويقال في النسب إلى عبد القيس : عدي ، عقيسي ، انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٦٥٢ .
(٢) انظر ابن خلدون : التاريخ ، ص ١٩٥ ، والقلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٣٣٨ ، والذي ساق عبد القيس من تهامة إلى البحرين هو عمرو بن الجعيد ابن صبرة بن الديل بن شن الملقب بالأنكل . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٣٥ .
(٣) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٣٦ ، وابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .
(٤) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٦٥٢ .
(٥) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٥٨٢ .

والمنتسبون إلى لُكيز هم : وديعة ، وصُباح ، ونُكرة ، وفي وديعة عمرو ،
وغنم^(١) ، فرعان كبيران ، منهم : الرّيان بن حويص ، صاحب الهراوة التي تضرب
العرب بها المثل^(٢) .

وبرز في بني نكرة بن لكيز عدد من مشاهير الجاهليين وذلك كالمثقب
العبدى^(٣) ، والممزق ، وكان هذا الأخير يفد على ملوك الحيرة ومن أبياته الشهيرة
قوله :

فإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي وإلا فأدركني ولما أمزق^(٤) .

أمّا المنتسبون إلى شنّ ، صاحب المثل المعروف وافق شنّ طبقة^(٥) فكثيرون ومنهم :
هزير أول من ثقف الرّماح بالخط ، خط عبد القيس^(٦) ، ورثاب بن زيد ابن

(١) ومنها البراجم نظير البراجم في تميم وهم ، عبد شمس ، وعمرو ، وحيّ انظر ابن حزم : جمهرة
أنساب العرب ، ص ٢٩٥ .

(٢) هو الرّيان بن حويص بن عوف بن عائدة بن مرة ، والهراوة فرس قيل أنها من خيل هوازن ولعبد
القيس بن أفضى ، وكانوا يعطونها العزب منهم فيغزو عليها حتى إذا تأهل نزعوها وأعطوها عزباً آخر ،
وتقول العرب « مثل هراوة الأعزب » وقال لبيد :

تهدى أوتلهن كل طرة جرّداً مثل هراوة الأعزب

انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٥٨٣ .

(٣) هو عائذ بن محصن بن ثعلبة من بني نكرة بن لُكيز وقد عُرف بالمثقب لقوله ،
ونقبن الوصاوص للعيون .

انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٨٥ .

(٤) واسم الممزق شأس بن نهار بن أسود انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب . ص ٢٩٥ .

(٥) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٦٥٢ .

(٦) الخطّ بالضم أرض تنسب إليها الرماح الخطية ويعرف بخط عُمان أيضاً وهو سيف البحر ، ومن قراه
القطيف والعقير وقطر وإليها تجلب الرماح القنا من الهند فتقوم فيه وتباع على العرب . انظر ياقوت :
معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ .

عمرو ، من بني الدّيل بن شن ، وهو الذي يزعم قومه أنّه كان نبياً^(١) .

وقد استجابت عبد القيس للإسلام في وقت مبكر وفي أرضهم بني ثالث مسجد وكان الأشجّ العبدي ، وهو المنذر بن عائذ^(٢) من بني عمرو بن وديعة في طليعة وفد بني عبد القيس إلى النبي ﷺ ، ومعه الجارود بن المعلّى من بني عمرو بن وديعة أيضاً^(٣) . وعُرف الأول بحلمه ، وفضله ، وصحبته ، ووفادته ، كما كان الأخير ذا مكانة عالية عند النبي ﷺ وأبي بكر ، وعمر ، وكان سيد قومه حتى توفي بأرض فارس في خلافة عمر^(٤) ، وقد خلفه ابنه عبد الله على رئاسة عبد القيس إلى أن قتله الحجاج بن يوسف يوم « رستقباد » قرب البصرة عام ٧٢هـ^(٥) ، وكان المنذر ابن الجارود سيداً مطاعاً كأخيه ، وقد استعمله علي بن أبي طالب على فارس ، ولقى مصرعه على يد الحجاج أيضاً^(٦) .

وثبت عبد القيس على الإسلام أيام الردة ، بل أنها تصدت للحطّم البكري

(١) ويقال له رثاب بن البراء كان على دين المسيح ، وفيما يرويه العرب أنهم سمعوا قبيل مبعث النبي ﷺ منادياً ينادي خير أهل الأرض ثلاثة ، رثاب الشني وبجير الراهب وآخر لم يأت يعني النبي ﷺ وكان رثاب يقول : الحمد لله الذي رفع السماء بغير منار ، وشق الأرض بغير محفار . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٥٩٣ .

(٢) انظر ابن حجر : الإصابة ، ج ٣ ، ص ٤٦٠ .

(٣) ويعرف بأبي غياث ، والجارود لقب عُرف به وذلك حين أصاب ابله داء فخرج بها إلى اخواله بكر ابن وائل ففشا الداء في أهلهم حتى اهلكها وفي ذلك قيل :

ودسناهم بالخيل من كل جانب كما جرّد الجارود بكر بن وائل

أما اسمه فهو : بشر بن عمرو بن حنس ، انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٢٧ .

(٤) انظر ابن عبد البر : الاستيعاب ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ ، ج ٣ ، ٤٦١ . الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٥٨٥ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ، ص ٨٦ .

(٦) ويكنى أبا غيلان مات في سجن الحجاج الذي يعرف بالديماس ، انظر ابن الأثير : الكامل ج ٣ ، ص ١١٧ .

الوائل الذي قاد ردة ربيعة في أرض البحرين^(١) ، وفي البصرة كانت ذات مكانة مرموقة ، ومن القبائل التي حازت على خطط خاصة بها ، ومثل ذلك كان لها بأرض خراسان ، وحين نضمت بعض القبائل العربية^(٢) على عثمان بن أبي عفان كانت عبد القيس من بين القبائل التي خرج منها ناثرون أشداء ، يأتي في طليعتهم حكيم ابن جبلة بن حصين من بني غنم بن وديعة بن لكيز^(٣) ، الذي أوجع الثورة في البصرة ، وشارك في قتل عثمان ، وقتل وهو يحمل راية ربيعة في البصرة في الصراع الذي نشب بين الثوار من جهة والسيدة عائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى قبل مقدم علي بن أبي طالب إلى العراق^(٤) . وحين قدم علي كان بنو عبد القيس في عداد جيشه ، شأنهم في ذلك شأن القبائل الربيعية ، وقد قتل من مشاهيرهم في يوم الجمل حامل الراية عبد الله بن رقة من بني عمرو بن وديعة بن لكيز^(٥) ، وكان المثنى بن مخزبة وهو من ذرية الأفكل من أصحاب علي المقربين ، وعرف من ذويه عبد الرحمن بن أذينة ، قاضي البصرة^(٦) ، وأخوه عبد الله بن أذينة ، كما اشتهر

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

(٢) انظر عن نقمة القبائل كميم وبكر وعبد القيس على عثمان وقريش ابن خلدون : المقدمة ، ص ١١٧ .

(٣) حكيم وقيل حكيم ، شجاع ، ناثر ، وابنه أبو بكر من الرواة العلماء ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٩٥ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ج ٣ ، ص ١٢٤ .

(٥) انظر سيف بن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص ٣٥ . وعبد الله هذا هو عم مصقلة بن كُرب ابن رقة الذي كان من السادة الكبار ، أما كُرب بن مصقلة ، ورقبة ابن مصقلة فكانا خطيين ، وهؤلاء من بني عجل بن عمرو بن وديعة الذين ينتمي إليهم صمصمة وزيد ابنا صوحان بن الحارث ابن الهجرس من مشاهير عبد القيس في عصر بني أمية . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٩٧ .

(٦) المثنى بن مخزبة وقيل مخزبة من رؤساء أهل الكوفة واشرافهم ، أما عبد الرحمن بن أذينة فقد ولى قضاء البصرة وتوج (توز) مدينة فارسية قرية من كازرون بينها وبين شيراز ٣٢ فرسخاً . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٥٩٣ ، وياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٠٢ .

الأعور الشنّي كواحد من أصحاب علي ، وهو من شعراء العرب المخضرمين ^(١) .

وفي الكوفة كانت عبد القيس في خطة ربيعة ، وكان مسعود بن قبيصة ، وهو من بني الدليل بن عمرو بن وديعة بن لكيز في الفين وخمس مائه من العطاء ، وهو ما يسمي بشرف العطاء ^(٢) ، وكما اشتهرت عبد القيس بأنها ذات خمس من أحماس البصرة خاص بها فكذا كان شأنها بخراسان لأن خطط خراسان أخذت طابع خطط البصرة ، وكانت قبائل البصرة هي ذات العدد الوفير في خراسان لأنها من فتوحهم ، وقد دخلت عبد القيس في حلف ربيعة مع اليمن في البصرة وخراسان ^(٣) ، وهذا وإن كان قد أفادها من ناحية إتفافها حول أبناء عموماتها وأحلافهم ، غير أنه أضرها من ناحية قلة الأخبار المتعلقة بها في خراسان لإندماجها في غيرها ، حتى أن الباحثين عرضوا بالتفصيل لرؤساء الأحماس من القبائل ماعدا عبد القيس ، ويلاحظ أن اسم بكر بن وائل قد طغى على اسم عبد القيس في خراسان في أحيان كثيرة للرابطة القبلية التي تظلهما معاً ولتفوق بكر في العدد ، وكثرة المشاهير ، وقد قوى حلف القبيلتين مع الأزدي اليمانية في خراسان وذلك بعد عام ٧٨ هـ حين كثر هؤلاء الأخيرون في تلك البلاد ، وقوي نفوذهم بمجيء آل المهلب حكاماً على تلك النواحي ^(٤) ، فأصبحت الأزدي اليمانية ، وبكر ، وعبد القيس الربعيتان في مقابل

(١) الأعور الشنّي هو : أبو منقذ بشر بن منقذ شاعر مخضرم كان مع علي يوم الجمل . انظر المغربي : الإبناس ، ص ٦٨ .

(٢) ومن بني الدليل بن عمرو بن وديعة الصلتان العبدي الشاعر ، واسمه قثم بن خنّية بن كعب ابن سلمان وهو الذي حكم بين جرير والفرزدق وفي ذلك قال :

أنا الصلتاني الذي قد علمتم متى ما يحكم فهو بالحق صادق

انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٥٩٠ .

(٣) انظر الدينوري : الأخبار الطوال ، ج ١ ، ص ٣٥٢ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٣٩٦ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ج ٤ ، ص

بني مُضر التميميين ، وأهل العالية من قيس ، أما في مجال الشعر فقد كان زياد الأعجم
هو لسان عبد القيس في خراسان (١) .

(١) انظر الأصبهاني : الأغاني ، جـ ١٤ ، ص ٩٨ .

٤ - الأزد :

تُعد الأزد من أشهر القبائل القحطانية اليمانية ^(١) ، وهي تشكل مع طيء ، ومَذْحِج ، وهمدان ، وكندة ، ومراد مجموعة القبائل الكهلانية ^(٢) ، وقد أدى سيل العرم إلى أن تتفرق بطون الأزد ، وتنتشر في البلاد ^(٣) .

ويُقال للأزد : الأسدُ أيضاً ، ومعناها القتل ، أما اسم الأزد فهو درَّار بن الغوث ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ^(٤) .

وتذكر كتب الأنساب أن بني الأزد هم : مازن ، ونصر ، والهنء ، وعبد الله ، وعمرو ^(٥) ، ومن بني مازن انخرعت خزاعة إلى مكة ، ونزلت بطن مر وصارت لها ولاية البيت بعد أن غلب لُحي بن حارثة بن عمرو الخزاعي على جرهم ، والمعدنية العدنانية ، وإلى أن باعها أبو غبشان الخزاعي على قريش ^(٦) ، كما أن ملوك الشام بنو غسان يعتبرون من مازن الأزدية ، وغسان ماء بسد مأرب باليمن قال شاعرهم :

أما سألت فإنا معشر نجب الأزد نسبنا والماء غسان ^(٧)

وجد الغسانيين هو : جفنة بن عمرو بن مزريقاء بن عامر بن حارثة بن مازن ،

(١) الأزد بفتح الهمزة وسكون الزاي وقد يقال الأسد و القَسْد وكلها بمعنى القتل . انظر المغربي : الإيناس ، ص ٥٧ .

(٢) كهلان هي : أحد شعبي قحطان الكبيرين وهما : حمير ، وكهلان . انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ ، وابن سعيد : نشوة الطرب ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

(٣) انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٢٤٥ .

(٤) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٣٠ .

(٥) انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٥٢ .

(٦) وفي رواية : أن بني خزاعة من معد العدنانية وليسوا من الأزد الكهلانية القحطانية . انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٢٤٥ ، وابن سعيد : نشوة الطرب ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

(٧) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٦١٥ .

فحل ولد عمرو بن عامر يدعون غسان حاشا أبا حارثة^١، وعمران ، وثعلبة العنقاء ، ووداعة ، وذهل فليسوا غسان ، ولم يشربوا من ذلك الماء^(١) ، وثعلبة العنقاء هو جد الأوس والخزرج^(٢) ، الذين نزلوا المدينة على اليهود أيام شريف بن كعب اليهودي ، وامتلكوا الأرض بعد حرب جرت لهم هناك^(٣) ، وقد يرز فيهم عدد من مشاهير الجاهليين مثل : أحيحة بن الجلاح الأوسي ، وقيس بن الخطيم الأوسي ، وعمرو ابن الاطنابة الخزرجي ، وقيل إنّ الأخير ، هو الذي ملك المدينة بالاستعانة بالنعمان ابن المنذر ملك الحيرة^(٤) .

أما آل جفنة الغسانيون فنزلوا على بني سليح بن قضاة ملوك الشام من قبل القياصرة فحالفوهم ثم تغلبوا عليهم ، ومن مشاهيرهم الحارث بن أبي شمر الغساني^(٥) ، وجبله بن الأيهم^(٦) ، كما انخزل فريق منهم إلى الحيرة ، فاصبح لهم هناك ناحية تعرف باسمهم ، ومنهم عبد المسيح بن ببيعة الذي صالح خالد بن الوليد

(١) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٣٤ .

(٢) الأوس والخزرج هم الأنصار في الإسلام هاجر إليهم الرسول ﷺ من مكة بعد بيعة العقبة الثانية . انظر ابن هشام : السيرة ، ص ٩٥ .

(٣) انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٤٧ .

(٤) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ج ١ ص ١٨٩ .

(٥) من أشهر ملوك الفساسة وهو صاحب يوم عين أباغ بينه وبين المناذرة ، وإياه عنى النابغة الذبياني بقوله :
وقلت يا قوم أنّ الليث منقبض على برائه لعدوه الضاري

وقد أصلح الحارث بين عشائر طيء القحطانية في حربها المعروفة باسم حرب الفساد ، وقصده الشاعر علقمة الفحل التميمي بقوله :

إلى الحارث الوهاب اعملت ناقتي لكلكلها والفرقدين وجيب

انظر ابن الأثير : الكامل ج ١ ، ص ١٠٢ ، وديوان النابغة الذبياني ، وديوان علقمة الفحل .

(٦) جبله بن الأيهم ملك الغسانيين وقت ظهور الإسلام ، اسلم وارتد أيام عمر بن الخطاب وإليه تنسب بلدة جبله بقرب اللاذقية بالشام . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٦١٥ . وابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ١١٨ .

عن أهل الحيرة^(١) .

وقد غلب اسم الأوس والخزرج على من نزل المدينة من الأزديين ، ولم تعد العرب تذكر اسم الأزد وتطلقه على هؤلاء^(٢) ، كما غلب اسم الغسانيين على من نزل الشام من الأزديين وأغفل اسم جدهم الأعلى^(٣) ، وعرف العرب تقسيمات ثلاث للأزد بعد تفرقها في الديار وانتشارها في الأمصار فقالوا : أزد شنوءه وهم : بنو نصر بن الأزد ، وأزد السراة وهم من بقي في تهامة من الأزديين ، وأزد عمان وهم الذين انتقلوا إلى أرض عمان واستوطنوها^(٤) .

وأشهر أزد عمان آل العتيك وهم من بني عمران بن عمرو بن مزريقاء ومنهم كانت تكثر الإغارة على بلاد فارس حتى أنه ليقال أن أول من أغار على الفرس هو بُغام بن الحارث بن عبد الله من العتيك^(٥) ، ويروى أن من ذرية زهران بن كعب ابن الحارث من بني نصر بن الأزد^(٦) من استوطنوا أرض عمان وهم ولد نوى المنسوب إليه جذيمة الوضاح ملك الحيرة الذي قتلته الزباء ملكة تدمر^(٧) .

(١) انظر ابن الأثير : الكامل جـ ٢ ، ص ٩٨ .

(٢) ويقال للأوس والخزرج بني قيلة . انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٥٢ .

(٣) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٦١٥ .

(٤) انظر المغربي : الإنباس ، ص ٥٧ ، والقلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٤٧ .

(٥) بُغام بن الحارث بن عبد الله بن عدي بن وائل بن الحارث من أشراف أزد عمان الذين يعرفون أو ينيزون بالمزون نسبة إلى سفن البحر ، انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٣ ، ص ٢٩٢ .

(٦) أشهر بطون زهران الأزدية هم بنو دوس ومن هؤلاء مالك بن فهم وأكثرتهم بعمان ، وسليم بن فهم ، وطريف بن فهم وهم بالحجاز ، ونوى وهم بعمان . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٨٠ .

(٧) انظر عن قصة جذيمة الوضاح المعروف بالأبرش والزباء . ابن الأثير : الكامل جـ ١ ، ص ١٩٦ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ٣٧٩ .

وفي وقت البعثة النبوية كان ملكا عُمان هما : جيفر وعباد ابنا الجلندي ابن كركر بن المستكبر من بني نصر بن زهران بن كعب بن الحارث ، وقد كتب لهما الرسول ﷺ فأسلما (١) غير أن زيدا الأعور ابن جيفر قد ارتد عن الإسلام (٢) .

وقد نزل أزد عُمان في البصرة وأصبحوا ذوى خمس خاص بهم من خطط البصرة (٣) ، وعرف منهم بالبصرة بنو البختري من آل العتيك ، ومن هؤلاء مسعود ابن عمرو بن الأشرف صاحب عصبية الأزد مع تميم الذي راح هو ضحيتها في عام ٦٤هـ (٤) ، وكان والده مع أم المؤمنين عائشة يوم الجمل ، وقد لقي في صفوف علي الحارث بن عبد الشارق وهو غامدي أزدي من بني كعب بن الحارث من بني نصر فقتل كل منهما الآخر (٥) .

وبنو غامد (٦) قوم الحارث بن عبد الشارق هم : بنو عمرو بن عبد الله ابن كعب ، أخوة زهران ، ومنهم عبد شمس بن الحارث المعروف بأبي ظبيان الأعرج وافد قومه على النبي ﷺ وصاحب رايتهم بالقادسية (٧) ، وكان ابن أخيه جندب ابن زهير على الرجال في يوم صفين ، مع علي وقد قتل في ذلك اليوم (٨) .

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص ٢٥٢ .

(٢) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٨٠ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج٤ ، ص ٢١٤ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ٣٢٣ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٥ ، ص ٢١٤ .

(٦) بنو غامد (عمرو) منسوبون إلى كعب بن الحارث وفي كعب هذا زهران وثمالة الذين منهم المبرد النحوي المتوفى عام ٢٨٦هـ ، وبنو لهب بن أحجن الذين يروى أنهم وبنو أسد أعيف العرب قال كثير :

تيممت لها أبتغي العلم عندهم وقد رد علم العاتفين إلى لهب

انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٨٦ .

(٧) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ج٤ ، ص ١١١ .

(٨) المنقري : وقعة صفين ، ص ٤٩ .

وقد أنجبت غامد بطونا عدة أهمها : ثعلبة ، ومازن وكثير ، ووالبة ، وهذا الأخير هو بيت الأزد في الكوفة ^(١) ، وظهر في ثعلبة بن غامد بعض الأعلام كجندب الخير الذي قتل الساحر بين يدي الوليد بن عقبة ^(٢) والي الكوفة لعثمان ، أما والبه ففيهم سفيان بن عوف الذي غزا أرض الروم في سنة ٥٢ هـ ^(٣) .

ومن بين ولاية خراسان تقلد الولاية عدد من الأزدية منهم : عبد الرحمن ابن نعيم بن زهير من بني ثعلبة بن غامد ^(٤) ، وأشهر منه المهلب بن أبي صفرة الذي ولاه عبد الملك خراسان بعد أن ولي الحجاج على العراق ، وبالرغم من كره الحجاج لولاية المهلب على خراسان فإن عبد الملك لم يأبه بذلك ربما اعترافا منه بفضل المهلب في تدوين الأزارقة الخوارج ^(٥) .

والمهلب أزدي من العتيك أهل عمان ، ومن السادة فيهم ، له أخوة كثيرون ، أصبح كل واحد منهم جد عشيرة ^(٦) لكن أبناءه أكثر بكثير من أخوانه فقد بلغ

(١) ومن بني غامد أبو زينب زهير بن عوف بن الحارث الذي شهد على الوليد بن عقبة بشرب الخمر وقد قُتل يوم صفين ومنهم أيضا بنو المفضل : قيس وزهير قتلا يوم القادسية . ويزيد والحكم قتلا يوم النخيلة ، وهؤلاء هم أعمام سفيان صاحب الصوائف إلى أرض الروم . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ، ص ١٩٢ ، والمنقري : وقعة صفين ص ٨٥ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٧٨ .

(٢) هو جندب بن كعب بن عبد الله بن جزء بن عامر ، تسميه الشيعة جندب الخير ، انظر ابن حجر : الإصابة ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٥٢ .

(٤) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٧٨ .

(٥) ورد في نسب المهلب أنه : المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو ابن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك . انظر عن نسبه ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٦٧ ، وعن حروبه مع الأزارقة ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٠٤ ، ٣٩٤ .

(٦) من أخوة المهلب : قبيصة ، والمعارك وسعد ، والعلاء ، والمغيرة ، وسنبر ، ومعنى سنبر العالم بالشئ المثقن له . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٦٧ .

عدددهم ثلاثمائة ولد^(١) ، ومع تولي المهلب لإمرة خراسان ظهرت عصبية الأزد واضحة جليلة ، وقبلها لم يكونوا ذوى أثر قوي هناك وقد تركوا حليفهم بكرأتواجه ابن خازم وبني تميم وحدها ، وتذكر المصادر أن الوظائف الهامة في خراسان قد أصبحت في أيدي الأزديين بعد ولاية المهلب وابنائهم^(٢) ، وفي ذلك قال يزيد ابن المهلب « يامعشر الأزد ، كنتم أذل خمس بخراسان حتى إن الرجل من الحي الآخر ليشتري الشيء فيتسخركم فتحملونه له ، حتى قدم المهلب ، وقدمت ، فلم ندع موضعاً يستخرج منه درهم إلا استعملناكم عليه ، وحملناكم على رقاب الناس ، حتى صرتم وجوهاً »^(٣) .

ولما كثر الأزد في خراسان برز فيهم شعراء وأعلام ، وعُرف في بني دوس ابن زهران^(٤) عدد من الفروع التي انتشرت في البصرة وخراسان ، ومن هؤلاء : الأشاقر ، رهط كعب بن معدان ، شاعر الأزد في خراسان^(٥) ، الذي جاهد الترك ببلاد ماوراء النهر^(٦) مع المهلب وشهد فتح ابنه يزيد « لباذغيس » سنة ٨٤هـ وسجل كل هذا شعراً منوهاً بأمجاد قبيلته ومدافعاً عنها أيضاً حين تصطدم بغيرها من القبائل^(٧)

(١) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٦٨ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ١٤٧ .

(٣) نقائص جرير والفرزدق ، ج ١ ، ص ٣٦٧ .

(٤) تقدمت الإشارة إلى بني دوس هؤلاء ، وكان بنو سليم بن فهم بن غنم بن دوس الذين منهم أبو هريرة الصحابي يقيمون في أرض الحجاز ، وكان منهم سعد بن صبيح الذي أكثر القتل في قريش في الجاهلية لقتلهم أبي زهير الدوسي ، ومنهم عبد الله بن النعمان الذي قتل الحازوق الحنفي قائد نجدة ابن عامر إلى السراة ، ومنهم أيضاً أبو كلثم خالد بن معمر الذي قال بعد مقتل الوليد بن يزيد لعن انتضيت سيفي لا أغمده وفي الأرض قرشي حتى اقتله فقتله مروان بن محمد . انظر ، ابن حجر : الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٠٢ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٨١ .

(٥) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ١٤ ، ص ٢٨٣ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ، ٢٢٩ .

(٧) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٨٩ .

متحملاً في ذلك تبعات الإلتحام بشعراء آخرين كما فعل مع زياد الأعجم وقت اندلاع الحرب بين عبد القيس والأزد في ولاية المهلب ^(١) ، والملاحظ أن هذا الشاعر لم ينكفئ على نفسه بعد عزل المهالبة عن خراسان كما فعل ثابت قطنة الأزدي ، وثابت هذا من العتيك رهط المهلب وهو من الذين أججوا نار العصبية بين القبائل العربية ^(٢) في خراسان .

ومن بني دوس أيضا : الكرمانى ، وهو جديع بن علي بن شبيب ، قتله نصر ابن سيار ، كما قتل ابنه من بعده عثمان وعلي بعد أن فرقا كلمة العرب بخراسان ، وقتل بعدهما أخوهما المنذر ^(٣) .

وأخوة الأزد هم بنو عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ويعرفون ببني بجيلة قوم جرير بن عبد الله البجلي ، صاحب رسول الله ﷺ ، وهو الذى جمع البجليين بعد أن كانوا متفرقين في أحياء العرب ^(٤) . ومن بجيلة قسر ، بطون جمة ، منهم : خالد بن عبد الله القسري أمير العراق ، وصاحب عصبية اليمن

(١) انظر الأصبهاني : الأغاني جـ ١٤ ، ص ٢٨٧ .

(٢) انظر الأصبهاني : الأغاني ، جـ ١٤ ، ص ٢٨٠ .

(٣) الأشهر في نسب آل الكرمانى الذين سيأتي الحديث عنهم مفصلاً أنهم من بني مالك بن فهم ابن دوس خلافا لمن يذكر أنهم من بني العتيك ، ومن بني مالك أيضاً كعب بن سور قاضي البصرة لعمر ، قتل يوم الجمل بين الصفين وهو يدعو كلمة الطائفتين إلى الامساك ، ومنهم الخليل ابن أحمد الفراهيدي ، والعلامة ابن دريد صاحب الاشتقاق ، انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٢ ، ص ١٠١ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٨٠ ، والكلبي : جمهرة النسب ، ص ٦٢٥ .

(٤) وفي ذلك قال الشاعر :

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وثبت القبيلة

وتروى المصادر أن جريراً نهض بـ ١٥٠ فارساً من بني أحمر بن الغوث واحرقوا ذا الخلصة صنماً كان لهم كانوا يعبدونه فبارك رسول الله ﷺ على خيل أحمر ورجالها . انظر : ابن هشام : السيرة ، ص ٢٠١ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٨٧ .

بها ، وأخوه أسد بن عبد الله ، أمير خراسان ، والمتشدد في عصبية للأزديين ^(١) كما سيأتي بيانه ^(٢) .

-
- (١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٨ ، ص ١٨٧ ،
(٢) ومن فروع الأزد بنو راسب من بني ميدعان بن مالك بن نصر والى هؤلاء ينتسب عبد الله بن وهب الراسبي ذو الثففات أول أمير للخوارج يوم النهروان ، وخليفتهم الأول قيل أنه كان شديد البغض لعلي ابن أبي طالب ولا يسميه إلا الجاحد وقد قُتل في النهروان وظهر بعده خارجي أزدي ثائر على مذهب الإباضية هو المختار بن عوف بن سليمان المعروف بأبي حمزة من بني مالك بن فهم بن دوس قتل عام ١٢٩ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٧٥ ، وابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٤ ، ص ١٤٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٢٨٩ .

٥ - أهل العالية :-

العالية ضد ^(١) السافلة ، وورد في المصادر أنَّ بلاد نجد قسمان : سافلة ، وعالية ، فالأولى : ماوالى العراق من نجد ، والثانية : ماوالى الحجاز ، ودرجت بعض معاجم البلدان على تحديد العالية بمنازل القبائل التي تسكنها وهى على ذلك : بلاد عكل ، وتسيم ، وضبة ، وطائفة من بني أسد ، وعبد الله بن غطفان ، وبني عامر كلها ، وطائفة من سليم ، وعجز هوازن ، ومحارب ، وابان بن دارم من تميم ^(٢) .

وهذا التحديد يشمل كل مادفعه جبل طويق غربا إلى حدود السروات الشرقية ، وإلى أقصى بلاد غطفان في الحرار الواقعة بين نجد والحجاز ^(٣) ، وأما القبائل المذكورة هنا فكلها مضرية عدنانية ، فغطفان ، وبنو عامر ^(٤) ، وسليم ، من قيس عيلان المضرية ، وتيم وعكل وضبة أخوة تميم وأحلافها ، وأسد بن خزيمة تنتمي إلى ألياس ابن مضر أيضا ^(٥) .

-
- (١) العالية : تأنيث العالي ، رجل عالٍ وامرأة عالية ، ويقال على الرجل وأعلى إذا أتى عالية نجد ، ورجل معال . انظر الأصبهاني : بلاد العرب ، ص ٤٧ .
- (٢) وضافوا أن العالية اسم لكل ماكان من جهة نجد من المدينة أو ماجاوز الرمة من نجد إلى الحجاز . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٧١ .
- (٣) انظر سعد بن جندل : معجم عالية نجد ، ص ١٦ .
- (٤) بنو عامر بن صعصعة من هوازن ، وهوازن ، وغطفان (عيس وذبيان) ومحارب وغني وباهلة تنتمي إلى قيس عيلان بن مضر . انظر السويدي : سبائك الذهب ، ص ٢٧ .
- (٥) مضر : جذمان كبيران هما إلياس بن مضر (خندف) وقيس عيلان بن مضر ، ومن خندف مدركة وطابخة ، ومن مدركة خزيمة (كنانة وأسد) ومن طابخة تميم وزمرتها ، وتقدمت الإشارة إلى أشهر القبائل القيسية . انظر ، ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة ، ص ٣٨ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ١٩ ، والسويدي : سبائك الذهب ، ص ١٧ .

وقد حلت القبائل المضرية والقيسية منها بصفة خاصة في منازل ربيعة في العالية بعد أن تحولت ربيعة على إثر حرب البسوس إلى شمال جزيرة العرب ^(١) .

وقد أخذت هذه القبائل اسم أهل العالية بعد الانتشار في البلاد الإسلامية الجديدة ، وأصبح القيسيون في البصرة يعرفون باسم أهل العالية ^(٢) ، غير أنه عند توزيع الخطط في البصرة أضيف إليهم أقوام من الذين لا يشكلون كتلاً ضخمة في البصرة ، وذلك كالأنصار ، أهل المدينة ، وطوائف من قريش ^(٣) .

وعلى النحو الذي تم بموجبه توزيع الخطط في البصرة تم توزيع الخطط في خراسان ، وظل أهل العالية بأكثرتهم القيسية ذوي خمس خاص بهم في كلتا الولايتين ^(٤) وظلت الزعامة في أغلب الأحيان منوطة ببني عامر الهوازنية ، ففي البصرة كان عبد العزيز بن قيس بن معاوية ، من بني خفاجة بن عامر ، مقدماً في أهل العالية ، وشارك في فتوح خراسان فكان مقدماً فيها أيضاً ومن فرسان قيس المعدودين هناك ، كما كان رباح بن نبيشة ، وهو عامري من بني ربيعة بن الحريش ، مقدماً ، ورئيساً ، وفارساً مرهوب الجانب في خراسان أيام ولاية ابن خازم عليها ^(٥) .

(١) كانت بكر وتغلب الوائليتان الربيعتان في أرض العالية كما تقدم وجرت بينهما معارك في أماكن مشهورة فيها مثل : شيث ، والأحص ، وواردات ، والذئائب ، وسيماء . انظر ، ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ٧٨ ، وياقوت : معجم البلدان في مواضع متعددة من المعجم وابن عبد ربه : العقد الفريد ج٦ ، ٩١ .

(٢) انظر المبرد : الكامل ، ج١ ، ص ١١٦ .

(٣) قريش من بني النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس (خندف) ابن مضر ، انظر ، ابن عبد البر : الأنباة على قبائل الرواة ، ص ٤٩ ، وابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٤١٢ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٣ ، ص ٩٤ ، ج٦ ، ص ١٧ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٩٢ .

(٥) ومن بني الحريش أيضاً ضرار بن عيس من فرسان قيس المعدودين في خراسان أيام ولاية ابن خازم ، انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٣٥٨ .

وقبيلة بنى عامر الهوازنية بطون عدة تنتمي إلى عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان^(١) ، ومن هذه البطون : بنو نمير ، من جمرات العرب ، وهم رهط الشاعر الراعي النميري . صاحب جرير^(٢) ، وبنو هلال أصهار كثير من القرشيين^(٣) ، ورهط عاصم بن عبد الله الذي ولي خراسان لهشام بن عبد الملك^(٤) ، غير أن أكبر البطون العامرية هي كلاب ، وكعب ابنا ربيعة^(٥) ، وأخوتهم عامر بن ربيعة ، ومن كلاب خالد بن جعفر قاتل زهير ابن جذيمة ، سيد غطفان ، وسيد القيسية كافة في الجاهلية^(٦) ، وربيعه بن الأحوص الذي أصبح أولاده سادة في قيس عيلان^(٧) ، وأحدهم هو : علقمة بن علاثة الذي

(١) انظر السويدي : سبائك الذهب ، ص ٢٧ .

(٢) هو عبيد بن حصين بن جندل بن ظويلم المعروف بالراعي النميري قيل سمي راعي الأهل لقوله :

لها أمرها حتى إذا ماتت بأت با خفافها مأوى تبوأ مضجعا

وهو شاعر أموي معاصر لجرير والفرزدق . انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٢٩٥ .

(٣) من بني هلال أم المؤمنين زينب بنت خزيمة ماتت في حياة رسول الله ﷺ ، وأم المؤمنين ميمونة

بنت الحارث ، ولبابة الصغرى أم عبد الله بن عباس ، ولبابة الكبرى أم خالد بن الوليد بنت الحارث

ابن حزن ، وصفية بنت حزن أم أبي سفيان بن حرب . انظر ابن سعد : الطبقات ، ج ٨ ، ص ٩٣ ،

٢٠٣ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٦٩ .

(٤) كانت ولاية عاصم لخراسان في عام ١١٦ هـ بعد وفاة الجنيد العامري . انظر الطبري : تاريخ الأمم

والملوك ، ج ٣ ، ص ٤٥ .

(٥) وإياهما عنى جرير مخاطباً الراعي النميري :

ففض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً .

انظر ديوان جرير ، ١٠٧ .

(٦) انظر يوم النفورات في ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ٣٩ ، وابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٦ ،

٩٢ .

(٧) جداهم الأحوص بن جعفر بن كلاب من سادة العدنانيين يضارع كليب بن وائل ووزارة بن عدس

التميمي في الشهرة وقيل : إنه كان على قيس في حرب عدنان مع القحطانية في يوم خزاز . انظر

ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٢٧١ ، ج ٦ ، ٩٨ .

أدرك الإسلام وأسلم ، ثم ارتد وعاد إلى الإسلام ، وولاه عمر حوران ^(١) ، ومالك الطيَّان ^(٢) الذي أعقب فرسان عامر المشاهير : أبو براء ملاعب الأسنة ^(٣) ، وعامر ابن الطفيل ، صاحب أيام بني عامر وغزواتها في الجاهلية ^(٤) ، وأخوته الحكم ، وحنظلة ، وقيس ^(٥) ، كما أنجب كلاب بن ربيعة بن عامر عروة الرِّحَال ^(٦) ، الذي أثار حرب الفجار بين قيس ، وكنانة ، وأنجب آل الصَّعْق ^(٧) ، المشهورين بالمشيخة والشعر ،

(١) علقمة بن عُلَثة بن عوف بن ربيعة بن الأحوص نافر عامر بن الطفيل عند هرم بن قطبة الديباني النعلفاني ، ومن مشاهير أعمامه عمرو ، وشريح قاتل لقبط بن زارة التميمي في يوم جيلة . انظر ابن الأثير : الكامل جـ ١ ، ص ١١٢ ، والكلبي : جمهرة النسب ، ص ٣١٤ .

(٢) أعقب مالك عدداً من الأبناء السادة الذين شهرُوا بألقابهم : ربيعة (ربيع المقترين) والد ليبد الشاعر ، وسُلَمي (نزال المضيق) وعبيدة (الوضاح) ومعاوية (معود الحكماء) . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٨٤ .

(٣) أبو براء عامر بن مالك الطيَّان بن جعفر سمَّاه أوس بن حجر التميمي ملاعب الأسنة عقب يوم النسار بين عامر وتميم ، ومن نسله قُطَيْفَة بنت بشر بن عامر أم بشر بن مروان انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٣١٨ ، وديوان أوس بن حجر ، ٤٧ .

(٤) فارس رهيب عقيم له وقائع كثيرة في الجاهلية مع غطفان ، وتميم ، وأسد ، وطى وغيرها أدرك الإسلام ولم يسلم بل أنه عائد الرسول ﷺ فدعا عليه الرسول فمات ، انظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٣ ، ١٧ ، وابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٣ ، ص ٣٧٣ ، وديوان عامر بن الطفيل .

(٥) وكلهم قادة فرسان وقد قُتل قيس في يوم الرِّقْم بين فزارة وبني عامر ، كما خنق الحكم نفسه في اليوم ذاته مخافة أن يمثل به ، وقد دارت الدائرة في الرِّقْم على بني عامر حتى أن عامر بن الطفيل خسر فرسه المزنوق ، والرقم ماء في جبل العلم (علم بني الصارد من مرة من ذبيان) بين المدينة وحائل ، ومن ولد حنظلة بن الطفيل ليلي بنت سهيل تزوجها عبد العزيز بن مروان . انظر ابن الأثير : الكامل جـ ١ ، ص ٧٧ ، الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٣١٤ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ٢٥٤ .

(٦) عروة بن عتبة أجار لطيفة ملك الحيرة فقتله البراء الكنتاني وبسببهما كانت حرب الفجار بين كنانة (قریش وزمرنها) وقيس عيلان . انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٩٧ .

(٧) الصعق هو خويلد بن نفيل سيد كان يطعم بمكاظ واحرقته صاعقة حين هبت ريح فلعلها وقيل : بل أن بني تميم ضربوه فصعق ، ومن ولده الشاعر يزيد بن عمرو الذي كان يهاجى التميميين ومن بني =

والذين كان منهم مسلم بن سعيد ، والي خراسان ليّزید بن عبد الملك ، الذي كان أبوه قبله واليا مقدماً فيها ، شأنه في ذلك شأن الجنيد بن عبد الرحمن الرّؤاسي الكلايبي المعداد هو وأخوته من الشرفاء الولاة في خراسان وسيأتي بيان ذلك في الفصل الخاص بالولاة .

أمّا كعب بن ربيعة بن عامر فمنهم : بنو قشير ، رهط مالك ذي الرقية ^(١) ، وهبيرة بن عامر ^(٢) ، ويزيد بن الطثرية الشاعر ^(٣) ، وتعد قشير من أشهر البطون العامرية التي كان لها أفراد في خراسان وتقلد الإمارة في المدن الخراسانية غير واحد منهم ، فمن بني سلمة الخير القشيريّين كان زرارّة بن عقبة بن عمرو والياً على خراسان وله عقب بـ « نيسابور » ، وقد تولّى ابن عمرو إمارتها أكثر من مرة ^(٤) ، وهو شريف رفيع الذكر ، ومثله كان أخوه زياد ، وابنه حميد بن عمرو ذوو الأفراس الشهيرة بخراسان ^(٥) ، وقد تقلد منصب الإمارة من بني قشير أيضاً عبد الرحمن بن عبد الله ابن هبيرة ، وابنه زياد ، وأخوه نعيم وكان لهم ولحيدة بن حيدة من بني معاوية ابن قشير عقب بخراسان ^(٦) .

الهذيل بن زفر قاتل يزيد بن المهلب . انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٦ ، ١٠٠ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٨٨ .

(١) مالك ذو الرقية من فرسان بني عامر في الجاهلية وهو الذي أسر حاجب بن زرارّة التميمي في يوم جبلة . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ص ٨٧ .

(٢) هبيرة بن عامر هو الذي أسر المتجرّدة امرأة النعمان بن المنذر وأطلقها ، ويروي أنّه نخس ناقة النبي ﷺ وقد تولّى ابنه قرّة بن هبيرة صدقات قومه ومن ولده الصمّة القشيري شاعر بدوي مقل في العصر الأموي . انظر الآمدي : المؤلف والمختلف ، ص ١٤٤ ، والكلبي : جمهرة النسب ، ٣٥١ .

(٣) شاعر أموي قتله بنو حنيفة في عام ١٢٦هـ ، انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٢٨٠ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ٢٣٨ .

(٥) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٤٤ .

(٦) ومن بني قشير في خراسان الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري صاحب الصحيح المنسوب إليه والمتوفى في عام ٢٦١هـ ، انظر ابن خلكان : وفیات الأعيان ج٢ ، ص ٩١ .

ومن بني كعب بن ربيعة أيضا بنو معاوية (الحريش) ، وجعدة ، وعُقيل وعبد الله ، وحبيب ^(١) ، فمن معاوية الحريش مروان بن شهاب فارس قيس بخراسان أيام العصبية ^(٢) ، وطفيل بن زرارة سيد بني عامر في عصر بني أمية ^(٣) ، وآل الشخير : مطرف بن عبد الله ، الفقيه الفاضل ^(٤) ، وعثمان بن مطرف ، صاحب الذكر الرفيع في خراسان ^(٥) ، وسعيد بن عمرو الذي ولي خراسان في عام ١٠٣ هـ ^(٦) .

ومن جعدة عبد الله بن الحشرج بن الأشهب ، الذي غلب على أرض فارس أيام خلافة عبد الله بن الزبير ، وكان قد ولي كوراً من خراسان ، وكرمان ^(٧) ، وزباد ابن الأشهب . صاحب الصلح بين علي ومعاوية ^(٨) ، والنابغة الجعدي ^(٩) ، وقيس ابن الملوح ^(١٠) .

ومن بني عُقيل بن عامر عمرو بن معاوية قائد الصوائف لبني أمية ، وقد ولاه

(١) انظر السويدي : سبائك الذهب ، ص ٤٨ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ص ٥٣٨ .

(٣) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٣٢٢ .

(٤) مطرف بن عبد الله الشخير ويكنى أبا عبد الله وكان أبوه وهو صحابي ينزل ماء يُقال له الشخير على ثلاثة أميال من البصرة . وقد مات الخليفة عمر ومطرف ابن عشرين سنة ، انظر ابن حجر : الإصابة ج ٦ ، ص ٣٠٩ .

(٥) انظر عن نسبه وشئ من اخباره في جمهرة النسب للكلبي ص ٣٥٧ .

(٦) تولى سعيد الإمارة في عام ١٠٣ هـ وعزل في عام ١٠٤ هـ وقد اشتهر أيام ولاية الجراح بن عبد الله الحكمي سنة ٩٩ هـ . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ، ص ١٠ .

(٧) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ٢١٥ .

(٨) انظر المنقري : وقعة صفين ص ٢٠١ .

(٩) شاعر جاهلي أدرك صدر الإسلام وعصر بني أمية ومات وهو ابن ١٢٠ سنة باصبهان . انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١٨١ .

(١٠) المشهور بمجنون ليلي في عصر بني أمية . انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٣٨٠ .

معاوية أرمينية ، واذريجان ثم ولاء الأهواز ^(١) ، وأدركت ابنه زياد العصبية القيسية فقتل في مرج راهط ^(٢) ، ويعد آل المنتفق الذين منهم عمرو هذا وابنه زياد من أشهر البطون العامرية ، وكانت لهم حوادث شهدتها أرض نجد في الجاهلية ، وأرض نجد والعراق وخراسان في الإسلام ، وعرف بنو خفاجة منهم بالشعر والأدب ^(٣) .

ويلتقي مع بني عامر في سلسلة النسب العامري سعد ، ومنبه ، فبنو سعد هم أظفار النبي ﷺ ، منهم حليلة مرضعته عليه السلام ^(٤) ، وبنو منبه هم : ثقيف ، أهل الطائف ^(٥) ، منهم : الحارث بن كلدة ^(٦) ، وأمّية بن أبي الصلت ^(٧) ، والحجاج ابن يوسف ^(٨) ، وأبو عبيد صاحب الجسر ^(٩) ، وابنه المختار ^(١٠) ، وأبو

(١) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٣٣٠ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ٥٣٧ .

(٣) ومن هؤلاء توبة بن الحمير وصاحبته ليلي الأخيالية الخفاجية العامرية ، وهما من الشعراء العشاق في عصر بني أمية . انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٦ .

(٤) أظفار النبي عليه السلام هم الذين عندهم استرضع ، وزوج مرضعته حليلة هو : الحارث بن عبد العزى من بني سعد أيضاً وينتمي إليهم الحارث بن يعمر زوج صفية بنت العباس ومنازلهم في وادي السيل بقرب الطائف . انظر ابن هشام : السيرة ، ص ٢٧ ، والكلبي : جمهرة النسب ، ص ٣١٢ .

(٥) وقيل أن ثقيفاً من أياد ، وقيل : بل هي من بقايا ثمود . انظر ابن عبد البر : الأنباة على قبائل الرواة ، ص ٣٧ .

(٦) هو طبيب العرب في عصره ومن الحكماء المشهورين واختلف في إسلامه . انظر الآمدي : المؤلف والمختلف ، ص ١٧٢ .

(٧) من شعراء العرب يتضمن شعره بعض الإشارات إلى ماورد في التوراة والإنجيل ولذا حاول بعض المضلين من المستشرقين مثل كليمان هوار أن يعقدوا صلة بين القرآن الكريم وشعره .

(٨) أحد الولاة القضاة في عصر بني أمية ولي العراق لعبد الملك وابنه الوليد توفي عام ٩٥ هـ . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك : ج ٨ ، ص ٩٦ .

(٩) معركة الجسر دارت في زمن الخليفة عمر بين المسلمين والفرس وفيها قتل أبو عبيد الثقفي . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢٩٧ .

(١٠) نائر خرج بالعراق مطالباً بدم الحسين في بداية امره وداعياً لمحمد بن الحنفية واشتد في ذلك حتى ==

محجن^(١) . وفيما عدا سعد ومنبه هناك : مازن ، وسليم ، أخوة هوازن ، وسليم أكثر بطونا وأشهر ، ومنازلهم بالقرب من المدينة ، في الحرة المنسوبة إليهم ، ولهم أخبار في الجاهلية والإسلام ارتبط ذكرها بذكر عدد من مشاهير فرسانهم وشعرائهم كالعباس بن مرداس^(٢) ، أحد المؤلفين قلوبهم في الإسلام ، وخفاف بن ندبة^(٣) ، والشاعرة الخنساء التي أدركت الإسلام وأسلمت^(٤) ، وقد نزل قوم منهم في الجزيرة الفراتية بعد الفتوح ، ودارت بينهم وبين قبيلة تغلب معارك قادها الجحاف بن حكيم السلمي^(٥) ، وبرز في سليم قواد وولاة كمجاشع بن مسعود ، أمير البصرة ، وفاتح كرمان^(٦) ،

قبل أنه ادعى النبوة ، قتله مصعب بن الزبير عام ٦٧ هـ . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٧ ، ص ١٣٣ .

(١) أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير من فرسان القادسية ، حُد في الخمر ومات في أرمينية عام ٣٠ هـ . انظر الآمدي : المؤلف والمختلف ، ص ٩٥ ، وابن الأثير : الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣١٥ .
(٢) هو القاتل مخاطبا الرسول ﷺ :

اجعل نهبي ونهب العبيد بين عينة والأقصر

يقصد عينة بن حصن الفزاري ، والأقصر بن حابس التميمي ، أما العبيد فهو حصانه ، وهو بدوي قح ، مات في خلافة عمر . انظر ابن سعد : الطبقات ، جـ ٤ ، ص ١٥ .

(٣) خفاف بن ندبة من فرسان العرب المعدودين ادرك الإسلام وحسن إسلامه . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٣٩٥ .

(٤) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، قُتل أخوها صخر ومعاوية في الجاهلية فرثتهما بمرائي بليغة ووفدت على الرسول ﷺ ، فكان يستنشداه . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٦١ .

(٥) دارت هذه المعارك في أرض الجزيرة في عهد عبد الملك ، وقد لحق الجحاف بعدها بأرض الروم ثم استأن ورجع . انظر ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ، ص ٨ ، ص ١١ ، وديوان الأخطل .

(٦) صحابي مهاجر استخلف على البصرة في خلافة عمر وعلى كرمان في خلافة عثمان ، ومات قبيل موقعة الجمل . انظر ابن حجر : الإصابة ، جـ ٦ ، ص ٤٢ ، والطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٣ ، ص ٥١٦ .

وقيس بن الهيثم^(١) القائم بدعوة ابن الزبير ، وأبو الأعور السلمي أحد القادة المقربين من معاوية ، وصاحب خيله يوم صفين^(٢) ، أما في خراسان فقد كان للسلميين أثر واضح في الحياة السياسية والاجتماعية وقد تمثل ذلك في تولي عدد منهم الإمارة ، ولفترات طويلة ، وبما أحدثته تصرفات بعضهم من إنشقاق في صفوف القبائل العربية هناك ، وكان عبد الله بن خازم السلمي ، وهو صحابي ، من بني عوف بن امرئ القيس بن بهثة من أوائل من تقلد الإمارة في خراسان من بني قومه وذلك حين أقره عليها عبد الله بن عامر في عام ٣٣ هـ ، وقد انقطع عن الإمارة ثم عاد إليها حتى قتل في عام ٧٢ هـ^(٣) ، وظهر من بعده أشرس بن عبد الله^(٤) السلمي من بني ظفر ابن الحارث بن بهثة الذي تأمر في خراسان في عام ١١٠ هـ^(٥) ، ثم أنه كان لبني نسيه بن عوف بن امرئ القيس ظهور بين في الحياة السياسية الخراسانية ، وأبرزهم في ذلك مزيد وقريش ابنا شقيق السلمي ومنصور بن عمرو بن أبي الخرقاء^(٦) .

وإذا كانت المصادر تشير إلى أن بني محارب^(٧) من أهل العالية فإن هؤلاء القوم

(١) هو قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن حبيب من أعيان البصرة وبها توفي ، وعرف في بني سليم أيضا قيس بن نسيه الذي روي أن النبي ﷺ كان يسميه حبر بني سليم . انظر ابن حجر : الإصابة جـ ٧ ، ص ٢١٤ . وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٦١ .

(٢) هو عمرو بن سفيان من بني ثعلبة بن بهثة بن سليم . انظر المنقري : وقعة صفين ، ص ٢٠١ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٦٤ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ١٩٦ .

(٤) هو أشرس بن عبد الله من بني ظفر بن الحارث بن بهثة بن سليم . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٤٠٥ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٠٠ .

(٦) انظر الطبري : الكامل في التاريخ جـ ٣ ، ص ٢٤٧ ، والكلبي : جمهرة النسب ، ص ٤٠١ .

(٧) هم : بنو محارب بن خصيفة بن قيس عيلان منهم عاتذ بن سعيد وافدهم على النبي ﷺ ، والمؤمل ابن أميل شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وكانت غزوة ذات الرقاع على بني محارب هؤلاء ، وبعد الفتوح كان لهم منازل بالكوفة . انظر ابن الأثير : الكامل جـ ٢ ، ص ١١٩ ، والكلبي : جمهرة النسب ، ص ٤٠٨ .

يشاركون هوازن في الانتساب إلى قيس عيلان ، ومثلهم في ذلك غني ، وباهلة ، وعدوان^(١) ، وغطفان ، والثلاث الأولى من هذه القبائل صغيرة بالنسبة لغطفان ، وكانت غني وهي عمرو بن أعصر بن قيس عيلان قد اضطرت غطفان للهجرة من أرض الحجاز بعد حرب جرت بينهما ، ومن غني هذه عرف قيس الغنوي^(٢) ، والطفيل صاحب الخيل الجاهلية الشهيرة^(٣) ، وفي الإسلام كان مرثد بن أبي مرثد الغنوي^(٤) من المهاجرين الأولين ، أما في عصر بني أمية فقد انصهرت غني في اتون العصبيات الكبيرة ، في الوقت الذي ظل فيه اسم باهلة على قلة عددها معروفا بين القبائل^(٥) القيسية ، بل وبدأ واضحاً ومقترناً بأخبار وآثار قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان

وقد تميزت غطفان عن هذه القبائل الثلاث بكثرة البطون بل إن من بطونها من أصبح في عداد القبائل الكبيرة العدد الجهيرة الصوت^(٦) ، وقد حلت غطفان فيما

(١) تجتمع غني وباهلة في الانتساب إلى أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، أما عدوان فهو عمرو بن قيس عيلان ، ومن عدوان أبو سيارة الذي كان يدفع بالناس في المواسم ، وعامر بن الطرب العدواني ، وذو الأصبع الشاعر ويحيى بن يعمر القاضي بخراسان . انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٤٤ .

(٢) وهو زعيم كبير ألجسه أحد الملوك تاجاً فاعترضته طيء في جبل رمان فقتلته وفي ذلك قيل :

ومن قيس الثاوي برمان بيته ويوم حقل فاد آخر معجب

وهو من بني طريف بن غني . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٤٧ .

(٣) هو طفيل بن كعب الغنوي المعروف بطفيل الخيل ، شاعر ، مخبر من وصاف الخيل اشتهر بوقائعه مع قبيلة طيء القحطانية . انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٥٨١ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ج ٢ ، ص ٨٢ ، ١١٥ .

(٥) تقدم التعريف بباهلة وأنها منسوبون إلى بني أعصر بن قيس عيلان غير أنهم عرفوا باسم أمهم باهلة

بنت صعب بن سعد العشيرة من مذحج من قحطان . انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٧٠ .

(٦) عرف في غطفان بنو عبد الله وهم اخوال الشاعر زهير بن أبي سلمى وكان يقيم معهم في أرض الحاجر بين سميراء ، والرّقم ، وهذه أمكنة من منازل طريق الحج من الكوفة إلى مكة ، كما عرف

فيهم بنو أشجع بالإضافة إلى القبيلتين الشهيدين عيس وذيان . انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص

٣٨٨ ، وياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

بين أرض نجد والحجاز ، في أمكنة خصبة ، رجة ، وتوزعت قبائلها ضفاف وادي الرمة الشهير بين المدينة وجبل طى (أجأ وسلمى) وحول وادي القرى ، والحرار^(١) المعروفة في أرض خيبر ، وتيماء ، وفدك .

ودخلت غطفان في حلف مع بني أسد المضربة العدنانية ، وعُرف هذان القبيلان باسم الحليفين في الجاهلية ثم دخلت معهما طى اليمانية فعرفت هذه القبائل مجتمعة باسم الأحلاف . وقد اصطدمت غطفان بغيرها من القبائل العربية وجرى لها في بلادها عدد من الأيام ، كيوم الرّقم ، ويوم طوالة^(٢) ، لكن أشهر ما عرفت به من الأيام هو ماجرى بين قبائلها من حوادث مرة في الحرب الدائرة بين عيس وذبيان ابني غطفان والمعروفة باسم داحس والغبراء^(٣) .

وقد لمع اسم زهير بن جذيمة العبسي قائداً وزعيماً غطفانياً كبيراً حتى صرّع على يد خالد بن جعفر بن كلاب العامري^(٤) ، وقد صرّع خالد أيضاً وهو في ضيافة المناذرة على يد الحارث بن ظالم المري ، الفاتك الرهيب مما أدى إلى أيام جاهلية

(١) مثل حرة خيبر وحرة فدك ، وحرة النار ، وحرة ضرغد ، وحرة اثنان وهي أراض بركانية ذات حجارة سوداء وتعرف الحرة باسم اللابة قال النابغة :

لو عاينتك كمانتا بطوالة بالحرورية أو بلاية ضرغد

انظر البكري : معجم ما استعجم ، ص ١٤٢ ، وديوان النابغة الذبياني ، ٩٨ .

(٢) تقدم الحديث عن يوم الرّقم ، أما يوم طوالة فهو موضع في جبل « العلم » المشار إليه ، قال النابغة :

يا عام لم أعرفك تنكر سنة بعد الذين تتابعوا بالمرصد

لو عاينتك كمانتا بطوالة بالحرورية أو بلاية ضرغد

انظر الفلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٤٥٠ ، وديوان النابغة ، ٤٧ .

(٣) جرت هذه الحرب بسبب سباق جرى بين قيس بن زهير العبسي وحذيفة بن بدر الفزاري الذبياني ،

وداحس والغبراء افراس لقيس بن زهير . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ٩٠ .

(٤) انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٢٧ .

متتالية من معارك العرب ^(١) ، وبرز في حوادث الغطفانيين وأخبارهم عدد من المشاهير :
 كآل بدر الفزاريين الذين ^(٢) ، وعنترة بن شداد ^(٣) ، وخالد بن سنان العبسي ،
 الذي تزعم العرب أنه كان نبياً ^(٤) ، والربيع بن زياد ^(٥) ، والناطقة الذبياني ^(٦) .

وقد انضمت غطفان إلى الأحزاب في موقعة الخندق ، وكان أحد ساداتها وهو :
 عيينة ابن حصن الفزاري من المؤلفة قلوبهم ، ثم أنه ارتد بعد وفاة النبي ﷺ ^(٧) مع
 طليحة الأسدي المتنبئ لكنه عاد إلى الإسلام ، ومن عقبه برز سعيد بن زيان بن عيينة
 القائم بحرب فزارة وكتب في عهد بني أمية وقد قتله عبد الملك بن مروان صبرا .

(١) قتل الحارث بن ظالم خالداً عند الأسود بن المنذر فجهزت بنو عامر جيشاً بمساندة المناذرة هزمت فيه
 بني تميم الذين اجاروا الحارث في يوم رحرحان ثم شعب جيلة وأخيراً انتصرت تميم على بني عامر
 في يوم ذي نجب . انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٣ ، ص ٢ .
 (٢) ومنهم حذيفة بن بدر وأخوه حمل ، وحصن بن حذيفة وابنه عيينة . ويضرب بحذيفة المثل في
 سرعة السير وكان يقال له : ربّ معدّ قال الشاعر :

هممنا بالإقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر

انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ١ ، ص ٨٩ ، ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٥٥٣ .

(٣) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٥٥٣ .

(٤) يروي أن خالداً العبسي أطفأ نار الحرة بعد أن افتتن بها العرب وكادوا يدينون بالجوسية ويضعون أيضاً
 أنه نبي وقال المتكلمون في ذلك إن خالداً ماهو إلا اعرابي ويري من أهل شرج وناظرة . انظر ابن
 الأثير : الكامل جـ ١ ، ص ٢١٩ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ، ص ٢١٩ وأشار المسعودي إلى
 حديث عن النبي ﷺ ورد فيه قوله ذاك نبي اضاعه قومه وقال المسعودي أن ذلك من الإسرائيليات
 انظر المسعودي : مروج الذهب جـ ٢ ، ص ٢٢٦ .

(٥) من مشاهير الجاهلية كان يلقب بريعة الحفاظ وبدالق وأخوته هم عمارة الوهاب ، وأنس الفوارس .
 انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٥٣٣ .

(٦) واسم الناطقة زياد بن معاوية وهو من شعراء المعلقات . انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٨٧ .

(٧) وقد سماه الرسول ﷺ الأحمق المطاع ، وله أخبار مع عمر بن الخطاب ، انظر ابن الأثير : الكامل
 جـ ١ ، ص ٤١٢ ، جـ ٢ ، ص ١٨٤ ، ٢٣٥ .

وأشتهر آل خارجة في بني مرة بن عوف بن ذبيان ^(١) ، ومن هؤلاء : الجنيد ابن عبد الرحمن الذي تولى خراسان في عهد هشام بن عبد الملك في عام ١١١ هـ بعد عزل أشرس بن عبد الله السلمي والي وفاته في عام ١١٦ هـ حيث تولى الإمارة من بعده ذبياني آخر هو : عمارة بن خزيم ^(٢) ، ومن بني مرة مسلم بن عقبة ، صاحب يوم الحرّة ، الوقعة الشهيرة في المدينة المنورة ^(٣) ، وأرطاة بن سهيّة ، وعقيل ابن علفّة ^(٤) ، وابن ميادة ^(٥) ، وسمرة بن جندب ^(٦) الذي تولى البصرة لزياد ابن أبيه ، وقد تولى البصرة غطفاني آخر ذلك هو عدي بن أرطاة الفزاري ^(٧) وبعدها كان عمر بن هبيرة الفزاري والياً ليزيد بن عبد الملك على العراق ^(٨) ، وفي ولاية هذا

(١) ومنهم في الجاهلية الحارث بن عوف الذي شارك هرم بن سنان المري في اصلاح ذات البين بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء ، انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٩٥ وديوان زهير بن أبي سلمى ، ٧٨ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٢١٩ .

(٣) هو مسلم بن عقبة بن رباح المري نكل باهل المدينة عام ٦٣ هـ وقد كان على رأس جيش سيره يزيد ابن معاوية إليها وكان في طلعة من تصدوا له معقل بن سنان ، أشجعي غطفاني أما هو فقد هلك في نفس العام حين تحول من المدينة إلى مكة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ، ص ١٤ .

(٤) أرطاة ، وعقيل من شعراء الدولة الأموية ، والأخير منهما مشهور بالجلالة والهوج وهو القائل لمعاوية حين خطب منه جنبي هجاءك ، وقد تزوج يزيد بن عبد الملك ابنته ، انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١٠٨ ، الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٣١١ .

(٥) هو الرماح بن ميادة شاعر أموي جده الأعلى سلمى بن ظالم أخو الحارث بن ظالم ، انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ١١ ، ١٩٨ ، وابن حزم : جمهرة النسب ، ص ٢٥٤ .

(٦) هو سمرة بن جندب بن هلال بن حديج بن مرة ، استعمله زياد على البصرة وقد روى أنه كان شديد القسوة ، انظر ابن الأثير ، ج ٣ ، ص ٣٤ .

(٧) ينتمي عدي إلى بني خزامة بن لوزان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة انظر ابن الأثير : الكامل ج ٣ ، ص ٢٣٨ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٥٦ .

(٨) كما ولي ابنه يزيد بن عمر بن هبيرة العراق لمروان بن محمد ، وكان عمر داهية شجاعا هجاء الفرزدق وهو أمير ومدحه حين ادخل السجن انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٢١٩ ، وابن

الأخير عاد إلى الكوفة عطية بن سعد بن جنادة الفزاري^(١) من خراسان بعد أن كان ثائراً لاجئاً فيها ، وقيل : أن تشيعه قد اضطره إلى النزوح إلى خراسان وكان غالباً فيه قريباً في ذلك من الكميت^(٢) الأسدي ، غير أن الكميت كان شاعراً بينما يعد هو من رجال الحديث ، وقد شهر الكميت بتشيعه ، وبمدايحه لآل البيت ، كما عُرف عنه التطرف في التعصب للعدنانية في عصر بني أمية^(٣) ، وكان قومه معدودين في أهل العالية في البصرة وخراسان ، أمّا في جاهليتهم فقد كانوا يحلون في جبلي أجأ وسلمى إلى أن نزلت عليهم طيئ اليمانية فحالفتهم^(٤) ، وفي أرض عالية نجد كانت تقطن بعض فروعهم^(٥) ، وعلى امتداد ما عرف في العصر الإسلامي بطريق الحج من الكوفة إلى مكة كانت بطون أسدية تقيم مجاورة في ذلك تميماً في أرض الدهناء ، وغطفان إلى الجنوب من أرض الجبلين .

وقد بطشت أسد في جاهليتها بالملك حجر ، والد امرئ القيس ، الشاعر ، وجرى لها في ذلك أحداث كثيرة^(٦) ، وعُرف في بطونها عدد من مشاهير الجاهلية : كعبيد

حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٥٥ ، وديوان الفرزدق .

(١) هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي الكوفي من شعبة أهل الكوفة خرج مع ابن الأشعث .

انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ١١٩ .

(٢) نبغ في بني أسد ثلاثة شعراء يُعرف كل واحد منهم باسم الكميت غير أن الأصغر منهم هو المقصود

هنا وهو صاحب الهاشميات . انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ٢٠٣ .

(٣) هو الكميت بن زيد الأسدي المتوفى في عام ٢٦ هـ والمعروف بخطيب بني أسد ، روي أنه كان

فارساً شجاعاً وفقيراً متشيعاً عالماً بأداب العرب ولغاتها وأخبارها انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص

٢٠٣ ، وابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٢٤٠ .

(٤) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٢٢٢ .

(٥) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٧١ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .

ابن الأبرص الشاعر ^(١) ، وربيعه بن حذار ^(٢) ، وبشر بن أبي خازم ^(٣) ، وبعد وفاة الرسول ﷺ ارتد كثير من الأسديين والغطفانيين واجتمعوا فيما بين جبلي أجأ وسلمى على طليحة بن خويلد الأسدي الذي ادعى النبوة ^(٤) ثم فر إلى الشام بعد أن هزمته حملة خالد بن الوليد في موقعة بزاخة ^(٥) بالقرب من جبل أجأ ، ثم عاد مسلماً صادق الإيمان ، جاهد في القادسية ، واستشهد في « نهاوند » ^(٦) .

(١) وهو من شعراء المعلقات الجاهليين . انظر الشنقيطي : المعلقات العشر ، ص ٣٨ .
 (٢) من حكماء العرب في الجاهلية يذكره أهل الأخبار بأنه عراف نجد ، وبأنه شاعر فارس جرّار قال فيه الأعشى :

وإذا طلبت المجد أين محله فاعمد لبيت ربيعة بن حذار

انظر ابن سميّد : نشوة الطرب ، ص ٤٢٨ .

(٣) هو بشر بن أبي خازم من بني قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد شاعر فحل من أصحاب المجمرات وفارس جاهلي شجاع . انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٩٩ ، والشنقيطي : المعلقات العشر ، ص ٥٩ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ و ص ١٤ .

(٥) تقع بزاخة في شرقي جبل أجأ بحائل ، انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٠٢ .

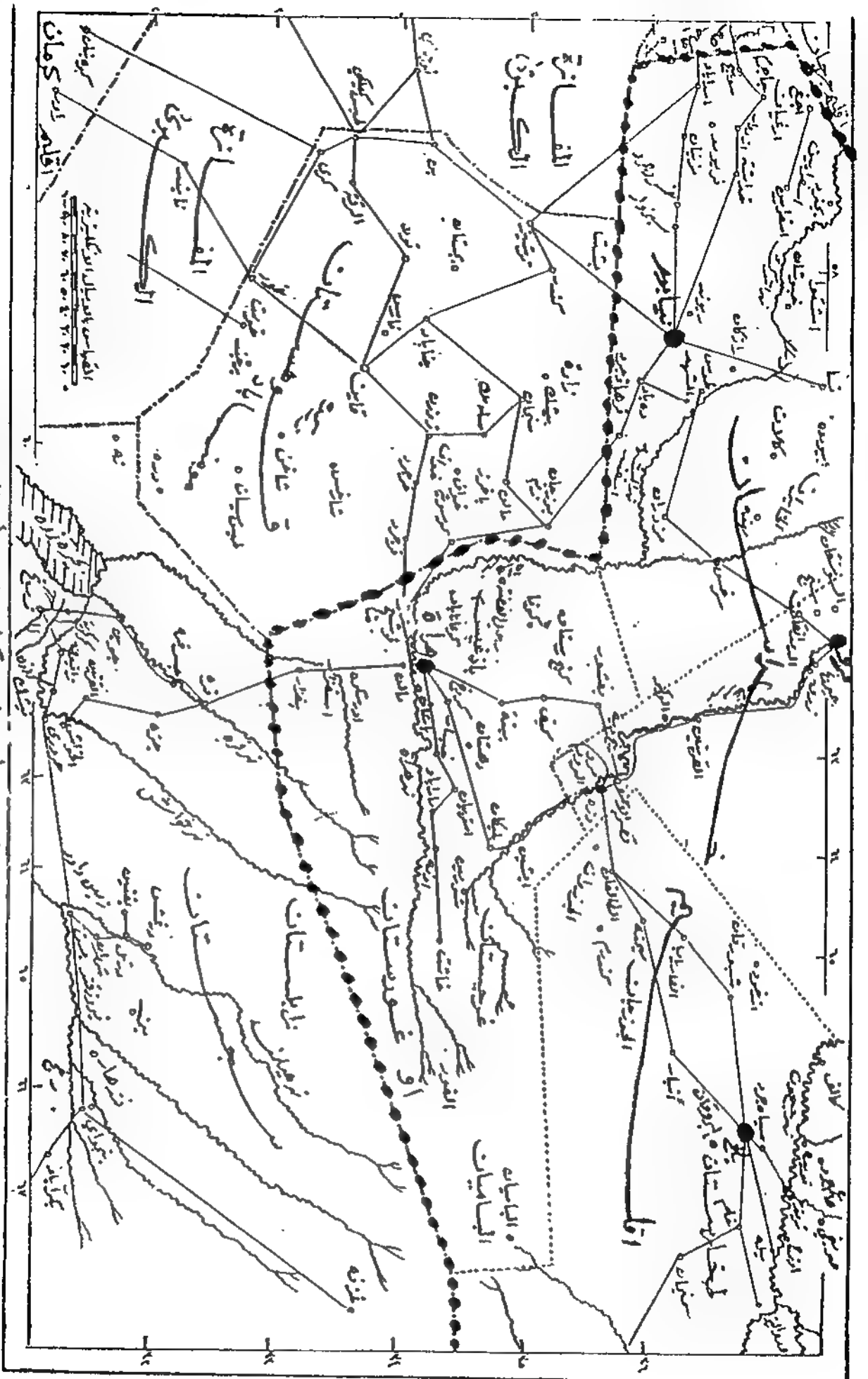
(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ١٨٩ ، ص ٢١١ .

الفصل الثاني

سياسة بني أمية في توطين القبائل العربية

في خراسان وبلاد ماوراء النهر

- ١ - نظام ولاية خراسان وبلاد ماوراء النهر في العصر الأموي .
- ٢ - لماذا لم يقدم الأمويون على إنشاء مدن إسلامية خاصة بالعرب ؟
- ٣ - توطين العرب وأثره على السياسة الأموية .
- ٤ - أهم مواطن استقرار القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر .



ارباع خراسان و اطم موطا: استقرار البقال المریه
 قفلا عن تاج بلدان الخلفه المرقیه لکی لمری

١- نظام ولاية خراسان وبلاد ماوراء النهر في عصر بني أمية .

نظام الولاية زمن الخلفاء الراشدين بعد الفتح

بدأت فتوح خراسان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، غير أن المسلمين لم يستطيعوا تثبيت أقدامهم هناك إلا في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه إثر حملات متتالية كان عبد الله بن عامر^(١) والي البصرة يبعثها مستعيناً في تسييرها بعدد من رؤساء القبائل أمثال : الأخنف بن قيس التميمي ، وقيس بن الهيثم السلمي ، وعبد الله بن خازم السلمي^(٢) .

وكلمًا أحرز الفاتحون تقدماً في أي صقع من أصقاع خراسان يعودون بعد أن يتركوا حامية وراءهم .

ونتيجة للدور الذي قامت به قبائل البصرة في فتح خراسان فقد ظلت البلاد الخراسانية - ولفترة طويلة - وكأنها ولاية بصرية ، فكان عبد الله بن عامر ، والي البصرة زمن عثمان ، يولي على خراسان من يراه ، مع تبعية الوالي الخراساني لحاكم البصرة^(٣) .

وفي عهد علي بن أبي طالب تولى هو - رضي الله عنه - مهمة تعيين الأمير في خراسان فأرسل عون بن جعدة المخزومي ، ثم خليلد بن قرّة اليربوعي التميمي^(٤) .

(١) هو عبد الله بن عامر بن كُرَيْز بن ربيعة القرشي ابن خال عثمان رضي الله عنه . ولد بمكة عام ٤ للهجرة ، أعاد فتح سجستان في عهد عثمان ، وولي البصرة له سنة ٢٩ هـ ، وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين ، كان شجاعاً سخياً محباً للعمران ، توفي بمكة عام ٥٩ هـ ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢٠٦ ، ابن حجر : الإصابة ، ج ٥ ، ١١٧ .

(٢) انظر عن هذه الفتوحات الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ٢٣٢ .

(٣) انظر ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ١٦٦ .

(٤) اسهم خليلد في استتباب الأمور في خراسان بعد وفاة عثمان رضي الله عنه ، فصالح أهل نيسابور ، =

وإثناء موقعة صفين كان خالد بن المعمر السدوسي البكري^(١) يقاتل إلى جانب علي فلما انهزم بالناس قيل : إن معاوية قد دس إليه من يطمعه في إمارة خراسان^(٢) .

وقد فتّ انهزم خالد بن المعمر في عضد علي خاصة أن ربيعة تعتبر دعامة كبرى في جيشه^(٣) ، على أن المصادر التاريخية كالطبري وابن الأثير لم تشر إلى أن ابن المعمر قد تولى إمرة خراسان بعد أن آلت الأمور إلى معاوية ، وأصبحت مقاليد الخلافة في يده ، ثم أنه لم ينتقل عن ابن المعمر أنه طالب معاوية بإمارة خراسان جزاءً لفعلته في صفين ، وكل ما ذكر في ذلك هو ما روي أن بعض البكرين قال :-

معاوي أكرم خالد بن معمر فإنك لولا خالد لم تؤمر^(٤)

ولعلّ البلاذري هو الذي انفرد برواية مفادها أن معاوية ولي ابن المعمر خراسان ،

بعد أن حاصرها ، وتوجه إلى « مرو » فطلب أهلها المصالحة أيضاً ، وقد جعله علي رضي الله عنه على خراسان كلها ، في سنة ٣٨ هـ ، وورد أن اسمه خليل بن طريف بن قرّة اليربوعي الحنظلي التميمي ، وجهه علي إلى خراسان بعد أن رد أهلها عون بن جمدة المخزومي القرشي ، انظر ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ١٩٩ ، وابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ١٤٠ ، ١٨٨ .

(١) هو خالد بن المعمر بن سليمان السدوسي الذهلي البكري الوائلي من الرؤساء البارزين في صدر الإسلام ، أدرك عصر النبوة وكان مع علي في الجمل وصفين ، وولاه معاوية إمرة « أرمينية » فمات في طريقة إليها عام ٥٠ للهجرة . انظر ابن حجر : الإصابة ج ١ ، ٤٦١ .

(٢) هبّ ابن المعمر لتلبية نداء علي بن أبي طالب في البصرة وطمع في أن تسند إليه راية بكر في صفين لكن الراية كانت لشقيق بن ثور البكري ، وقد اخلص الزعماء البكريون لعلي ماعدا الذين رأوا رأي الخوارج منهم كابن الكوّاء والمترددون كمالك بن مسمع ، انظر المنقري : وقعة صفين ، ١٣١ .

(٣) وكان علي ربيعة كلها في وقعة صفين الحُضين بن المنذر الرقاشي وهو من المخلصين لعلي المتحمسين لنصرته الرافضين لقيام دولة بني أمية حتى والدلائل تشير إلى قرب ظهور معاوية وقد استقر الحُضين في خراسان في عهد الدولة الأموية . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٦٤ ، ١٥٦ ، ح ٤ ، ٩٦ ، ١٤١ ، المنقري : وقعة صفين ، ٥٥٥ .

(٤) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣١٠ .

وأنه مات في طريقه إليها بتدبير من معاوية ^(١) ، وما أشار إليه البلاذري يخالف ما ذكره ابن حجر من أن معاوية أسند إلى ابن المعمّر ولاية أرمينية لا خراسان ^(٢) .

والذي يلاحظ هو أن قصة ابن المعمّر مع معاوية قد جرت في أوائل أيام صفين في وقت كان معاوية يطالب فيه بالقصاص من قتله عثمان ولا يطالب بالخلافة وهذا مما يرجح أن القصة مختلقة ^(٣) .

(١) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٩ .

(٢) انظر ابن حجر : الإصابة ، ج ١ ، ٤٦١ .

(٣) وهناك تهمة أخرى وجهت إلى ابن المعمّر وهي أنه غدر بالحسن وبائع لمعاوية . انظر التفاصيل في المنقري : وقعة صفين ، ٤٤٦ ، ابن العربي : العواصم من القواصم ، ١٧٦ ، ابن دريد : الاشتقاق ،

نظام الولاية زمن الأسرة السفينانية ٤٠ - ٦٤ هـ :

أولّ والٍ لخراسان في عهد بني أمية هو قيس بن الهيثم من قبيلة سليم القيسية ، المضريّة ، العدنانية ^(١) ، وقد ولّاه معاوية إمرة خراسان ، ثم كلّفه بأن يكون تابعا لإمارة البصرة ، ومرتبّطاً بواليتها عبد الله بن عامر الذي عينه معاوية والياً عليها من جديد ^(٢) .

وفي بعض المصادر كالطبري ، وابن الأثير : أنّ معاوية ولى ابن عامر البصرة ، وجعل إليه خراسان ، وأنّ هذا الأخير هو الذي اختار ابن الهيثم في وقت انتقض فيه أهل « بادغيس » و « هراة » و « بوشنج » في خراسان ونكثوا فجاءهم ابن الهيثم وأعادهم إلى سابق عهدهم ، وكان ذلك في عام ٤١ هـ ^(٣) .

أما في عام ٤٣ هـ فإن ابن عامر نقم على ابن الهيثم فعزله ^(٤) وولى مكانه رجلاً من بني بكر بن وائل ^(٥) ، ثم عدل عن ذلك وولى أسلم بن زرعة الكلابي

(١) من بني عوف بن امرئ القيس بن بهثة من الخطباء الشجعان ، انضم إلى ابن الزبير ، وتوفى في عام

٨٥ هـ انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٦١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ٢١٨ .

(٢) ولى معاوية بسر بن أبي ارطاة على البصرة ثم اراد أن يولي عتبة بن أبي سفيان وأخيراً استقر

رأيه على عبد الله بن عامر . انظر ابن الأثير : الكامل ،

ج٣ ، ص ٢٠٨ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ص ١٠ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ٢٠٨ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ٢١٨ .

(٥) هو : عبد الله بن أبي شيخ البكري من بني يشكر ، وسبب ذلك أنّ ابن الكوّاء اليشكري ذمّ ابن عامر

في مجلس معاوية بحضور وفد من البصرة ، وكان ابن الكوّاء في وفد من الكوفة فغضب ابن عامر

لذلك حين علم وسأل عن أشد الناس عداوة لابن الكوّاء ف قيل : إنه عبد الله بن أبي شيخ فولاه

خراسان مكيدة لابن عمه فقال ابن الكوّاء في ذلك أظنّ ابن دجاجة أنّ ولاية عبد الله لخراسان

تسوءني ؟ لوددت أنه لم يبق يشكري إلا عاداني وأنه ولاه . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ،

٢١٩ .

العامري^(١) ، وأخيراً استقر رأيه على عبد الله بن خازم السلمي .

وحين أقبل قيس بن الهيثم من خراسان خوفاً من ابن عمه ابن خازم وشغبه حبسه ابن عامر وعذبه لتضييعه الثغر ، وتركه أرض خراسان قبل أن يأتيه أمر العزل ، وتعيين الوالي الجديد^(٢) .

ومع المآخذ التي أخذها ابن عامر على قيس بن الهيثم فإن عبد الله بن خازم من جانب آخر ظلت نفسه تنازعه على إمارة خراسان بل أنه أبدى طموحاً شديداً في الوصول إليها حين قال لابن عامر : أن قيساً ضعيف وأخشى أن يهزم فتفضح أخوالك قيس عيلان ، وقد أراد من ذلك أن يسند إليه ابن عامر ولاية خراسان ، ثم هو قد أشار على ابن عامر أن يكتب له عهداً يقوم بموجبه مقام قيس بن الهيثم في حالة إنهزامه^(٣) ، وقد ساءت تصرفات ابن خازم ابن الهيثم مما اضطره إلى أن يشتكيه إلى معاوية^(٤) .

وفي ضوء ماتقدم فإن خراسان وواليها مرتبطان بولاية والي البصرة في العزل والتعيين والخراج ، وإن كان الأمر يتعدى البصرة أحياناً إلى الخليفة في دمشق عاصمة الدولة ، كما في شكوى قيس بن الهيثم لابن خازم التي تحمل التذمر ضمناً من

(١) هو : أسلم بن زرعة بن علس بن عمرو بن الصعق ، جده علس أخو الشاعر الجاهلي يزيد بن عمرو الصعق الجد الأعلى لزفر بن الحارث والد الهذيل بن زفر وأخوته المشاهير في عصر بني أمية . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٨٧ ، الكلبي : جمهرة النسب ج٢ ، ٣٢٢ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ٢١٨ .

(٣) قال ابن خازم لابن عامر : اكتب لي عهداً ان انصرف قيس بن الهيثم من عدو قمت أنا مقامه ، فلما جاش جماعة من طخارستان شاو قيس بن الهيثم عبد الله بن خازم فاشار عليه أن ينصرف فلماً انصرف اخرج العهد ولقى العدو وهزمهم . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ٢١٨ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ٢١٩ .

تصرف والي البصرة نفسه ^(١) ، غير أن ارتباط خراسان بالبصرة زاد قوة في عام ٤٥ هـ حين عزل معاوية عبد الله بن عامر عنها وعين زياد بن أبيه ^(٢) والياً عليها وضم إليه خراسان وسجستان .

وقد تصرف زياد في ولاية خراسان على نحو لم يعهده الولاة من قبل بحيث أسند إمارتها إلى أشخاص يمثلون : ربيعة ، ومضر ، والأزد ، واختار من ربيعة : أمير بن أحمر اليشكري ^(٣) ، وخليد بن عبد الله الحنفي ^(٤) ، وهما بكران وإثليان ، فجعل الأول منهما أميراً على « مرو » والثاني أميراً على « نيسابور » ، واختار من مضر قيس ابن الهيثم السلمي ، وجعله أميراً على « مرو الروذ » و « الفارياب » و « الطالقان » واختار من الأزد نافع بن خالد الطاحي وجعله أميراً على « هراة » و « باذغيس » و « بوشنج » وقد غضب زياد على هذا الأخير فعزله ، وحبسه ، وغرمه إلى أن شفع فيه الأزديون فعفا عنه ^(٥) .

(١) وقد عزل معاوية ابن عامر عن البصرة ، وذكر ابن كثير أن ذلك بسبب شكوى عبد الله بن أبي أوفى (ابن الكواء) وولى معاوية الحارث بن عبد الله الأزدي على البصرة وعزله بعد أربعة أشهر ، انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ، ٢٨ .

(٢) هو ابن سمية (جارية الحارث بن كلدة الثقفي) ولاء علي بن أبي طالب إمرة فارس وامتنع على معاوية بعد وفاة علي ولم يطلقه معاوية إلا بالمدارة ثم أن معاوية استلحقه في عام ٤٥ هـ وألحقه بنسب أبي سفيان في قصة مشهورة ثم ولاء العراق وخراسان وسجستان وعمان ، وفي آخريات أيامه طلب من معاوية أن يضيف إليه ولاية الحجاز غير أنه مات قبل أن يتم له ذلك . وقد اشتهر زياد بالضبط والتنظيم كما أنه كان حازم الرأي داهية ، ذا هية مفوهاً فصيحاً بليغاً . انظر ابن مكارم : التهذيب ، ج ٤ ، ٤٠٦ ، البغدادي : الخزائن ، ج ٢ ، ٥١٧ .

(٣) هو أمير بن أحمر بن مسهر بن قيس بن مالك بن ثعلبة بن جشم بن غبر بن غنم اليشكري البكري . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٠٨ .

(٤) هو خليد بن عبد الله بن زهير بن سارية بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة بن بكر ابن وائل ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣١٢ .

(٥) أورد ابن الأثير أن نافعاً الأزدي وشى به إلى زياد فعزله وحبسه وغرمه ثمان مائة ألف . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢٢٦ .

وتميزت طريقة زياد في إدارة شئون خراسان بأنها كانت أحكام للرقابة على نواحي البلاد بعد اضطرابات عدة شهدتها عدد من المدن الخراسانية ، ثم هي توزيع للسلطة والمسئولية على التكتلات القبلية هناك ، علاوة على أنها تتمشى مع ما جبل عليه زياد من رغبة في الضبط الإداري ، والظهور بمظهر القوة خاصة وقد اتسع نطاق إدارته فشمل الهند ، والبحرين وعمان ثم الكوفة في عام ٥٠ للهجرة^(١) بعد وفاة واليها المغيرة بن شعبة الثقفي^(٢) .

ومع هذا التوزيع الذي اتبعه زياد في خراسان فإنه قد جعل الولاية العامة لشخص واحد هو : الحكم بن عمرو الغفاري ، وشدد عليه في أمر الخراج ، والجباية^(٣) . والحكم الغفاري مضري ينتهي نسبه إلى بني ضمرة الكنانية^(٤) ، صحب النبي ﷺ وروى عنه الأحاديث ، وكان صالحاً فاضلاً ، مقدماً ، غزا في أرض خراسان ، وغنم ، وتوفي في ١ مرو في عام ٥٠ للهجرة^(٥) ، بعد أن أوصى بالإمارة إلى أنس بن أبي

(١) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ، ٢٩ .

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي ، أحد دهاة العرب وقادتهم ، صحابي يقال له : مغيرة الرأي . أسلم في السنة الخامسة للهجرة وشهد عدداً من الفتوح ، كان على البصرة ثم الكوفة لعمر ، وعلى الكوفة لعثمان ، واعتزل الفتنة أيام علي ومعاوية ، وولاه معاوية الكوفة إلى أن مات بها سنة ٥٠ للهجرة . انظر ابن الأثير : أسد الغابة ، القاهرة ، ١٢٨٦ ، ج ٤ ، ٤٦ .

(٣) كتب زياد إلى الحكم يقول : إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن اصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة فرد عليه الحكم بكتاب جاء فيه : بلغني ما أمر به أمير المؤمنين وإني وجدت كتاب الله قبل كتابه إلى أن قال : اغدوا على اعطيكم ومالكم أيها الناس ثم قال : اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك فتوفي بمرو . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢٣٣ .

(٤) كنانة من بني مدركة ، ومنها قريش وتلتقي كنانة مع بني أسد في خزيمة بن مدركة ، وخزيمة من خندف أحد جذمي مضر العدنانية الكبيرين . انظر ابن عبد البر : الأنباة على قبائل الرواة ، ص ٣٨ ، السويدي : سبائك الذهب ، ص ١٧ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ٣٤٥ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ٢٢٠ .

أنس بن زعيم^(١) .

ولم يقر زياد أنساً على الإمارة ، وعين بدلاً منه خُليد بن عبد الله الحنفي ، ثم الربيع بن زياد الحارثي ، وكان من خطة زياد أن يسير الربيع من البصرة بأعداد غفيرة من العرب المسلمين ليوطنهم بخراسان ، ويسد ذلك الثغر برجالات من قبائل العرب^(٢) .

والربيع بن زياد ممن أدركوا عصر النبوة ، وأسهموا في الفتوحات الإسلامية ، ولأه عبد الله بن عامر سجستان عام ٢٩ هـ^(٣) ، وكان شجاعاً ، تقياً ، استعان بأصحاب الرأي ، والمشورة في شئون خراسان ، غير أن ولايته لم تدم طويلاً حيث توفي في عام ٥٣ هـ جزعاً على مصرع عدي بن حجر الكندي^(٤) ، وسخطاً على معاوية ، وفي ذلك قال : « لاتزال العرب تقتل صبراً بعده ، ولو نفرت عند قتله لم يقتل منهم أحد صبراً ولكنها أقرت فذلك » ، ثم قال : « أيها الناس إنني مللت الحياة وإنني داع بدعوة

(١) أنس بن زعيم كناني دثلي من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، معدود في الشعراء ، توفي في عام ٦٠ هـ . انظر ابن حجر : الإصابة ، ج ١ ، ٦٩ . البهلولي : الخزائن ، ج ٣ ، ١١ .

(٢) روى البلاذري : أن أول من أسكن العرب هو : أمير بن أحمر الشكري ، انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٠ .

(٣) الذي فتح سجستان هو عاصم بن عمرو التميمي وذلك حسب ما أورده الطبري وابن الأثير ، وقد أعاد فتحها الربيع بن زياد في زمن عثمان على أن ما أورده البلاذري يفيد بأن فتح الربيع بن زياد سجستان لم يسبقه فتح . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ٩٥ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ٢٥٠ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٨٥ .

(٤) هو حجر بن عدي بن جبلة الكندي . يعرف بـ « حجر الخير » صحابي شجاع شهد بعض الوقائع الإسلامية وكان مع علي بن أبي طالب في الجمل وصفين ، وأثناء ولاية زياد على الكوفة نقل عن حجر وجماعة معه مناوأتهم لمعاوية فقبض عليهم زياد وأرسلهم إلى دمشق فأمر معاوية بقتل حجر في مرج عذراء بالقرب من دمشق عام ٥١ هـ . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ٢٦٠ ، ابن سعد : الطبقات ، ج ٦ ، ١٥١ .

فأمنوا . وقال : « اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلاً » . ثم مات بعدها ، وقد استخلف على خراسان ابنه عبد الله ، ومات هو الآخر ^(١) ، فانتقلت الإمارة إلى خُليد الحنفي في عام ٥٣ هـ ، ولم تدم هذه الإمارة طويلاً حيث انتهت بوفاة زياد في نفس العام ^(٢) .

وبموت زياد استقلت البصرة ، والكوفة ، بوال خاص لكل منهما ^(٣) ، حتى أن أمر خراسان لم يعد منوطاً بهما معاً ، ولا بالبصرة وحدها . وفي هذه الأثناء ألح عبيد الله بن زياد ^(٤) على الخليفة معاوية أن يوليه فقال معاوية : « إن الكوفة ، والبصرة مشغولتان بواليهما » ^(٥) ، قال عبيد الله وخراسان ! قال معاوية : لو استعملك أبوك لاستعملتك ، قال عبيد الله : : « فأني أخشى أن يقال من بعدك : لو استعملك أبوك وعمك لاستعملناك » . وهنا أصدر معاوية أمراً بولاية عبيد الله على خراسان في مطلع عام ٥٤ للهجرة ^(٦) .

(١) نقل البلاذري أن عبد الله بن الربيع قاتل أهل « آمل » و « زم » ثم صالحهم ورجع إلى « مرو » فمكث بها شهرين فمات . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١٠ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ٢٩٩ .

(٣) كان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي القرشي وعلى البصرة سمرة بن جندب الفزاري الديلمي الفطفاي . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ٢٤٧ .

(٤) كان عبيد الله جباراً خطيباً من الشجعان الفاتحين ، ولد في عام ٢٨ هـ من أم فارسية وبسببها كان يرتضخ لكنه أعجمية ، وقد تولى خراسان وعمره خمس وعشرون عاماً لكن الناس رأوا منه بأساً شديداً ، واعاده معاوية والياً على البصرة فاشتد في طلب الخوارج ، ولما مات معاوية أقره يزيد على إمارة البصرة في سنة ٦٠ هـ وفي تلك الأثناء جرت في العراق أيام عصية انتهت بمصرع الحسين رضي الله عنه ، وبوفاة يزيد ، انفرط زمام الأمور في البصرة واستطاع عبيد الله الإفلات إلى الشام غير أنه قُتل في عام ٦٧ هـ في « خازر » من أرض الموصل . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ٢٤٧ .

٢٦٠ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠١ .

(٥) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ، ٦٧ .

(٦) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠١ .

وقد ظلَّ ارتباط عبيد الله بالخليفة مباشرة في دمشق ، غير أنَّ إمارته على خراسان كانت قصيرة الأجل فقد عزل معاوية والي البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان وعيَّن عبيد الله والياً عليها أواخر عام ٥٥ للهجرة^(١) في وقت كان فيه معاوية يشعر بالحرَج الشديد من قمرشي له من الدَّالة عليه الشيء الكثير ، ذلكم هو سعيد بن عثمان الذي كان يلح في الحصول على إمارة خراسان ، وقد بلغ الإلحاح مداه عام ٥٦ هـ^(٢) حتى تدخل يزيد قائلاً لأبيه : « يا أمير المؤمنين ، ابن عمك وأنت أحق من نظر في أمره قد عتب عليك فاعتبه »^(٣) . فولاه معاوية حرب خراسان ، وجعل خراجها لإسحاق ابن طلحة ، وقد توفي إسحاق في « الري » فتولى سعيد حرب خراسان وخراجها^(٤) .

وهكذا ظَلَّت إمرة خراسان منوطة بالخليفة نفسه الذي لم يمهل سعيداً في الإمارة طويلاً بحيث عزله وعيَّن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه بدلاً منه ، وقد اتسمت إمارة سعيد مع قصرها بأنها فترة فتح في بلاد ما وراء النهر^(٥) ، وكان مع سعيد في

(١) كان السبب في عزل ابن غيلان أنه قطع يد رجل من بني ضَبَّة حصبه وهو على منبر البصرة فقال الضبيون له : نخشى من عقوبة أشد من معاوية فاكتب لنا أنك قطعت على شبهه ، فكتب لهم ماأرادوا فلما قدم معاوية وافوه بالكتاب وحين اطلع عليه عزله . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢٤٨ .

(٢) وقيل أنَّ إلحاح سعيد زاد بعد أن عقد معاوية البيعة من بعده لأبنه يزيد . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ، ٧٩ .

(٣) قال سعيد لمعاوية ، لقد اصطنعك أبي حتى بلغت باصطناعه المدى الذي لا تجارى إليه ولا تسامى فما شكرت بلاءه ولا جازيته وقدمت يزيد وبايعت له وأنا خير منه أبا وأماً ونفساً فكان مما قال معاوية : إنَّ بلاء أهلك يحق علينا الجزاء به وقد كان شكري لذلك أنني قد طلبت بدمه ثم هو خير من والد يزيد كما أن أملك وهي من قریش خير من امرأة من كلب . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢٤٨ ، ج ٤ ، ٢٥٩ .

(٤) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ، ٧٩ .

(٥) غزا سعيد بلاد ما وراء النهر ومعه قثم بن العباس بن عبد المطلب وفي « سمرقند » فقتل عين سعيد وعين المهلب بن أبي صفرة . واستشهد قثم . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٢ .

غزواته تلك مالك بن الربيع التميمي^(١) الذي هلك بـ « مرو » بعد أن رثى نفسه بقصيدة تعتبر من جيد الشعر العربي ، وقد لزم سعيد دار الخلافة بعد أن عاد من خراسان إلى أن مات معاوية فانصرف إلى المدينة ومعه عدد من الغلمان الذين قدم بهم من « سمرقند » والذين كانوا سبياً في مصرعه في عام ٦٢ هـ^(٢) .

أما عبد الرحمن بن زياد فقد عينه معاوية أميراً علي خراسان في عام ٥٩ هـ^(٣) ، فقدم بين يديه قيس بن الهيثم السلمي ، وظلّ في الإمارة إلى أن قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما في عام ٦١ هـ ، غير أنه عرف ، باللين ، والضعف ، وأخذ عليه

(١) هو مالك بن الربيع بن حوط بن قرط ، من فتاك تميم وظرفائهم في أرض قومه بني مازن في شمال جزيرة العرب وقد استصحبه سعيد معه وهو في طريقه من المدينة إلى البصرة ، وقد مات مالك في « مرو » عام ٦٠ هـ . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٩٢ ، القالي : الأمالي ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ج ٣ ، ١٣٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٢٠ ، ابن عساكر : التهذيب ، ج ٦ ، ١٥٤ . وأورد البلاذري أن معاوية قد خاف سعيداً على خلعه ولذلك عاجله بالعزل . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٣ .

(٣) وكان عباد بن زياد أخو عبد الرحمن أميراً لسجستان ، وقد صحب عبادا الشاعر يزيد بن ربيعة ابن مفرغ الحميري اليمني فقال قصيدة ظنّ عباد أنها تعريض به فطلبه وهرب ، وعندها ألح في هجاء آل زياد معرضاً باستلحاق معاوية لهم ومن ذلك قوله :

فأشهد أن أملك لم تباشر	أبا سفيان واضعة الفئاع
ولكن كان أمراً فيه لبس	على خوف شديد وارتباع
ألا أبلغ معاوية بن حرب	مغلغلة من الرجل اليماني
انقضب أن يقال أبوك عف	وترضى أن يقال أبوك زاني
فأشهد أنّ رحمك من زياد	كرحم الفيل من ولد الأتان

فكتب عباد إلى أخيه عبيد الله وهو وافد على معاوية بهذه الأبيات فقال معاوية لعبيد الله : أدبه ولا تبلغ به القتل . ثم أن الشاعر الحميري استجار بالمنذر بن الجارود العبدى والد زوجة عبيد الله فنفاه عبيد الله إلى سجستان لكن بعض اليمانيين شفعوا له عند معاوية . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ، ٩٦ .

عدم الغزو فلما قدم على يزيد بن معاوية عنفه ، وغرمه ، وصرف الإمارة عنه إلى أخيه سلم بن زياد ، بل أن يزيد ولي سلماً عمل أخويه عبد الرحمن ، وعبداد ، وكان عباد أميراً لسجستان^(١) .

وقد بدأ سلم أن يحدث تغييراً في نظام الحرب في خراسان فقدم البصرة وتجهز منها بأن انتخب ستة آلاف فارس بمعرفة أخيه عبيد الله ، واختار من وجوه القبائل أناساً منهم : عمران بن الفضيل البرجمي من تميم ، والمهلب بن أبي صفرة من الأزدي ، وعبد الله بن خازم من سليم ، وطلحة بن عبد الله الخزاعي من الأزدي^(٢) ، وما أن وصل أرض خراسان حتى عبر نهر جيحون ، ولم يعد إلى « مرو الشاهجان » في فصل الشتاء ، كما كان يفعل من سبقه من الولاة ، وعلاوة على ذلك فقد عبر النهر بالنساء وعلى رأسهن امرأته ، أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفية^(٣) .

وقد استعمل سلم أخاه يزيد على سجستان ، ثم سير إليها طلحة بن عبد الله^(٤) ، ورزق وهو في بلاد ما وراء النهر بولد سمّاه « صغدي » باسم الأرض التي هو مقيم فيها^(٥) ، وأثر عنه حرصه على توزيع الأموال على أهل « الصغد » تأليفاً لقلوبهم^(٦) مما نتج عنه محبة الناس له وتسمية بعضهم لأولادهم باسمه تيمناً به^(٧) . وقد فجع سلم في عام ٦٤ هـ بوفاة يزيد بن معاوية كما فجع بمقتل أخيه يزيد في سجستان وأسر

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢٥٦ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ٢٦٣ .

(٣) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٣ .

(٤) هو طلحة الطلحات ، وقد سيره سلم إلى سجستان في إثر أخيه يزيد الذي ولاه على سجستان وقد مات

طلحة هناك ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٠٦ .

(٥) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٣ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٤٣ .

(٧) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٠٥ .

أخيه الآخر أبي عبيدة^(١) ، ومع أن الجند قد بايعوه في خراسان إلى أن يجتمع الناس علي خليفة إلا أنه غادر خراسان بعد شهرين مخلفاً عليها المهلب ابن أبي صفرة الأزدي^(٢) .

وأورد الطبري أن سلماً حاول كتم خبر وفاة يزيد عن الناس حتى قال أحد الشعراء :

يأتيها الملك المغلق بابها حدثت أمور شأنهن عظيم
قتلى « بحرة » والذين به « كابل » ويزيد أغلق بابها المكتوم
أبني أمية إن آخر ملككم جسد به « حوارين » ثم مقيم

وقد عاد سلم إلى البصرة واعتزل الفتنة إلى أن توفي في عام ٧٣ هـ^(٣) .

ـ نظام الولاية في خلافة عبد الله بن الزبير ٦٤ - ٧٣ هـ .

حينما خلف ابن زياد المهلب بن أبي صفرة على خراسان غضب الزعيم البكري الربيعي سليمان بن مرثد^(٤) ، فولاه سلم « مرو الروذ » و « الفارياب » و « الطالقان » ، و « الجوزجان » ، وولى زعيماً بكرياً آخر هو أوس بن ثعلبة^(٥) مدينة « هراة » ، كل

(١) أرسل سلم أخاه يزيد إلى سجستان فقدر أهل كابل ونكثوا وأسروا أبا عبيدة ابن زياد . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٠٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٤٣ . وأورد البلاذري أن الناس التاثوا على سلم بعد موت يزيد بن معاوية وقالوا بئس ما ظن ابن سمية أن ظن أنه يتأمر علينا في الجماعة والفتنة وأنه شخص عن خراسان إلى عبد الله بن الزبير بمكة . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٣ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٤٣ .

(٤) من بني قيس بن ثعلبة رهط الأعشى ، والحارث بن عباد الجاهليين وآل مسمع في البصرة . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣١٩ .

(٥) هو أوس بن ثعلبة بن زفر بن عمرو بن أوس بن وديعة بن مالك من بني تميم الله البكرين . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣١٦ .

ذلك وهو بمدينة « نسف » في ^{أثناء} منصرفه من أرض بلاد ماوراء النهر ^(١) .

وكان سلم قد بعث بما أصاب من هدايا « سمرقند » ، و « خوارزم » إلى يزيد ابن معاوية مع عبد الله بن خازم السلمي فجاءه نبأ وفاة الخليفة قبل مقدم رسوله ابن خازم ، فما أن وصل « نيسابور » عائداً من خراسان حتى لقيه ابن خازم فبادره بقوله : أن قد فرقت خراسان بين بكر بن وائل الربعية ، ومزون عمان ^(٢) (يقصد الأزدي) وتركت مضر ثم حملته على أن يولي خراسان ويعينه بمال فكان ذلك ^(٣) ، فقدم « مرو » وقد تحول عنها المهلب ، وبالرغم من أن بعض بني تميم حاولوا منعه من دخولها ^(٤) فقد تمكن منها وأصبح والياً على خراسان حتى قتل في عام ٧٢ هـ على يد بحير بن ورقاء الصريمي التميمي ^(٥) .

وقد انشغل ابن خازم في حرب قبيلة مريّة بدأت ربعية مضرية حين كان المضربون ، وعلى رأسهم تميم يتعصبون له على ربعية وانتهت بصراع بينه وبين بني تميم ^(٦) .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ٤٣ .

(٢) لقب تنبذ به الأزدي لإشتغال بعض الأزد بالبحر .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ٤٣ . وقد توفي سلم في عام ٧٣ هـ . وتقدمت الإشارة إلى رواية البلاذري من أن سلماً مضى إلى ابن الزبير وتتمة الرواية أنه بقي عند ابن الزبير إلى أن أخرجه الحجاج وعاد به إلى البصرة ، انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٤ .

(٤) تصدى أحد بني جشم بن سعد من بني تميم لابن خازم ومنعه من دخول « مرو » يومين وبعد عراك دخلها ابن خازم ومات الجشمي التميمي من رمية بحجر أصابته . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ٤٤ . وانفرد البلاذري برواية مفادها أن عبد الله بن خازم لما دخل خراسان اصطدم بسليمان ابن مرثد البكري ثم اتفقا على أن يكتبوا إلى ابن الزبير فأيهما أمره فهو الأمير فولى ابن الزبير ابن خازم ، وقدم إليه بالمهد عروة بن قطبة بعد ستة أشهر ، انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٤ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ٢٧ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ١٩٩ .

وقد اضطر ابن خازم ربيعة إلى التسليم والخضوع بعد أن استمال بني تميم وأمن جانب الأزدي الذين لم يكونوا بذوي شوكة آنذاك ، وكانت اصدااء حصار ابن خازم لربيعة في « هراة » تغيب البكرين في البصرة ، وكان رد فعل مالك بن مسمع هو إحراقه لدور بعض بني تميم في سكة بني العدوية بالبصرة^(١) في وقت هاج فيه الشر بين القبيلتين الكبيرتين تميم والأزد^(٢) حتى صرع مسعود بن عمرو الأزدي وانهزم حليفة البكري أشيم بن شقيق زعيم ربيعة في البصرة^(٣) .

ومما أثر عن ابن خازم أنه من أشجع الناس ، أسود اللون ، له صحة كثير الشعر ، يتعمم بعمامة خز ، يلبسها في الجمع والأعياد والحرب ، ويقول : كسانيها رسول الله ﷺ^(٤) . ويكنى ابن خازم بأبي صالح ، وهو من بني عوف بن امرئ القيس بن بهثة من بني سليم القيسيين المضريين ، وله من الولد : موسى ، ومحمد ، ونوح ، وخازم ، وإسحاق ، ولهم بخراسان آثار وأخبار^(٥) ، وقد امتدت ولاية موسى بن عبد الله ابن

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣٢٢ .

(٢) كان بنو تميم قد اشاروا على زعيمهم الأخنف بن قيس بمخالفة الأزدي فقال : نعم إذا اتوكم هم والآن فإنكم ستصبرون اتباعاً لهم إذا أتيتموهم وكان عبد الله بن زياد يشير على مسعود بن عمرو الأزدي بتوثيق حلف الأزدي مع ربيعة الذي سعى به مالك بن مسمع البكري وقد جددت ربيعة والأزد أحلافاً كانت لربيعة واليمن في الجاهلية . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٢٥ .

(٣) استجاب قوم من تميم في البصرة لابن الزبير قبل وفاة يزيد بزعامة سلمة بن ذؤيب الرياحي ، وحين التجأ عبید الله بن زياد إلى مسعود بن عمرو الأزدي اصطدمت تميم بالأزدیین ، وقتل مسعود ابن عمرو وهو يخطب على المنبر وفي ذلك قال الفرزدق :

لو أن أشيم لم يسبق أمنتنا واخطأ الباب إذ نيراننا تقد
إذ لصاحب مسعوداً وصاحبه وقد تهافت الأعفاج والكبد

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٨٥ ، ديوان الفرزدق ، ٢١٧ .

(٤) انظر ابن حجر : الإصابة ، جـ ٤ ، ٢٠٥ .

(٥) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٩٨ .

خازم على « ترمذ » حتى عام ٨٥ هـ حيث قُتل في ذلك العام ^(١) .

ومن الحوادث المؤسفة في خراسان أن ابن خازم نقل صراعه من ربيعة إلى تميم ^(٢) بعد خلافة مع هؤلاء ، وقد امتد هذا الصراع طويلاً ^(٣) مصاحباً لصراعات عدة شهدتها البصرة منها : فتنة تميم والأزد ، واشتداد شوكة الأزارقة الخوارج ^(٤) ، وثورة التوابين ^(٥) ، ووثوب المختار بن أبي عبيد بالكوفة مطالباً بدم الحسين ^(٦) ، وصراع بني أمية وآل الزبير على الخلافة .

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ٩٠ .

(٢) تجمع تميمًا بابن خازم الرابطة المضرة ، وقد جعل على شرطته واحداً منهم هو بكير بن وشاح التميمي وحين غلب ربيعة على « هراة » جعل عليها ابنه محمد ، وشماس بن دثار العطاردي التميمي . انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣٣٢ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٧ ، ٩١ .

(٤) زحف نافع بن الأزرق على البصرة فبعث الحارث بن عبد الله القرشي (القبايع) وهو والي البصرة من قبل ابن الزبير جيشاً لمحاربتة عليه مسلم بن عيسى القرشي ثم حارثة بن بدر الغداني التميمي ، وقد ارتد الأزارقة وعليهم عبيد الله بن الماحوز السليطي التميمي إلى الأهواز بعد قتل ابن الأزرق وعندها قدم المهلب من ابن الزبير ومعه عهد على خراسان غير أن أهل البصرة وعلى رأسهم الأحنف قد اغروه بأن يتحول إلى قتال الأزارقة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٨٨ .

(٥) التوابون فرقة أحست بالندم على خذلان الحسين رضى الله عنه وقامت في الكوفة وعليها سليمان ابن صرد الخزاعي الأزدي والمسيب بن نجبة الفزاري الغطفاني ، وعبد الله بن نفيل الأزدي ، وعبد الله بن وال البكري الربيعي ، ورفاعة بن شداد البجلي ، تطالب بقتل عبيد الله بن زياد وطرد انصار ابن الزبير ، وإعادة الأمر إلى آل البيت ، وقد هزمها عبيد الله بن زياد عام ٦٥ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣٣٤ .

(٦) أبوه أبو عبيد الثقفي صاحب وقعة الجسر في زمن عمر ، وقد انقطع هو في المدينة إلى بني هاشم وسار إلى العراق من مكة بعد وفاة يزيد بن معاوية بعد أن اطمأن إليه ابن الزبير لكنه تنكر لابن الزبير في الكوفة ودعا إلى محمد بن الحنفية وتبع قتلة الحسين وبادهم وعلى رأسهم عبيد الله بن زياد الذي أرسل إليه إبراهيم بن الأشتر فقتله وشاع في الناس أن المختار قد ادعى النبوة ونقلوا عنه اسجاعاً يدعى أنها وحي ، وقد قاتله مصعب بن الزبير حتى قتل في عام ٦٧ هـ . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ٢٨٢ . ابن حجر : الإصابة ، ٧ ، ١١٨ .

وفي أثنون هذا الصراع رغب عبد الملك بن مروان في استمالة ابن خازم فكتب له وهو يقاتل بحير بن ورقاء الصريمي التميمي في « نيسابور » يدعوه إلى البيعة ويطعمه خراسان سبع سنين غير أن ابن خازم رفض هذا العرض فما كان من عبد الملك إلا أن كتب إلى بكير بن وشاح العطاردي التميمي ، وهو على « مرو » يغريه بإمارة خراسان ^(١) . وما أن قتل ابن خازم حتى قيّد بكير قاتليه ^(٢) وأرسل إلى عبد الملك مدعياً أنه هو القاتل ، وقد تولى بكير إمارة خراسان مدة عامين لم تخف خلالها وطأة العصبية القبلية .

نظام الولاية زمن الأسرة المروانية ٧٣ - ١٢٥ هـ .

لم يوفق بكير بن وشاح التميمي ^(٣) في إطفاء نائرة العصبية القبلية في خراسان بل أنها زادت اضطراباً بين العشائر التميمية ^(٤) ، ورغب الناس في والٍ من قريش لا يتعصبون له ، فأرسل عبد الملك أمية بن عبد الله بن خالد الأموي والياً على خراسان في عام ٧٤ هـ ^(٥) ، فأسند أمية إمارة « طخارستان » إلى بكير ، وكان بكير شجاعاً قوي المراس ، ولما تجهز بكير خافه أمية فمنعه من السفر ، وأمره بالتجهز لغزو ماوراء

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ١٩٦ .

(٢) وقد قُتل مع ابن خازم أبناء عتبة ويحيى ، وطعن طهمان مولاة وهو جدّ يعقوب بن داود كاتب أمير المؤمنين المهدي العباسي ، انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٦ .

(٣) نقل الزركلي في الأعلام أن والد بكير هو وسّاج بالسين المهمة اعتماداً على ماورد في القاموس وذكر أن ذلك خلافاً لما ورد في الطبري وابن الأثير ، انظر الزركلي : الأعلام ، مادة الباء ويلاحظ أن ابن حزم ذكر أنه وسّاج . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٩٨ ، أما حسين حسن فقد ذكر في أعلام تميم أنه وشاح . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ١٣٩ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ١٩٧ .

(٥) ورد أن عبد الملك قال لأمية : لولا انجيازك عن أبي فديك لوليتك خراسان ، قال : إن انجيازي أفضل من تعريض رقتي للموت ، وأبو فديك خارجي بكري يعني كان من الأزارقة فانحاز عنهم إلى البحرين وغلب عليها . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٢٠٩ .

النهر ثم عدل عن ذلك ، وأرسله والياً على « مرو » ، فاستقبل بكير بها حتى صالحه أمية ، ثم بلغه عنه بعد ذلك أنه ينوي الخروج عليه فقبض عليه وأغرى أعداءه من بني تميم بقتله في عام ٧٧ هـ (١) .

وقد ظلّ أمية والياً على خراسان حتى عام ٧٨ هـ حين عادت ولاية خراسان تابعة للعراق مرة أخرى بعد أن ضمها عبد الملك مع سجستان إلى العراق ، وجعلهما تابعتين للحجاج بن يوسف الثقفي الذي رغب في أن يختار شخصية قوية لخراسان خاصة أنه كان يسعى جاهداً وبكل ماأوتي من قوة لتثبيت أركان الدولة لعبد الملك ، فكان أن وقع اختياره على المهلب بن أبي صفرة (٢) الذي فرغ لتوه من تدويخ الأزارقة الخوارج (٣) ، وخضد شوكتهم وكان الحجاج يقول للمهلب ، ولمن هم على شاكلته : « هؤلاء أصحاب الفعّال ، وأحق بالأموال ، هؤلاء حماة الثغور ، وغيظ الأعداء » (٤) .

وكان المهلب قبل أن يتولى إمرة خراسان على الأهواز ، وابنه المغيرة على « اصطخر » ، فولاه الحجاج حرب خراسان ، وولى المغيرة خراجها (٥) ، وقد استعان المهلب بأبنائه في خراسان ، وعلا شأن الأزد ، بل واليمن كلها في عهده ، وانتقض

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٢٠٩ .

(٢) تقدم أن الحجاج كان يكره المهلب ولكنه اختاره لإرضاء لعبد الملك .

(٣) فارق نافع بن الأزرق بجماعته الخوارج عبد الله بن الزبير بمكة ثم قدم البصرة بعد أن فارقه مجموعة من رفاقه وقدم البصرة بمن معه وهم على رأي أبي بلال مرداس بن أدية التميمي وبالرغم من فتنة تميم والأزد وربيعة في البصرة فقد انصرف الأزارقة إلى الأهواز ثم كروا إلى البصرة فانتدب أهلها المهلب بن أبي صفرة لقتالهم وقد أبلى في ذلك بلاءً حسناً . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٨٨ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٢٨٠ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٢٨٠ ، ابن الخياط : تاريخ ابن خياط ، ٢٧٩ .

ابن الأشعث ^(١) ، وهو من زعماء اليمانية ، على سلطان بني أمية في تلك الأثناء .

والمهلب أزدي ، من بني العتيك ، بطّاش ، جواد ، يُكنى بأبي سعيد ، وله من الولد نحو ثلاثمائة ، بالبصرة ، وغيرها ^(٢) ، ومن ذريته : سليمان بن حبيب ، الشاعر أيام مروان بن محمد بـ « فارس » و « الأهواز » وإبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي ، الشهير بـ (نبطوية) ^(٣) .

وقد ولد المهلب في العام السابع للهجرة ، وقدم المدينة مع أبيه أيام عمر ، واشتهر في بعوث خراسان ، وفي البصرة حين نذبه أهلها لقتال الأزارقة ، واشترط أن يكون له التصرف في خراج كل بلد يجلبهم عنه ، وقد امتدت إمارة المهلب في خراسان إلى أن

(١) هو : عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قتل والده مع مصعب بن الزبير وكان جده من كبار زعماء القبائل اليمانية ، وهو الأشعث الكندي ، من بني آكل المرار أسلم ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام وقد عفا عنه أبو بكر ونزّج اخته وكان للأشعث دور في الفتنة أيام عثمان وصار من كبار قوّاد علي في صفين وحمل علياً على قبول التحكيم أمّا حفيده عبد الرحمن فقد خلع طاعة الحجاج في سجستان وكرّ عائداً بجندٍ كثيف هدّد به دولة بني أمية غير أنه هُزم في نهاية المطاف وارتد إلى « ربيل » في سجستان وظلت ملاحقة قواد الحجاج له مستمرة إلى أن قتل في عام ٨٥ هـ . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٧ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٩١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٨٥ .. وقد حاول الدكتور طه حسين وهو ييدي ويعيد في قضية الانتحال أن يربط بين قصة امرئ القيس الكندي الشاعر الجاهلي وهروبه إلى بيزنطة وقصة عبد الرحمن بن الأشعث ليخلص إلى أن الأولى منتحلة ومستفأة من الثانية ، مع ما في ذلك من اعتساف ظاهر وتكلف واضح . انظر طه حسين : حديث الأربعاء ، ٢٣ .

(٢) ومن أشهر أولاده المغيرة ويزيد ومروان ومعاوية وزياد وعبد الملك وحبيب ومحمد وقبيصة والمدرك وأبو عينة وعبد العزيز وعبد الله وسعيد وشيب وعمرو وجعفر والحجاج والمفضل ، وفي المفضل قال ثابت قطنة الأزدي : كان المفضل عزاً في ذوي يمنٍ وعصمة وثملاً للمساكين . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٦٨ .

(٣) هو : أبو عبد الله بن محمد بن عرفة الأزدي ، ولد بواسط عام ٢٢٤ ، كان إماماً في النحو وفقهها في مذهب داود مات في بغداد عام ٣٢٣ هـ . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١١ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٦٩ .

توفي في عام ٨٢ هـ^(١) ، وذلك بعد وفاة ابنه المغيرة^(٢) ، خليفته على « مرو » ، وقبل أن يموت المهلب أرسل الحجاج إليه يعزيه بابنه المغيرة ، وأرسل خطاباً آخر بعد وفاته ، يتضمن إقرار ولاية يزيد على خراسان وإمضاء عهد أبيه إليه^(٣) ، غير أن الحجاج لم يكن يتخوف من أحد بعد ابن الأشعث غير يزيد ، أو هو قد أذل أهل العراق ، وخراسان إلا بيت يزيد فأراد إذلاله ، وقيل بل أن شيخاً من أهل الكتاب قال للحجاج : إن ماتت رجلك يليه رجل اسمه يزيد ، فظنه الحجاج يزيد بن المهلب ، فأخذ يزيد لعبد الملك عزله بدعوى أن المهالبة زيرية الهوى ، وقد أحس يزيد بما يريد الحجاج فقال لأصحابه : ما ترونه فاعلوا فقالوا : يولي علينا رجلاً من القيسية إرضاء لعصبية ، قال يزيد : بل يولي عليكم رجلاً منكم حتى أقدم عليه ، ثم يعزله ، ويولي أحد القيسيين واخلق بقتيبة^(٤) ، وصدقت نبوءة يزيد فقد طلبه الحجاج ، وولى مكانه أخاه المفضل بن المهلب ، وألح على عبد الملك في خلع آل المهلب من خراسان وسمى له مجاعة بن سعر التميمي^(٥) ، فلم يقبل عبد الملك ، ثم سمى له قتيبة ابن مسلم الباهلي فرضية عبد الملك أميراً لخراسان أما لماذا لم يخلع الحجاج آل المهلب بنفسه ويعين غيرهم ؟ فبسبب أن آل المهلب لم يقتربوا ذنباً يبرر عزلهم حتى أن يزيد

(١) كان المهلب أول من اتخذ المراكب من الحديد وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب . انظر الطبري :

تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٢٨٠ ، المبرد : الكامل ، جـ ٢ ، ٢٠٤ ، جـ ٣ ، ١١٦ .

(٢) والمغيرة شجاع كأييه ومن فرسان العرب المعدودين وكان أشد ما تكون الحرب أشد ما يكون تبساً

يقول أبوه ماشهد معي حرباً قط إلا رأيت البشر في وجهه . انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ،

٨٥ . البغدادي : خزائن الأدب ، جـ ٤ ، ١٩٢ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ٨٥ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٤ ، ٨٥ . ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٥ ، ٧٩ .

(٥) هو : مجاعة بن سعر بن يزيد بن خليفة السعدي التميمي أبلى بلاءً حسناً في حرب الأزارقة مع عمر

ابن عبد الله بن معمر ولاء الحجاج إمرة عمان بعد أن قتل أهلها أخاه قاسم بن سعر ثم عينه الحجاج

على ثغر السند حتى مات عام ٧٦ هـ . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ١٧٤ ،

البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٤١ .

ابن المهلب رفض مشورة الحُضَيْن بن المنذر حينما قال له : إنما أُتيت من قبل الحجاج فاقم ولا تستعجل وقال : أنا من بيت أهل طاعة (١) .

وتولى قتيبة امرة خراسان في عام ٨٦ هـ (٢) ، وقدمها ، والمفضل يعرض الجند للغزو ، فاستلم زمام الأمور مدة مايقارب العشر سنوات ، قضاهما في الغزو والفتوحات الكبيرة المتواصلة (٣) .

وقد جاءت ولاية قتيبة بن مسلم الباهلي بين ولايتي يزيد بن المهلب الأولى ، والثانية (٤) ، إذا استثنينا ولايتي المفضل بن المهلب ، ووكيح التميمي القصيرتي الأجل ، وقتيبة قيسي ، مضري ، من بني باهلة ابن أعصر بن سعد ، وهو قتيبة ابن مسلم ابن عمرو بن حصين بن ربيعة ، أبو حفص ، من سادات الأمراء ، وخيارهم ، ومن القادة النجباء الكبراء ، والشجعان ، وذوي الحرب ، والفتوحات السعيدة ، فتح من المدن والبلاد شيئاً كثيراً ، واهتدى على يديه خلق كثير (٥) ، وقد أجاب قتيبة الوليد ابن عبد الملك حينما دعا إلى ولاية العهد لابنه عبد العزيز ، ونزعها من سليمان (٦) ، وبعد موت الوليد خاف قتيبة من سليمان وكتب إليه يهنئه بالخلافة وأنه مطيع له ما أبقاء على خراسان ، وكتب يذكر عظم قدره عند ملوك العجم ، وفتوحه في صدور

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٤٢ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٩٦ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ١٠ .

(٤) قبل أن يقدم قتيبة على خراسان كان واليها المفضل بن المهلب غير أن ولايته لم تتجاوز التسعة أشهر ، وكان المفضل كريماً ممدحاً كأبيه ، يكنى بأبي غسان ، ولاء سليمان بن عبد الملك جند فلسطين وكانت وفاته بـ « قنديل » عام ١٠٢ هـ . انظر المبرد : الكامل ، ج ٨ ، ١٨٢ .

(٥) انظر أخبار قتيبة وقبيلته في الكلبي : جمهرة النسب ، ج ٢ ، ٣١٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ٢٧٠ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٩٩ .

الأعداء ، ويذم آل المهلب ، وكان يخاف يزيد بن المهلب أن تولى خراسان ، ثم كتب بخلع سليمان وهو مقيم ببلاد ماوراء النهر ^(١) ، وكان في ذلك على خلاف مع القبائل التي كانت تحت إمرته في الغزو خاصة بني تميم ، الذين تنكر لهم ، وهم ذور اليد الطولى في فتوحاته ^(٢) .

ولما وجد قتيبة إعراضاً من القبائل عن مسلكه أطلق لسانه فيهم ، فوصف أهل العالية بأنهم أوباش ، وبني تميم بأنهم أهل جور ، وقصف ، والأزد بأنهم مزون عمن ، أصحاب السفن ، وبكر بن وائل بأنهم أهل الكذب ، والبخل ، وعبد القيس بأنهم أصحاب النخل ^(٣) ، وكان أول المتذمرين من القبائل هم الأزد ، لكن حضين ابن المنذر البكري الربيعي ^(٤) خوفهم كثرة مضر ، وفيها بنو تميم ، فرسان خراسان ، الذين لا يرضون أن يتعداهم الأمر ، وأشار عليهم بأن يتفقوا مع وكيع التميمي ، الناقم على قتيبة ، لقتله لبني الأهم التميميين ^(٥) ، ولصرفه رئاسة تميم عنه إلى ضرار ابن

(١) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٩ ، ١٦٧ .

(٢) عن دور بني تميم في فتوحات قتيبة انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ١١٣ .

(٣) بل لقد أطلق لسانه بأوصاف أشد قبحاً ، وقال حين لامه الناس في ذلك : « عرض الناس عني فلم أعد أعني ما أقول » ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٣٦ .

(٤) هو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي البكري ، يعرف بأبي ساسان وبأبي اليقظان ، من سادات ربيعة ومن ذوي الشجاعة والرأي ، روي عن الإمام علي رضي الله عنه قوله :
لمن راية سواداء يخفق ظلها إذا قيل قدّمها حضين تقدّمًا

وقد استقر الحضين في خراسان وكان قتيبة بن مسلم يستشير في أموره ويقول : هو : « باقعة العرب وداحية الناس » وقد ولد الحضين عام ١٨ هـ وحمل الراية مع علي وعمره ١٩ سنة وتوفي بخراسان عام ٩٧ وكان ابنه يحيى مقدماً وجيهاً فيها ، انظر ابن عساكر : التهذيب ، ج ٤ ، ٣٧٤ ، البغدادي : خزنة الأدب ، ج ٢ ، ٩٠ ، المنقري : وقعة صفين ، ٥٤٥ .

(٥) هم الأهم من بني سعد بن تميم منسوبون إلى سمي بن سنان التميمي « الأهم » . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٠٧ .

حُصَيْن الضَّبِّي^(١) ، ونهض وكيع إلى قتيبة وقتله بعد اضطراب عنيف شهدته القبائل العربية هناك^(٢) ، وكان وكيع أعرايياً ، جلفاً ، يؤدب بالسيف لا بالسياط في الحدود التي هي دون القتل^(٣) ، غير أن قتله لقتيبة أرضى غرور المغالين في عصبيتهم كالفرزدق الذي نظم المدائح في قومه مشيراً إلى هذه الواقعة ، وذلك في قصيدته الميمية التي يقول فيها -

أتانى ورحلي في المدينة وقعة لآل تميم أقعدت كل قائم^(٤)

وتولى وكيع إمرة خراسان مدة عشرة أشهر فقط ، وبعدها ، وفي عام ٩٧ هـ قدم عليه يزيد بن المهلب ، أميراً على خراسان ، للمرة الثانية^(٥) من قبل الخليفة سليمان ابن عبد الملك ولمدة سنتين حيث عزله الخليفة عمر بن عبد العزيز^(٦) ، وعيّن الجراح

(١) من أشرف العرب وزعماء تميم في خراسان وكان جده ضرار بن عمرو بن مالك من مشاهير الجاهلية أما أبوه فقد عاش زمناً في الجاهلية ، وأدرك الإسلام وقتل في وقعة الجمل مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٣٣ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٥٠ .

(٣) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١٤ .

(٤) انظر ديوان الفرزدق ، ١٧٢٥ .

(٥) كان الخليفة سليمان بن عبد الملك قد جعل صالح بن عبد الرحمن وهو سجستاني مولى سعد من تميم على خراج العراق فضيق على يزيد بن المهلب الذي كان على حرب العراق فاستعان يزيد بعبد الله بن الأهتمام التميمي ليزين للخليفة أمر توليته على خراسان وقد كان ذلك . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٩٧ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٩٠ .

(٦) بالغ الحجاج في إهانة آل المهلب حتى استطاعوا الفرار إلى سليمان بن عبد الملك والاحتماء به إلى أن آلت إليه الخلافة فعين يزيداً أميراً على خراسان ، أما خلفه عمر بن عبد العزيز فكان يقول هؤلاء جابرة ولا أحب مثلهم وقد عزل يزيد وجسه بقلعة حلب بعد أن طالبه بالأموال التي كتب عنها إلى سليمان بن عبد الملك ، وقد هرب يزيد من السجن في آخريات أيام عمر خوفاً من يزيد ابن عبد الملك ، وتمرد معه آل المهلب في البصرة في مطلع خلافة يزيد لكن ثورته اخفقت وقتل هو في حين فرّ ذروه إلى « قنديل » حتى ادركهم هلال بن أحرز المازني فابادهم عن بكرة أبيهم في عام ١٠٢ هـ . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٥٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٩ ، ٢٢١ .

ابن عبد الله الحكمي بدلاً منه ، ثم عزل الحكمي ، وولى عبد الرحمن بن نعيم القشيري من بني عامر الهوازنية ، وكان سبب عزل الحكمي أن الموالي شكوه على عمر (١) .

والجراح الحكمي من القبائل اليمانية ، من بني سعد العشيرة ، دمشقي الأصل ، والمولد تولى إمرة البصرة للحجاج ، ثم خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز ، وولاه يزيد بن عبد الملك « أرمينية » و « أذربيجان » وأمره هشام على إمارته هذه ، ثم عزله ، وردّه إلى أن استشهد في مرج « أربيل » سنة ١١٢ هـ (٢) ، أمّا خلفه على خراسان فهو قشيري من بني عامر الهوازنية المضرية ، وقد ظلّ القشيري أميراً على خراسان حتى وفاة عمر بن عبد العزيز في عام ١٠١ هـ (٣) وحين تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك ندب أخاه مسلمة لحرب آل المهلب ، ثم جمع له إمرة الكوفة ، والبصرة ، وخراسان بعد أن فرغ منهم ، وقضى على فلهم (٤) . وبذا عادت خراسان تابعة لوالي العراق فكان أن استعمل عليها مسلمة صهره سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (٥) المعروف بـ « سعيد خدينة » (٦) وقد سار سعيد على نهج مسلمة

(١) أرسل الجراح رجلين إلى عمر أحدهما من العرب والثاني من الموالي فقال الذي من الموالي : عشرون ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ومثلهم قد اسلموا من الذمة يؤخذون بالخراج فأمرنا عسبي جاف وكان الجراح وهو حكمي من أبناء سعد العشيرة من كهلان يقول : والله لرجل من قومي أحب إلى من مائة من غيرهم ولما قدم على عمر في رمضان بعد عزله قال له عمر : صدق من وصفك بالجفاء هلا أقمت حتى تفطر ثم تخرج . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٥٨ .

(٢) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ١٠٣ .

(٣) كانت خلافة عمر سنتين وخمسة أشهر (٩٩ - ١٠١ هـ) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٦٠ .

(٤) قيل أن سليمان بن عبد الملك طلب آل أبي عقيل الثقفى وسلمهم ليزيد بن المهلب ليعذبهم هؤلاء أصهار ليزيد بن عبد الملك ومن هنا نشأت العدواة بين اليزيديين . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٦٠ .

(٥) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١٦ .

(٦) خدينة الدلعانة ربة البيت .

في تعقب آل المهلب ، وأعوانهم وأموالهم فأخذ عدداً كبيراً من زعماء اليمانية في خراسان بحجة حيازتهم لأموال يزيد بن المهلب ^(١) واستعمل على « سمرقند » شعبة ابن ظهير النهشلي التميمي ، وأكثر من الغزوات مستعيناً بكافة القبائل مع ميل واضح للمضرية استجابة لدواعي التعصب ضد اليمانية الذي تبناه الخليفة يزيد ^(٢) .

وقد عزل سعيد خذينة عن خراسان ، عزله عمر بن هبيرة الفزاري ، الذبياني ^(٣) ، من غطفان القيسية ، الذي تولي إمرة العراق ، وخراسان من قبل يزيد بن عبد الملك بعد عزل مسلمة وولي ابن هبيرة على خراسان سعيد بن عمرو الحرشي من بني عامر الهوازنية القيسية وكان ذلك في عام ١٠٣ هـ ^(٤) .

وألح الحرشي في تتبع الخارجين على سلطان الدولة في خراسان ، وبلاد ماوراء النهر ، وصلب « ديوشتي » دهقان « سمرقند » ، مخالفاً في ذلك رأي ابن هبيرة ، ولذلك ، ولاستخفاف الحرشي بابن هبيرة ومكاتبته ليزيد بن عبد الملك مباشرة في

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٧٧ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٨٩ .

(٣) هو : عمر بن هبيرة بن سعد الفزاري ، أبو المثني ، أقطمه عبد الملك أقطاعاً في برزة من قرى دمشق وولاه عمر بن عبد العزيز الجزيرة أما هشام بن عبد الملك فقد عزله عن إمرة العراق وحجسه خالد القسري والي العراق وقد استطاع الهرب إلى دمشق والحصول على أمان من هشام وكان الفرزدق قد مدحه وهو في السجن تعصباً للمضرية فقال ابن هبيرة : مارأيت أشرف من الفرزدق هجاني أميراً ومدحني أسيراً . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٠٠ ، المبرد : الكامل ، ج ٢ ، ٧٧ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ، ١٦٥ . ومن عجب أن البلاذري ذكر أن أناساً من وجوه أهل خراسان اشتكوا سعيد خذينة على مسلمة « والي العراق » وأن مسلمة عزله وعيّن الحرشي ولما أصبح ابن هبيرة أميراً على العراق عزل الحرشي . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١٦ . وروي أن الحرشي كان يسأل على الأبواب . ثم صار يسقي الماء ثم صار في الجند ثم علت حالته مع الجراح ابن عبد الله الحكمي في خراسان ، ومات في عام ١١٢ هـ . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٨٩ .

أخبار الفتوح عزله ابن هبيرة^(١) ، وولى مكانه عامرياً ، هوازنيماً آخر ، هو : مسلم ابن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي ، وذلك في سنة ١٠٤ هـ^(٢) ، وفي عام ١٠٥ هـ توفي يزيد بن عبد الملك ، وتولى الخلافة بعده أخوه هشام وذلك في ذروة التعصب للقبائل التي شهدتها الدولة ، والتي كان من نتائجها التحام مضر واليمن بخراسان ، وقد بادر هشام إلى عزل ابن هبيرة عن العراق وأسند الولاية إلى خالد ابن عبد الله القسري البجلي ، المغالي في عصبية لليمن ، فنصب خالد^{أخاه} أسداً أميراً على خراسان في عام ١٠٦ هـ^(٣) لكن عصبية أسد العنيفة^(٤) اضطرت هشاماً إلى أن يكتب إلى خالد بعزل أخيه ، فعزله سنة ١٠٩ هـ ، ونزع هشام أيضاً تبعية خراسان من خالد وربطها بدار الخلافة مباشرة ، وجعل عليها أشروس بن عبد الله السلمي القيسي

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٨٨ .

(٢) أي أن إمارة سعيد الحرشي على خراسان لم تستمر سوى عام واحد ، وكذلك إمارة مسلم بن سعيد ، وكلا الاثنين من بني عامر ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٦٧ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٨٦ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٥ .

(٤) سارع أسد إلى عزل هاني بن هاني عن « سمرقند » وولى عليها الحسن بن أبي العمر طه الكندي اليماني ، وعمد إلى ضرب عدد من الزعماء المضريين وإرسالهم إلى أخيه خالد في العراق فلما وصلوا خالداً غضب على أسد وقال : ألا بعث إلى برؤوسهم وكان خالد شديداً في عصبية ولعله انفرد عن أخيه أسد بالمبالغة في التزلف للأمويين فقد نقل عنه أنه كان يقول : إن خليفة الرجل في أهله أعظم قدراً من رسوله في حاجته وهو يقصد بذلك أن الخليفة هشام بن عبد الملك أفضل - والعياذ بالله - من رسول الله ﷺ ، وأورد ابن الأثير أن هذه المقولة تنسب إلى ابن شقي الحميري . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٦٣ . وقد قال الفرزدق في سجن الزعماء المضريين وفيهم نصر ابن سيار ، وسورة بن الحر التميمي .

أخالد لولا الله لم تعط طاعة
لولا بنو مروان لم يوثقوا نصيراً
إذا للقيتم عند شد وثاقه
بني الحرب لا كشف اللقاء ولا ضجرا

انظر ديوان الفرزدق ، ١٨٢ .

المضري ، الملقب بالكامل^(١) ، غير أن هشاماً عاد فربط أشرس بخالد في العراق وأمره أن يكتبه^(٢) . ثم هو قد عزل أشرس عن الإمارة في سنة ١١١ هـ استجابة لشكوى شداد بن خليل الباهلي^(٣) وعين الجنيد بن عبد الرحمن المري الغطفاني بدلاً منه إلى سنة ١١٦ هـ^(٤) . وقد أظهر الجنيد ميلاً واضحاً إلى المضريين حين جعل جلّ عماله منهم^(٥) ، على أنه قد أبدى نشاطاً في الغزو ، وخاض معارك ذات مخاطر جمّة أشهرها وقعة « الشعب »^(٦) ، وقد حظى بمدائح عدة لما اشتهر به من الجود والكرم ، وفي رثائه قال أبو الجويرية عيسى بن عصمة :-

هلك الجودُ والجنيدُ جميعاً فعلى الجود والجنيد السلامُ

أصبحتا ثاويين في أرض « مرو » ما تغنت على الفصون الحمام^(٧)

وحين مات الجنيد في عام ١١٦ هـ^(٨) تولى الإمارة عمارة بن حزيم المري

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٠٠ .

(٢) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٩ ، ٢٩٥ .

(٣) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١٨ .

(٤) كان الجنيد قد ولي السند لخالد القسري فنزل شط « مهران » ومنعه حبيشة بن داهر ودارت بينهما حرب شديدة . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٩٧ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٨ ، ٢٠٥ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ج ٢ ، ٢٤٣ .

(٧) وقد قدم أبو الجويرية على خالد بن عبد الله القسري ليمدحه فقال له خالد : ألسن القائل : هلك الجود والجنيد معاً مالك عندنا شيء فخرج من عنده وقال :

تظل لامة الآفاق تحملنا إلى عمارة والقود السراheid

يقصد عمارة بن حزيم ابن عم الجنيد وخليفته على خراسان ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢١٩ .

(٨) ذكر الطبري : أن الجنيد تزوج القاضلة بنت يزيد بن المهلب فغضب هشام عليه وولي على خراسان عاصم بن عبد الله وقد مات الجنيد قبل أن يصل عاصم إليه ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢١٨ .

الغطفاني بعهد منه لكن هشاماً عين عاصم بن عبد الله الهلالي العامري ^(١) أميراً على خراسان فقدمها عاصم وقبض على عمارة ، وسجنه مع عمال الجنيد في وقت اشتدت فيه الفتن المذهبية والقبلية ^(٢) مما اضطر عاصماً إلى أن يصارح الخليفة بالطريقة المثلى - في نظره - لضبط أمور خراسان ، وكان مما ارتآه هو أن تضم خراسان للعراق وتكون موادها ، ومعونتها من قريب ^(٣) فكتب الخليفة هشام إلى خالد بن عبد الله القسري في عام ١١٧ هـ يأمره بأن يرّد أخاه أسداً إلى خراسان أميراً عليها مرة أخرى (لعله يصلح ما أفسد) ^(٤) .

وقد قدم أسد إلى خراسان ، وعاصم ينزل الحارث بن سريج التميمي ^(٥) الثائر المناوئ لحكم بني أمية ، وقد رغب عاصم في مصالحة ابن سريج غير أنه أخفق ، وتمكن منه أسد ، وحبسه ^(٥) كما فرّ ابن سريج إلى بلاد ماوراء النهر ^(٦) ، وتتبع أسد دعاة بني العباس فقتل بعضاً وسجن بعضاً آخر ، واستعان بجديع الكرمانى الأزدي في حروبه ، وقد أصبح الكرمانى فيما بعد متمرداً ، مهد بحروبه ومشاغباته لإضعاف

(١) من بنى هلال بن عامر الذين تنتمي إليهم : أم المؤمنين زينب بنت خزيمة ، وأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضى الله عنهما ولبابة الكبرى أم عبد الله بن العباس ولبابة الصغرى أم خالد بن الوليد وصفية بنت حزن أم أبي سفيان بن حرب ، وإلى بنى هلال هؤلاء ينسب العوام عدداً من الأساطير الشعبية . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ج ٢ ، ٣٦١ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٦٩ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٢٢ .

(٣) وبعد أن امضى عاصم كتابه إلى هشام استشار يحيى بن الحضرين والمجشر بن مزاحم السلمي فلاموه على ذلك . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٢٢ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢١٨ .

(٥) هو الحارث بن سريج بن زيد بن سواد من بني مجاشع بن دارم من حنظلة من تميم . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٣١ .

(٦) وفي ذلك قال عاصم : تخاصمني ببجيلة ثم يقضى
حباك خليلك القسري قيدا
على بها لبس الحكم ذاكا
لبس على الصداقة ماحباك
انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢١٨ .

النفوذ الأموي في خراسان شأنه في ذلك شأن ابن سريج التميمي .

وبقى أسد والياً على خراسان حتى وفاته في عام ١٢٠ هـ (١) ، وبعدها تقلد الإمارة جعفر بن حنظلة البهراني اليماني - بعهد من أسد - ولمدة أربعة أشهر فقط ، حيث جاء وال جديد عينه هشام بعد مشاورات رغب من ورائها في أن يولي خراسان رجلاً حازماً يقضي على الفتن التي ظهرت بتعاظم أمر العصبية القبلية - التي كان أسد القسري أحد مهيجيها (٢) - وينشوء دعوة آل العباس ونموها في خراسان بشكل لاغت للنظر (٣) ، وكان هذا الرجل هو نصر بن سيار الكناني المضري العدناني (٤) ، آخر ولاية بني أمية في خراسان ، وقد سحب عهد هشام لنصر بولاية خراسان عزل والي العراق خالد القسري عن أعماله كلها ليخلفه وال قيسي مضري هو يوسف ابن عمر الثقفي (٥) ، ولعل هشاماً قد لمس الآثار السيئة لتعصب خالد وأسد القسريين

(١) توفي أسد في « بلخ » بعد أن انقطعت « ديلة » كانت به وهو يمازح صديقه دهقان « هراة » ، أما أخوه خالد فقد مات في عام ١٢٦ هـ بعد أن عذبه يوسف بن عمر الثقفي ، وأم خالد وأسد نصرانية رومية قال الفرزدق معرضاً بها :

ألا قطع الرحمن ظهر مطية أتنا تهادي من دمشق بخالد
أفكيف يؤم الناس من كانت أمه تدن بأن الله ليس بواحد
بني ييمة فيها الناقوس لأمة ويهدم من كفر منار المساجد

انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٦٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ٣٢٥ ، ديوان الفرزدق ، ٢١٥ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٢٢ .

(٣) كان أسد القسري قد اخذ جماعة منهم فيهم ، سليمان بن كثير الخزاعي وموسى بن كعب ولاهر بن قريظ التميميان لكن جزاءهم لم يكن صارماً . انظر ابن الأثير : الكامل ج ٤ ، ٢٢٣ .

(٤) استعرض هشام عدداً من الأسماء فوق اختياره على نصر فقل له : أن نصرأ ليس له عشيرة قال : أنا عشيرته . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٥٦ .

(٥) هو : يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم ، أبو يعقوب الثقفي ولاء هشام اليمن عام ١٠٦ هـ ثم نقله إلى العراق وأضاف إليه امرة خراسان ، تسبب في موت سلفه خالد القسري أيام الوليد بن يزيد =

لأهل اليمن فأراد أن يُبدلهما بواليين من مُضر لكن نصر بن سيار لم يستطع هو الآخر التخلص من دواعي العصبية في إطارها الواسع فعين على « بلخ » و « مرو » و « هراة » و « نيسابور » و « الصفد » ، ولاء مضربين حتى قال رجل من اليمانية : مارأيت عصبية مثل هذا فقل له : بلى ، التي كانت قبلها ^(١) . وعندما توفي الخليفة هشام ابن عبد الملك كتب الخليفة الجديد الوليد بن يزيد ^(٢) عهداً جديداً لنصر بولاية خراسان على أن يكون ارتباطه بدار الخلافة مباشرة ^(٣) .

= وعزله يزيد بن الوليد عن الإمارة ثم قتله اليمانيون من اتباع القسري عام ١٢٧هـ ، وكان يُضرب به المثل في التيه والحمق ، كما كان يسلك سبيل الحجاج في الأخذ بالشدّة والعنف ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٢٦١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ٣٦٠ .

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٢٣٥ .

(٢) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان من فتيان بني أمية وظرفاتهم ولد عام ٨٨هـ ، وأتهم بالإنهماك باللهو وحين ولي الخلافة في عام ١٢٥هـ لم يمكث إلا سنة وثلاثة أشهر قُتل بعدها بتدبير من اليمانية الذين التفوا على يزيد بن الوليد بن عبد الملك ناقمين على الوليد تعصبه لمُضر ومستغلين لهو وعشه ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ٢٩٩ ، والبغدادي : الخزائن ، ج١ ، ٣٢٨ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٢٥٩ .

نظام الولاية زمن اضطراب الأسرة الأسوية بعد هشام ١٢٥ - ١٣٢ هـ .

رغب والي العراق يوسف الثقفي أن يجعل خراسان تابعة للعراق كما كانت ، وقد أجابه الخليفة الوليد بن يزيد إلى ذلك ^(١) فكتب إلى نصر يستقدمه فتباطأ نصر حتى جاءه الخبر بمقتل الوليد ، ووقوع الفتنة بين بني أمية ^(٢) ، وحين تولى الخلافة يزيد بن الوليد ^(٣) في عام ١٢٦ هـ عزل يوسف بن عمر عن العراق وولى مكانه منصور بن جمهور الكلبي اليماني ^(٤) ، فبادر هذا من فوره إلى عزل نصر عن خراسان وتولية أخيه غير أن نصراً امتنع على الوالي الجديد حتى عزل الوالي منصور بن جمهور عن العراق ، عزله يزيد ، وولى مكانه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، الذي أقر نصراً على ولاية خراسان ^(٥) ، وفي عام ١٢٨ هـ ولى مروان بن محمد — آخر الخلفاء الأمويين ^(٦) — يزيد بن هبيرة على العراق ^(٧) ، فكتب يزيد إلى نصر بعهدة على

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٥٩ .

(٢) وقد قيل في ذلك

إني أعيدكم بالله من فني مثل الجبال تسامى ثم تندفع

انظر ابن كثير : البداية والنهاية و ج ١٠ ، ٩ .

(٣) هو يزيد (الناقص) بن الوليد بن عبد الملك بن مروان كان محمود السيرة غير أنه لم يل الخلافة سوى أقل من السنة ومات بالطاعون أو مسموماً . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ١١ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، ٥ ، ١٨٨ .

(٤) هو منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو الكلبي من قادة اليمن الذين خططوا لمقتل الوليد بن يزيد وكان مسكنه في المزة من ضواحي دمشق ولما غزله يزيد بن الوليد عن إمرة العراق سار إلى بلاد ما وراء السند وبعد فترة من الزمن وجه السفاح العباسي إليه موسى بن كعب التميمي فقاتله موسى وانهزم الكلبي ومات عطشاً في عام ١٣٣ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٦٤ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٥ ، ٣٠٣ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ١٤ .

(٦) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم يعرف بالجعدي نسبة إلى مؤدية الجعد بن درهم (رأس فرقة الجهمية) كما يلقب بالحمار لجرائته في الحروب ، دعا الناس إلى بيعته بعد قتل الوليد بن يزيد وهو بـ « أرمينية » وزحف إلى الشام فخلع إبراهيم بن الوليد الذي تولى الخلافة بعد يزيد بن الوليد ومنذ =

خراسان ، فبايع نصر لمروان وظلّ والياً على خراسان إلى أن قُضي على نفوذ بني أمية هناك في عام ١٣١هـ (١) .

وقد عرّف الناس نصراً داهية شجاعاً ، أسهم في الفتوحات مع أسد القسري وتولى إمرة « بلخ » (٢) .

ومع أن أيام نصر بخراسان قد شهدت فتوحاً جديدة أحرز الناس فيها مغام كثيرة (٣) إلا أنها قد شهدت صراعاً قبيلاً مريراً (٤) ، وثورات عدة (٥) قويت فيها الدعوة العباسية ، وصبر نصر طويلاً ، وحارب إلى أن أعيته الحيل ، واستنجد ببني أمية في الشام مراراً ، منذراً إياهم ، ومنبهاً إلى الخطر الذي يهدد كيانهم ، إلى أن اضطر هو إلى أن يهرب أمام زحف جيش أبي مسلم الخراساني حتى أدركه الموت في « الري » في عام ١٣٢هـ كما سيأتي بيانه (٦) .

= عام ٨٢٧هـ إلى نهاية دولة بني أمية في عام ١٣٢هـ أصبح مروان خليفة للمسلمين وقد شهر بأنه كان حازماً مدبراً شجاعاً بليغاً ، قتل في « بوسير » في مصر . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ٢٨ ، يعقوبي : تاريخ يعقوبي ، ج ٣ ، ٧٦ .

(٧) هو يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري الديلمي النطفاني ولي العراق سنة ١٢٨هـ لمروان بن محمد وقاتل جيوش الدولة العباسية مدة من الزمن إلى أن تغلبت عليه ، قتل بواسطة عام ١٣٢هـ . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٢٨٨ ، ابن خلكان : وفیات الأعيان ، جـ ٢ ، ٢٧٨ .

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ٢٦٢ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٨ ، ٢٢١ .

(٣) وعمرت خراسان عمارة لم تعمر قبلها ، وأحسن نصر الولاية والجباية ، وفي ذلك قال سوار ابن الأشعر :

أضحت خراسان بمدد الخوف آمنة من ظلم كل غشوم المحكم جبار

لما أتى يوسف أخبار مالقيت اختار نصراً لها نصر بن سيار

انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ٢٤٠ .

(٤) ولعل أعنفه تمرد الكرمانى ومن معه من قومه الأزدي . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٩ ، ١٤ .

(٥) كثرة الحارث بن سريج التميمي وزيد بن علي بن الحسين وابنه يحيى . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ١٥ .

٢ - لماذا لم يُقدم الأمويون على إنشاء مدن إسلامية خاصة بالعرب ؟

عرف المسلمون الفاتحون المدن الخاصة بهم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفي عهده تمّ تمصير الكوفة ، والبصرة في العراق ، والفسطاط في مصر^(١) .

وتكونت هذه المدن على أنها حاميات ، ومعسكرات إسلامية^(٢) ، أنشئت من القش ، والعشيش (دساكر)^(٣) ، وتطورت إلى أن أصبحت مدناً كبيرة^(٤) .

وكان الخليفة عمر يقول : أن العرب بمنزلة الأبل لا يصلحها إلا ما يصلح الأبل والشاء ، ولذلك فقد طلب من سعد بن أبي وقاص أن يختار للعرب موضعاً عدنا ، وأن لا يجعل بينه وبينهم بحراً^(٥) .

والملاحظ أن عمر رضي الله عنه قد حرص على المحافظة على العنصر العربي من الاختلاط والذوبان في الأجناس ، والأمم الأخرى في تلك الفترة المبكرة من مراحل انتشار الإسلام النامي . يحمل العرب فيها مهمة نشره في البلاد ، والأقاليم المختلفة بل أن الخليفة وهو يقرر أن العرب هم عادة الإسلام كان يكره أشد الكره أن يستوطن الفاتحون في الحواضر ، وينتسبوا إليها ، ورأى أن انتسابهم إلى قبائلهم هو الأصح ، والأسلم^(٦) .

(١) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٢٧٢ ، ٣١٦ ، ٣٤٧ .

(٢) وهكذا أراد لها عمر رضي الله عنه أن تكون . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ٣٢٧ .

(٣) الدسكرة : فارسية معربة معناها موضع الاستقرار الصغير ، المرتكز بناؤه على القش والعشيش وهذا معناه أن الدسكرة أصغر من القرية . انظر ماسينيون : خطط الكوفة ، ٧٧ .

(٤) انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ١٠٠ .

(٥) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٢٧٥ . والعدن مكان الإقامة يقال : عدن^{البلد} توطئه ، وعدن الأرض

سمّدها ، انظر الجوهري : الصحاح ، ٧٣٤ .

(٦) كان عمر رضي الله عنه يوصي بأن لا يصبح العرب كنييط القرى إذا سئل أحدهم عن نسبه قال : أنا من قرية كذا ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٧ .

ويقيناً أنَّ الركون إلى مراكز الاستقرار القائمة ، والتوطن بها له محاذير أخرى يأتي في طليعتها تساهل الفاتحين في المهمة التي قدموا من أجلها ^(١) ، ولاشك أن عمر كان يدرك ذلك حين أمر باختطاط مراكز استقرار جديدة أشبه ما تكون بالمعسكرات ، والحاميات الدائمة ^(٢) ، وكان من وصيته أن يجمع المسلمون في موضع واحد قريب من الماء والرعي ^(٣) ، ثم هو طلب من عتبة بن غزوان أن يكتب له بصفة مكان البصرة ^(٤) ، وحين أذن للمسلمين بالبناء كانت مساكنهم في الكوفة والبصرة من القصب . فإذا غزوا نزعوا ذلك القصب ، وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو ، فإذا رجعوا أعادوا بناءه ، فلم تزل الحال كذلك حتى بنى الناس المنازل ^(٥) .

وقد روعي التنظيم القبلي في عملية الإسكان فكانت خطط البصرة والكوفة خططاً قبلية بحيث تسكن كل قبيلة أو مجموعة من القبائل في خطة واحدة ، وعرفت البصرة بأنها ذات أخماس قبلية ، لتميم ، وبكر ، وعبد القيس ، والأزد ، وأهل العالية ^(٦) وكذلك كانت خراسان فهي ذات أخماس كما هو الشأن في البصرة ^(٧) ، بل أن أصحاب الأخماس في البصرة هم أصحاب الأخماس في خراسان ^(٨) لكن

(١) انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ١٠٠ .

(٢) رد عمر على الفاتحين حينما أرادوا بناء الكوفة من القصب بقوله : العسكر أجَدَّ لحركم وأذكى لكم وما أحب أن أخالفكم . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ٣٢٧ .

(٣) وخال من المباق بعيد من مكان الأوثية . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٢٧٤ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ٣٢٩ .

(٥) احترق القصب في الكوفة ذات مرة فكتب المسلمون إلى عمر بذلك واستأذنوه في البناء باللبن فقال : افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة آيات ولا تطاولوا في البنين والزموا السنة تلزمكم الدولة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ٣٢٨ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ٣٢٨ .

(٧) انظر صالح العلي : امتداد العرب في صدر الإسلام ، ٥٢ .

(٨) قال الراجز يذكر أخماس خراسان :

إذا سعيد سار بالأخماس	في رهج يأخذ بالأنفاس
دارت على الترك أمر الكأس	وطارت الترك على الأحلاس

=

أخماس خراسان كانت ذات تنظيم عسكري فحسب بمعنى أن خراسان لم تعرف الخطط القبلية السكنية التي عرفتها البصرة ^(١) ، وقد حاول أسد القسري أن ينزل العرب على أخماس خططية سكنية في « بلخ » فأخفق في ذلك ^(٢) .

وكان أصحاب الخمس الواحد في خراسان ربما نزلوا في أماكن متباعدة متفرقة ولم يكن لرؤساء الأخماس أهمية قيادية كبيرة بل أن مهمتهم أقرب إلى أن تكون تشريفية وذلك على النقيض مما هو متبع في البصرة ، ونتج من قلة شأن رئيس الخمس وضعف نفوذه أن بعض القبائل هناك لا يعرف رئيس لخمسها لفترة طويلة ^(٣) ، وفي آخريات أيام بني أمية كادت الأخماس أن تتلاشى بحيث أصبحت الكتل القبلية تحمل اسم ربيعة ، واليمن ، ومضر ^(٤) .

فالوضع في خراسان مختلف تماماً من ناحية الاستيطان ، فلم تعرف خراسان مدناً إسلامية خاصة بالعرب كما في أرض العراق ^(٥) ولم تحفل السياسة الأموية بتوطين القبائل في أماكن جديدة مغايرة في تخطيطها وتنظيمها لمراكز الاستقرار الخراسانية القديمة ^(٦) .

= والمقصود بسعيد سعيد الحرشي والي خراسان . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٢٥٧ .

(١) انظر اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣ ، ٨٥ ، الدينوري : الأخبار الطوال ٣٦١ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٧ .

(٣) انظر حسن علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٧٢ .

(٤) يتضح ذلك في حوادث نصر بن سيار والكرماني . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ٥٧ .

(٥) أشار صالح العلي إلى أن العرب شعروا بعجز سياسة ابقاء الحاميات في خراسان عن تثبيت سلطان العرب في هذا الأقليم البعيد عن القواعد الرئيسية في البصرة والكوفة وأدركوا ضرورة إنشاء قواعد ثابتة تقيم فيها القوات العربية بصورة دائمة ، ثم أشار إلى « مرو » كأول مكان سكنه العرب هناك . أي أنه لم يتم إنشاء مدن جديدة . انظر صالح العلي : امتداد العرب ، ٥٠ .

(٦) وحتى إذا اضطر بعض الولاة إلى نقل العرب من مكان ما فإنه يتم إنزالهم في مكان آخر قائم وذلك كما فعل أسد القسري حينما نقل العرب من « البروقان » إلى « بلخ » انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٤٧ .

وإذا كان العرب المسلمون قد أنشأوا لهم دوراً واستتبوا الركايا ، وحصلوا على إقطاعات في خراسان^(١) فهذا لا يعني إقامة مدن جديدة ذات طابع متميز ببنائه ، وطريقة تخطيطه كما هو شأن الكوفة ، والبصرة ، بل أن العرب قد دفعوا إلى الاختلاط والامتزاج بأهل البلاد الأصليين في خراسان ، وبلاد ماوراء النهر^(٢) .

وكان من بين شروط الصلح التي تواضع عليها المسلمون وأهل خراسان أن يُفسح الخراسانيون للعرب في السكنى^(٣) ، وعمد قتيبة بن مسلم إلى إنزال العرب في وسط البلدان فيما وراء النهر ، وذلك « كبخارى » و « سمرقند »^(٤) ، ولعل سياسة الدمج التي اتبعها قتيبة قد جاءت نتيجة لرؤيته الاجتماعية والحرية من حيث عدم تعصبه للعرب ورغبته في الاعتماد على العنصرين العربى ، والتركي في حالة النفير^(٥) .

والملاحظ أن بخارى ، وسمرقند ، وخوارزم ، وغيرها من بلاد ماوراء النهر قد أصبحت منارات لنشر الإسلام ومراكز للثقافة العربية في آسيا الوسطى كما كانت « مرو » و « نيسابور » في خراسان^(٦) .

(١) وذلك مثل منازل آل الرقاد الأزديين ، وآل المحتفز المزيين التميميين ، ودور المضربة في « مرو » وركايا عثمان في « آمل » واقطاع صمصمة بن معاوية التميمي في المرقاب . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ٦١ ، ٨٢ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٤١ . والركايا هي الآبار التي لم تطو . انظر الجوهري : الصحاح ، ج ٢ ، ١٢٧ .

(٢) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٤١ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ١٢١ . وهذا مما لم يتم الاتفاق عليه أيام الفتوح الأولى في أرض العراق بل أن سياسة عمر قد حالت بين المسلمين وبين اقتسام الأرض في البلاد التي فتحت عنوة ومضى المسلمون على أن يجروا الأرض التي فتحت عنوة مجرى الأرض التي فتحت صلحاً يخلون بينها وبين أصحابها ، يقرونهم على ذلك ويؤمنونهم عليه ويكتفون بما يصلحون عليه من جزية أو نحوها ، انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ٢٤٩ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٣٢٤ .

(٥) وهذا يخالف ماذهب إليه بارتولد من أن قتيبة قد أجلى أهل هذه المدن وأسكنها العرب . انظر بارتولد : تركستان ، ٣٠٤ .

(٦) انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ٢١٤ .

والاختلاط بين العنصرين العربي والعجمي أفاد بلاشك^(١) ، وإن كان قد أدى فيما بعد إلى ضعف العرب ابتداءً من نسبتهم إلى المدن والقرى بدلاً من القبائل ، وانتهاءً بطغيان الأجناس الأخرى ، واختفاء الصورة العربية^(٢) .

وقد جعل بنو أمية « مرو » المدينة الخراسانية مركزاً لإنطلاق جيوشهم ، لإتمام عملية الفتح^(٣) وذلك في عهد زياد بن أبيه ، الذي رأى أن بعث حملات منظمة من نقطة معينة يحقق الإنطلاق فيما وراء النهر ويضمن الاستقرار فيما دونه وكل ذلك يخدم حركة الفتح بحيث أتت خطة زياد بنتائج إيجابية طيبة غير أن زياداً لم يفكر في أن يكون للعرب مركز إنطلاق في خراسان ينشئونهم ، ويحمل طابعهم ، وسمتهم الخاصة ، بل أن زياداً ، وولاته على خراسان قد وطّنوا العرب في البلدان القائمة المعروفة وفي « مرو » بالذات^(٤) .

ولم يؤثر عن خلفاء بني أمية أنهم صرفوا همهم في بناء مدن خاصة بالفاتحين العرب ولعلمهم أرادوها أن تكون كالشام ، التي كانوا يقيمون فيها في بلاد قديمة انشئت قبل الفتح ، من غير أن يخصصوا العرب بأماكن جديدة^(٥) ومن غير أن ينسبوا الجنود الفاتحين إلى قبائلهم فظلت الأجناد التي عرفت بها البلاد الشامية تحمل أسماء

(١) وذلك من ناحية انتشار الإسلام والتعريب والقضاء على الفوارق العرقية . انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ٢١٤ .

(٢) لم يستطع الجيل الذي نشأ من خطوات الامتزاج الأولى المقاومة في وسط مشبع بالتقاليد والأعراف ، انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ٢١٥ .

(٣) وعاصمة للبلاد . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٧ و ٣٧٩ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ٤٠٩ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل . جـ ٣ ، ٢٢٨ .

(٥) وكانت دمشق وحمص أهم مدينتين اتخذهما العرب مركزاً للسكن ، أما المقاتلة فقد وزعوا على الولايات الأربع (الأجناد) ، انظر صالح العلي : امتداد العرب ، ٦٤ .

البلدان السابقة للإسلام^(١) ، لكن الأمويين كانوا يرون أنّ كل ذلك قد أصبح عربياً إسلامياً وربما أرادوا من خراسان أن تكون كذلك بدون إقامة مدن جديدة لكن هذا لا يعني أنّ بني أمية لم يعنوا أبداً بإنشاء المدن في الأقاليم الأخرى فمدينة « القيروان » إسلامية أموية ، أقيمت في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان في الشمال الأفريقي^(٢) .

وقد انصهرت البلاد الشامية كلها وأصبحت عربية ، أمّا خراسان فقد تقلص فيها الشكل العربي والسمة العربية على المدى الطويل ، وقد تكون المقارنة بين الأقليمين غير مقبولة من حيث أن الشام قد أصبحت داراً للخلافة فترة طويلة ، ثم هي على علاقة بالقبائل العربية منذ أمد طويل وقرية من بلاد العرب^(٣) ، وكل هذا تفتقر إليه خراسان ، غير أنه يلاحظ أنّ بلاداً أخرى بعيدة عن الجزيرة العربية قد حافظت على الطابع العربي ، وذلك كالشمال الأفريقي لكن خراسان بالإضافة إلى بعدها الجغرافي كانت جزءاً من بلاد ذات حضارة قديمة اختفت ظاهرياً وبذل بعض أصحابها من أهل البلاد الأصليين جهوداً مضنية لاعادتها بأشكال مختلفة ، ثم أنّ خراسان كانت موطناً لثورات عديدة ، ومركزاً لصراعات مختلفة أثرت على الوضع الاجتماعي

(١) والأجناد هي : جند دمشق ، وجند حمص ، وجند فلسطين ، وجند الأردن ، وكانت على هذا النحو قبل العهد الأموي وفي عصر بني أمية أصبحت دمشق مركز الخلافة ومرجع الدولة كلها مع بقاء الأجناد الأربعة على وضعها بل أضيف إليها جند خامس هو قنسرين بعد إن كان من جند حمص ، وفصلت الجزيرة عن قنسرين زمن عبد الملك بن مروان وأصبحت إقليماً قائماً بذاته وما يلاحظ أن المكونات القبلية لهذه الأجناد غير واضحة . انظر صالح العلي : امتداد العرب ، ٧١ .

(٢) انظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ١٩٦ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ٢٣٢ .

(٣) أشار شكري فيصل إلى أنّ الفتح العسكري في بلاد الشام أعقبه تواصل اجتماعي بين العرب الوافدين والسكان المقيمين وأنّ هذا التواصل كان يعمل عمله في تكوين مجتمع جديد مخالف عن المجتمعات السابقة وأنّ سياسة الدعوة في ذلك الوقت كانت تستعجل نمو هذا المجتمع وكان يسعف ذلك ويعين عليه أمر القرايات القبلية والقرايات اللغوية في هذه المنطقة ومن تعاون ذلك جميعاً كان ولادة هذا المجتمع . انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ٧١ .

الخراساني بصفة عامة والخراساني العربي بصفة خاصة ^(١) ، علاوة على أن العرب في خراسان ، وبلاد ماوراء النهر قد أخذوا ، أوهم أجبروا في بعض الأحيان على الانتساب إلى المدن والقرى بدلا من الانتساب إلى القبائل ^(٢) وبالإضافة إلى ذلك كله فإنّ عدم إنشاء مدن خاصة بالعرب بعد الفتح قد سهل عملية تلاشي الصبغة العربية ، واندثار الطابع المميز للفاتحين الأوائل ^(٣) .

-
- (١) أشار شكري فيصل إلى أن حركة التعريب في المناطق الشرقية الإسلامية لم تكن موفقة على مثل ما كانت عليه في الشام والعراق ومصر والمغرب ، كان يقف في وجهها أشياء من طبيعة الحياة الإيرانية بما أثل لها من مجد وما كان لها من ماض وأشياء أخرى من الحياة العربية بما آل إليها أمرها في خراسان من تفكك وإنشقاق ومن اختصام وإقتتال وأشياء ثالثة من أوضاع الخلافة السياسية ونفليها مظاهر السيطرة على مظاهر الإدارة وكان ذلك كله قمينا أن ياعد بين العرب وبين أن تستقر طوابعهم في هذه المنطقة الشرقية . انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ٢١٥ . وهذا الرأي ليس مقبولا على اطلاقه إذ أن حركة التعريب شهدت انتشارا واسعا متميزا في خراسان فاق ما شهدته كثير من الأقاليم الإسلامية وقد نتج عن ذلك تفوق خراساني في العلوم الإسلامية والعربية وآدابها أما انحسار هذا النمو العربي فله أسباب كثيرة تخرج بنا عن نطاق هذه الدراسة ولا يعنيها أمر بحثها .
- (٢) وذلك كما في الطريقة التي أتبعها أبو مسلم الخراساني حينما أمر بنسبة الجند إلى مدنهم وقراهم بدلا من نسبتهم إلى قبائلهم . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ١٢٩ .
- (٣) مع ملاحظة أنّ اتساع رقعة البلاد الإسلامية في خراسان وبلاد ماوراء النهر لم يصاحبه هجرات عربية كبيرة كتلك التي حدثت أيام زياد بن أبيه . انظر صالح العلي : امتداد العرب ، ٥٣ .

٣- توطين العرب وأثره على السياسة الأموية :

لم يبذل الفاتحون جهداً في مواجهة المقاومة كالذي بذلوه في خراسان وبلاد ماوراء النهر^(١) ، ولم يشهد المسلمون عنفاً وضراوة شديدين في العراق والشام ومصر وأفريقيا^(٢) كذلك التي شهدوها في ذلك الجناح الشرقي من بلاد الإسلام .

لقد كان كل شيء في خراسان غريباً عنهم : الدّم ، واللّغة والأعراف ، والتقاليد^(٣) الإيرانية فيما دون النهر ، والإيرانية التركية فيما وراءه^(٤) وكانوا فوق ذلك كله يواجهون امبراطورية ضخمة امتد سلطانها على رقعة كبيرة من العالم عبر أحقاب طويلة من الزمن ، وضربت بجذور بعيدة في الثقافة ، والسياسة ، في أرض تعد من صميم الوطن الإيراني لأمد طويل ، ولا يصل بينها وبين العرب أية روابط^(٥) .

ولذا كانت مهمة الفتح عسيرة ، وكانت عملية انتشار الإسلام صعبة للغاية تطلبت جهداً مضاعفاً لإخماد الثورات والقضاء على التمرد^(٦) في وضع أشبه مايكون بمغالبة الناس على أنفسهم المشبعة بمعتقدات بينها وبين الإسلام بون شاسع .

ولم يكن للجيوش الإسلامية بقوادها الأفذاذ ، وفرسانها الأبطال أن تطوي تلك البلاد في حركة سريعة بل كان لابد من النضال الطويل ولا بد من نسج صلات متينة لاتتم من خلال الفتح بل وبتوطين العرب في تلك الأماكن النائية عن مقر

(١) انظر عن فتوح خراسان الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٥ ، ١٩٢ ، ج٧ ، ٨٢ . البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٠ .

(٢) كانت هذه البلاد على صلة قوية بالعرب قبل الإسلام ثم هي ولايات تكسوها أردية بيزنطية أو فارسية خلعها المسلمون حين قاموا بالفتح . انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ٢٠٥ .

(٣) أي أن هناك صراعاً جنسياً لغوياً دينياً

(٤) انظر بروكلمان : الشعوب الإسلامية ، ١ ، ١٦٤ .

(٥) انظر حسن بيرينا : تاريخ إيران القديم ، ٣٣٧ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ٣٢٧ ، ج٤ ، ٨٧ .

ومن هنا لجأ المسلمون إلى أن يكون لخراسان والي يعينه الخليفة ، أو يعينه والي العراق (٢) ثم يدعم هذا الوالي بأقوام من العرب ، يندبون معه (٣) ، أو يختارهم هو (٤) لمساندته ، وتثبيت دعائم سلطانه .

وطبيعي أن تكون الخطوات الأولى (٥) التي قام بها ولاية بني أمية في خراسان ذات أثر في تنبيه القادة إلى الأسلوب الأمثل في توسيع نطاق الفتح والمحافظة على ما يتم بناؤه من التصدع ، والأنهيار ، وقد كان الولاية الأوائل في قلة من العرب فكانوا يصلحون على أنواع مختلفة من الصلح ، فإذا حانت الفرصة لأهل البلاد الأصليين ، وثبوا بهم ، لكن ذلك تغير إلى حد كبير حين جمع العراق كله لزياد بن أبيه ، وربطت به البلاد الخراسانية فجعل من « مرو » قاعدة الحكم ، وأمدّها بأعداد كبيرة من العرب ، فضمن بهذه السياسة الهدوء لخراسان وأصبح التوسع في الفتح عبر النهر أمراً ممكناً (٧) كما أصبحت « مرو » مركزاً أولياً مهماً للتعريب ، لحقت به مراكز أخرى ، أضفت آثارها على بلاد واسعة في الشرق الإسلامي ، وأصبحت خراسان ،

(١) انظر صالح العلمي : امتداد العرب ، ٤٩ .

(٢) انظر نظام ولاية خراسان في هذا الفصل .

(٣) وذلك كما فعل زياد حينما وليّ الربيع بن زياد الحارثي خراسان ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ٣٤٨ .

(٤) وذلك كما اختار سعيد بن عثمان وسلم بن زياد عدداً من وجوه الناس واشرافهم والمقاتلين من العرب ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ٢٩٢ ، ٣٠١ .

(٥) المقصود بها تلك الغزوات التي قام بها الولاية أثناء ولاية عبد الله بن عامر في زمن معاوية . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٠ .

(٦) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٠ .

(٧) أشار شكري فيصل إلى أن فتح ما وراء النهر فتحاً منظماً واضح الهدف نير الخطى إنما وضعت أسسه

وما وراء النهر مدينة للهجرات العربية ، التي هي المادة الأولى في تعريب مناطقها ^(١) .

ومن حق أن العنصر العربي هو المادة الأولى في جيش الفتح ^(٢) ، لكن التغلب الحربي كان محتاجاً إلى أنواع من الاتصال بالأرض ، ومن الاختلاط بالسكان ، ومن توثيق العلاقات بهم ، وطى الفجوات ، التي تفصل بين العرب من جهة والإيرانيين والأتراك من جهة أخرى ، وبذا كان توطين العرب خطوة رائدة في نشر الإسلام والتعريب ^(٣) .

وقد أحكمت الإدارة الأموية أمر الهجرة العربية ، والتوطين في خراسان فلم تتركه إلى القبائل تسير به وفق مشيئتها بل عمد إليه الولاة ، وقصدوا إلى تنظيمه فكان جزءاً من سياستهم في ترتيب وضع الولاية ، وتنظيم شئونها ^(٤) .

= في السياسة التي انتهجها زياد وابنه عبيد الله من بعده والتي أدركت أن فتوح ما وراء النهر إنما يكون فيما دون النهر ، وهو يقصد بذلك توطين العرب بخراسان كما أشار إلى استعانة عبيد الله بن زياد بالفي رام من مهرة رماء بخارى واتخاذهم حرساً وقال إن معنى هذا أن أمر المسلمين في هذا الجزء من الأرض قد مال إلى شئ من الاستقرار والتمركز . انظر شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي ، ٢١٤ .

(١) انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ٢١٢ .
(٢) ذكر الرقم الإجمالي للمقاتلين العرب في زمن الربيع بين زياد الحارثي عام ٥٤ هـ عندما نقل خمسين ألفاً ، وفي أواخر أيام قتية بن مسلم عام ٩٦ هـ حينما كان عددهم أربعين ألفاً ، انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٠ .

(٣) وهذا ماقصده الولاة حين دفعوا القبائل العربية إلى استيطان خراسان . انظر البلاذري : فوح البلدان ، ٤٠٩ .

(٤) كان أمير بن أحمر اليشكري أول من اسكن العرب « مرو » في عهد زياد عام ٤٥ هـ ، وفي سنة ٥١ هـ حول زياد مع الربيع بن زياد الحارثي خمسين ألفاً بعيالاتهم ، وفي عام ٦١ هـ انتخب مسلم بن زياد ستة الاف من الوجوه والفرسان ، وظلت الامدادات تتوالى يبعثها الخليفة في الشام أو واليه في العراق أو يختارها والي خراسان انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ٢٢٥ ، ج٧ ، ٦٥ . مع ملاحظة أنه كانت هناك هجرات فردية أو محدودة العدد . انظر صالح العلي : امتداد العرب ، ٥١ .

ومع أن أول هجرة مُنظمة قد قُصد بها مدينة « مرو » بالذات فإنّ انتشار العرب فيما بعد لم يجعل القبائل تعيش في نطاق ضيق محصور لكنها أصبحت في مناطق كثيرة متسعة ، متباعدة ، تقيم فيها شعائر الدين ، وتدعو جماعات منها إلى الإسلام فكان لذلك أبعد الأثر في إنتشاره ، وتقبل الناس له ، وانضمامهم إليه ^(١) .

ولا يفهم من هذا أنّ عملية التوطين التي أفادت في التعريب ، ونشر الإسلام كانت منفصلة عن العملية الجهادية إذ هما عمليتان متلازمتان ، تسند إحداهما الأخرى ، فوجود العرب هناك يدعم حركة الفتح ويقودها ^(٢) ، والهجرة العربية إلى خراسان تعوض خسارة الجند في المعارك ^(٣) كما كانت أعداد من العرب تقيم في الحاميات والمسالح ، والرباطات في أنحاء متفرقة من خراسان ، وبلاد ماوراء النهر ^(٤) ، وبالمقابل فإنّ النشاط العسكري العربي يحمي المناطق المفتوحة ، وفيها العرب الذين انخرطوا في الحياة العامة ، وشاركوا في مظاهرها ، وألوان مختلفة من النشاط في إطار السلوك الإسلامي ^(٥) .

وناحية أخرى من آثار توطين العرب في تلك البلاد ، هي صهر العنصرين العربي

(١) انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ٢٠٠ .

(٢) ويقضى على الانتفاضات والهجمات المفاجئة كما في حادثة قصر الباهلي ببلاد ماوراء النهر ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ١٧٨ .

(٣) من ذلك مثلاً أنّه لما قُتل سُورَة بن الحر التميمي واشتد الأمر على المسلمين في عام ١١٢ هـ بعث الخليفة هشام بن عبد الملك إلى الجنيد المري والي خراسان عشرين ألفاً . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ١٩٨ .

(٤) كان يعين في الحاميات والمسالح عدد من أبناء القبائل ، انظر مثلاً الحديث عن مسالح سمرقند أيام قتيبة حيث كان يقوم بأمرها عدد من بني تميم وقيس ، ومسلحة طوس إبان حركة يحيى بن زيد والتي يقوم عليها التميميون وذلك في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ١٥٤ ، ٣٠٠ ، والربطات هي منازل لسرايا الخيل مهمتها حماية الثغور من غارات الأعداء انظر بارتولد : تركستان ، ٣٠٩ .

(٥) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٧٥ .

والعجمي في مجتمع واحد^(١) فاختلاط العرب ، وهم في قلاع ، وحصون الحاميات
بغيرهم ليس صعباً ، كما أنه ليس من العسير تصور ألوان المشاركة العملية فيما بين
العنصرين علاوة على أن فترات السلم تتيح للطرفين كل أنواع الاتصال السلمي مما
يحول بين العرب ، وبين العزلة ، وكذلك بالنسبة لأهل البلاد الأصليين^(٢) ، كما
أن الأبعد من ذلك والأكثر أهمية في سبل الاتصال بين من تم توطنهم من العرب
وبين من سواهم هو أن بعض العرب قد مال إلى امتلاك الأرض في الأرياف^(٣) ،
وأصبح لهم أملاك ورقيق في واحات « مرو » وغيرها^(٤) ، وكان لهم خدام إيرانيون ،
ونساء إيرانيات^(٥) .

أتاحت سياسة التوطين في خراسان إذن أن يكون للجنود مواقعهم الثابتة مع
ارتباطهم بولاتهم ، وأمرائهم المرتبطين بالوالي العام المعين لخراسان وفتح الاختلاط مجالاً
للتأثيرات الخارجية ، والمزج بين العرب والعجم^(٦) ، وما يلاحظ هو إقبال الأعاجم
على الإسلام وما يتصل به من آداب واللغة العربية ليكون نصيبهم منها مثل نصيب
العرب المسلمين أو فوق نصيبهم حتى لا يكون هناك سبيل إلى استعلاء ، وأقبل
الأعاجم على اللغة فتعلموها بعد أن خالطوا العرب ، وعاشوا بينهم وانضموا إليهم ،
وقد أصابت كثرة منهم تقدماً واسعاً في اللغة العربية ، وخطأً كبيراً منها ، كل ذلك
بفضل امداد العربية بدفقات من دمها الأصيل ، وتغذيتها بمواصفاتها اللغوية الأولى

(١) ومن أمثلة ذلك اشتراك العرب والعجم جنباً إلى جنب في الحروب أيام قتيبة بن مسلم . انظر الطبري :
تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٧٥ .

(٢) انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ٢١١ .

(٣) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٣ .

(٤) واحتفروا القنى واتخذوا القناطر كقناطر عطاء بن السائب على نهر بلخ . انظر البلاذري : فتوح
البلدان ، ٣٩٢ .

(٥) انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٨٥ .

(٦) انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٩١ .

من خلال الهجرات التي مكنت للعربية من أن تضع أقدامها هناك ^(١) .

ولعل من أغرب الآراء المدلّسة مذهب إليه بارتولد من أنّ الأمويين لم يكونوا قد خططوا سياسة تستند على أسس متينة بل كانوا في المكان الأول طليعة الشعب العربي في حرب الجهاد فانصرف همهم إلى بسط سلطانهم بين العرب وجباية الضرائب من الشعوب التي خضعت لهم ، وجمع الجزية من الأمراء الذين دانوا لهم بالتبعية ، ومن الطبيعي أيضاً أنّ أهداف ولائهم كانت مطابقة لأهدافهم ، وعلى تخوم الدولة الجديدة حيث اجتذب الأمل في الثراء العاجل أكثر العناصر اضطراباً وتمرداً أضحي موقف هؤلاء الولاة عسيراً للغاية ، ولذلك فهو يرى أنّ ذلك من أسباب الثورات المتوالية التي قام بها أهالي ماوراء النهر ضد المسلمين ^(٢) .

ومن حيث أنّ إخضاع البلاد أولاً قد حل في المقام الأول من حركة المسلمين ^(٣) فهذا طبيعي لأنّه الأساس والضرورة التي لا بد منها لكي تجدد الدعوة إلى الإسلام الأرض التي تستقر الأقدام فوقها ^(٤) ، وهذا لا يتفق مع مذهب إليه بارتولد في آرائه التي تصطدم بالروايات التاريخية في مصادرها الأصلية ، ولنا في طريقة قتيبة وأسلوب إدارته للبلاد المفتوحة مثل يفند مزاعم بارتولد ، ومن ذلك أنّ قتيبة صالح أهل « سمرقند » علي أن يصلي في المدينة فاتخذ مسجداً ، وخلف بها جماعة من المسلمين ، منهم الضحاك بن مزاحم ، صاحب التفسير ^(٥) .

(١) انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ٢١٥ .

(٢) وأضاف بارتولد أن الأمويين على نقيض العباسيين في عدم تخطيطهم لسياسة إمبريالية ذات أسس متينة . انظر بارتولد : تركستان ، ٣٠٦ .

(٣) انظر تفاصيل حركة فتح خراسان وبلاد ماوراء النهر في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ٩٥ ، ج٧ ، ٨٥ ، ١١٥ ، ج٨ ، ٣٥ ، ٢١٥ .

(٤) انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ٢١٥ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ١٦٥ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١٠ . وناقض بارتولد نفسه حينما قال أن قتيبة اضطّر أهل البلاد الأصليين إلى الهجرة من بلادهم ثم قال في موضع آخر =

وفكرة قتيبة في توطين العرب فيما وراء النهر تعتمد على إسكانهم في المدن القائمة ^(١) ، وقتيبة لم يكن متعصباً للعرب دون غيرهم ^(٢) ، وقد تحقق له ما كان يتطلع إليه من المشاركة الفعلية في الحياة الاجتماعية ، والعسكرية المعتمدة على العنصرين العرب والعجمي ، أما ما ذهب إليه البعض من أن فتح « سمرقند » لم ينتج عنه سوى وجود حامية ، كان من واجب قوادها أن يوسعوا فتوحهم في منطقة « الصغد » التي تضم لهم العداء فقول مرفوض لافتقاره إلى ما يدعمه من الأدلة التاريخية ^(٣) .

ولعل مما يؤيد الانتشار العربي في بلاد ما وراء النهر ، والتصاق القبائل بالأرض هو ، رفض العرب العودة من تلك الديار حينما أبدى الخليفة عمر بن عبد العزيز رغبته في ذلك ^(٤) .

ولقد أخذ المسلمون أنفسهم بأعمار الأرض ، وحسن استثمارها ، لم يهملوا أمرها ، ولم يدعوها على مثل ما أخذوها عليه ، وإنما هم بذلوا الجهد فيما يكفل لهم

= أن الأسر الحاكمة المحلية ظلت قائمة احتفظت بالإدارة الأهلية في أيديها . انظر بارتولد : تركستان ، ٣٠٤ .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٧٥ .
(٢) يذهب البعض إلى أن سبب ذلك هو قلة باهلة قبيلة قتيبة وهذا مردود بأن قتيبة لو كان عصياً لتعصب للقيسية التي تنتمي إليها باهلة خاصة أنه قد اتسع نطاق العصية القبلية في العصر الأموي فأصبح يشمل الروابط الكبرى لا الرابطة القبلية الصغيرة كما سيتم إيضاحه ، وهناك من يذهب إلى أن قتيبة كان متعصباً للقيسين وأن شأنهم قد علا في عهده لكن الحق أن قتيبة لم يكن متعصباً وحاول أن يساوي بين القبائل العربية فيما بينها من ناحية ، وبين العجم من ناحية أخرى ما أمكنه ذلك ، انظر إحسان النص : العصية القبلية ، ١١١ ، حسن علوان : الشعر العربي في خراسان ، ٧٨ ، بارتولد : تركستان ، ٣٠٤ .

(٣) انظر تعليق شكري فيصل على هذا القول في كتابه المجتمعات الإسلامية ، ٢١٧ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٣٥ .

الأزدهار ، والخصب ^(١) ، وقد لجأوا إلى كل مايساعد على حسن الاستثمار من ري ، وزراعة ^(٢) ولاشك أنّ أخذ العرب أنفسهم بذلك ، إنما هو أثر من أثار التوطن العربي في خراسان ، ونتيجة من نتائج الاستقرار ^(٣) .

ولعله لا يغرب عن البال ما لاستقرار القبائل العربية هناك من أثر في دعم الولاة ، ومساندتهم ، فابن خازم استقوى ببني تميم ^(٤) وكذا فعل نصر بن سيار ^(٥) ، أما المهلب فقد تخلى عن الإمارة بطووعه أيام ابن الزبير ولم ينافس عليها ^(٦) لضعف شأن قومه الأزد ^(٧) ، فما أن جاءت ولايته في عهد عبد الملك إلا وأصبح قومه الأزد يون ذوي شأن كبير شدّ بهم أزره ^(٨) ، وحين بلغ التعصب القبلي ذروته أيام بكير التميمي رغب الناس في وال من قريش لا يتعصب له أحد من العشائر ^(٩) ، وقريباً من هذا حدث في أواخر أيام هشام بن عبد الملك حين رغب في تأمير من لا ينتمي إلى عشيرة كبيرة في خراسان ^(١٠) ، وهو نصر بن سيار .

وهذه أمثلة مما تقدمت الإشارة إليه ، ومما سيتم عرضه بالتفصيل لاحقاً ، وهي

(١) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٤٣ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ٢٠١ .

(٣) انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ٢١٣ ، حسين علوان : الشعر العربي في خراسان ، ٨٥ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ٢٩٢ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ٢٣٥ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ٦٤ .

(٧) انظر حسين علوان : الشعر العربي في خراسان ، ٨٧ .

(٨) انظر إحسان النص : العصبية القبلية ، ١١٧ .

(٩) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ١٢٨ .

(١٠) رغب هشام في تولية نصر بن سيار فقيلاً له : أن نصراً لا عشيرة له بخراسان فقال : أنا عشيرته .

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ٢١٥ .

تدل على أنّ توطين القبائل العربية هناك قد أفاد بعض الولاة في تدعيم مراكزهم ، كما أنه خذل آخرين ، ويلاحظ أيضاً أنّ إستيطان القبائل هناك قد أدى إلى نشوب صراع عشائري يزداد حيناً ويضعف أحياناً أخرى ^(١) ، كما أنّه قد خدم دعوة بني العباس ، حيث نمت هذه الدعوة وترعرعت في أحضان بعض العشائر العربية المستقرة في خراسان وذلك كبنّي خزاعة الأزدبيين اليمانيين ^(٢) .

ومما يؤخذ على حركة التوطين في خراسان أن الهجرات المنظمة التي شهدتها أوائل العصر الأموي لم يتبعها هجرات منظمة مماثلة تزيد في أعداد العرب ، وتعوّض النقص الناتج عن الحروب والكوارث ، ثم أنّ العرب لم يخطوا بلداناً خاصة بهم ، وأيضاً فقد كان معظم من نزل خراسان واستوطنها من العرب هم من أهل البصرة ^(٣) ، فانتقل صراع البصرة القبلي إلى خراسان ^(٤) . وكل هذه الأمور أدت إلى ضعف النفوذ العربي مع تطاول الزمن وإنصهار العناصر العربية في بوتقة الأجناس الأخرى ^(٥) .

(١) مثل الصراع القبلي أيام ابن خازم ، وأيام بكير التميمي ، وأيام أسد القسري انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ٨٥ ، ١١٢ ، ج٨ ، ٢٣٣ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٢٥١ .

(٣) انظر ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ١٦٦ .

(٤) انظر صالح العلي : امتداد العرب ، ٥٣ .

(٥) انظر شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ٢١٣ .

بلد و ماری النهر و اضم محض استمرازا لیبائی الحیة بها



٤ - أهم مواطن استقرار القبائل العربية في خراسان وبلاد ساورا والنهر :

انقسم إقليم خراسان في العهد الأموي إلى أرباع نسب كل ربع إلى إحدى أكبر مدنها الأربع ، والتي كانت عواصم للإقليم بصورة منفردة أو مجتمعة في أوقات مختلفة ، وهذه المدن هي : « نيسابور » و « مرو » و « هراة » و « بلخ » ، وتعتبر هذه المدن الأربع أهم مواطن استقرار العرب مع غيرها من المدن الأخرى والتي ستحدث عنها في هذا البحث .

- نيسابور :-

تقع نيسابور في غرب خراسان ^(١) ، ويُلفظ اسمها « نيشابور » ، وهو مشتق من « نيو شاه بور » في الفارسية القديمة ومعناه « شيء أو عمل أو موضع سابور الطيب » ^(٢) ، إذ هي منسوبة إلى الملك سابور الثاني ^(٣) ، الذي جدد بناءها في القرن الرابع الميلادي ^(٤) ، وإلا فإن مؤسسها الأول كان سابور بن أردشير ^(٥) .

وبعد الفتح الإسلامي عرفت نيسابور باسم « أبرشهر » ومعناه مدينة الغيم في الفارسية ^(٦) ، ورد ياقوت على من ذكر أنها تعرف أيضاً باسم « إيرانشهر » وقال : أن هذا الاسم يطلق على مملكة كسرى من القادسية إلى نهر جيحون ^(٧) .

(١) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٩٥ .

(٢) انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٢٤ .

(٣) هو سابور ذو الأكتاف المتوفى في عام ٣٧٩م . انظر حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ٢٤٠ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ٢٤٢ .

(٥) انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٢٤ ، وسابور الأول هو ابن أردشير تولى الحكم في عام

٢٤١م وتوفى في عام ٢٧١م . انظر حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ٢٢٩ .

(٦) انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٢٥ .

(٧) وأضاف ياقوت أن العامة يسمونها « نساور » وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة ، معدن

الفضلاء ومنبع العلماء . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٣٣١ . ونيسابور الآن في الجزء الشمالي الشرقي من إيران وأغلب بلدانها القديمة داخلة في الأرض الإيرانية انظر

ويتبع نيسابور مدن وبلدان كثيرة ذكر أصحاب المعاجم عدداً كبيراً منها ^(١) ،
وقال ياقوت : أنه يتبع لـ « بشتفروش » وحدها مائة وست وعشرون قرية ^(٢) و
« بشتفروش » من أعمال نيسابور في غربها ، ويربطهما ببعض طريق يخرج من باب
نيسابور المعروف بباب « جنك » ، أي باب الحرب ^(٣) .

وذكر ابن حوقل : أنه لا يوجد بخراسان أصبح هواء وأفسح فضاء وأشد عمارة من
نيسابور ^(٤) ، وقريباً من ذلك كان وصف ياقوت لها ^(٥) ، وأفاض المقدسي في ذكر
محلاتها ، ودروبها المؤدية إلى مايقرب من الخمسين باباً . ومسجدها الجامع ، المزينة
حيطانه بـ « القرميد » المذهب ، والمرفوع سقفه على أساطين « الآجر » ورساتيقها
الخصبة ، الرحبة ^(٦) .

وفي الجهة الشرقية من نيسابور توجد مدينة « المشهد » تفصل بينهما سلسلة من
الجبال ، و « المشهد » منازل قائمة في القسم الإيراني من خراسان ^(٧) ، وقريب
منها أطلال مدينة « طوس » ^(٨) وكانت طوس تتألف من مدينتين « الطابيران » و

= محمود شاكر : خراسان ، ٥٣ .

(١) انظر مثلاً المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٠٠ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ .

(٢) ويقال : بشتفروش ، أحدثها بشتاسف الملك الفارسي . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ٣٢٦ .

(٣) انظر الأصبخري : مسالك الممالك ، ٢٥٠ . أحسن التقاسيم ، ٣١٦ .

(٤) انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣١٢ .

(٥) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٥ ، ٣٣١ .

(٦) رماء نيسابور من نهر يقال له وادي « سفاور » المنحدر من « بشتنقان » المجاورة لها . انظر المقدسي :

أحسن التقاسيم ، ٣١٦ .

(٧) انظر محمود شاكر : خراسان ، ٦٠ .

(٨) انظر كي لسترغ : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٣٠ ، وقد أشار المترجم إلى رسالة عن تاريخ طوس لمحمد

مهدي العلوي طبعت في بغداد .

« نوقان » (١) .

أما غرب نيسابور ففيه رستاق « بيهق » ، ومدينتاه « سبزوار » و « خسروجرد »
والأولى هي « بيهق » قديماً (٢) .

ويربط نيسابور بمرور العاصمة طريق يجتاز « طوس » ف « سرخس » و
« سرخس » على ضفة نهر المشهد (تجند) أحد روافد نهر هراة ، وصفها المقدسي
وأشار إلى تربتها الصحيحة وهوائها الطيب ، وكثرة مراعي الجمال ، والأغنام فيها (٣) ،
وقريباً منها في اتساع كبر المساحة كانت مدينة « نسا » الواقعة في شمال نيسابور (٤) .

ويربط أهالي نيسابور بالملوك الساسانيين علاقة وطيدة فمنهم أخوال الملك « أنو
شروان بن قباد » ، كما أن منهم أخوال آخر ملوك فارس « كسرى يزدجرد » ،
وبسبب ذلك كانت نيسابور أولى البلاد انتقاضاً على الخلافة الإسلامية بعد فتح
خراسان الأول ، وقد قاد هذه الانتفاضة « آل كنازي » أخوال « يزدجرد » (٥) .

وكانت أقدام الفاتحين المسلمين قد وطئت نيسابور لأول مرة في عام ٢٢ هـ ،
وذلك حينما قدم إليها مطرف بن عبد الله الشخير على رأس جيش بعثه الأحنف ابن

(١) وخرج من « نوقان » خلق من العلماء منهم أبو علي الحسن بن علي بن نصر بن منصور الطوسي
النوقاني ، انظر ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ، ٣١١ وفي طوس قبر هارون الرشيد الخليفة العباسي ،
وقبر علي الرضا بن موسى الكاظم ثامن الأئمة الاثني عشر عند الإمامية انظر ابن كثير : البداية
والنهاية ، ج ١١ ، ٢١٣ . ابن خلكان : وفیات الأعيان ١ ، ٣٢١ .

(٢) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣١٨ .

(٣) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣١٤ .

(٤) انظر الاصلطخري : ممالك الممالك ، ٢٧٠ ، والنسبة إلى « نسا » نسائي منها عالم الحديث المشهور
النسائي (ت ٣٣٣ هـ) وهي الآن اطلال بالقرب من عشق آباد في جمهورية التركمنستان ، انظر
محمود شاکر : خراسان ، ٤٧ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ٢٢٤ ، ٢٤٢ .

قيس من « هراة »^(١) ، وفي عام ٣٣ هـ حاصرها ابن عامر شهراً ، وفتحها صلحاً بعد أن كانت قد انتقضت على المسلمين ، وقد أحرم ابن عامر بعد ذلك بعمرة من نيسابور^(٢) .

وفي عام ٣٦ هـ قدم « ماهوية أبراز » مرزيان « مرو » على الخليفة علي بن أبي طالب فتلقاه علي بالترحاب^(٣) ، وأسند إلى صاحب شرطته الأصبع ابن نباتة^(٤) مهمة الاحتفاء به ثم كتب معه إلى دهاقين خراسان وأساورتها غير أنهم كفروا وأغلقوا أبواب نيسابور^(٥) ، فبعث الخليفة خليداً اليربوعي ، والياً على خراسان ، فحاصر نيسابور حتى صالحه أهلها^(٦) .

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان كان قيس بن الهيثم وعبد الله بن خازم السلميان القيسيان أول من ولي خراسان على التوالي وهما ممن شهد فتح أقليم نيسابور مع ابن عامر (الفتح الثاني سنة ٣١ هـ) ، فكان ابن الهيثم مسئولاً عن « نسا » و « أبيورد »^(٧) وابن خازم مسئولاً عن « سرخس » .

وفي نيسابور كان لقاء ابن خازم بسلم بن زياد في عام ٦٤ هـ ، ومنها كانت

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٢٦٣ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ٨٤ . وفتح ابن عامر « بيهق » أرسل إليها الأسود بن كاثوم العدوي التميمي . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٦١ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ٢٣٣ .

(٤) هو الأصبع بن الحارث بن عمر بن فاكك ، مجاشعي دارمي ، من تميم . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٩٦ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ، ٢٣٣ .

(٦) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٩٨ .

(٧) تقع « أبيورد » بين « نسا » و « سرخس » ذكرها ياقوت باسم « بار » شرق « نسا » على حافة مفازة « مرو » . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ٣٣٣ ، وموضع « أبيورد » في جمهورية التركمنستان حالياً شأنه شأن مرو الشاهجان إلا أنه غير معروف الآن ، انظر محمود شاکر : خراسان ، ٤٧ .

ولايته الثانية على خراسان (١) ، غير أنَّ نيسابور قد أصبحت مقراً للمناوئين له إذ اتخذها بحير بن ورقاء التميمي قاعدة للمعارضة ، وبذلك كثر بنو تميم بها ، خاصة بنو سعد (٢) ، وبعد احتدام الصراع بين بحير وابن خازم خشي ابن خازم من بني تميم الموجودين في « مرو » فكلّف ابنه موسى بأن يحمل ثقله ، ويقطع نهر « بلخ » إلى بلاد ماوراء النهر أملاً في وجود من يؤويه (٣) ، وسار هو إلى نيسابور لكنه قتل قبل أن يبلغها وذلك في عام ٧٢ هـ (٤) ، أما بحير فقد سجن ثم خرج قبل مقدم أمية بن عبد الله والي خراسان ، والتقى به في نيسابور ، وأصبح من كبار أمنائه ، ومستشاريه (٥) .

وقد شهدت نيسابور اضطرابات قبل عام ٩٨ هـ بسبب القلاقل التي كانت تحدث في « جرجان » ، وكان يزيد بن المهلب يتحدث عند سليمان بن عبد الملك ملمحاً عن أهمية إخضاع « جرجان » و « طبرستان » ، والقضاء على التمرد فيهما (٦) ، فما أن ولي يزيد خراسان للمرة الثانية حتى أخضعهما (٧) .

ولما خرج الحارث بن سريج التميمي عام ١١٦ هـ طمع في نيسابور وقال إن أتاها عاصم الهلالي فرق جماعتنا (٨) ، وقد استولى الحارث على كل البلاد الخراسانية ،

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ١٦ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٧٤ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٩٤ .

(٤) وقد عبر ابنه موسى نهر بلخ في قصة طويلة وانتهى به المقام إلى ترمذ فتغلب عليها حتى أرسل إليه المفضل بن المهلب جيشاً في عام ٨٥ هـ فقتل وكان قاتله واصل بن طيسلة العبدي الحنظلي

التميمي ، انظر ابن الأثير : الكامل ج ٣ ، ٢١٥ ، ج ٣ ، ٩٧ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٨ ، ١٩٤ .

(٦) كان يزيد يقول هذا الكلام إبان وصول أخبار فتوح قتيبة فيما وراء النهر إلى دار الخلافة ، انظر

الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢١٥ .

(٧) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٩٥ .

(٨) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢١٨ .

لكن نيسابور لم تسقط ، وظلت مع « مرو » في يد الوالى عاصم الهلالي .

وعرفت نيسابور بالقشيريين العامريين ، وتولى امرتها عدد منهم كزياد بن عبد الرحمن^(١) الذي كان أميراً عليها في عام ١٢٠ هـ من قبل نصر بن سيار^(٢) ، وفي عام ١٢٥ هـ سیر نصر بن سيار يحيى بن زيد بن علي إلى الوليد بن يزيد ، فنزل زيد « سرخس » ، ثم « بيهق » ، ثم كرّ عائداً ، إلى « نيسابور » خوفاً من يوسف ابن عمر ، والى العراق ، فقتل عامل نصر عليها ، وهو عمرو بن زرارة ، قشيري ، عامري^(٣) .

وكان في نيسابور أنصار للدعوة العباسية غير أن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس لما بعث الداعية أباً محمد مولى همدان إلى خراسان عام ١٠٩ هـ نهاه عن رجل اسمه غالب في نيسابور مفرط في حب بني فاطمة^(٤) ، وفي عام ١٢٤ هـ نزل أبو مسلم الخراساني في نيسابور في محلة بها تعرف باسم « بونا باز » ثم تحول عنها^(٥) .

وبرز في نيسابور عدد من الأعلام العرب الذين نسبوا إليها : منهم النعمان بن عبد السلام بن حبيب التميمي ، أحد العبّاد الزهاد الفقهاء ، من ثقات أهل الحديث ،

(١) هو زياد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن هبيرة بن زفر بن عبد الله بن الأعور بن قشير من بني كعب ابن ربيعة من بني عامر بن صعصعة من هوازن القيسية المضربة ، وقد ذكر ابن حزم أنّ زياداً ولي خراسان لعمر بن عبد العزيز ، والحق أنّ ذلك ليس هو بل عبد الرحمن بن عبد الله القشيري الذي كان على خراج خراسان مع عبد الرحمن بن نعيم الغامدي الأزدي صاحب حربها وقد تقدم ذلك ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٩٠ ..

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٢٣٩ .

(٣) كتب نصر إلى رأس بني تميم في أقليم نيسابور الحسن بن زيد التميمي أن يُشخص يحيى من « طوس » وكان الحسن عليها فوكل به سرحان بن فروج بن مجاهد بن بلعاء التميمي إلى أن قدم به نيسابور . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ٣٠٠ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٢٠٠ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٢٥٤ .

توفي في عام ١٨٣ هـ^(١) ، ويحيى بن بكر التميمي النيسابوري ، شيخ خراسان ، وعالمها ، وإمام المسلمين في عصره^(٢) .

ويلاحظ أنَّ القبائل العربية قد نزلت أرض نيسابور منذ أيام الفتوح الأولى ، لكن العشائر العامرية وبالذات بني قشير تميزت بكثرتها هناك^(٣) ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ، وعدا من تقدم ذكرهم من العامريين النيسابوريين فإنَّ عدداً من الولاة ، والقواد في خراسان ينتمون إلى بني عامر وذلك مثل : مطرف بن عبد الله ابن الشُّخَيْر^(٤) ، قائد الجيش الإسلامي ، الذي فتح نيسابور في عام ٢٢ هـ ، وسعيد الحرشي والي خراسان ، ومغلس بن زياد ، والي « هراة » في عام ١٢٥ هـ^(٥) ، وهؤلاء من بني الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة^(٦) ، أقارب بني حبيب بن عبد الله بن كعب ذوي العدد القليل بخراسان^(٧) ، وهو عدد قليل بالنسبة لبطون بني كعب بن ربيعة الأخرى كبطن بني قشير الذي منهم : بنو زرارة قوم

(١) انظر الزركلي : الأعلام ، ج ٨ ، ٣٦ .

(٢) هو يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن المنقري السعدي التميمي النيسابوري ، أبو زكريا ، شيخ الإسلام ، لقي صفاراً من التابعين ، مات عام ٢٢٦ هـ ، انظر الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ، ٧٣ .

(٣) ينتسب إلى بني قشير الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، أبو الحسن أحد الأئمة الحفاظ ، صاحب « المسند الصحيح » ، توفي عام ٢٦١ هـ ، انظر الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ، ٧٥ .

(٤) كان مطرف من أعبد الناس وأنسكهم . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٤٨ ، وقد ترجم له صاحب أعلام تميم وعده من التميميين على خلاف ما هو في كتب الأنساب كالكلبي وابن حزم ، انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٢٥٥ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٢٥ .

(٦) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٤٦ .

(٧) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٨٨ .

عمرو بن زُرارة^(١) ، الذي ولي نيسابور أكثر من مرة^(٢) ، وقد ذكر الكلبي أنَّ حميد بن عمرو بن زُرارة كان عظيم القدر بخراسان^(٣) ، وذووه^(٤) أهل قدر ، وشرف ، وأصحاب خيل لم يكن بخراسان أشهر منها : كالأجول ، الذي سبق الناس على نصف الغاية ، وكالحميراء^(٥) . وكان نعيم وزباد ابنا عبد الرحمن بن عبد الله القشيري من الأشراف المشهورين بخراسان^(٦) ، ساق زياد والي نيسابور لنصر بن سيار في غزوة ألف خصي من الغنم^(٧) ، وكان معقل بن عروة القشيري^(٨) كريما ، مقدماً ، نافس سعيداً الحرشي فولاه ابن هبيرة « هراة » ، إغاضة له^(٩) ، غير أن عروة أغضبه سجن ابن هبيرة لسعيد ، وكلمه فيه ثم أنه عذر ابن هبيرة حين اطلع على سوء تصرف الحرشي^(١٠) ، وكان معقل قد ولي « هراة » في عام ١٠٢ هـ لسعيد

(١) هو عمرو بن زُرارة بن سمير بن سلمة الخير القشيري العامري ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٩٠ .

(٢) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٤٦ .

(٣) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٤٦ .

(٤) منهم زياد بن زُرارة تبع أبا مسلم ثم ندم وانخل عن جيش قحطبة بعد أن كان على المقدمة فأرسل قحطبة وراءه المسيب بن هبيرة الضبي فهزمه وقتل عامة من معه ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٣١٧ .

(٥) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٤٧ .

(٦) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٤٧ .

(٧) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٤٧ . وفي عام ١٣٠ هـ كان زياد على بلخ . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٣١٢ .

(٨) هو معقل بن عروة عند الطبري ومعقل بن عزرة عند الكلبي ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٠٢ ، الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٤٧ .

(٩) ذهب معقل إلى هراة فأرسل إليه الحرشي فلم يجبه وقال : أنا وال مثلك ولاني ابن هبيرة فأمر الحرشي بالإتيان به مقيداً فلما جرى به عذبه ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٠٢ .

(١٠) سب الحرشي ابن هبيرة فرد ابن هبيرة عليه وسجنه واحب معقل أن يشفع في الأمر لكنه عاد فانحش الحرشي بالقول فلما تولى خالد القسري إمرة العراق أقام الحرشي عليه البيعة فجلد ، انظر

والقشيريون الموجودون بنيسابور ، وخراسان منسوبون إلى سلمة ابن قشير (المعروف بسلمة الخير) ، وإلى معاوية بن قشير (٢) ، فمن الأولين بنو زرارة ، ومن الآخرين حيدة بن معاوية بن حيدة ، الصحابي ، نزيل خراسان (٣) .

أما الحرشيون فهم منسوبون إلى كعب بن واقد بن الحريش بن كعب ومنهم : مطرف بن الشخير وأخوه أبو العلاء ، الذي تؤخذ عنه الآثار (٤) ، وعثمان بن مطرف ، ذو الذكر والشرف (٥) ، ومنهم سعيد بن الحريش ، ومروان بن شهاب بن أبي ميثاء ، فارس قيس بخراسان ، أيام العصبية ، وقبله كان ضرار بن عبس فارساً لقيس ، وهو من ولد المجر بن الحريش (٦) .

وقد أدى نزول القبائل العربية بكثرة في نيسابور إلى غلبة العنصر العربي على رجالاتها ، وأعلامها في عصور مختلفة (٧) ، وقد مر بنا الإشارة إلى عدد من العلماء العرب النيسابوريين ، مع ملاحظة أن النسبة إلى المدينة اقترنت بالنسبة إلى القبيلة مع

= الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٠٣ .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٦٢ .

(٢) انظر سلسلة نسب هؤلاء في ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٨٨ .

(٣) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٤٧ .

(٤) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٤٨ .

(٥) نزل به أسد الفسري ليخذه في غزاته فاطمه البارد حتى الحار وقاتل يوم الترك وأسد محصور . انظر

الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٤٨ . ونقل عن عثمان أنه صاحب شراب . انظر ابن الأثير : الكامل ،

ج ٤ ، ٢٣٩ .

(٦) انظر أخبار هؤلاء عند الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٤٨ .

(٧) ذكر الأستاذ حمد الحقييل أسماء ١٥٨ عربياً منسوبين إلى نيسابور وأعمالها ووضع أمام كل عالم

اسم قبيلته وتاريخ وفاته نقل عن كتاب عروبة العلماء لناجي معروف انظر حمد الحقييل : كنز

الأنساب ، ٣٣٠ .

مرور الزمن . فيقال مثلاً : المحدث الثقة إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحماني التميمي النيسابوري^(١) ، والشيخ أحمد بن محمد النهشلي التميمي النيسابوري^(٢) ، ومحمد بن يحيى الذهلي النيسابوري^(٣) وهكذا .

مرو :

وهي الربع الثاني من أرباع إقليم خراسان ، في العصر الأموي ، تقع على نهر « المرغاب »^(٤) (نهر مرو) ، الذي ينحدر من جبال الغور ، في شمال شرقي « هراة » ، ويمر بمرو الصغرى ، ويدور منها شمالاً إلى مرو الكبرى ، حيث تتشعب منه جملة أنهار ، ثم يفنى ماؤه في رمال مفازة « الغز »^(٥) .

ويشتمل ربع مرو أيضاً على المواضع القائمة على طريق خراسان الكبير مما يلي « مرو » إلى الشمال الشرقي من نهر جيحون عند « آمل » ، حيث معبر الطريق إلى بخارى^(٦) ، والمرغاب اسم موضع ينبع منه النهر^(٧) ، أو هو من « مروآب » أى ماء

(١) هو : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحماني السعدي التميمي يعرف بأبي إسحاق الخزامي النيسابوري ،

فقيه شهير ، ومحدث بارع ثقة ، توفي عام ٣١٢ هـ ، انظر الزركلي : الأعلام ، ١ ، ٦٠ .

(٢) هو مدرس مؤدبي نيسابور أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف التميمي شيخ أهل الأدب في عصره ، توفي عام ٤١٦ هـ . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٦٠ .

(٣) هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي البكري النيسابوري ، أبو عبد الله ، الإمام العلامة ، الحافظ البارع ، عالم أهل المشرق وإمام أهل الحديث بخراسان ، مات عام

٢٧٨ هـ ، انظر الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ، ٧٤ .

(٤) انظر الأصبهري : مسالك الممالك ، ٢٥٣ .

(٥) نهر المرغاب هو الاسم الحالي لنهر الروذ ومدينة بالامرغاب الحالية هي مدينة « مرو الروذ » القديمة « مرو الصغرى » . انظر محمد البار : أفغانستان ، ٣٧٩ .

(٦) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣٣١ .

(٧) انظر الأصبهري : مسالك الممالك ، ٢٦٠ .

مرو^(١) ، وذكر المقدسي بأنه يصل إلى مرو العليا « الصغرى » ، ثم يعطف إلى السفلى (الكبرى) فإذا صار من مرو الكبرى على نحو من مرحلة سدّ قاعة فامتنع بذلك الماء ، وتوزع إلى أربعة أنهر^(٢) .

وتعرف مرو الكبرى بمرو الشاهجان ، والمسرو هو : الحجارة البيض ، تُقْتَدَح بها النار ، ولا يكون أسود ولا أحمر ، ذكر ذلك ياقوت غير أنه استدرك فقال : إنّ هذا اللفظ ورد في اللغة العربية ومرو عجمية ، وذكر أيضاً : بأنه لم يَرَّ بها من هذه الحجارة شيئاً البتة^(٣) ، وعلى ذلك فالأرجح ما ذكره البكري ، أنّ المرو بالفارسية المرج ، والشاهجان فارسية ، معناها : نفس السلطان لأن الجان هي الروح أو النفس ، والشاه هو السلطان ، سميت بذلك لجلالته عندهم^(٤) .

ومرو الصغرى هي مرو الروذ ، إلى الجنوب الشرقي من مرو الكبرى ، والروذ هو النهر أو الوادي بالفارسية فكأنها مرو النهر أو الوادي^(٥) ، وبينها وبين مرو الكبرى خمسة أيام على ما يذكر ياقوت^(٦) .

واشتهرت مرو الشاهجان بحصنها المنيع (قهندز) وهو ذو أبواب عدة تفضي إلى جهات مختلفة عبر طرق تختار عدداً من المدن أشهرها « الدانقان »^(٧) في الجنوب

(١) انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣١٥ .

(٢) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣٣١ ، وأول الانهار الأربعة « الرزق » والثاني « هرمز فرة » والثالث « الماجان » عمود نهر المرغاب ، والرابع « أسعدي » . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٢٤٣ .

(٣) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ١١٢ .

(٤) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ١١٢ .

(٥) انظر البكري : معجم ما استعجم ، ١٢١٦ .

(٦) خمسة أيام بالراحلة . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ١١٢ . وتقدر هذه المسافة بما يقارب

١٧٠ ميلاً . انظر محمد البار : أفغانستان ، ٣٨٠ .

(٧) وقد يُقال « الدامقان » مدينة صغيرة محصنة لها باب واحد وحمامات في ظاهر سورها تنتهي عندها =

الغربي ، ويخترقها طريق باب المدينة المودي إلى « سَرَحْس » ومدينة « كُشْمَهين »^(١)
 في الشمال الشرقي ، ويخترقها طريق باب « درسكان » المتجه إلى « آمل » و « زم »^(٢)
 ومدينة « جيرنج » في الجنوب الشرقي التي يخترقها طريق باب « سنجان » المتجه إلى
 « مرو الروذ » و « قصر الأحنف »^(٣) .

ويدخل نهر « الزرق » مرو من الباب المعروف باسم باب المدينة ، ثم يدخل
 المسجد فتتفرق مياهه في حياض للشرب ، ويجري نهر « ماجان » في غربه ، ويسقى
 ربض ماجان الكبير^(٤) .

وقد اتخذ الفاتحون المسلمون مرو عاصمة لإقليم خراسان وظلت كذلك طوال
 عصر بني أمية سوى فترة قصيرة انتقلت العاصمة فيها إلى « بلخ » وذلك أيام أسد ابن
 عبد الله القسري في ولايته الأولى^(٥) .

= مزارع « مرو » في الجنوب الغربي ، غربها الأتراك الفرية عام ٥٥٣ هـ . انظر ياقوت : معجم البلدان ،
 ج ٢ ، ١٣٢ .

(١) وربما كُتبت « كشماهن » وهي على مرحلة من « مرو » في طريق بخارى تشتهر بالسانيين
 والخانات والحمامات ، سكنها المأمون الخليفة العباس وبنى بها قصراً ينسب إليه . انظر ياقوت : معجم
 البلدان ، ج ٥ ، ٨٥ .

(٢) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ٤٥ ، ج ٣ ، ٧٥ .

(٣) تقع جيرنج « كرنك » على ضفة النهر على فرسخ مما يلي قرية « زرق » وبجنبها الطاحونة التي
 اختفى فيها يزدجرد آخر ملوك الساسانيين ، انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٩٩ . ويفضي طريق
 باب « سنجان » إلى نهر « أسعدي » وعليه كان قصر مرزبان مرو ، وهو حامي السباخ الفارسي ،
 انظر كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٤٢ .

(٤) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٣٢ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١١٦ . ولم تكن « مرو » عاصمة سياسية فحسب بل
 هي قد أصبحت داراً للعلم اشتهرت بखزائن الكتب المتعددة . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ،
 ٣٤ .

والنسبة إلى مرو « مروزي » على غير قياس ، والجمع مراوزه والثوب مروى على القياس ، ويقال في النسبة إلى مرو الروذ ، مروذي ، ومروزي ^(١) ، وقد غلبت النسبة إلى مرو على كثير من أبناء القبائل العربية التي استوطنت خراسان فأصبح الناس يسمعون مثلاً عن النضر بن شميل المروزي ، والحسين المروزي ، وإسحاق بن راهوية المروزي ، ويحيى بن أكثم المروزي ، وأبو بكر المروزي ، وأبو منصور السمعاني المروزي ، وابن المرزبان المروزي ، وهؤلاء من بني تميم ^(٢) ، وأبو العباس المروزي ، وأحمد ابن حنبل المروزي ، والربيع بن أنس المروزي الخراساني ، وهؤلاء من بني بكر ابن وائل ^(٣) ، وعلي الداركاني المروزي ، وبشر الحافي المروزي ، وأبو محمد الكشمهيني المروزي ، وعلي بن خشرم المروزي ، وابن الموجه المروزي ، وعبد الله الحجاجي المروزي ، والحكم المروزي وهؤلاء من قيس عيلان ^(٤) ، وعقبة بن عبد الله المروزي ومحمد بن الروقي المروزي ، وأبو الهيثم المروزي وهؤلاء من الأزد ^(٥) .

ورود في بعض المصنفات ذم أهل مرو بالبخل والتشنيع عليهم في ذلك ، وأكثر الجاحظ من الأحاديث عن تفتيرهم في كتابه البخلاء ^(٦) ، وأشار ياقوت ^(٧) إلى شيء من هذا في معجمه ورد على مازعمه ثمامة بن أشرس النميري من أن الديك في كل بلد يلفظ ما يأكله من فيه للدجاجة بعد أن حصل إلا ديكة مرو فإنها تسلب

(١) قد تجمع مرو الكبرى ومرو الصغرى ، فيقال لهما « المروان » قال ربعي بن عامر التميمي

ونحن وردنا من هراة متأهلاً وراء « المروان » إن كنت جاهلاً

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ٨٧ .

(٢) انظر الحقييل : كنز الأنساب ، ٣٣٠ وبيان التعريف بهم .

(٣) انظر الحقييل : كنز الأنساب ، ٣٣٠ وبيان التعريف بهم .

(٤) انظر الحقييل : كنز الأنساب ، ٣٣١ وبيان التعريف بهم .

(٥) انظر الحقييل : كنز الأنساب ، ٣٣١ وبيان التعريف بهم .

(٦) انظر الجاحظ : البخلاء ، ٣٠ .

(٧) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ١١٢ .

الدجاج مافي مناقيرها للحب فقال : إن هذا كذب ظاهر للعيان لا يقدم على مثله إلا الوقاع البهّات الذي لا يتوقى الفضوح ، والعار ، وماديكة مرو إلا كالديكة في جميع الأرض ^(١) . وبالطبع أخذ المعني علي ظاهر الكلام وإلا فالحقيقة ذلك من نوع التندر الذي عرف عند العرب ، فكل مكان عليه نادرة ولا يعني صحة ذلك الأمر !!

وتعدّ مرو أول موضع سكنه العرب في خراسان ، وأمير بن أحمر اليشكري أول من أنزل العرب بمرو عام ٤٥ هـ ^(٢) . وقد نزلها ومات بها عدد من الصحابة عدّ منهم ياقوت : بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث ، من بني أسلم بن أفضى ابن عامر بن قمعة بن ألياس (خندف) بن مضر ^(٣) ، والحكم الغفاري ، وذكر بعدهما سليمان بن بريدة ^(٤) ، مع أنّ سليمان ليس بصحابي إذ هو قد ولد بعد مضي ثلاث سنين من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ^(٥) .

وقد مات الحكم الغفاري بمرو ^(٦) ، أمّا بريدة بن الحصيب فمات بقرية من قراها يقال لها « فنين » وربما قال أهلها : « فني » بدون نون ، وهي قرية من قرى خزاعة ، اشتهرت بحسن عمارتها حتى فاقت مرو في مطلع القرن السابع الهجري ^(٧) ، وينسب إليها أبو الحكم عيسى بن أعين الفيني ، أحد موالي قبيلة خزاعة ، وأخو بديل

(١) وقال ياقوت في موضع آخر : « ولولا ما عدا من ورود التتر إلى تلك البلاد وخرابها لما فارقتها إلى الممات لما في أهلها من الرّفد ولين الجانب ، وحسن العشرة وكثرة كتب الأصول المتقنة بها » . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ١١٤ . ويبدو أن ياقوت الحموي قد أخذ الكلام على ظاهرة في قصة الديكة مع أن المقصود هو التندر كما هو شأن العرب في قصصهم .

(٢) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٩ .

(٣) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ج ٥ ، ٣٠١ .

(٤) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٢٧٩ .

(٥) انظر البُستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٢٥ .

(٦) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ١١٣ .

(٧) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٢٧٩ .

خازن بيت المال لأبي مسلم الخراساني^(١) .

وقد أشار الذهبي إلي أن بمرور طائفة من الصحابة لكنه لم يسم منهم سوى بريدة ابن الحصيب^(٢) ، أما البستي فقد أحصى عدداً من مشاهير التابعين بها منهم : عبد الله بن بريدة ، أخو سليمان ، وهما توءمان ، ماتا في يوم واحد في عام ١١٥ هـ ، ودفنا بـ « جاروسه » قرية من قرى « مرو »^(٣) ومنهم علباء بن أحمر اليشكري ، ممن صحب أبا زيد الأنصاري ، سكن « مرو » ومات بها^(٤) ، ويحيى بن يعمر من بني شقة بن عوف بن بكر بن يشكر العدواني من قيس عيلان ، يكنى بأبي عدي ، ويعرف بالعدواني البصري ، ولي قضاء مرو لقتيبة بن مسلم^(٥) ، حدث عن أبي ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر^(٦) .

ويلاحظ مما تقدم أن « مرو » حظيت برجال من أهل العلم ، والفقهاء من الصحابة ، والتابعين ، وأن العرب قد حرصوا منذ البداية على تكوين مجتمع إسلامي ، يتناقل فيه الأبناء العلم عن آبائهم ، والتلاميذ عن أساتذتهم^(٧) .

ومع إغفال المصادر للحديث عن السكك العربية والأحياء المستقلة في مطلع

(١) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٢٧٩ .

(٢) انظر الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ، ٨٠ .

(٣) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٢٦ . ولعبد الله وأخيه سليمان عقب بـ « مرو » وعدد .

انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٠١ .

(٤) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٢٦ .

(٥) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٢٦ . وقبل عصر قتيبة كان ابن يعمر كاتباً ليزيد ابن

المهلب ، انظر الطبري ك تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٣٩ .

(٦) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٢٦ . وأثر عن ابن يعمر أنه كان من أوعية العلم وحملة الحجة وقيل : أنه كان أول من نقط المصحف وذلك قبل أن يوجد تشكيل الكتابة بمدة طويلة ،

انظر الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ، ٨١ .

(٧) سيأتي بيان ذلك في الفصل الرابع .

العصر الأموي فإنَّ حوادث أواخر عهد بني أمية فيها ذكر لمباني ، ودور القبائل داخل مدينة « مرو » ، ومن ذلك مثلاً أن الكرمانى حين سيطر عليها هدم دور المضربة بها (١) .

ومهما قيل من أن الحاميات ، والجنود كانت تقيم خارج المدن فيما يشبه الدساكر (٢) فإن كثيراً من العرب قد استوطنوا القرى المحيطة بـ « مرو » حتى أصبحت هذه القرى تعرف بهم كقرية « ماخوان » (٣) وقرية « فنين » الخزاعيتين (٤) و « اللين » التميمية (٥) و « بونية » الطائية اليمانية (٦) ، وذكر الطبري أنَّ بقرب مرو قرية لقبيلة كندة الكهلانية اليمانية ، وأخرى لبني العنبر التميميين ولم يسم القريتين (٧) .

وفيما أورده الطبري عن نزول العرب « في مرو » نجد أنهم قد أسكنوا هناك مع عيالاتهم ، غير أنَّ الطبري لم يكن دقيقاً في ذكر أعداد أهل الكوفة الذين نزلوا مرو حينما قال : أنهم كعدد أهل البصرة (٨) ، إذ أن الأخبار المتأخرة عن تنظيم العرب في

-
- (١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢١٤ .
(٢) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٤٥ .
(٣) والنسبة إليها ماخواني وإليها ينسب المحدث الثقة أحمد شبوية الخزاعي الماخواني المتوفى في عام ٢٣٠ هـ . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٣٣ .
(٤) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ٢٧٩ .
(٥) اللين ضد الخشن وإلى هذه القرية ينتسب محمد بن نصر بن الحسين بن عثمان المزني الليني المتوفى في عام ٢٣٣ هـ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٢٩ .
(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٥٧ .
(٧) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٦٣ . وأيضاً هناك « سفيدنج » و « آلين » من القرى المنسوبة لخزاعة الأزدية اليمانية . انظر ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ، ج ١ ، ٦ .
(٨) ذكر الطبري في حوادث ٥١ هـ أن زياداً ولى الربيع بن زياد الحارثي خراسان وحول معه خمسة وعشرين ألفاً من أهل البصرة وخمسة وعشرين ألفاً من أهل الكوفة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ٢١٤ .

خراسان تُظهر أن أهل الكوفة كانوا وحدة مستقلة لا تزيد على سدس العرب هناك (١) .

هراة :-

تقع هراة في الطرف الجنوبي من خراسان (٢) ، على نهر يُعرف باسمها (٣) ، ينبع من الشرق ويتجه غرباً إلى أن يصلها ، فينعطف شمالاً إلى « سرخس » (٤) ، وقبل أن يصلها يستقبل مياه نهر « المشهد » (٥) ، وتغني مياه النهرين في رمال المفازة عند موضع يقال له : « الأجمة » (٦) .

وفي الجنوب الغربي من « هراة » تقع « بوشنج » ، بالقرب من حدود خراسان مع قوهستان (٧) ، وفي شمال هراة توجد كورة « باذغيس » ، الممتدة بين نهر هراة من الغرب ، ونهر المرغاب من الشرق (٨) .

ووصف ابن حوقل مدينة « هراة » وذكر بأنها مدينة جليلة ، عليها حصن ، وسور له أربعة أبواب ، باب في الشمال يُفضي إلى « بلخ » وباب في الغرب يفضي إلى « نيسابور » ، وباب في الجنوب ، هو الطريق إلى سجستان ، وباب في الشرق يفضي إلى جبال الغور .

(١) انظر صالح العلي : امتداد العرب في صدر الإسلام ، ٥٠ .

(٢) انظر الأصبخري : مسالك الممالك ، ٢٦٦ . و « هراة » تقع في شمال غرب أفغانستان ومثلها « باذغيس » و « مرو الروذ » « بالأمر غاب » انظر كي لسترخج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٥٠ .

(٣) هو نهر هراة ويقال له « هاري رود » . انظر كي لسترخج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٥٠ .

(٤) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٣٠ .

(٥) المشهد اسم لمدينة « طوس » الواقعة في إيران حالياً . انظر محمود شاکر : خراسان ، ٤٨ .

(٦) انظر كي لسترخج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٥٠ .

(٧) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ٤٤٨ وقد يقال لها « فوشنج » وهي مدينة « غريان » الحالية جنوب نهر هراة . انظر كي لسترخج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٥٣ .

(٨) انظر الأصبخري : مسالك الممالك ، ٢٦٥ .

ولهراة حصن ، في وسطها ، له أربعة أبواب أيضاً ، محاذية لأبواب المدينة ،
ويأخذ كل باب منها اسم الباب الذي يحاذيه ^(١) ، وفي ظاهر المدينة يوجد « خراسان
أباز » ، دار الإمارة ، ويوجد الجامع في وسط السوق ^(٢) ، وقال ياقوت : أنه لم ير في
خراسان مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخم ، ولا أحسن ، ولا أكثر أهلاً من « هراة » ،
فيها بساتين كثيرة ، ومياه غزيرة ^(٣) ، وذكر ابن بطوطة أن هراة أكبر المدن العامرة في
خراسان ^(٤) .

وتقرب « بوشنج » من « هراة » في حجم المساحة ، وتصميم العمران ^(٥) ،
وبها أرحية تديرها الريح تنسب إلى فرعون مصر ^(٦) ، مع أن فرعون لم يصل إلى تلك
الديار ، وقد اختفى اسم « بوشنج » ^(٧) في وقت ظلت فيه « هراة » ، محافظة على
اسمها الذي عرفت به منذ أنشئت إلى عصرنا الحاضر .

ويجتاز طريق « هراة » المتجه شمالاً إلى « مرو الروذ » ، كورة « باذغيس » ، وفي

(١) انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣١٨ .

(٢) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣٢٩ .

(٣) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ٤٥١ . ونقل كي لسترنج أن هراة استمرت « على إزدهارها وعمرانها
حتى اجتياح المغول لها ، وحين كان ياقوت فيها سنة ٦١٤هـ (١٢١٧م) « رعلق المترجم على
ذلك بقوله أن ياقوت كان في هراة عام ٦١٧هـ (١٢٢٠م) لكن الذي في معجم ياقوت أنه كان في
هراة عام ٦٠٧هـ . انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٥١ .

(٤) انظر ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ج ٣ ، ٩٨ .

(٥) انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣١٩ .

(٦) انظر الأصبهري : مسالك الممالك ، ٢٨٥ ، المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣٣٤ .

(٧) وتشتهر بوشنج (بوشنك) بكثرة الأشجار وأوفرها شجر العرعر إذ فيها ماليس في غيرها ويحمل خشبه
إلى سائر النواحي . انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣٠٦ ، ونقل ياقوت أنه ينسب إلى « بوشنج »
جماعة من أهل العلم منهم : المختار بن عبد الحميد البوشنجي المتوفى في عام ٥٣٦ . انظر ياقوت :
معجم البلدان ، ج ١ ، ٥٠٩ .

« بادغيس » تسع مدن كبيرة ^(١) لا يعرف الآن مكان أكثرها ^(٢) ، على أن
« بادغيس » لم تعد كما كانت كورة تابعة لـ « هراة » إذ هي الآن ولاية تدخل فيها
مدينة « مرو الروذ » « بالامرغاب » الحالية ^(٣) .

والمرغاب في الأصل نهر في شرق « بادغيس » ينبع من البلاد الجبلية المعروفة بـ
« غرج الشار » « غرجستان » ^(٤) ، وهناك تقع مدينتا « أبشين » ، و « شورمين » على
أربع مراحل جنوب « مرو الروذ » وسط بساتين كثيرة غنية بالأرز ^(٥) .

وفي شرق « غرجستان » وجنوبها تمتد جبال « الغور » من « هراة » إلى
« الباميان » ^(٦) آخر حدود خراسان من الجنوب الشرقي ثم إلى تخوم « كابل » و
« غزنة » داخل سجستان ^(٧) .

وجبال « الغور » هي المعروفة الآن باسم « غورستان » ^(٨) ، وهي مخارج كثير
من الأنهار الكبيرة مثل : نهر هراة « هري رود » السالف الذكر ^(٩) . ونقل ياقوت أن
مدينة « هراة » بنيت للاسكندر حيث احتال على أهلها وأمرهم أن يبنوا مدينة ،

(١) انظر الأصطخري : مسالك الممالك ، ٢٨٥ .

(٢) انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٥٥ .

(٣) انظر محمد البار : أفغانستان ، ٣٧٨ .

(٤) انظر الأصطخري : مسالك الممالك ، ٢٧٠ ، وتفسير غرج الشار جبال الملك فملك هذه الجبال
يلقب بالشار ، والفرج هي الجبال ، وجاءت في أخبار الحروب المغولية باسم « غرجستان » انظر كي
لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٥٨ .

(٥) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم : ٣٤٨ .

(٦) قال ياقوت : باميان بلدة بين بلخ وهراة وغزنة بها بيت ذاهب بالهواء باساطين مرفوعة منقوش فيه
كل طير خلقه الله تعالى على وجه الأرض . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ٣٣٠ .

(٧) هراة الباميان وغزنة وكابل في أفغانستان حالياً ، انظر محمد البار : أفغانستان ، ٣٧٠ .

(٨) انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٦١ .

(٩) انظر الأصطخري : مسالك الممالك ، ٢٧٠ .

ويحكموا أساسها ، ثم خط طولها ، وعرضها ، وسمك حيطانها ، وعدد أبراجها وأبوابها ، واشترط أن يوفيههم أجورهم ، وغراماتهم عند عوده من الصين ، فلما رجع نظر إلى ما بنوه ، وعابه ولم يعطهم شيئاً ^(١) .

والنسبة إلى « هراة » هروي فيقال مثلاً : الأنصاري الهروي في نسب الإمام المحدث الحسن بن أدريس ^(٢) ، والأنصاري الهروي أيضاً في نسب المحدث الثقة الحسين بن حزم ^(٣) ، وتنطق « هراة » حالياً « هيرات » وهي في غرب أفغانستان وتعد من أكبر مدنها ، وأهمها ^(٤) .

وشهدت « هراة » أول فتح إسلامي في الأرض الخراسانية حيث سار الأحنف ابن قيس التميمي في عام ٢٢هـ ^(٥) بجيش من البصرة ذات الأكثرية التميمية والبكرية الربعية آنذاك فدخل خراسان من « الطبسين » وفتح « هراة » ثم عين صحار بن فلان العبدي الربيعي ^(٦) ، أميراً عليها ^(٧) .

وأصبحت هراة بعد ذلك نقطة إنطلاق لفتح بقية البلدان الخراسانية ، فمنها سير الأحنف مطرف بن عبد الله الشخير العامري القيسي إلى « نيسابور » والحرث ابن

(١) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٣٦٦ .

(٢) ابن المبارك بن الهيثم بن زياد ، أبو علي ، الهروي ، مولى الأنصار أحد مشهوري المحدثين ب « هراة » انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٣٩٧ .

(٣) هو الحسين بن حزم الهروي الأنصاري له كتاب في التاريخ على حروف المعجم مات سنة ٣٠١ . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٣٩٧ .

(٤) انظر محمد البار : أفغانستان ، ٣٥٢ .

(٥) أشار الطبري إلى رواية عن سيف بن عمر الأسدي التميمي مفادها أن فتح خراسان قد تم في عام ١٨هـ لكن الطبري وابن الأثير : من بعد آثرا الاعتماد على الرواية القائلة أن عام ٢٢هـ هو عام الفتح بعد فتح « نهاوند » و « حلواء » انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٢٦٤ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ١٦ .

(٦) العبدي نسبة إلى عبد القيس وقد يقال عبقي : انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٢٠ .

(٧) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢٧ .

حسان البكري الربيعي ^(١) إلى « سرخس » وسار هو إلى « مرو الشاهجان » مقر إقامة « يزدجرد » اللاجئ عند « ماهويه » في وقت تتابع فيه وصول الفارين من غرب مملكة كسرى إلى خراسان فاندسوا في ممالكها بين « نيسابور » غرباً وطخارستان شرقاً ^(٢).

ولم يشأ الأحنف أن يعود إلى « هراة » بعد أن فتح « مرو الشاهجان » و « بلخ » و « طخارستان » ^(٣) وعين عليها أمراء من قبله من التميميين ^(٤) بل نزل في منطقة متقدمة واتخذ من « مرو الروذ » الواقعة شمالها خطاً دفاعياً أمامياً تحسباً لما يتوقع من انتقاض البلاد المفتوحة ، وقد حدث أن انتقض الفرس حين قدم عليهم يزدجرد ، بمدد من بلاد ماوراء النهر فنازلوا الأحنف بـ « مرو الروذ » لكن الأحنف هزمهم ^(٥).

وفي عام ٣٢ هـ سار الأحنف أمام عبد الله بن عامر إلى خراسان بعد انتقاضها ^(٦) ولم يتوجه في هذه المرة إلى « هراة » مباشرة بل نزل « مرو الروذ » ^(٧) وصالح مرزبانها ودخل الرستاق الذي نسب إليه فيما بعد ^(٨) ، ثم تتابع صلح بقية بلدان خراسان ، وكان الموكل بـ « هراة » و « باذغيس » أوس بن ثعلبة التيمي وخليد بن عبد الله

(١) من بني ذهل ، ومن أصحاب علي بن أبي طالب فسي موقعة « صفين » ، وقد قُتل بها ، انظر المنقري : وقعة صفين ، ٥٦٤ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ٢٦٤ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ٢٦٤ .

(٤) عين الأحنف ربيع بن عامر (الأفكل) التيمي أميراً على طخارستان ، وأسيد بن المششم التيمي أميراً على « بلخ » . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ٢٧ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ٢٧٥ .

(٦) أول ما انتقض من خراسان نيسابور لأن فيها اخوال يزدجرد .

(٧) قيل أن « مرو الروذ » لم تنتفض وكان فيها عبد الرحمن بن سمرة أرسل يستنجد بعثمان ، وكان معه أسيد ابن المششم وله شعر يطلب فيه النجدة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ٢٧٩ .

(٨) هو رستاق الأحنف أو قصر الأحنف كان يدعى بـ « رستاق سوانجورد » أو « شق الجرد » انظر كني لسترخ : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٥٤ .

الحنفي وهما بكران ربيعان ، صالحا عظيم « هراة » و « بوشنج » و « باذغيس » وكتب له عبد الله بن عامر وثيقة الصلح ^(١) . وهنا يشير البلاذري إلى أن ابن عامر صالح مرزبان « هراة وبوشنج وباذغيس » على ألف ألف درهم ^(٢) ، والبلاذري يغفل حوادث فتح خراسان في عام ٢٢ هـ ، ويجعل عام ٣٢ هـ بداية لفتحها وليس إعادة للفتح وهذا يخالف ما عليه المصادر التاريخية كالطبري وابن الأثير اللذين أشارا إلى أن فتح خراسان قد تم في عام ٢٢ هـ في زمن الخليفة عمر بن الخطاب مضعفين رواية لسيف بن عمر التميمي تقول أن فتح خراسان قد تم في عام ١٨ هـ ^(٣) .

وذكر البلاذري أن « قوهستان » المجاورة لـ « هراة » كانت فتحاً بكرياً رباعياً فتحها أمير بن أحمر اليشكري ونزلها قومه فهم أهلها إلى زمن البلاذري ^(٤) ، أما « هراة » ذاتها فيذكر أن فتحها كان على يد أوس بن ثعلبة أو خليلد الحنفي البكريين ويعده فتحاً أولياً لها ، ويحمل خبر ولاية صحرار العبيدي عليها أيام الأحنف ^(٥) ، ومهما يكن من أمر فإن علاقة ربعة العدنانية بـ « هراة » قد نشأت منذ زمن الفتح حتى عدت « هراة » أرضاً ربعية ^(٦) .

ولم تسلم أرض « هراة » من التمرد فقد قدمت إليها جموع من « الطبسين » و « قوهستان » بعد عودة ابن عامر من أرض خراسان ، إلا أنه قد قضى على هذه الجموع وقتل قائدها « قارن » في عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ^(٧) ، ثم أن

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ٢٦٤ .

(٢) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٥ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ٢٦٤ . ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ١٦ .

(٤) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٥ .

(٥) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٩٦ .

(٦) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٦٥ .

(٧) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ٢٦٦ . وحين انتقضت خراسان أيام علي بن أبي طالب

أهل هراة نكثوا مرة أخرى ^(١) وعادوا إلى الصلح في عام ٤٣ هـ أيام الخليفة معاوية ابن أبي سفيان ^(٢) .

هذا ومع ارتباط هراة بربيعة وكثرة الربيعيين بها بل وبخراسان كلها فإن أحداً منهم لم يتولى إمارة خراسان طوال العهد الأموي ، وربما كان هذا مما دعاهم إلى التذمر من سياسة الأمويين وعدم الارتياح لها ، وقد أعلن ذلك صراحة أحد شعرائهم في خلافة هشام بن عبد الملك ^(٣) ، على أن ربيعة لم تحرم من الولاية في المدن وبعض نواحي خراسان ومن شهوروا في ذلك منهم : خليل الحنفي ، وأمير بن أحمر في « مرو » والبختري بن أبي رهم في « هراة » وصحار العبدي في « هراة » أيضاً ، وبرز في ربيعة مستشارون وقواد وأمناء للولاة منهم : الحُضَيْن بن المنذر وابنه يحيى ، وحليس الشيباني ^(٤) ، وعبد الله بن المعمر اليشكري .

وقد اعتصم البكريون وربيعة بصفة عامة بـ « هراة » في عام ٦٤ هـ بعد أن قتل ابن خازم سليمان وعمرو بن مرثد البكريين ، وشهدت هراة هزيمة ربيعة ومقتل محمد بن خازم وصراع أبيه مع بني تميم ^(٥) ، وفي زمن يزيد بن المهلب في ولايته

بعث أميراً عليها جعدة بن هبيرة المخزومي من بني عائد بن عمران انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٩٩ .

(١) والأمير آنذاك قيس بن الهيثم فكان يجي أهل الصلح ولا يعرض لأهل النكث . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٩٩ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ٣٧ .

(٣) هو : خليفة بن خلف البكري وكان ذلك بعد أن اعترض الحُضَيْن بن المنذر البكري على صلح كاد أن يتم بين عاصم الهلالي والي خراسان والثائر الحارث بن سريج التميمي في عام ١١٧ هـ . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٢٥ .

(٤) له ذكر في وقعة التوابين عام ٦٥ هـ ، واستشهد في وقعة الشعب ببلاد ما وراء النهر عام ١١٢ هـ واسم أبيه غالب الشيباني . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٤٦ ، ج ٤ ، ٢١٠ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٨٤ .

الأولى كان الوالي على « هراة » أزدياً من بني العتيك^(١) ، وقد قُتل في عام ٨٣ هـ بعد أن تساقط فل ابن الأشعث على هراة بقيادة عبد الرحمن بن العباس^(٢) . وفي ذلك قال الفرزدق^(٣) :

وجد ابن طلحة يوم لاقى قومه قحطان يوم « هراة » خير المعشر

يشير إلى منة يزيد بن المهلب على الأسرى اليمانيين واطلاق سراحهم^(٤) ، وذكر الفرزدق « هراة » مرة أخرى متوقفاً عزل سعيد خذينة عن أمرة خراسان وكنتى عنه بأخي « هراة » فقال :

عزل ابن بشر وابن عمرو قبله وأخو « هراة » لمثلها يتوقع^(٥)

وكان خذينة قد عين عروة بن معقل القشيري العامري أميراً على « هراة » في عام ١٠٢ هـ^(٦) ، ويبدو أن ولاية معقل لم تدم طويلاً إذ يذكر الطبري في حوادث

(١) الرقاد العتيكي الأزدي . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٧ .

(٢) جبي عبد الرحمن بن العباس أرض « هراة » حين نزلها منهزماً من سجستان بعد إخفاق ثورة ابن الأشعث فقدم عليه يزيد بن المهلب وهزمه . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٧ .

(٣) انظر ديوان الفرزدق ، ٢٠٣ .

(٤) روي أن يزيد بن المهلب قضى على فل ابن الأشعث في « هراة » وأرسل الأسرى المضربين إلى الحجاج وعفى عن اليمانيين بمشورة أخيه حبيب . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٣٤ .

(٥) المذكورون في البيت هم : عبد الملك بن بشر بن مروان ، ومحمد بن عمرو بن الوليد ، وسعيد خذينة (أخو هراة) وقبل هذا البيت قال الفرزدق :

راحت بمسلمة الركاب مودعاً فارعى فزارة لا هناك المرتع

يقصد عزل مسلمة بن عبد الملك وتعيين عمر بن هبيرة الفزاري أميراً على العراق . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٦٧ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٦٢ ، ومعقل بن عروة قشيري من بني عامر ابن صعصعة الهوازنية القيسية . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٢٦٨ .

عام ١٠٤ هـ أنَّ ابن هبيرة وجه معقلاً من العراق إلى « هراة » فصار معقل ونزلها قبل أن يمر على سعيد الحرشي والي خراسان ، فغضب سعيد عليه ووبّخه فرد معقل عليه بعنف ، وساءت الأمور بينهما إلى حد أغضب ابن هبيرة على الحرشي ، فكان هذا سبباً من أسباب عزله عن ولاية خراسان ^(١) .

وفي عام ١٠٦ هـ كان البختري بن أبي رُهم يتزعم ربيعة في وقعة « البروقان » ^(٢) ، وحين حشد الترك لمحاصرة « سمرقند » وأميرها سورة بن الحر التميمي كان البختري بـ « هراة » فأشار القادة على الجنيد المري أن يترث حتى مقدم البختري من « هراة » مع أمراء آخرين في مدن أخرى ^(٣) فدلّ هذا على مدى ما يتمتع به البختري من مكانة في المجتمع الخراساني ومع ذلك فإن عامل الجنيد على « هراة » هو الوليد بن القعقاع العبسي ^(٤) وليس البختري ، وقيل في ذلك أنَّ الجنيد لا ينصب ولاية إلا من مضر ^(٥) .

وفي آخريات أيام بني أمية تأمر في « هراة » أبو نصر مالك بن الهيثم الخزاعي أحد نقباء الدعوة العباسية ^(٦) ، وحين قدم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ^(٧)

(١) انظر الطبري : تاريخ الأم والملوك ، ج ٨ ، ١٧٢ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ج ٤ ، ١٩٤ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأم والملوك ، ج ٨ ، ٢٠٦ .

(٤) هو : الوليد بن القعقاع بن خلد بن جزء العبسي الغطفاني القيسي من ولد زهير بن جذيمة العبسي سيد غطفان ، وأبوه صاحب حيار القعقاع بالشام ابن عم ولادة بنت العباس بن جزء أم الوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان وفي عام ١١٩ هـ غزا الوليد أرض الروم . انظر ابن الأثير :

الكامل ، ج ٤ ، ٢٣٣ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٥١ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأم والملوك ، ج ٨ ، ٢٠٥ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٣٠٧ .

(٧) ابن أبي طالب . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٦٨ ، ٦٩ .

في عام ١٢٩ هـ على « هراة » نائراً على بني أمية قتله الخزاعي بأمر أبي مسلم الخراساني وقبره بـ « هراة » معروف (١) .

وكان أبو مسلم قد تمكن من « هراة » قبل أن يستولي على « مرو » فكان يمنع الميرة منها ومن « مرو الروذ » عن العاصمة « مرو الشاهجان » ، ومعلوم ما تتمتع به أرض « هراة » و « الروذ » من الخصب والنماء ، ذكر ياقوت ، أن بشير بن عبید الله ابن أبي بكرة خاصم على أرض « مرغاب » قرية بـ « هراة » (٢) فقبل له : ألم تكن تنهى عن الخصومة ، قلله له سالم بن قتيبة وأضاف : أتنهاني يابشير عن شيء وتفعله ؟ فقال بشير : ليس هذا ذاك ، هذه المرغاب ثمانية عشر ألف جريب ، الخصومة فيها شرف (٣) .

وكانت « مرغاب » لهلال بن أحوز المازني التميمي أقطعه إياها يزيد بن عبد الملك ، فحفر بشير المرغاب والسواقي بالتغلب وقال : هذه قطيعة لي ، فاشتكاها حميري بن هلال على خالد القسري بالعراق لكن خالداً أوصى إلى مالك بن المنذر ابن الجارود أن يأخذ بحجة بشير فانتصر عمر بن يزيد الأسدي التميمي (٤) لحميري ابن هلال (٥) .

وقد عُرِفَت « هراة » بعدد من الأئمة الفقهاء ، والمؤرخين كإبراهيم بن طهمان

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ٣٠٧ . وكان مالك بن الهيثم على شرطة أبي مسلم قبل أن يتأمر

في « هراة » وقد حدث أن طرد عامل هراة عيسى بن عقيل بن معقل الليثي الكناني طرده النضر ابن نعيم الضبي التميمي من أصحاب أبي مسلم . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٩ ، ٤٧ .

(٢) هكذا وصف ياقوت المرغاب وقد تقدم أن نهر الروذ يعرف بالمرغاب ، وأن مدينة مرو الروذ تحمل حالياً اسم بالأمرغاب . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ١٠٧ .

(٣) انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ١٠٧ .

(٤) من بني أسيد من بني عمرو بن تميم كان يقال له : رجل أهل العراق قتله خالد القسري عصبية ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٩ ، ٢٢٨ .

(٥) انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ١٠٧ .

المحدث المتوفى في عام ١٦٨هـ^(١) ، وإليها ينتسب إمام اللغة الأزهري الهروي أسير
منهل « الهبير »^(٢) .

وكما خرج من « هراة » عدد من العلماء والأئمة والقادة فقد خرج من البلدان
التابعة لها أعلام آخرون كالطاهريين المنسوبين إلى « بوشنج » وجدهم الأعلى زريق ابن
ماهان مولى طلحة بن عبد الله الخزاعي^(٣) ، وابنه مصعب بن زريق وتولى أمرة
« هراة » و « بوشنج » لبني العباس حينما استتب لهم الأمر^(٤) ، وقد انجب مصعب
الحسين والد طاهر بن الحسن ، أبو طلحة ، صاحب المأمون ، وقاتل الأمين عام
١٩٨هـ^(٥) .

(١) هو إبراهيم بن طهمان بن شعيب الهروي ، الخراساني ، أبو سعيد ، حافظ ، من كبارهم في خراسان ،
ولد في هراة ، وتوفى بنيسابور وقيل بمكة . انظر الزركلي : الأعلام جـ ١ ، ٤٤ . ومن المؤرخين
المنسوبين إلى هراة أحمد بن محمد بن ياسين الهروي صاحب كتاب « هراة » المتوفى في عام
٣٣٤هـ . انظر محمد البار : أفغانستان ، ٣٦١ .

(٢) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة ، فقيه شافعي صاحب كتاب التهذيب في اللغة . أسره
القرامطة في « الهبير » عام ٣١٢هـ واختلط بعرب أقحاح من بني تميم وأسد وهوازن فافاد منهم
كثيراً في نقل الألفاظ العربية الصحيحة توفى في عام ٣٧٠هـ . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ،
٣ ، ٣١٤ ، و « الهبير » بقرب الأجفر ، والأجفر مرحلة في طريق الحج من الكوفة إلى مكة . انظر
ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ٤١٢ ويقع الهبير شرق حائل بالسعودية وليس هو « زرود » كما
ذكر الأستاذ محمد البار ، إذ أن زرود مرحلة في طريق الحج والأجفر مرحلة أخرى تليها للمتجه إلى
مكة وبينهما مايقارب ٥٦ ميلاً ، والهبير إلى الغرب من الأجفر قريب منه . انظر حمد الجاسر :
معجم شمال المملكة ، ١٤٥ ، محمد البار : أفغانستان ، ٣٥٦ .

(٣) هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي أحد المشهورين بالجود ، يعرف بطلحة الطلحات مات والياً
على سجستان عام ٦٤هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣٥٥ وطلحة يلقب بالخزاعي وإلا
فهو من بني ألياس بن مضر ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٣٨ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ٥٤ .

(٥) يكنى طاهر بن الحسين بأبي طلحة ، وأبي الطيب ، وطلد الملك للمأمون ، وتولى له عددًا من البلاد ،
وفي عام ٢٠٥هـ انتقض على المأمون بخراسان فقتل . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١ ،
٢٣٥ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠ ، ٢٦٠ .

بلخ :-

بلخ من أقدم المدن في حوض نهر جيحون (امودريا)^(١) ، ويقال لها : أم البلاد قلب الإسلام ورابع أرباع خراسان ، وقبة الإسلام بعد أن أصبح أهلها من المسلمين^(٢) .

وظهر من بلخ زرادشت صاحب الديانة الزرادشتية في القرن السادس قبل الميلاد^(٣) ، كما كانت موطناً للآريين الذين عرفت دولتهم باسم دولة « بكتريا » وهو اسم « بلخ » قديماً^(٤) ، فانتشرت من « بكتريا » الديانة الزرادشتية وانتقلت إلى فارس وشمال الهند^(٥) .

وخضعت « بلخ » في عام ٥٠٠ قبل الميلاد لحكم داريوس الأول أعظم ملوك الدولة الأخمينية الفارسية^(٦) ، واتخذها الأسكندر المقدوني بعد ذلك عاصمة لدولته اليونانية هناك والتي بقيت لمدة قرنين من الزمان^(٧) ، هي مدة حكم اليونان للبلاد الواقعة شمال جبال الهندوكش ، وحين أزاح أسوكا البوذي مملكة اليونان ظلت « بلخ » عاصمة للبوذيين^(٨) ، واستمرت كذلك حتى بعد أن سيطرت عليها القبائل الكوشانية ، بل أنها بلغت شأواً عظيماً من الحضارة في عهد الملك كانشكا زعيم هذه

(١) قد ينسب إليها نهر جيحون فيقال « نهر بلخ » . انظر كي لستريخ : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٦٢ .

(٢) انظر الأصبخري : مسالك الممالك ، ٢٧٥ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣٢٦ .

(٣) ولد زردشت في « بلخ » في زمن موسى عليه السلام ، وقوام الأخلاق عنده : الفكر الطيب ،

والكلم الطيب ، والعمل الطيب ، انظر الشهرستاني : الملل والنحل ٢٣٤ .

(٤) انظر محمد البار : أفغانستان ، ٨٤ .

(٥) انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ٢٣٤ .

(٦) انظر محمد البار : أفغانستان ، ٨٥ .

(٧) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ٢١٤ .

(٨) انظر المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٢٣١ .

القبائل في الفترة من ٧٨ إلى ١٤٤ م^(١) .

وفي عام ٣٥٠م أصبحت « بلخ » تابعة للإمبراطورية الساسانية الفارسية وفي عام ٤٠٠م ظهرت قبائل رعوية تعرف باسم الهياطلة فاحتلوا المناطق المحيطة ببلخ والواقعة شمال جبال الهندوكوش ، وجعلوا بلخ عاصمة لهم ، ولم يتمكن الساسانيون من السيطرة على هؤلاء الهياطلة إلا في عام ٥٦٥م عندما تحالفوا مع الأتراك الغربيين وهزموا الهياطلة .

وحين فتح الأحنف بن قيس التميمي « هراة » في عام ٢٢هـ سار إلى « بلخ » ليقضي على يزدجرد^(٢) ، والتقى الجيشان في « بلخ » فانهزم يزدجرد ، وعبر نهر جيحون إلى بلاد ما وراء النهر^(٣) ، وأتم الأحنف فتح « طخارستان » الأقليم المحاذي لبلخ شرقاً واستخلف عليه ربعي بن عامر التميمي^(٤) ، ولم يتجاوز نهر جيحون تنفيذاً لأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٥) .

ومالبت يزدجرد أن عاد فاحتل « بلخ » فسار الأحنف إليها من مرو الروذ ، وأضطر يزدجرد وخاقان الترك إلى الفرار ونزل أهل الكوفة في بلخ^(٦) ولما انتقضت خراسان في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه^(٧) ونقض أهل بلخ العهد سار إليها عبد الله بن عامر وعلى مقدمة جيشه الأحنف بن قيس ، فحاصر الأحنف

(١) انظر محمد البار : أفغانستان ، ٨٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ٢٢٩ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ١٦ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ٢٣٠ وكان ربعي قدم إلى الأحنف على رأس مدد من أهل الكوفة فيه ثلاثة أمراء غيره هم : علقمة بن النضر النضري ، وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي ، وابن أم غزال الهمداني ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ١٧ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ٢٣٥ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ١٨ .

(٧) وكان ذلك في عام ٣١هـ . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ٢٤٠ .

بلغ وصالح أهلها على سبعمائة ألف درهم ^(١) ، ثم أخضع جميع مدن طخارستان والجوزجان والطاقان والفارياب ^(٢) ، وكان مع الأحنف من قومه بني تميم : الأقرع ابن حابس المجاشعي ، وجزء بن معاوية السعدي ، وحمزة بن الهرماس وحميد ابن الخيار المازنيان ، وعياض بن ورقاء الأسدي ، وأسيد بن المتشمس السعدي ^(٣) ، وقد استخلف الأحنف أسيد بن المتشمس على بلخ ^(٤) .

ولبلخ ناحيتان عظيمتان الأولى : شرقها هي طخارستان والثانية غربها يغلب عليها اسم الجوزجان ^(٥) ، وتمثل بلخ بناحيتهما رابع أرباع خراسان ، وهي عاصمة هذا الربع وقصبتها ^(٦) ، وقد اكثرت المصادر ومعاجم البلدان من الحديث عنها فقال اليعقوبي : أنها مدينة خراسان العظمى ^(٧) ، وذكر المقدسي بأنها : بلخ البهية ^(٨) ، وبقيت بلخ إحدى قواعد الملك في خراسان حتى حطمها جنكيز خان فلم تقم لها بعد ذلك قائمة ^(٩) ، وهي الآن قرية صغيرة تعرف باسم « وزيرآباد » على بعد بضعة أيام

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٦٢ .

(٢) وقد فتحت جميعها صلحاً انظر . الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٢٤٧ .

(٣) هو ابن أخي الأحنف بن قيس . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٩٦ .

(٤) استخلف عبد الله بن عامر قيس بن الهيثم على خراسان ، فاتم قيس فتح الجزء الغربي من طخارستان

غربي أرض بلخ المعروف بـ « سمنجان » وأعاد قيس إخضاع منطقة بلخ بعد أن انتفضت أيام الفتنة

(زمن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما) انظر الطبري : تاريخ الأمم

والملوك ، ج ٢ ، ٢٩٢ ، ج ٥ ، ٨٦ . ولما قبض أسيد بن المتشمس من أهل بلخ ماصالحهم عليه

دفعوا له هدايا كثيرة بمناسبة المهرجان فانكر ذلك وانتظر به قدوم الأحنف من غزو « خوارزم » فلما

قدم الأحنف انكره أيضاً . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٦٤ .

(٥) انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٦٤ .

(٦) انظر الأصبخري : المسالك والممالك ، ٢٧٥ .

(٧) انظر اليعقوبي : البلدان ، ٢٣٢ .

(٨) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٦٨ .

(٩) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ٤٠٥ .

غرب مدينة « مزار شريف » عاصمة إقليم بلخ وإحدى المدن الهامة في أفغانستان (١) .
 ويزعم أهل مزار شريف وبلخ أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه مدفون
 عندهم تحت قباب رائعة التصميم ، وينسبون إلى أحد امراء بلخ في القرن السادس
 الهجري إنه وجد جثمان الإمام علي رضي الله عنه فبنى على قبره مشهداً (٢) .
 واستوطن العرب بلخ واكثرتهم من الأزد وتميم على ما يذكر اليعقوبي (٣) ،
 واهتم أسد بن عبد الله القسري والي خراسان بها فجعلها عاصمة لخراسان في عام
 ١٠٧ هـ وحول إليها ٢٥٠٠ من العرب غالبيتهم من أهل الشام (٤) ، وأسند إلى خالد
 ابن برمك (٥) مهمة إصلاح ما تهدم من مبانيها (٦) ، وخالد هذا هو جد البرامكة
 المشهورين في العصر العباسي ، ولفظ برمك يطلق على سدة بيوت النار (٧) ، وفي رضى
 بلخ الكبير المسمى « النوبهار » (٨) كان يوجد بيت نار من أكبر بيوت المجوس (٩) ،

- (١) انظر محمد البار : أفغانستان ، ٣٤٠ .
 (٢) انظر محمد البار : أفغانستان ، ٣٤٠ ، ومن المعروف أن قبر علي رضي الله عنه في الكوفة ، يسمى
 القبر المزعوم في بلخ قبر شاه مردان ، وقيل أن هذا القبر الوهمي اكتشف في عام ٨٨٥ هـ يوم كان
 ميرزا بيقر حفيد تيمور والياً على بلخ ووجد هذا الوالي في أحد الكتب أن علياً مدفون في قرية
 خواجه خيزان ، وهي بعد ٣ فرسخ عن بلخ ، وبناء على ذلك ذهب الوالي إلى تلك القرية يستحري
 الأمر فاكشف لوحاً مكتوب عليه « هذا قبر أسد الله ووليه علي أخي رسول الله » فاقم على هذا
 القبر مزار عظيم ، انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٦٥ .
 (٣) انظر اليعقوبي : ابلدان ، ٢٧٩ .
 (٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١١٨ .
 (٥) هو خالد بن برمك بن جاماس بن يشتاسف أبو البرامكة . وأول من تمكن منهم في دولة بني العباس
 كان في عسكر قحطبة بن شبيب وعلت منزلته عند السفاح والمنصور والمهدي ، توفي في عام
 ١٦٣ هـ ، انظر البغدادي : خزائن الأدب ، ١ ، ٥٤٢ .
 (٦) انظر محمد البار : أفغانستان ، ١٣٢ .
 (٧) انظر بارتولد : بحث عن البرامكة في دائرة المعارف الإسلامية ، ٣ ، ٤٩٢ .
 (٨) النوبهار : أول الربيع وبواكيره وفيه يكون الحج إلى هذا البيت . انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة

وسادنه الأكبر برمك جد البرامكة ، الذين توارثوا رئاسة الدين الزرادشتي في بلخ أيام الساسانيين ^(١) ، وقد زينوا جدران بيوتهم بالجواهر النفيسة ، وعلقوا عليها ستائر الديباج والحريز ، وكانوا يكللونه بالريحان لا سيما في وقت الربيع ^(٢) ، وكان على البناء قبة عظيمة يسمونها « الأستن » وحول البيت ثلاثمائة وستون مقصورة يسكنها خدامه وقوامه وسدنته ، وفيه أصنام كثيرة بينها الصنم الأكبر ، يحج الناس إليه من كابل والهند والصين ، فيسجدون له ثم يقبلون يد برمك السادن الأكبر ^(٣) ، وقد نقض الأحنف ابن قيس التميمي هذا البيت في عام ٣١١هـ ^(٤) .

وكما عرفت بلخ بانتساب البرامكة إليها فقد عرفت بالسامانيين المنتمين إليها أيضاً ، وهاتان الاسرتان من أشهر الأسر الفارسية في العصر العباسي ، وقد ازدهرت بلخ في أيامهم ازدهاراً شديداً ^(٥) . وكان سامان جد السامانيين قد قدم على أسد القسري في « مرو » يشتكي حاكم « بلخ » لأخذه أرضه فلما قام أسد بنصرته دخل سامان في الإسلام وترك ديانتَه المجوسية وسمى ابنه أسداً تيمناً باسم والي خراسان العربي ^(٦) .

الشرقية ، ٤٦٤ .

(٩) انظر المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ٢٣٨ .

(١) انظر اليعقوبي : البلدان ، ٢٨٨ .

(٢) الأصبخري : المسالك والممالك ، ج ٥ ، ٣٠٦ .

(٣) أفاض ياقوت في وصف النوبهار وسدنته البرامكة انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٣٠٦ ، وذكر الأستاذ أمين بدوي أن هذا المعبد في كابل وأن البرامكة المشهورين ينسبون إليها حيث أن جدهم برمك هو سادنه ، و (بره مكة) في السنسكريتية معناه الرئيس المتولي أو أمر الصومعة وهذا يخالف ما في المصادر والمراجع المشار إليها آنفاً . انظر أمين بدوي : القصة في الأدب الفارسي ، ٢٥ .

(٤) انظر كي لسترخ : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٦٤ .

(٥) انظر محمد البار : أفغانستان ، ٣٨٨ .

(٦) وثمة خبر السامانيين حتى أصبحوا امراء هو أن نوح بن أسد بن سامان وأخوته اشتركوا في محاربة رافع بن الليث بن نصر بن سيار الذي خرج في أيام الرشيد ، وقد عرف المأمون لهم ذلك فجعلهم عمالاً على مدن خراسان وبلاد ما وراء النهر ، وفي عام ٢٥١هـ أصبح نصر بن أحمد بن أسد ابن

وتقع بلخ في أرض مستوية ، وبينها وبين أقرب الجبال - جبل كو - إليها نحو أربعة فراسخ ولها سور كبير ، يحف به خندق عميق ، ذكر ذلك الأصطخري ، وأضاف بأن بناء المدينة من الطين ، ويقع الجامع في وسطها ، وحوله الأسواق ^(١) ، وللمدينة نهر يُسمَّى دِهَاسَ الأَرَحِيَّةِ ، يديرها النهر ثم يمر على باب النوبهار ويسقى ساقيها إلى « سياه جرد » في طريق « ترمذ » ويحف ببلخ البساتين التي تحمل ثمارها إلى سائر الجهات ^(٢) .

وللمدينة بلخ سبعة أبواب ، هي : باب النوبهار ، وباب رحبة ، وباب الحديد ، وباب الهنداوي ، وباب اليهود ، وباب شست بند ، وباب يحيى ^(٣) ، وبقيت بلخ على ما كانت عليه من الحسن والبهاء الذي أشار إليه المقدسي إلى أن خربت باستيلاء الغز الأتراك عليها في عام ٥٥٠ هـ ^(٤) . غير أنها ما لبثت أن عادت إلى سابق عهدها . فوصفها ياقوت قبل أن تخرب مرة أخرى على يد المغول في عام ٦١٧ هـ ^(٥) .

ويربط بلخ بمرور الرود طريق يمر بالجوزجان ، الناحية الغربية لربع بلخ ^(٦) ، وناحية الجوزجان مدن كثيرة اندثر معظمها ^(٧) ، وأشهر هذه المدن الطالقان ^(٨) ،

سامان أميراً على بلاد ما وراء النهر كلها ، واتسعت الإمارة على يد إسماعيل بن أحمد الساماني لتشمل بلاداً كثيرة منها خراسان ، وقد امتدت إمارة السامانيين إلى عام ٣٨٩ هـ انظر ابن خلدون تاريخ ابن خلدون ، ٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٥ .

(١) انظر الأصطخري : المسالك والممالك ، ٣٨٠ .

(٢) انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣٦٢ .

(٣) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٩٢ . والهندوان : الهندوس ، وشست بند : باب الستين سداً . انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٦٣ .

(٤) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٩٢ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ٤٨٠٠ .

(٦) الأصطخري : المسالك والممالك ، ٢٦٥ .

(٧) ذكر ذلك كي لسترنج وقال أن الخرائب مازالت تعين مواضعها القديمة ، انظر كي لسترنج : بلدان

على ثلاث مراحل من مروالروذ للمتجه منها إلى بلخ ، وهي بين جبلين عظيمين ، تعمل بها « اللبود الطالقانية » وبها جامع واسع ، وهواؤها صحيح ، وبنائها من الطين^(١) ، وبالقرب منها قرية « جندوية » التي شهدت إحدى وقائع أبي مسلم الخراساني وأنصار بني العباس مع أنصار بني أمية^(٢) .

وعلى الطريق ذاته تقع مدينة « اليهودان » قصبة الجوزجان ، على مرحلتين من الطالقان للمتجه منها إلى بلخ^(٣) ، وقد سماها المسلمون « ميمنة »^(٤) ، وذكر ابن حوقل : أن « الفارياب » أصغر من « الطالقان » إلا أنها أكثر بساتين ومياها وأصح هواء منها^(٥) . ونقل أحد الباحثين أن في صحاري الجوزجان عشرين ألف عربي أغنياء يملكون كثيراً من الغنم والجمال^(٦) .

وفي شرق بلخ تقع ناحية طخارستان العظيمة ، ممتدة بحذاء الضفة الجنوبية لنهر جيحون حتى حدود « بدخشان »^(٧) وتحدها من الجنوب الجبال التي في شمال « الباميان » و « وينجيهر » ، وتنقسم طخارستان إلى : طخارستان العليا وهي في شرق بلخ

الخلافة الشرقية ، ٢٦٥ .

(٨) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ٢٩٠ ، وهي خراذب « جاجكتو » بينها وبين مرو الروذ ٤٥ ميلاً وكان يقال لها طالقان الروذ تميزاً لها عن طالقان قزوين الموجودة في شمال إيران . انظر

محمد البار : أفغانستان ٣٩٧ .

(١) انظر اليعقوبي : البلدان ، ٢٧٥ .

(٢) قال ياقوت هي أول وقعة بينهما . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ١٢٥ .

(٣) قيل سكنها اليهود أو أسكنهم أباء نبوخذ نصر فنسبت إليهم . انظر محمد البار : أفغانستان ٣٩٨

كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٢٦٦ .

(٤) انظر اليعقوبي : البلدان ، ٢٧٧ .

(٥) انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ٤٦٧ .

(٦) انظر صالح العلي : امتداد العرب في صدر الإسلام ، ٥٥ .

(٧) انظر الأصبهري : مسالك الممالك ، ٢٧٩ .

في محاذاة نهر جيحون ، وطخارستان السفلى وهي في جنوبها الشرقي على حدود «بدخشان»^(١) .

وعلى يمين شرق بلخ ، مدينة «خلم» قال ياقوت : هي على عشرة فراسخ من بلخ وهي «بلاد العرب» نزلها الأزدي بنو تميم وقيس أيام الفتوح^(٢) ، ووصفها المقدسي بأنها صغيرة إلا أن قراها ورسايقها ومزارعها كثيرة ، وهواؤها صحيح^(٣) .

ويذكر ياقوت أن «سمنجان» نزلها أقوام من بني تميم^(٤) و«سمنجان» على يمين من خلم إلى الشرق منها ، وهي مدينة كبيرة بها منبر واحد ، وبها ثمار يزرع القمح فيها بكثرة وكذلك القطن والعنب^(٥) ، ولخلم نهر تفنى مياهه قبل أن تصل جيحون ، وتضيع في المناقع على بضعة أميال شمال المدينة^(٦) ، وبالقرب من خلم يمر الطريق الذاهب إلى بلاد ماوراء النهر وبلاد الختل ، بعد أن يجتاز «عدوة جيحون» ذات الحصن المنيع^(٦) .

وفيما يلي «سمنجان» في جنوبها الشرقي توجد «بغلان» العليا والسفلى والأخيرة هي القصبة على ماذكر المقدسي في المائة الرابعة للهجرة ولها أودية مشجرة وبها أسواق ، وفيها معدن الفضة^(٨) ، وفي شرق ناحية طخارستان أيضاً توجد «الطالقان»

(١) انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣١٦ .

(٢) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ٢١١ . ويلاحظ أن أكثرية العرب في مدن بلخ وقراها ينتمون إلى بني تميم المدنانيين ، والأزد اليمانيين . انظر صالح العلي : امتداد العرب في صدر الإسلام ، ٥٥ .

(٣) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣٠٠ .

(٤) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ٢٢١ .

(٥) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٩٦ .

(٦) انظر الأصبهري : مسالك الممالك ، ٢٧٩ .

(٧) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٩٦ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ٢١١ .

(٨) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٨٠ . وجميع ماذكر من المدن والقرى في إقليم بلخ تقع حالياً في

وهي غير طالقان الجوزجان^(١) ، يسقيها نهر يأخذ من جيحون يقال له « ختلاف »
في بقعة في غاية الخصب والنزاهة ، يكثر فيها القمح والعنب والتين والخوخ
والفستق^(٢) .

وكانت بلخ - على ما يذكر المقدسي - مجتمع الخلايق ومنتجع القوافل ، يؤمها
التجار من الهند لشراء العقاقير والكافور والسكر والجواري والعبيد ، ويوجد بقربها
الذهب والنحاس والكبريت والملح وتجارتها رائجة ، نرد إليها الأموال بمراكب من
جيحون واهلها في خير ورَفاه ذور أخلاق جميلة وشجاعة ، آراؤهم جيدة ، عشرتهم
حسنة^(٣) .

واستوطن بلخ عدد من الملوك والسلاطين وبعض آل أبي طالب من ولد الحسين
ابن علي^(٤) ، وخرج منها مالا يحصى كثرة من العلماء في كل علم وفن ، ففي
التفسير والقراءات نبغ عطاء بن ميسرة البلخي الخراساني^(٥) والضحاك بن مزاحم
الهلالي^(٦) ، وفي القضاء اشتهر المتوكل بن حمران^(٧) ، وفي اللغة والنحو برز

-
- أفغانستان وأكثرها ولايات مثل : ولاية طخارستان ، وولاية الجوزجان ، وولاية الفارياب ، وولاية بغلان ،
وولاية سمنجان ، ولا يفصل بين بلخ و ترمذ سوى ١٢ فرسخاً (٣٦) ميلاً و بينهما نهر
جيحون ، وترمز في جمهورية أوزبكستان السوفيتية انظر ، محمد البار : أفغانستان ، ٣٩٢ .
- (١) وقد يقال لها الطايقان . انظر كي لسترخج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٧٠ .
- (٢) انظر الاصطخري : مسالك الممالك ، ٢٧٩ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣٢٦ .
- (٣) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٩٨ .
- (٤) انظر محمد البار : أفغانستان ، ٣٨٩ .
- (٥) قيل عطاء بن ميسرة أو ابن عبد الله بن أبي مسلم أو هو عطاء بن مسلم بن ميسرة ، تابعي عالم زاهد ،
نزيل بيت المقدس ، له كتب في الظاهرية ، توفي في خراسان عام ١٣٥ هـ . انظر الزركلي :
الأعلام ، ج ٤ ، ٢٣٥ . محمد البار : أفغانستان ، ٤١٦ .
- (٦) الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني أبو القاسم ، مفسر من علمي الصبيان ، عدة البستي في اتباع
التابعيين وانكر ان يكون سمع من ابن عباس أو أحد من الصحابة مات عام ١٠٥ هـ . انظر البستي :
مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٤ . وذكر الأستاذ محمد البار أن الضحاك صاحب عبد الله ابن عباس

الأخفش، سعيد بن مسعدة التميمي^(١) ، وفي الزهد عرف إبراهيم بن أدهم التميمي .

ويكنى إبراهيم بن أدهم بأبي إسحاق ويلقب بالتميمي البلخي ، وأبوه أدهم ابن منصور ، إمام زاهد التقى ببعض الصحابة وروى عنهم ، ولذا فهو يعد في طبقة التابعين وورث إبراهيم عن أجداده مالا كثيرا فرفض ذلك وساح في الأرض يعمل من كد يده وعرق جبينه ، يلبس ما خشن من الثياب ، ويأكل ما جشبت من الطعام ، ولا يكاد يترك الغزو في سبيل الله ، كان أكثر جهاده في أرض الروم مما يلي بلاد الشام ، يروى عن إبراهيم بن أدهم قصصاً كثيرة في الزهد ويذكر أنه كان متمكناً من الفصحى لا ينطق إلا بها ، وتوفي في صور (جنوب لبنان) عام ١٦١ هـ^(٢) .

وقريباً من وفاة إبراهيم بن أدهم كانت وفاة داود البلخي أحد الأعلام البارزين في العبادة والزهد ، وهو طائي يمانى يقال له : أبو سليمان داود بن نصير من قرية « المارزة » ببلخ أخذ العلم عن الإمام أبي حنيفة النعمان وتلمذ على يديه^(٣) وجدير بالذكر أن أصل الإمام أبي حنيفة من بلخ حيث كان والده منها ، وولادته بالكوفة في عام ٨٠ هـ^(٤) ، وهو تميمي بالولاء ، ورع زاهد كريم قوى الحجة ، رفض منصب

ولم يذكر المصدر انظر محمد البار : أفغانستان ، ٤١٦ .

(٧) تولى قضاء بلخ مدة طويلة ومات مقتولا بها عام ١٤٢ هـ ، اثنى عليه الإمام مالك بن أنس ، انظر محمد البار : أفغانستان ، ٤١٧ .

(١) هو سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي بالولاء ، أبو الحسن ، المعروف بالأخفش الأوسط ، له مصنفات كثيرة ، وزاد في العروض بحر « الخبب » انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١ ، ٢٠٨ . وقد ترجم له صاحب أعلام تميم وأشار إلى عدد من كتبه . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٢٩٣ .

(٢) عدده البستي من بني بكر بن وائل انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٨٣ ، والشائع أنه تميمي صليبة انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ١٤٠ ابن عساكر : التهذيب ، ٢ ، ١٦٧ . وقد ذكر الزركلي وحسين حسن إبراهيم بن أدهم التميمي . انظر الزركلي : الأعلام ، ج ١ ، ٣١ ، حسين حسن : أعلام تميم ، ٣٩ .

(٣) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١ ، ١٧٧ ، والبستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٦٨ .

(٤) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢ ، ١٦٣ .

القضاء مراراً ، وانتشر مذهبه الحنفي في سائر بلاد خراسان وفي بلدته « بلخ » بصورة خاصة .

وأبو حنيفة معدود في طبقة التابعين ذكره الإمام الشافعي بقوله : « الناس كلهم عيال على أبي حنيفة في الفقه » ، وعلى مقاتل بن سليمان في التفسير ^(١) ومقاتل ابن سليمان بلخي أيضاً ، وأزدي بالولاء ، له تفسير مشهور ، وضعفه بعض نقاد الحديث . توفي في عام ١٥٠ هـ ^(٢) ، ومن يذكر في طبقة التابعين من أهل بلخ مقاتل بن حيان البكري الربعي ولأهـ صحب أبا حنيفة وأخذ عنه ، وتولى قضاء وإمارة بلخ فترة من الزمن وتوفي في عام ١٣٥ هـ ^(٣) .

البروقان :-

تقع البروقان في ظاهر مدينة بلخ على بعد فرسخين منها ، واشتهرت باستيطان العرب من تميم والأزد وبكر فيها ^(٤) ، ويبدو أن العرب لم يرغبوا في الاختلاط بالسكان الأصليين في الفترات المبكرة من تاريخ نزولهم ففضلوا البروقان على بلخ ، غير أنه لا يوجد دليل يحدد وقت نزول العرب بالبروقان ، وهل هذا كان برغبة منهم أو

(١) وكانت وفاة الإمام إبي حنيفة النعمان بن ثابت في عام ١٥٠ هـ . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠ ، ١٠٧ .

(٢) انظر ابن خلكان : وفیات الأعيان ، ٢ ، ١٣٢ وقد ترجم له الزركلي وأشار إلى بعض الأقوال فيه ، انظر الزركلي : الأعلام ، ٧ ، ٢٨١ .

(٣) مقاتل بن حيان النبطي أبو بسطام ، مولى بكر بن وائل . كذا قال البستي وأنكر أن يكون مقاتل قد لقي إحداً من الصحابة وقال تلك اخبار مدلسة ، وعده في أتباع التابعين ، وأن له خطة «همرو» يسكن بها مدة وبـ « بلخ » زماناً وأنه ممن عني بعلم القرآن وواظب على الورع في السر والإعلان . وحدد تاريخ وفاته بعام ١٣٥ هـ حينما هرب إلى كابل من أبي مسلم . انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٥ . وأشار الاستاذ محمد البار إلى أن مقاتل بن حيان من طبقة التابعين وأبوه من بوادي العرب ، ووفاته ببلخ ولم يذكر المصدر . انظر محمد البار : أفغانستان ، ٤١٨ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٦٢ .

هو من اختيار الولاة ^(١) ، لكن الاستنتاج يقود إلى أن الأمزجة العربية تتلاءم مع النزول خارج المدن الكبيرة وتفضل البرية والضواحي عليها ، وأن نزول العرب بالبروقان قد تم أثناء فتح العرب المسلمين لبلخ .

ولم يهتم الأخباريون بأخبار البروقان أوهم لم يذكروا شيئاً عنها سوى مايتعلق بالوقعة العربية فيها عام ١٠٦هـ والشهيرة بـ « وقعة البروقان » ^(٢) واغفل أصحاب معاجم البلدان تماماً الحديث عنها ما خلا اشارات يسيرة جداً كالذى ذكره ياقوت ^(٣) : أن « بروقان » قرية من نواحي بلخ ينسب إليها محمد بن خاقان البروقاني ^(٤) .

ويلاحظ أن عدداً من قبائل العرب تشترك في سكن مدن وقرى بلخ وربما تتداخل أراضيها كما يتضح من نزاع بكر وتميم على بعض الأمكنة ^(٥) ، وإذا كانت هلمس قد عرفت بالأزد وتميم وقيس ^(٦) ، فإن « البروقان » عرفت بالأزد وتميم وبكر ، وقد أرسل إليها قتيبة بن مسلم أثنى عشر ألف جندي للقضاء على ثورة نيزك طخارستان ^(٧) . وقام أسد القسرى في ولايته الأولى (١٠٦ — ١٠٩) بنقل العرب من البروقان إلى بلخ لأن البروقان كانت مكشوفة وغير محصنة .

والذي يفهم مما ذكره الطبري في أحداث سنة ٩١هـ أن بلخ كانت خراباً فيضطر أميرها إلى الإقامة في « البروقان » ذكر الطبري ذلك في حديثه عن تمرد

(١) هناك من يذكر بأن البروقان مقر لاحتشاد الجنود مع أمرائهم ، ربما اعتماداً على أخبار وقعة البروقان سنة ١٠٦هـ . انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٦٦ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٩٣ .

(٣) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ٤٠٥ .

(٤) ولم يتطرق كي لسترخ للبروقان .

(٥) ولهاوزن : تاريخ الدولة العربية ، ٣٨٥ .

(٦) ذكر المقدسي أنها بلاد الأزد . انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣٠٠ ، ولعله أراد أن الأكثرية أزدية .

انظر حسين علوان الشعر العربي بخراسان ، ٦٦ .

(٧) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٨ .

نيزك طخارستان^(١) وكيف أنّ قتيبة بن مسلم كتب إلى أمير بلخ المقيم بالبروقان بأن يرصد له ويحبسه^(٢) .

ويؤيد أنّ بلخ كانت خراباً ماروى من أنّ أسد القسري أسند إلى برمك البلخي مهمة بناء مدينة بلخ في عام ١٠٧ هـ^(٣) ، وكان أسد قد قدم أميراً على خراسان في عام ١٠٦ هـ ، وهو نفس العام الذي حدثت فيه وقعة « البروقان » والذي أثار هذه الوقعة هو أن الناس تباطؤوا عن الوالي مسلم بن سعيد الكلابي حينما قطع نهر جيحون غازياً وكان على رأس المتباطئين البختري بن أبي درهم^(٤) البكري الربيعي فرد مسلم إلى المتخلفين أناس من تميم فيهم بلعاء بن مجاهد العنبري^(٥) ، وعقبة بن شهاب المازني^(٦) ، وأبو حفص بن وائل الحنظلي ، وسالم بن ذؤابة^(٧) ، ومعهم سليم ابن سليمان بن عبد الله بن خازم وعليهم نصر بن سيار الليثي الكناني . واحرق نصر باب

(١) استنفر نيزك امراء المدن والقرى من الفرس فكتب إلى أصبهذ « بلخ » وملك « مرو الروذ » وملك « الطالقان » وملك « الفارياب » وملك « الجوزجان » فاجابوه إلى الخلع والتمرد ، فارسل قتيبة ١٢ ألفاً مع أخيه عبد الرحمن إلى « البروقان » . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٧٠ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٧٠ . وفيها أن أمير بلخ عبد الرحمن بن مسلم الباهلي وأمير الجوزجان عامر بن مالك الحماني التميمي .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ١٨٩ .

(٤) من قادة بكر بن وائل رزعاتها ، كان على « هراة » أيام ولاية الجنيد على خراسان انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٠٩ .

(٥) الحنظلي التميمي ، انتهت معركة البروقان على يديه حين أخذ أماناً لعمر بن مسلم من نصر بن سيار ، قتل في عام ١١٢ . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ١٨٢ ، ٢١٠ .

(٦) من زعماء تميم في خراسان ، مازني عمري ، كان يحمل راية وكيع التميمي يوم مقتل قتيبة . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١٤٠ .

(٧) وقيل ابن رواية . قتل وهو يحارب مع نصر بن سيار عام ١٣٠ هـ . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ص ٢٩٥ .

البختري وزياذ بن ظريف الباهلي في « بلخ » لكن عمرو بن مسلم الباهلي ^(١) منع نصرأ من دخولها فنزل « البروقان » . وهناك اتاه أهل الصغانيان ، ومسلمة العقفاني العنبري الحنظلي بخمسائة من تميم وقوم من أسد وبني نمير في مثل عدد التميميين واجتمعت ربيعة والأزد على البختري البكري وعسكروا بالبروقان على نصف فرسخ من نصر ^(٢) ، ولم يفلح نصر في إقناع أهل بلخ - وقد أخذوا اعطياتهم - باللاحاق بمسلم ، وزاد الحالة سوءاً التفاف الكتل الربعي الأزدي على عمرو بن مسلم الباهلي القيسي ، وتعصب المضرية لنصر ، واشاع الجمع المناهض لنصر بأن مسلم ابن سعيد الكلبي يريد أن يخلع باكراهه الناس على الخروج ^(٣) .

وتبنت ربيعة والأزد موقف عمرو بن مسلم الباهلي وشدوا من أرزه بل وذهب التغلبيون الربعيون إلى أبعد من ذلك حين أدعوا أن باهلة ^(٤) من تغلب وقال رجل من بكر :

زعمت قتيبة أنها من وائل نسب بعيد ياقتيبة فاصعدي ^(٥)

وحتى اليمانيون أدعوا أن باهلة القيسية المضرية أزدية يمانية ، قال ذلك بنو معن الأزديون ^(٦) ، وحين احتدم الصراع بين الكتلتين اليمانية والربعية من جهة والمضرية من جهة أخرى سفر الضحاك بن مزاحم ^(٧) ويزيد بن المفضل الحداني الأزدي بين أطراف النزاع ولم يفلحوا ^(٨) . غير أن عمرو بن مسلم اضطر فيما بعد أن يطلب بلعاء

(١) هو أخو قتيبة بن مسلم . انظر أخباره في ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٣٥ ، ١٥٩ ، ١٣٩ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٣ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٨ .

(٤) انظر في نسب باهلة ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٤٦ ، الكلبي : جمهرة النسب ، ٢١٦ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٨ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٨ .

(٧) تقدم أن الضحاك بن مزاحم توفي في عام ١٠٥ هـ . وهذا يناقض الوارد هنا .

(٨) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٨٣ .

ابن مجاهد التميمي ليحصل منه على أمان من نصر بن سيار^(١) ، وقد تم ذلك وانهزمت ربيعة ثم تبعها الأزد^(٢) ، وفي ذلك قال بيان العنبري التميمي^(٣) .

أتاني ورحلي بالمدينة وقعة لآل تميم أرجفت كل مرجف^(٤)
تظل عيون البرش بكر بن وائل إذا ذكرت قتلى « البروقان » تذرف^(٥)
هم أسلموا للموت عمرو بن مسلم وولوا شلالاً والأسنة تعرف^(٦)
وكانت من الفتيان في الحرب عادة ولم يصبروا عند القنا المتقصف^(٧)

ولنصر بن سيار قصيدة قالها حين تم الإيقاع بخالد القسري في عام ١٢٠ هـ .
وذكر فيها وقعة « البروقان »^(٨) ، وأورد الطبري رواية أخرى عن هذه الوقعة مفادها أن عمرو بن مسلم هزم نصر بن سيار وسخر من بني تميم فكر التميميون عليه فكشفوه ، وأسروا عدداً من جنده وجردوهم^(٩) .

وقدم أسد القسري أميراً على خراسان فمنعه الأشهب بن عبيد التميمي^(١٠)

(١) انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ١٠١ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٨ .

(٣) من بني العنبر بن يربوع بن حنظلة ، شهد وقعة « البروقان » ، وأسر في حرب الصفد على مقربة من سمرقند ، عام ١٠٩ هـ . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ١٤٣ .

(٤) أرجفت : أفزعت ، والمرجف الذي يولد الأخبار الكاذبة .

(٥) الأبرش هو الذي فيه نقط مختلفة الألوان .

(٦) شلال : متفرقون ، وترعف تقطر دماً .

(٧) المتقصف : المتكسر .

(٨) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٨ .

(٩) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٨ .

(١٠) الحنظلي من مشاهير فرسان الإسلام ، أبلى في وقعة قصر الباهلي ، وفي سمرقند ، عام ١١٢ هـ ، وفاراض الحارث بن سريج نائباً عن عاصم الهلالي ، وقال أسد حين منعه الأشهب من العبور اعرفوا هذا حتى نشاركه في أمانتنا . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٩٥ .

من عبور نهر جيحون حتى عرفه بنفسه ^(١) ، ولما صار في الصغد عهد لعبد الرحمن ابن نعيم الغامدي الأزدي ^(٢) بإمارة الجند ، فقدم الغامدي بالعهد إلى مسلم بن سعيد فسمع مسلم وأطاع لكن رجلاً من بني بكر بن وائل يدعى عمرو بن هلال السدوسي ضرب مسلماً ثأراً لما حدث به « البروقان » فأنبرى للبكرى رجل من تميم ^(٣) وكاد الشريقع بين الحيين ^(٤) .

وفي عام ١٠٧ هـ نقل أسد القسري من كان « بالبروقان » من العرب إلى « بلخ » ، واقطع كل من كان له مسكن « بالبروقان » مسكناً « ببلخ » بقدر مسكنه ، ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكناً ، وأراد أن ينزلهم على الأخماس فقليل له : أنهم يتعصبون فخلط بينهم ، ^(٥) وقال الطبري : « وولى - يقصد أسداً - بناء مدينة بلخ برمك أبا خالد بن برمك ، وكان « البروقان » منزل الأمراء ، وبين « البروقان » و « بلخ » فرسخان ، وبين المدينة « والنوبهار » قدر غلوتين ^(٦) ، ثم أورد الطبري قصيدة لأبي

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٩ .

(٢) ذكر ابن الأثير أن عبد الرحمن بن نعيم قشيري ، ومعنى ذلك أنه من بني عامر من هوازن القيسية المضربة ، وهذا وهم لأن ابن نعيم غامدي أزدي يمانى ، والذي أوقع في الوهم هو أن أمر خراسان قد تولاها اثنان في عام ١٠٠ هـ أحدهما ابن نعيم الغامدي على الحرب ، والثاني عبد الرحمن بن عبد الله القشيري على الخراج ولاهما عمر بن عبد العزيز ، وهذا ما أشار إليه الطبري : غير أن الطبري : ذكر عبد الرحمن بن نعيم وسماه عبد الرحمن بن نعيم العامري في موضع آخر من كتابه . وعما تقدم وعن أخبار ابن نعيم انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٣٥ ، ١٨٣ ، ١٩٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٥٧ ، ٢٠٠ ، ٢٢٢ .

(٣) هو حسين بن عثمان بن بشر بن المحتفز ، من مزينة ، من تميم ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٨٥ ، ج ٨ ، ١٨٧ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٧ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٩ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٩ ، والغلوة قدر الرمية .

البريد البكري في بنيان أسد مدينة « بلخ »^(١) ، لكن هذا البكري نقم على أسد تعصبه لليمن دون ربيعة^(٢) ، وهي سياسة انكرها البخري الزعيم البكري واضطرته إلى أن يشغب على أسد فحبسه أسد مع المضربين ، وكان البخري يقول : لوددت أنه ضربني وهذا شهراً يعني نصر بن سيار ، وذلك لما كان بينهما ب « البروقان »^(٣) .

وتكاد بكر بن وائل تكون ثالث القبائل في أرض بلخ من حيث كثرة العدد بعد الأزديين والتميميين^(٤) غير أنها لم تتوغل في طخارستان كبني تميم^(٥) عدا ما ذكر من أن بني برزى كانوا في قلعة « التبوشكان »^(٦) ، وهؤلاء يشملهم اسم ربيعة لكنهم من بني تغلب أخت بكر وليسوا من بكر ذاتها^(٧) .

وقد أصهر الحارث بن سريج التميمي إلى بني برزى هؤلاء^(٨) ، ولما سار جديع الكرمان في تعقب الحارث عام ١١٨ هـ أوقع بهم في قلعتهم وقتلهم وسبى العرب والموالي والذراري^(٩) وباعهم « فمن يزيد في سوق بلخ »^(١٠) .

(١) وورد فيها قوله : إِنَّ الْمَبَارَكَةَ الَّتِي أَحْصَتْهَا عَصَمُ الذَّلِيلِ بِهَا وَمَرَّ الْخَائِفِ

وَأَبُو الْبَرِيدِ مِنْ بَنِي عِلْبَاءِ بْنِ شَيْيَانَ بْنِ ذَهْلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ .

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٢ .

(٢) وقال في ذلك أبيات مر ذكرها ، ولما دخل على عبد الرحمن بن صبح الأزد عامل أسد على بخارى أنكر الأبيات وقال :

الأزد اخوتنا وهم حلفاؤنا ما بيننا نكث ولا تبديل

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٣ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٢ .

(٤) انظر صالح العلي : امتداد العرب في صدر الإسلام ، ٥٥ ، حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٦٦ .

(٥) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ٢١١ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٢٩ .

(٧) عن صلة بكر بتغلب انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٠٧ .

(٨) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٢٩ .

وفي هذا العام نقل أسد الدواوين إلى « بلخ » واتخذها عاصمة لخراسان وبلاد ماوراء النهر بدلاً من « مرو »^(٣) .

هذا وقد شهدت بلاد ماوراء النهر استقراراً عربياً كبيراً ، وكانت سمرقند من أهم المدن التي استوطنها العرب هناك .

سمرقند :-

وتقع سمرقند في إقليم الصغد (صغديانا) المشتمل على الأرض الخصبة فيما بين نهري جيحون وسيحون^(٤) .

وقد يتوسع في اسم الصغد ، فتدخل فيه كل من « بخارى » و « كش » و « نسف »^(٥) ، ويقصر أحياناً - كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين - فينحصر في الرساتيق المحيطة بسمرقند فقط^(٦) .

وعلى الرأي الأول تصبح كل من « بخارى » و « سمرقند » قصبة للصغد^(٧)

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٢٢٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ٢٢٩ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٢٢٥ ، وقد تجتمع في بلخ الفان وخمسائة جندي عربي من أهل الشام ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ٢٢٧٨ ، مع من كان فيها من الأزد وتميم وبكر بن وائل . انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٦٧ .

(٤) انظر الأصبخري : مسالك الممالك ، ٣٠٩ .

يعد الصغد من جنات الدنيا ، وقد بلغ أوج ازدهاره في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري في أيام الامراء السامانيين . انظر كي لسترخ : بلدان الخلافة الشرقية ، ٥٠٣ .

(٥) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٥٢ .

(٦) أشار إلى ذلك كي لسترخ وذكر أن كل واحدة من « بخارى » و « كش » و « نسف » تعد كورة بذاتها . انظر كي لسترخ : بلدان الخلافة الشرقية ، ٥٠٤ .

(٧) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٣ ، ٣٨٨ .

اشتهرت الأولى بكونها مركزاً علمياً والثانية بكونها مركزاً أدارياً^(١) .

ويوجد في أرض الصغد نهران^(٢) الأول وهو الشمالي منهما تقع عليه سمرقند وإلى الغرب منها تقع « بخارى » على نفس النهر ، وبينهما « ربنجن » و « الدبوسية » والثاني : وهو الجنوبي تقع عليه كل من « كش » و « نسف »^(٣) وتقع « كش » و « نسف » على الطريق الذي يربط « بلخ » و « ترمذ » بسمرقند و « بخارى » ، وهو طريق خراسان الذي يجتاز بلخ شمالاً ، ويعبر نهر جيحون إلى « ترمذ »^(٤) ثم إلى « كندك » حيث يتشعب : فإلى الشمال يذهب الطريق الأيمن إلى « كش » فسمرقند ، وإلى الشمال الغربي يذهب الطريق الأيسر إلى « نسف » ف « بخارى »^(٥) .

يفصل بين سمرقند و « بخارى » ١٥٠ ميلاً^(٦) ، سمرقند في أعلى نهر السغد المتجه غرباً ، وبخارى في أسفله ، واشتهرت سمرقند بأشجارها الكثيفة وقل أن تخلو دار بها من البساتين ، والماء الجاري^(٧) ، وكان لمدينة سمرقند سور حوله خندق عميق ولها قلعة مرتفعة عن الأرض ذكرها ابن حوقل المتوفى في عام ٣٦٧هـ وأشار إلى أن الخراب قد استحوذ على أكثرها^(٨) .

(١) انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٥٠٤ .

(٢) ينتهي هذان النهران إلى بحيرات ضحلة في المفازة الغربية جهة خوارزم . انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٥٠٣ .

(٣) انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣٦٤ .

(٤) يتشعب طريق خراسان عند « ترمذ » إلى جهتين فالذاهب إلى الشمال يتخلل طريق « كندك » المشار إليه . انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣٤٤ .

(٥) انظر الأصبهري : مسالك الممالك ، ٣٤٠ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣٦٥ .

(٦) انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٥٠٧ .

(٧) وقيل في ذلك : أن من صعد قلعة سمرقند لا يراها لاستارها بالبساتين والأشجار . انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية .

(٨) انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ٢٧٨ .

وأشار الأصطخري المتوفى في عام ٣٤٦هـ إلى سورها الكبير ودروبها وأرباضها ومناخها المتميز بهوائه الرطب^(١) ، وتحدث ياقوت الحموي المتوفى في عام ٦٢٦هـ عن سمرقند فذكر أبوابها الأربعة وأسواقها ومساكنها^(٢) .

وأرض سمرقند خصبة ، وافرة الخيرات ، تمتد فيها حقول القمح حول الانهار إلى قرب مدينة « بنجيكت » المشهورة بأشجار اللوز والجوز ، و « بنجيكت » المعروفة بهذا الاسم إلى عصرنا الحاضر تقع شرق سمرقند وبينهما « ورغسر » وإلى الجنوب منهما « مايمرغ » أغنى الرساتيق وأكثرها أشجاراً^(٣) .

أما شمال سمرقند ففيه « اشتيخن » (قلب السغد) على ضفة نهر السغد الشمالية لها قهندز وربض ومشهورة بكثرة زروعها^(٤) ، وإلى الغرب منها تقع « بوزماجن » في تخوم « أشروسنة »^(٥) وبوزماجن رستاق غني بزراعته عاصمته « براكت » على أربعة فراسخ من سمرقند ، وإلى الشمال منها أيضاً رستاق « كبوذنجث » عاصمة « لنجوغث »^(٦) .

وفي شرق سمرقند توجد « الدبوسية » و « رينجن » كما سلف ، وأيضاً « كرمينية »^(٨) وبالقرب من كرمينية توجد بلدة « خذيمينكن » على ضفة نهر السغد

(١) انظر الأصطخري : مسالك الممالك ، ٣١٤ .

(٢) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ٣ ، ١٤٠ .

(٣) انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٥٠٦ .

(٤) انظر الاصطخري : مسالك الممالك ، ٣١٩ .

(٥) أشروسنة أقليم شرق سمرقند ، بين نهر « الصغد » ونهر « سيحون » يحده من الشرق « البامير » . انظر الاصطخري : مسالك الممالك ، ٣٣٠ . ومن مدن أشروسنة « زامين » (ماتزال قائمة) يتشعب الطريق الآتي إليها من بخارى وسمرقند إلى طريقين : أحدهما إلى الشاش (طشقند) شمالاً ، والآخر إلى « فرغانة » شمال شرق . كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٥١٨ .

(٦) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٨٢ .

(٧) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ٩٨ .

(٨) انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٥١١ .

الشمالية ذكرها ياقوت وقال بأنها « تختص بأهل الحديث »^(١) .

ويُعرف النهر الذي تقع عليه كل من « كش » ، « NSF »^(٢) باسم « كُشْكَه دريا » ، وقد وصف ابن حوقل مدينة « كش » فذكر مسجدًا و خاناتها ، وأبوابها ، وأشار إلى أن الفواكه تدرك فيها أسرع مما تدرك في غيرها ، فتأتي بواكيرها إلى « بخارى »^(٣) ، وقد تغير اسم « كش » فاصبح « شهرسبز » وهو اسمها الذي تعرف به إلى اليوم ، شأنها في ذلك شأن « NSF » المعروفة الآن باسم « قرشي »^(٤) ، و « NSF » هي « نخشب »^(٥) لها ذكر في اخبار فتوح ماوراء النهر سيمر طرف منها واتخذها المقنّع الخراساني موطناً له في عصر بني العباس^(٦) .

وما تجدر الإشارة إليه هو أن عام ٥٤ هـ قد شهد أول محاولة للمسلمين للاقتراب من سمرقند ، وذلك حين قطع عبيد الله بن زياد نهر جيحون بالأبل ، وأصاب مغنماً في بخارى وعاد^(٧) .

(١) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ٩٨ .

(٢) تقدمت الإشارة إلى أن « كش » تقع على طريق سمرقند و « NSF » تقع على طريق بخارى بعد أن يتشعب طريق « بلخ » ، « ترمذ » ، « كندك » إلى طريقين ، غير أن هناك طريقاً لسمرقند وبخارى لا يمر بهاتين المدينتين ، وهو الذي يعبر نهر جيحون بالقرب من أمل (أمل بخارى) ويتجه إلى « بيكند » ثم « بخارى » ومنها إلى « سمرقند » شرقاً . انظر الاضطخري مسالك الممالك ، ٣٤٠ .

(٣) انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣٦٠ .

(٤) انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٥١٣ .

(٥) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٧٧ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ٥ ، ٣٥ والمقنّع يقال له : عطاء ، مشعوذ من أهل مرو ، رحل إلى بلاد ماوراء النهر ، وادعى الربوبية زاعماً أنها انتقلت إليه من أبي مسلم الخراساني ، وكان مشوه الخلق فاتخذ له قناعاً من ذهب مات في عام ١٦٣ هـ . انظر الزركلي : الأعلام ، ٤ ، ٢٣٥ .

(٧) فتح عبيد الله « رايشين » ونصف « بيكند » في أرض بخارى ، ولما عاد إلى البصرة في عام ٦٥ هـ كان معه ألفان من البخارية كلهم جيد الرمي بالنشاب . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ١٦٧ .

وفي عام ٥٦ هـ اقترب الجيش الإسلامي من سمرقند ^(١) ثم ارتد عنها بقيادة سعيد بن عثمان ^(٢) ، وأخيراً صالح أهلها وعاد الجيش إلى « ترمذ » .

وفي عام ٦١ هـ غزا العرب المسلمون سمرقند ^(٣) وشتوا هناك لأول مرة ، وانتهى أمر غزوتهم إلى الصلح مع أهل الصغد ^(٤) ، وفي عام ٨٠ ^(٥) سار الجيش الإسلامي إلى « كش » ومكث بها عامين كاملين ، وقد أشار بعض القادة على المهلب والي خراسان أن يتقدم من « كش » إلى « الصغد » . فأبى ذلك وقال : « ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه الجند يرجعوا إلى مرو سالمين » ^(٦) .

ولم تتقدم الجيوش بعد ذلك إلى « الصغد » ولا حتى إلى « كش » إذ اتجه المفضل بن المهلب بها وجهة أخرى عن طريق بلخ فترمذ ثم « الصغانيان » فـ « شومان »

(١) من طريق (بلخ ترمذ كش) بينما كانت غزوة عبيد الله من طريق (أمل ، بيكند ، بخارى) . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ١٦٧ ، ١٧١ .

(٢) وفي ذلك قال مالك بن الربيع التميمي يهجو سعيداً :
مازلت يوم « الصغد » ترعد واقفاً من الجبن حتى خفت أن تنصرا

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ١٧١ .

(٣) يلاحظ أن الصغد في بعض الروايات يقصد بها سمرقند والعكس وذلك لكون سمرقند هي قصبة الصغد . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ٢٧٣ .

(٤) وكان على الغزو سلم بن زياد والي خراسان ومعه امرأته ، أول امرأة من العرب قطع بها النهر ، وقد استعارت حلية من امرأة أمير الصغد فقفل الغزو والعارية لم ترجع إلى صاحبها . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ٢٧٣ .

(٥) في عام ٧٧ هـ عبر أمية بن عبد الله والي خراسان النهر ليفزوا ، وليقضي على تمرد موسى بن خازم بـ « ترمذ » ولكنه عاد ليخمد ثورة بكير بن وشاح التميمي بـ « مرو » وفي ذلك قال عتاب اللقوة الغداني التميمي :

لما رأيت جبال الصغد معرضة وليت موسى ونوحاً عكوة الذنب

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ٢٧٧ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٨٠ .

وذلك عام ٨٥هـ^(١)، لكن عام ٨٧هـ قد شهد تحولاً جذرياً في حركة الفتوح حيث سار قتيبة بن مسلم إلى بلخ فاخضع ما تمرد منها^(٢) وعبر النهر إلى «الصغانيان» و «شومان» و «آخرون» وهما من طخارستان فصالحه أهلها^(٣) فاستعان بعدد من الدهاقين على إخضاع ما تمرد من المدن، وضبط شؤون البلاد^(٤)، فلما حلّ عام ٨٨هـ عبر قتيبة نهر جيحون إلى «بيكند» أدنى المدائن التجارية^(٥). فاستنجد أهل «بيكند» بالصغد لكن المسلمين هزموهم^(٦)، وغزوا «نومشكت» و «ريامشين» بالقرب من بخارى، فصالحهم أهل البلدتين، ثم التقوا مع أهل الصغد في معركة لم تسفر عن نتيجة حاسمة^(٧)، سلك المسلمون بعدها طريق «ترمذ» «بلخ» عائدين إلى العاصمة «مرو».

وفي ٨٩هـ أعاد المسلمون الكرة وألحوا في محاولة فتح «بخارى» لكن بدون جدوى^(٨)، وجرت بعدها مكاتبات بين القائد قتيبة بن مسلم والحجاج بن يوسف في العراق، واستنفر أهل بخارى في الوقت ذاته ملوك «الصغد» وقبائل الترك ولم يحل عام ٩١هـ حتى كان الطرفان وجهاً لوجه أمام أسوار بخارى المسلمون بقيادة قتيبة بن مسلم وأهل بخارى بقيادة «وردان خذاه» ومعه «طرخون» ملك «الصغد»،

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٥٥ .

(٢) أورد الطبري أن بلخ قد انتفض بعضها على قتيبة فاخضعها ، وأصاب أخوه عبد الله امرأة برمك في السبي ثم ردت المرأة بعد الصلح . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٦٠ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك : ج ٨ ، ٦٠ .

(٤) وهم دهاقين «بلخ» و «كفتان» و «الصغانيان» . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك . ج ٨ ، ٥٩ .

(٥) قال ياقوت «بيكند» على مرحلة من بخارى ليس فيها مزارع ولا قرى غير أنها أكثر بلاد ما وراء النهر رباطات وبها محارب ليس ببلاد ما وراء النهر مثلها ، ينسب إليها جماعة من الأعيان . انظر

ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ٥٣٣ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١١٠ .

(٧) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١١٥ .

(٨) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٦٧ .

وانتصر المسلمون بعد معركة حامية الوطيس (١) .

وقد فت فتح بخارى في عضد زعيم سمرقند وتوابعها (الصغد) فطلب الصلح من قتيبة ، وكان نهر « الصغد » يحجز بينهما ، فأجابه قتيبة إلى ماطلب وكان الوسيط بينهما حيّان النبطي مولى مصقلة بن هبيرة الشيباني البكري الربيعي (٢) .

على أن هذا الفتح قد راع « نيزك طرخان » (٣) صاحب قتيبة فانتفض وهب معه الأمراء الفرس في قلب خراسان ، وفي « بلخ » بالذات و « مرو الروذ » و « الطالقان » على قتيبة (٤) .

وما أن قضى قتيبة على « نيزك » حتى كانت المدن الواقعة على طريق سمرقند قد انتفضت وطرده ملوكها عمال قتيبة ، وهذه المدن « كش » و « NSF » ، وأيضاً « شومان » فأخضعها المسلمون مرة أخرى ، ومن « NSF » سار عبد الرحمن ابن مسلم أخو قتيبة إلى « طرخون » ملك « الصغد » ليقبض منه ماتم الصلح عليه فأدى طرخون الأموال والمؤمن المتفق عليها غير أن قومه خطأوه ولا موه على ذلك بل وانتفضوا

(١) انظر تفاصيل هذه المعركة في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٨ ، ٨٠ .

(٢) كان مصقلة موالياً لعلبي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وعاملاً له على بعض كور فارس فتحول إلى معاوية وحارب معه في « صفين » ولأه معاوية « طبرستان » فداهمة العدو في مسالكها الوعرة فهلك عام ٥٠ هـ ، وقيل في ذلك لا يكون هذا حتى يرجع مصقلة من طبرستان ١ ، وقال الأخطل التغلبي :

دع المغر لا تسأل بمصرعه واسأل بمصقلة البكري : ما فعلا ؟ .

انظر المنقري : وقعة صفين ، ٥٥٥ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ٤٤٢ .

(٣) كان نيزك طرخان مع « ماهو » أو « براز » دهقان « مرو » وقد اتفقا على طرد « يزدجر » من « مرو » حين لجأ إليها في عام ٣١ هـ ، وفي عام ٥١ هـ قتل الربيع بن زياد الحارثي دهاقين « قوستان » ماعدا نيزك هذا ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٦٠ ، ٢٤٣ .

(٤) كانت ثورة نيزك شديدة إذ انتفض حينما شاهد الانتصارات العظيمة في بخارى وأوى^{في} شعاب « طخارستان » لكن قتيبة قضى عليه بمساعدة سليم الناصح أحد الأعاجم ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٧٨ .

عليه واسقطوه وعينوا « غوزك » ملكاً عليهم بدلاً منه ^(١) ، وبعد أن صالح قتيبة أهل « خوارزم » سار إلى سمرقند ومعه من غير العرب أهل بخارى « والخوارزميين » ^(٢) ، واستنجد أهل سمرقند بملوك « الشاش » و « فرغانة » ^(٣) فرفع هؤلاء إليهم بأبناء « المرازبة » و « الأساورة » والأشداء الأبطال ^(٤) .

وقد نصح أهل بخارى وخوارزم لقتيبة وأبلوا بلاءً حسناً ، فقال « غوزك » إنما يقاتلني العرب باخوتي وأهل بيتي ، فانتدب قتيبة العرب وحرصهم على القتال حتى طلب السمرقنديون الصلح ^(٥) فوافق قتيبة على ذلك على أن يأخذ منهم رهائن ، ويدخل سمرقند فيبني مسجداً ^(٦) وقد قيل أن قتيبة لما دخل المدينة رفض أن يخرج منها وأنه بذلك غدر بأهل سمرقند ^(٧) ، ومن خبر هذه الحادثة أن أهل سمرقند اشتكوا إلى عمر بن عبد العزيز حينما أصبح خليفة بحجة أنهم غلبوا على منازلهم

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٦ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٦ .

(٣) الشاش تقدم التعريف بها ، وهي « تاشكند » « طشقند » عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفيتية حالياً ، وفرغانة إلى الجنوب الشرقي منها ، انظر كي لسترخج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٥٠٨ خلوصي : الطريق إلى سمرقند ، ٧٥ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٥ .

(٥) نقل البلاذري عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن أهل سمرقند لم يكونوا نقضوا صلحهم مع سعيد ابن عثمان بن عفان لكن قتيبة استقل صلحهم . وهذا يخالف ماورده الطبري من نقضهم للصلح وثورتهم على ملكهم وقتله حتى قال قتيبة : أن من واجبي أن أثار له ، ومعلوم أن أبا عبيدة - صاحب مثالب العرب - لا يعتد به في الروايات التاريخية انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٧٨ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١١ .

(٦) لما فتح قتيبة سمرقند أصاب جارية من ولد يزدجرد فارسلها إلى الحجاج فارسلها الحجاج إلى الوليد ابن عبد الملك فولدت له يزيد بن الوليد ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٢٧ .

(٧) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٨ .

بالقدر ، فكتب عمر إلى سليمان بن أبي السري ، وهو مولى من العجم ^(١) ، أن ينظر في أمر هذه الشكوى ف قضى قاضي سليمان ^(٢) بأنّ على العرب الخروج من سمرقند ، لكن أهل سمرقند عادوا فرفضوا خروج العرب من مساكنهم بحجة أنّ الجميع قد أصبحوا أخوة متآلفين ^(٣) .

ونص ماذكره الطبري بعد دخول قتيبة سمرقند هو أن قتيبة « أرسل إلى أهل السغد » من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذ فأنى لست خارجاً منها وإنما صنعت هذا لكم ولست آخذ منكم أكثر مما صالحكم عليه ، غير أن الجند يقيمون فيها ^(٤) .

وهذا النص لم يرد إلا في رواية واحدة من بين روايات أخرى ذكرها الطبري لم يرد فيها ذكر قصة القدر ^(٥) . هذا وقد أدى فتح سمرقند إلى سكنى عدد كبير من العرب بها ، وذكر ذلك الطبري : وقال : إنّ قتيبة استخلف على سمرقند عبيد الله ابن مسلم وخلف عنده « جنداً كثيراً » ^(٦) في عام ٩٣ (٧) .

وقد أصبحت سمرقند مركزاً لإنطلاق الجيوش السائرة لفتح ماوراءها من البلاد ك « الشاش » و « فرغانة » ففي عام ٩٤ هـ قطع قتيبة النهر وجاءه عشرون ألفاً من

(١) كان سليمان بن أبي السري والياً لسمرقند فكتب له عمر بن عبد العزيز « أن تعمل خانات في بلادك فمن مر بك من المسلمين فأقروه يوماً وليلة وتمهدوا دوابهم ومن كانت به عله فأقروه يومين وليلتين وإن كان منقطعاً به فأبلغه بلده » فلما جاء الكتاب استأذنه أهل سمرقند في القدوم على عمر لرفع مظلمتهم . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٦٢ .

(٢) هو : جميع بن حاضر الباجي . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١١ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٧ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٧ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٩ ، ٩٠ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٩٠ .

(٧) قال قتيبة لأهل سمرقند : « إنه لا بد من جند يقيمون عندكم من جهتنا » . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٩ ، ٨٦ .

أهل « كش » و « بخارى » و « خوارزم » فاجتمع بهم فى سمرقند ووجههم إلى « الشاش » وسار هو إلى « فرغانة » حتى أتى « خجندة »^(١) . وفي العام الذي يليه غزا قتيبة « الشاش » بعد أن تقوى بمدد من أهل الكوفة عليه جهم بن زحر الجعفي اليماني^(٢) ، فلما وصل الشاش بلغه موت الحجاج ، فعاد وفرق جنده في أرض السغد « كش » و « نسف » و « بخارى »^(٣) ، ولما اضطرب أمره في مطلع عام ٩٦ هـ قبيل موت الخليفة الوليد بن عبد الملك حمل مع الناس عيالهم إلى بلاد ماوراء النهر^(٤) .

وقد صرف يزيد بن المهلب في ولايته الثانية (٩٧ — ٩٩ هـ) همه عن غزو بلاد ماوراء النهر^(٥) ، لكن سمرقند كانت على الطاعة ، وعليها ابنه معاوية بن يزيد ، وتتبع له كل من « بخارى » و « كش » و « نسف »^(٦) .

ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة لم يشجع ولاته على خراسان بمد الفتوح ، ورغب بـ « إقفال من وراء النهر » بذرايعهم لكنهم أبوا ذلك^(٧) ، مما يدل على مدى قوة مايربطهم بالأرض هناك .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٩١ ، وخجندة أول مدن « فرغانة » من الغرب قبل نهر « سيحون » للمتجه من سمرقند إلى فرغانة غرباً ، فهي على ضفة النهر اليسرى ، وأقليم « فرغانة » يتجاوز ذلك إلى ماوراء نهر « سيحون » ، انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٥٢٢ .

(٢) توجه جهم بالمدد من « السند » من عند محمد بن القاسم الثقفي بأمر من الحجاج بن يوسف . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٩٢ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٣١ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٩٩ .

(٥) ذلك أن يزيد بن المهلب اهتم بفتوح « طبرستان » و « جرجان » . وقد كان يعظم شأن « جرجان » عند سليمان بن عبد الملك في خلافة الوليد . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٤٧ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١١٣ .

(٧) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١١ .

وفي مطلع عام ١٠٢ هـ تغير أهل سمرقند على العرب الذين فيها ، فلما قدم
شعبة بن ظهير النهشلي التميمي أميراً على سمرقند وبخَ عربها على جنبهم ، ونعى
عليهم إخلادهم إلى الراحة ^(١) .

وكان شعبة ممن انتخبهم قتيبة يوم حصار سمرقند وقال له ولزهير بن حيان
التميمي إنّ أهل الصغد قد استعانوا بملوك « فرغانة » و « الشاش » فدفع هؤلاء
دهاقينهم لحربنا وأنتم « دهاقين العرب » فأبلى شعبة ومن معه وازاحوا العدو يومئذ .
وقبل ذلك انهزم جيش قتيبة في « بخارى » فمضى قتيبة إلى بني تميم قوم شعبة وقال :
« يابني تميم انكم بمنزلة الحطيمية فيوم كأيامكم أبي لكم الفداء » فكشف بنو تميم
الغمة وأحروزا النصر .

وقد قدم شعبة أميراً على سمرقند من قبل سورة بن الحر التميمي ، فصادف أن
أغار الترك على « قصر الباهلي » بسمرقند ^(٢) وبه مائة بيت من العرب بذرايرهم ،
وقد خاف هؤلاء العرب على أنفسهم فصالحوا الترك وأعطوهم رهائن في الوقت الذي
ألح فيه « كورصول » زعيم الترك في حصاره لهم رجاء أن يأخذ امرأة منهم خطبها
فامتنعت ، وانتدبت القبائل العربية في سمرقند لحرب الترك وأكثر المقاتلين يومئذ من
تميم وفيهم من المشاهير ، شعبة بن ظهير ، وبلعاء بن مجاهد ، وعميرة الشريد
الحنظلي ، ومن الأزد وفيهم ثابت قطنة ، ومن بكر بن وائل وفيهم حليس الشيباني ،
وعلى الجميع المسيب بن بشر الرياحي التميمي الذي هزم « كورصول » بعدد قليل
من الفرسان إذ أن غالبية المقاتلين معه قد انفضوا من حوله لهول المعركة ^(٣) .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٦١ .

(٢) يقع قصر الباهلي بالقرب من سمرقند ، كما في الطبري ، ولم يذكره ياقوت في معجمه بل اشار إلى
قصر ينسب إلى الليث بن رافع بن نصر بين سيار في أرض « سمرقند » ، انظر الطبري : تاريخ الأمم
والملوك ، ج ٨ ، ١٢٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ٤٩٣ ، ومع اهتمام كي لسترنج بالمواقع
التاريخية في تلك النواحي فقد فاته ذلك قصر الباهلي أو محاولة تحديد موقعه .

(٣) انظر تفاصيل هذه المعركة في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٢٣ .

وكان على سمرقند سورة بن الحر أميراً من قبل سعيد خُذينة^(١) ، وولى سعيد الحرشي نصر بن سيار أميراً عليها بدلاً من سورة في عام ١٠٤ هـ^(٢) . وفي عام ١٠٦ هـ استعمل أسد القسري الحسن بن أبي العمرطة الكندي أميراً على سمرقند^(٣) ، وعزل ابن أبي العمرطة عزله أشرس السلمي وعين بدلاً منه المحشر السلمي ، وعميرة الشيباني ثم نصر بن سيار وعميرة الشيباني عام ١١٠ هـ^(٤) حين ضجت الدهاقين بسبب الخراج^(٥) .

وقد أصبح من في سمرقند من العرب ينسب إليها بدلاً من النسبة إلى قبائلهم ، ومن ذلك أن عاصم بن عمير المشهور بـ « هزارمرد » يعرف بالسمرقندي وهو تميمي سعدي^(٦) حارب الترك في أرض « السغد » وهزمهم حتى مقدم الجنيد ابن عبد الرحمن في عام ١١١ هـ ، وكان على سمرقند آنذاك سورة بن الحر^(٧) . وقد أقام الجنيد بسمرقند عاماً كاملاً^(٨) ، ولما قدم أسد القسري أميراً على خراسان مرة

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ١٧٨ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ١٧٥ .

(٣) من ولد آكل المزار ملوك كنده الكهلانية اليمانية ، واصهار آل الأعلام من رؤس الأزدي اليمانيين في « مرو » منهم : يعقوب بن القعقاع قاضي « مرو » . وقدمت زوجة الحسن بن أبي العمرطة من « مرو » إلى « سمرقند » فهب للقاتلها ، فشنع عليه الناس ذلك في وقت تأخر فيه عن لقاء الترك ، وقد خرج للقاء الترك وخلف على « مرو » ثابت قطنة الأزدي اليماني الشاعر . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ١٨٩ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٤٣٢ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ١٩٦ .

(٥) أمر أسد برفع الخراج عمن يريد أن يدخل في الإسلام فلما أسلم الكثيرون وضع عليهم الخراج مرة أخرى ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ١٩٥ .

(٦) « هزارمرد » فارسية تعني ألف رجل وقد قُتل عاصم وهو يدافع عن الدولة الأموية . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٣١٩ .

(٧) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ٢٠٥ .

(٨) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٢١٧ .

أخرى (١١٧ - ١٢٠ هـ) قصد سمرقند ، ومنع عنها الماء الآتي من « ورغسر » وذلك أبان فتنة الحارث بن سريج ^(١) ، وقصدها من بعده نصر بن سيار بسبب فتنة ابن سريج أيضاً فتلقاء أمير جندها عاصم بن عمير السمرقندي التميمي فانضم إليه بأهل سمرقند ، ومع نصر « بخارى خذاه » وأهل « بخارى » و « كش » ، « NSF » ، ومع ابن سريج « كورصول » وقد صرع « كورصول » في ذلك اليوم صرعه عاصم بن عمير ^(٢) .

هذا والباحثون في تاريخ سمرقند القديم يختلفون في أصل تسمية هذه المدينة فمن قائل أن « سمر » هو مؤسسها و « قند » أو « قنت » بمعنى بلدة ^(٣) ، ومن قائل أن أصل التسمية جاء من الكلمة السنسكريتية (Sammary) بمعنى جمعية وذكر أيضاً أنها وردت في وصف مؤرخي حملات الأسكندر المقدوني (٣٢٩ ق م) باسم (Smrknsnsh) سمرقنس ^(٤) ، والذي أورده البكري عن سمرقند يفيد بأن سمرقند منسوبة إلى « شمر يرعش » أحد ملوك اليمن ^(٥) .

ومما اختلف فيه أيضاً مكان استشهاد الصحابي قثم بن العباس رضي الله عنه فقثم خرج من المدينة مع سعيد بن عثمان والي خراسان واستشهد في أحد غزواته فقيل أنه بسمرقند وقيل بل بمرور ^(٦) على أنه يوجد الآن ضريح بسمرقند للصحابي الجليل

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٢٠٢ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢١٧ .

(٣) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ١٩٢ ، وقيل : أن سمرقند تعرف عند العرب باسم « السمران » وأنها من بناء ذي القرنين . انظر الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ، ٩٢ .

(٤) انظر إحسان خلوصي : الطريق إلى سمرقند ، ٧٥ .

(٥) ذكر هذا البكري في معجم ما استعجم ويبدو أنه من المبالغات الواردة في مرويات أهل اليمن . انظر البكري : معجم ما استعجم ، ١٩٧ .

(٦) انظر البستاني : مشاهير ^{علماء} الأمصار ، ١٠ .

قثم بن العباس ^(١) ، كما يوجد في بلدة (خَرْتَنَك) بالقرب من سمرقند ضريح للإمام البخاري رحمه الله ^(٢) ، وقد ظهر بسمرقند عدد من علماء الإسلام نسبوا إليها من أمثال : كثير بن زياد البرساني الأزدي ^(٣) ، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي الدارمي ^(٤) .

(١) انظر إحسان خلوصي : الطريق إلى سمرقند ، ٨٠ .

(٢) انظر إحسان خلوصي : الطريق إلى سمرقند ، ٨٠ ، والبخاري هو الشيخ الجليل محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة الجعفي ، أبو عبد الله صاحب الجامع الصحيح ، ولد عام ١٩٤ هـ ، ومات عام ٢٥٦ هـ انظر ابن خلكان : وفیات الأعيان ، ١ ، ٤٥٥ ونقل الزركلي أَنَّ (خَرْتَنَك) هو خواجه صاحب علي بعد ٣٠ كيلو مترا من سمرقند في طريق بخارى . انظر الزركلي : الأعلام ، ٦ ، ٣٤ .

(٣) هو كثير بن زياد السلمي البرساني أبو سهل ، عدّه البستي من أتباع التابعين ، من أصحاب الحسن ، مات ببلاد مارواء النهر ، انظر البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٨ و « برسان » المنسوب إليها ضاحية في سمرقند قال ياقوت ينسب إليها خلف بن حسين البرساني انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ٣٨٣ .

(٤) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي التميمي السمرقندي ، أبو محمد ، مات في عام ٢٥٥ هـ . انظر الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ، ٩٠ . وما ينبغي ملاحظته هو أن سمرقند تقع حالياً في جمهورية أوزبكستان السوفيتية ، وهي المدينة الثانية بعد العاصمة « طشقند » وتشتهر بالورق « الكاغد » السمرقندي . انظر كي لسترخ : بلدان الخلافة الشرقية ، ٥٠٨ ، إحسان خلوصي : الطريق إلى سمرقند ، ٧٥ .

الفصل الثالث

الصراع القبلي في خراسان وبلاد ماوراء النهر وموقف القبائل العربية من الأحداث السياسية

- ١ - العصبية القبلية وموقف الإسلام منها .
- ٢ - موقف القبائل العربية من حركة عبد الله بن الزبير .
- ٣ - ولاية عبد الله بن خازم على خراسان وصراعه مع بكر بن وائل ثم مع بني تميم .
- ٤ - آل المهلب وظهور عصبية الأزدي وأثر ذلك في الحياة السياسية العامة .
- ٥ - قتيبة بن مسلم وظهور عصبية القيسية وأثر ذلك في الحياة السياسية العامة .
- ٦ - موقع بني تميم في الصراع القبلي بخراسان وبلاد ماوراء النهر .

١ - العصبية القبلية وموقف الإسلام منها :-

العصبية مشتقة من التعصب ، وهو : التجمع . وحين يدعو الرجل إلى نصره عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين ، فإن ذلك هو العصبية (١) .

ويقال للرجل الذي يغضب لعصبية ويحامي عنهم ويعينهم ولو على الظلم : عصبي ، وسمى أقارب الرجل الذين يلزمونه ويطيّفون به عصبه لأنهم يعصبون به (٢) .
وورد في المعاجم أن هذا اللفظ يطلق على أقارب الرجل من جهة أبيه (٣) .

ولم تكن العصبية الجاهلية مقتصرة على قرابة الرجل وذوي رحمة الأدنى بل هي للقبيلة بأسرها ، وتبنى العصبية في الغالب على وحدة الدم ، ولحمة النسب وإلى ذلك يشير ابن خلدون بقوله : « وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل ومن صلتها النّعة على ذوّ القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصبيهم هلكة ، فإنّ القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداة عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك » (٤) .

والعربي في الجاهلية متعلق بقومه وسائر في ركابهم قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ (٥)

(١) انظر ابن منظور : لسان العرب ج٣ ، ٩٧ .

(٢) انظر الجوهري : الصحاح ، ج١ ، ١٨٢ . وقد ورد فيه قوله : اعصوب القوم : اجتمعوا وصاروا عصاب . وعصبة الرجل : بنوه وقرابته لأبيه ، وإنما سمّوا عصبه لأنهم عصبوا به أي احاطوا به ، فالأب طرف ، والعمّ جانب والأخ جانب ، والجمع العصبات .

(٣) الفيروزآبادي : القاموس المحيط . مادة عصب .

(٤) انظر ابن خلدون : المقدمة ، ١٢٨ .

(٥) هو : دريد بن معاوية بن الحارث من بني جُشم بن بكر من هوازن من أبطال الجاهلية وفرسانها ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتل في وقعة « حنين » وهو شيخ طاعن أعمى خرجت به هوازن معها تيمناً به . انظر البغدادي : خزنة الأدب ، ج٤ ، ٤٤٦ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٨٦

و كأنه يصوّر حال الجاهلي :

وهل أنا إلا من غزّة إن غوت غويت وإن ترشد غزّة أرشد (١) .

وإذا كانت العصبية مرادفة للتفرقة ، وتغليب مصلحة فئة ما على مصلحة الجماعة ككل ، ودليلاً على التنازع رغبة في مؤازرة المتعصب له سواء كان ظالماً أو مظلوماً فإنها لا تقوم على رابطة النسب والدم في كل الأحوال ، إذ إنها « ألفة جامعة » (٢) في بعض الأحيان ، وهنا لا يمكن المحافظة على رابطة الدم أو الاكتفاء بها ، إلا أن العصبية القبلية تظل قائمة محافظة على تجانسها . والألفة الجامعة تحصل بالنسب كما قد تحصل عن طريق ما يلحق بالقبيلة من حلف ، وجوار ، ومؤاخاة ، واستلحاق ، واسترقاق . ولذلك قال ابن خلدون : « إن العصبية إنما تكون من الإلتحام بالنسب أو مافي معناه » (٣) .

فالعصبية إذن تحصل من النسب على اعتبار أن ذلك « نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا » (٤) ثم هي تحصل من ولاء النسب الذي هو مثل لحمة النسب أو قريب منها . والقبيلة ملزمة بنصرة أى رجل ينتمى إليها لا يعنيه في ذلك أن كان معتدياً أو معتدى عليه ، وليس أبلغ في هذا المعنى من قول أحد بني تميم :

(١) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ١٢ ، ٣٢٦ .

(٢) وأورد الماوردي : أن من أسباب الألفة الجامعة الدين ، والنسب ، والمصاهرة ، والمؤاخاة ، وعنده أن النسب هو القوة التضامنية الداخلية في الجماعة التي تؤمن شروط التناصر والألفة في مواجهة استعلاء الأبعاد وتسلط الغرباء . انظر الماوردي : ادب الدنيا والدين ، ١٤٨ .

(٣) انظر ابن خلدون : المقدمة ، ٢٢٥ .

(٤) انظر ابن خلدون : المقدمة ، ٢٢٥ ويعلق أحمد أمين على ذلك بما معناه : أن نشوء العصبية قد دفعت إليه الحياة الجاهلية بمصالحها ومخاوفها لا صلات القربى وحدها ، وإن الفرد إذا أبت قبيلته أن تحميه لجأ إلى قبيلة أخرى ووالاها وحسب نفسه كأنه أحد أفرادها . انظر أحمد أمين : فجر الإسلام ، القاهرة ، ١٩٥٧ م ، ص ١٠ .

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا^(١) .

ولم يكن لعقيدة العرب الجاهلية الوثنية أي أثر في كبح جماح سلطان العصبية الطاغية ! وكيف ذلك ؟ والعصبية هي قوام المجتمع القبلي وهي عماد نظامه السياسي والاجتماعي ، ثم أن نظام المجتمع القبلي يخدم العصبية بكونه نمطاً من الحياة تتوزع الأمة الواحدة فيه إلى جماعات بشرية مستقلة تجمع بين أفرادها صلة النسب وما يلحق بها^(٢) ، وعلاوة على ذلك فإن رئاسة القبيلة إنما هي لأهل العصبية والجاه من أفرادها ، « لا بد في الرئاسة على القوم أن تكون من عصبية غالبية لعصبياتهم واحدة واحدة ولأن كل عصبية منهم إذا أحست بغلبة عصبية الرئيس لهم أقرروا بالإذعان والاتباع »^(٣) .

ولم يكن في مقدور عربي الجاهلية أن يؤمن غذاءه أو يحمي نفسه إلا عن طريق الرباط الوشيج بينه وبين القبيلة التي ينتمي إليها أو التي انتمى إليها بالولاء أو بالاستلحاق وفي ذلك طمأنينة له في رزقه وأمان له من الخوف^(٤) ، وهذا معناه أن العصبية وليدة ضرورة من ضرورات الحياة الجاهلية ، وإن اجتماع أبناء المجتمع القبلي « وتعاونهم في حاجاتهم ، ومعاشاتهم ، وعمرانهم من القوت ، والكن ، والدفاع إنما للعجز عما وراء ذلك »^(٥) .

(١) هو قُريظ بن أنيف من بني العنبر من بني عمرو من تميم . انظر ديوان الحماسة شرح التبريزي ، ط ١ ، بيروت ، ٣ .

(٢) وفي عرف علماء الأنساب أن قبائل العرب هي : شعوب ثم قبائل ثم عمارات ، ثم بطون ، ثم أفخاذ ، ثم فصائل ، فالشعب كمدنان ، والقبيلة كمضر بن عدنان ، والعمارة كقريش المضرية ، والبطن كعبد مناف القرشية ، والفخذ كهاشم بن عبد مناف ، والفصيلة كالعباس بن هاشم . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ٣٠١ .

(٣) انظر ابن خلدون : المقدمة ، ٢٣١ .

(٤) انظر جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٤ ، ٢١٢ .

(٥) انظر ابن خلدون : المقدمة ، ٢٢٧ .

فهذه النزعة قد اقتضاها نكد العيش ، وشظف الأحوال ، وتنقلهم من بقعة إلى أخرى ، والمحافظة على كيان القبيلة ^(١) من التشتت ، وتمثل القبيلة وحدة سياسية واجتماعية مستقلة ذات سياج عصبي وطابع صحراوي بدوي ، ولهذا النظام القبلي في إطاره الضيق ^(٢) أعرف مرعية في غالبها فمن ذلك مثلاً ما أقره العرف لسيد القبيلة ^(٣) - الذي يمثل وحدتها - من حقوق مادية ^(٤) وأدبية ملزمة بتوقيره وطاعة أوامره . ولا يعتبر الغزو - وهو ملازم للعصية - من الأمور المشينة المستهجنة بل هو على العكس من ذلك إذ يعد من مفاخر الغرب ، والقبيلة التي لا تغزو ليست جديرة بالاحترام في نظر الجاهليين قال قريظ بن أنيف :

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا .

ثم إن القبيلة التي لا تغزو ^(٥) تضطر إلى الالتجاء والإحتماء بغيرها ، بل أن

(١) وهنا يقول ابن خلدون : أنه « لا يصدق دفاعهم وزيادهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد ، لإنهم بذلك تشدد شوكتهم ويخشى جانبهم » انظر ابن خلدون : المقدمة ، ٢٢٦ .

(٢) لم يكن العرب يعيشون في صورة جماعات قبلية واسعة النطاق ، بل جماعات صغيرة كل جماعة تمثل قبيلة أو بطناً ، مستقلة بمراعيها ومياها وحماها . انظر ، إحسان النص : العصبية القبلية ، ١٤٥ .

(٣) قد تنقاد القبيلة لمجموعة من أكبرائها ورؤساء بطونها وكانت تميم تسير برأي سبعة من زعمائها في يوم الكلاب الثاني ، لكن الأعم الغالب هو أن يكون للقبيلة سيد واحد . انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ٩٥ .

(٤) قال عبد الله بن غنمة الضبي يروي بسطام بن قيس الشيباني البكري الربيعي الذي قتل في يوم الشقيقة « بين شيان وضبة :

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول

المرباع : ربع الغنمة ، والصفايا : ما يصطفيه سيد القبيلة لنفسه قبل اقتسام الغنمة ، والنشيطه ما أصابه القوم قبل الغارة ، والفضول : ما فضل من الغنمة مما لا يمكن قسمته . انظر الأصمعي : الأصمعيات ، ٢٨ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ٩١ .

(٥) الغزو من أركان البناء الاقتصادي في النظام القبلي ، وانظر إلى آليات القطامي في الغزو :

وكن إذا أغرن على جناب وأعوزهن نهب حيث كانا

عدم غزوها مدعاة إلى تفككها وتشرذمها .

ومن نتائج العصبية في المجتمع الجاهلي تمسك القبيلة بنسبها واعتزازها به ^(١) ، وكثرة المفاخرات والمنافرات ^(٢) بين أمراء العرب ، وشعرائهم وخطبائهم مع ما يؤدي إليه هذا من آثار مفاجئة في كثير من الأحيان .

وعادة ما يجتمع العرب في الأسواق والمواسم وفي بلاط الملوك للتفاخر والتنافر ، وقد أدت مفاخرة خالد بن جعفر بن كلاب العامري للحارث بن ظالم المري الديباني الغطفاني إلى مصرع خالد عند ملوك المناذرة ، وتبع ذلك يوم من أيام العرب وهو يوم « رَحْرَحان » بين بني تميم وبني عامر ، وجَرَّ هذا اليوم إلى يوم آخر هو يوم « شعب جيلة » بين تميم ومعهما حشد من القبائل وبين بني عامر ، ثم أفضى يوم شعب جيلة إلى يوم « ذي نجب » بين تميم وبين بني عامر ^(٣) .

= أغرن من الضباب على حلول
وضبة إنه من حان حانا
وأحياناً على بكر أحنينا
إذا لم نجد إلا أحنانا

ومنها يتضح أن الغزو طبع وسمة متأصلتان في نفس الجاهلي ، والقطامي صاحب هذا الشعر هو عمير ابن أشيم تغلبي ربعي نصراني ، وقيل أنه أسلم . انظر ديوان الحماسة ، ج ١ ، ١٢٩ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ٢٧٧ .

(١) يحرص العرب على أسماء قبائلهم حتى ولو كان الاسم بغيضاً . وحين وفد بنو الزُبَيَّة على الرسول عليه السلام أراد تغيير اسمهم إلى بني الرشد فلم يرضوا بذلك . انظر ابن حبيب : مؤلف القبائل ومختلفها ، ١٧ .

(٢) تنافر القوم : تخاصموا وتفاخروا ، وأنفروا على الشيء أي غلبه . انظر الجوهري : الصحاح ، ج ٢ ، ١١٩ .

(٣) نفاخر خالد بن جعفر والحارث بن ظالم المري عند الأسود بن المنذر في بلاط ملوك الحيرة فقتل الحارث خالداً ، والتجأ إلى بني تميم وزعيمها حاجب بن زرارة . وبعد « رَحْرَحان » الذي انهزمت فيه تميم وقتل سيدها معبد بن زرارة جمع لقيط بن زرارة جيشاً حارب به بني عامر في « شعب جيلة » لكنه قتل وتفرق جيشه على أن تميماً قد أدركت بثأرها في يوم « ذي نجب » وفي ذلك يقول جرير : نحن الذين هزمنا جيش ذي نجب والمنذرين اقتصرنا يوم قابوس =

وكانت العرب لا يضمها مجلس أو تلتقي في ندوة أو سوق حتى تنزع إلى
المفاخرة والتباهي بذكر المآثر والمناقب ، وروي أن قريشاً تخرج في الجاهلية إلى مكان
من شعاب مكة فتتفاخر وتتشانه ولا يفرق القوم إلا عن قتال ^(١) .

وينزع العرب في مفاخرتهم ومنافرتهم إلى تعداد المحامد القبلية ، والإشادة بنبل
المحتد ، وكثرة العدد ، والتباهي بالشجاعة ، ونجدة الملهوف ، وإجارة المستغيث ، وإباء
الذل وما إلى ذلك ^(٢) .

ومن ذلك يتضح أن العصبية والفخر لا يكادان يفترقان ، وقد حفظت بعض
المصادر التاريخية والأدبية ألواناً وأشكالاً مختلفة من المفاخرة والمنافرة . وتختلف الأخيرة
عن الأولى بأن يكون للمتنافرين حكماً يرتضيانه لتنفير أحدهما علي الآخر ^(٣) ، وقد
تحمل المنافرة طابعاً شخصياً مثل منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة اللذين تنازعا
الرياسة والشرف في رهطي بني جعفر بن كلاب ^(٤) وتنافرا عند هرم بن قطبة الذبياني
الغطفاني ، كما أنها قد تحمل طابعاً قبلياً كما في منافرة جرير بن عبد الله البجلي
وخالد بن أرطاة الكلبي اللذين تنافرا عند الأقرع بن حابس التميمي على إثر نزاع بين

= انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ٨٤ . انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ٩٤ وديوان
جرير ، ١٢١ .

(١) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ٩ ، ١٤٧ .

(٢) ويقوم بهذا امرؤهم وشمرؤهم وخطباؤهم ومن ذلك مثلاً أن عمرو بن كلثوم كان يمثل تغلباً عند
عمرو بن هند ملك الحيرة ، والنعمان بن هرم يمثل بكر في تفاخر هاتين القبيلتين . انظر التبريزي :
شرح المعلقات ، ص ١٢٥ .

(٣) ومن أشهر حكام المنافرات في الجاهلية : أكتثم بن صيفي التميمي ، والأقرع بن حابس التميمي ،
وضمرة بن ضمرة النهشلي التميمي ، وهرم بن قطبة الذبياني ، وربيعة بن حذار الأسدي ، انظر ابن
سعيد : نشوة الطرب ، ج ١ ، ٢١١ ، الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ١ ، ٢٩٠ .

(٤) ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن من قيس عيلان انظر الكلبي : جمهرة
النسب ، ج ٢ ، ٣١٤ .

قبيلتي بَجيلة وكَلَب اليمينيتين (١) .

ولم تَخل قبيلة من قبائل العرب الجاهلية من قضايا الثأر بحسابه أثراً ملازماً للعصبية القبلية ، وما أن يقتل قتيل حتى تطالب قبيلته بثأره ويرفض أصحاب القاتل ذلك بل ويحمون صاحبهم فيجر هذا إلى معارك دامية متلاحقة متتالية (٢) ، تتصل فيه الغارات وتتجدد الدماء والثارات ، وتتأصل الأحقاد والضغائن ليتوارثها الأبناء من الآباء جيلاً بعد جيل قال طريف بن ديسق التميمي :

جنى العداوة آباء لنا سلفت فلن تبيد وللآباء أبناء .

ولم يقف الأمر في مسألة الثارات القبلية عند حد المطالبة بالقاتل للقصاص منه بل إن من القبائل من ترى أن قتلها لشرفه وفضله لا يفي بدمه إلا قتل عدد من الرجال ، ومن ذلك قول امرئ القيس أن مقتل ألف رجل من بني أسد لا يرضيه بأبيه « حَجْر » (١) ، وكذلك صنيع المهلهل الذي لا يرى في بني بكر بن وائل من يعدل

(١) وقد ورد في ذلك قول جرير البجلي :

يا أقرع بن حابس يا أقرع إنك إن يصرع أخوك تُصرع

وكانت الحرب بين بطون بَجيلة قد شنتها حتى تفرقت بين قبائل العرب في الجاهلية . ولما أراد عمر توجيه جرير إلى العراق سنة ١٤ سأل أن يجمع له بَجيلة ففعل وكتب إلى أحياء بَجيلة بذلك ، وقيل في جرير وبَجيلة :

لولا جرير هلكت بَجيلة نعم الفتى وبست القبيلة

انظر البكري : معجم ما استعجم ، ج ١ ، ٥٩ ، الأنباري : شرح المعلقات ، ١١٤ .

(٢) قال دريد بن الصمة :

يفار علينا واترين فيشتفى بنا إن أصبنا أو نُفِّر على وتر

انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ١ ، ٥٠ .

(٣) كان حجر بن عمرو من بني آكل المرار ملكاً على بني أسد ، قتلوه ، قتله علباء بن الحارث الأسدي من بني كاهل ، بعد أن حرضه عبيد بن الأبرص الأسدي الشاعر الجاهلي الكبير ، وقد هب امرؤ القيس بن حجر للمطالبة بدم أبيه من الأسديين ، انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ج ١ ، ٢٠٦ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٢ ، ٩٤ .

بأخيه « كليب التغلبي » (١) .

وحين قتل بنو عبس أحد بني رياح لم ييؤء بدمه في نظر عصمة بن حذرة اليربوعي التميمي سوى سبعين عبساً قتلهم في يوم « الصرائم » (٢) . وكان بعض العرب غالي الفداء عندما يؤسر بل أن أسريه قد يبالغون في طلب الفدية لمعرفة لمنزلته عند قومه (٣) ، أما الدية في العرف الجاهلي فإن الهجين أو الحليف ليس له إلا نصف دية الصريح (٤) ، وقد جعل الإسلام الدية واحدة في جميع الأحوال سواء كان الرجل شريفاً أو ضيعاً ، كما ألغى الإسلام مبدأ « التكايل بالدم » الذي مرت الإشارة إليه آنفاً وجعل الرجل يقتل بالرجل بدون تمييز لأحد .

وقد حرص الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام على القضاء على أقوى دواعي النزاع والخصومة بين القبائل العربية فأبطل دماء الجاهلية وأهدرها (٥) ، ومنع الثأر الفردي على اعتبار أن ذلك منوط بالدولة لا بالفرد أو القبيلة ، وتتولى الدولة ذلك بأن يقاد القاتل بالقتيل إذا كان القتل عمداً إلا إذا رضي أولياء المقتول بالدية (٦) .

ولما كانت الروح القبلية تحول دون التوحد بل هي قد خلقت حالة عداة دائم

(١) وكان ذلك في حرب « البسوس » وقد قال المهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد « بؤس

نعل كليب » انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ٢٠٢ . ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ٩١ .

(٢) انظر النقائص ، ج ١ ، ٩١ .

(٣) وفي ذلك ورد قول زرارة بن عدس التميمي يوصي بنيه : لا تغالوا في فداكم فيقطع فيكم ذؤبان العرب . انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ٩٠ .

(٤) وكانت دية الصريح مائة ناقة في الغالب . على أنه كان لبعض القبائل ديتان تطلبها لأفرادها ، ثم هي تنقص وتزيد حسب الشرف والسيادة . انظر ابن هشام : السيرة ، ج ٢ ، ٣٨٩ ، القالي : الأمالي ، ١ ، ١٢٩ .

(٥) انظر ابن هشام : السيرة ، ٢ ، ٦٠٣ .

(٦) من أمثلة القود أمر الرسول ﷺ لعثمان بن عفان بأن يقتل الحارث بن سويد لإغتياله المُجَدَّر بن زياد ثاراً بأبيه . انظر ابن هشام : السيرة ، ١ ، ٥٠١ .

بين القبائل فقد شنّ الإسلام حرباً عنيفة لإقتلاع جذورها من النفوس ، ودعا إلى التآخي والتآزر ونبذ أسباب العداوة وما يثير الضغائن والأحقاد ، وفي القرآن الكريم ورد قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(١) تأييداً لهذا المبدأ ودعا في مواضع أخرى إلى نبذ حمية الجاهلية^(٢) . وفي الحديث الشريف : « من قتل تحت راية عمية يدعو لعصية أو ينصر عصية فقتلته جاهلية »^(٣) .

وقد بادر الرسول عليه السلام قريشاً حين فتح مكة بقوله : « يامعشر قريش إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم من تراب »^(٤) وروى عنه قوله حينما سأل عن العصبية هي : « أن تُعين قومك على الظلم »^(٥) ، وكان عليه السلام يدعو في كتبه إلى تغليب داعي الدين على العصبية ورد ذلك في عهده إلى بني الحارث بن كعب وذلك حين قال : « وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعائهم إلى الله وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيوف »^(٦) .

فالدين الإسلامي لا يقف عند حد القضاء على الوثنية وإقامة ملة التوحيد محلّها بل ونقّل العرب من طور الوحدات الصغيرة المتناثرة المتنازعة والقائمة على نظام القبيلة إلى طور الوحدة القائمة على نظام الدولة الإسلامية . ولذلك نرى كيف أنّ الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة قد اتجهت نحو تعديل المفاهيم الجاهلية وإلغاء بعضها كليةً فالفاضلة بين الناس في الجاهلية تقوم على أساس الأنساب التي هي ركيزة من ركائز

(١) الحجرات : آية ١٠ .

(٢) الفتح : آية ٢٦ .

(٣) صحيح مسلم .

(٤) انظر ابن هشام : السيرة ، ج ٢ ، ٤١٢ .

(٥) صحيح البخاري ١٨٤/٤ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ٣٨٧ .

العصبية ، صلب النظام القبلي ، لكن المفاضلة في الإسلام إنما تقوم على التقوى قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ (١) . وقال عليه الصلاة والسلام مامعناه : كلكم لادم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى » (٢) .

وربط الإسلام الشرف الجاهلي القبلي بحسن الإيمان وقوة العقيدة ، وفي ذلك ورد قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام : « الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » . وأقر الإسلام مبدأ « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » ولكن بتفسير مغاير لتفسير الجاهليين ومختلف عنه تماماً (٣) . وحين كانت التقوى هي ميزان التفاضل فإن الرسول عليه الصلاة والسلام أنكر على الأقرع بن حابس التميمي سخريته من جهينة وأسلم ومزينة منوهاً بفضل هذه القبائل في أسبقيتها للإسلام وأنها بذلك بزت القبائل الأخرى كتميم وأسد (٤) .

وشدد القرآن الكريم على هذه الناحية وبين للرسول صلى الله عليه وسلم أن لا ميزة لأحد من الناس يُخص بها وقت الجلوس والحديث ويطرد عنه الآخرون إجلالا له وإكباراً لعلو نسبه أو لسيادته في قومه (٥) . وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام أجزل العطايا والهبات لبعض زعماء القبائل تأليفاً لقلوبهم (٦) فإنه عليه السلام لم يكن يقبل

(١) الحجرات : آية ١٣ .

(٢) انظر ابن هشام : السيرة ، ٢ ، ٤١٢ .

(٣) وقد فسر الإسلام نصرة الأخ الظالم برعدة عن الظلم وإرشاده إلى طريق الحق .

(٤) انظر ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة ، ١٨ .

(٥) وكانت قريش قد طلبت من النبي صلى الله عليه وسلم أن يخصص لها يوماً في معزل عن أتباعه فنزل قول تعالى :

﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتنكون من الظالمين ﴾ الانعام آية ٥٢ . وحين أعرض الرسول عليه الصلاة والسلام عن ابن أم مكتوم وعنده وجهاء قريش نزل قوله تعالى : ﴿ عيس وتولى أن جاءه الأعمى ﴾ عيسى آية ١ ، ٢ .

(٦) مثل : الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الغزاري وزيد الخيل « الخير » الطائي .

أدنى مساومة فيما يمسّ العقيدة أو ولاية المسلمين من بعده ومن ذلك مثلاً أنه رفض كتاب هُوذة بن علي الحنفي ^(١) الذي قال للرسول ﷺ: إِنَّ لَنَا نَصْفَ الْأَرْضِ وَلَقَرِيشَ نَصْفَهَا وَلَكِنْ قَرِيشاً قَوْمٌ لَا يَعْدِلُونَ » ثم عرض النصر على الرسول عليه السلام على أن يكون له الأمر من بعده . بل وأنكر الرسول عليه السلام ذلك ولم يقبله ، وكذلك كان موقف الرسول مع عامر بن الطفيل الذي فسر الرسالة الإسلامية على أنها مُلْكٌ يقتسم وأنه لا بد أن يناله شيء من هذا السلطان لسيادته وعلو منزلته عند قبائل العرب ^(٢) .

وهذا الموقف العدواني من الإسلام نحو طموح وعنجهية زعماء القبائل لم يقف عند هذا الحد ، بل أَنَّ القبيلة وتعيين رؤساء لها قد ظلت مربوطة في ظل الإسلام - بولي أمر المسلمين فحين وفد بنو تميم على الرسول عليه الصلاة والسلام وأعلنوا إسلامهم اختلف أبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما فيمن يتولى زعامة القبيلة حتى ارتفعت أصواتهما عند النبي عليه الصلاة والسلام ^(٣) . وحتى إذا انتخبت

وعلقمة بن عُلَالة العامري . انظر ابن هشام : السيرة ، ٢ ، ٤٢ .

(١) هو : زعيم قبيلة حنيفة البكرية الربمية . كان يهجر لطيمة كسرى إلى اليمن وهو باليمامة ولما نهىها بنو تميم ذات مرة واسروه وفد على كسرى واستنصره على التميميين ، فالبسه كسرى التاج ووقع بتميم في يوم « المُشَقَر » بالبحرين . وقد هلك هُوذة في حياة الرسول عليه السلام . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ٢١٠ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ١٠٥ .

(٢) وقد طلب عامر بن الطفيل العامري من الرسول ﷺ أن يقتسم الوير والمدر أي البادية والحاضرة ، وقد هلك عامر في منصرفه من الرسول عليه السلام في بيت امرأة من سلُول . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ٥٧ .

(٣) وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يرى أن يؤمر القعقاع بن معبد بن زُرارة على بني تميم ، في حين كان عمر رضي الله عنه يرى أن تُسند الإمارة إلى الأقرع بن حابس . وقد نزل في ارتفاع صوت أبي بكر وعمر قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ الحجرات ، آية . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ١١٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ٤٢ .

قبيلة مازعيماناً لها فإن ذلك مشروط بموافقة الخليفة ومن الأمثلة على ذلك تعيين عمر وعثمان رضي الله عنهما لزعماء قبيلة بكر بن وائل ^(١) ، وكتابة عمر رضي الله عنه لجريز بن عبد الله البجلي لجمع قبيلة بجيلة وأسناد زعامتها إلى جريز رضي الله عنه ^(٢) ، وحتى الاقطاعات والأملاك أصبحت الدولة الإسلامية منوطة بتصريفها ، وقد كان عدد من زعماء القبائل يحصلون على اقطاعات من الرسول عليه الصلاة والسلام فقد كتب الرسول عليه الصلاة والسلام مع زيد الخيل الطائي ^(٣) ، وثمامة بن أثال الحنفي ^(٤) ، وفرات بن حيّان البكري ^(٥) .

وكانت روح الاعتزاز القبلي وهي من آثار العصبية - مدعاة لأنفة القبيلة من الخضوع والأنقياد لغيرها بل ونزعة إلى التمرد على السلطة غير أن الإسلام أراد أن يجعل روابط الأخوة الإسلامية تحل محل هذه الروح وتؤلف بين قلوب المسلمين

(١) جعل عمر رضي الله عنه رئاسة بكر بن وائل لمجزأة بن ثور السدوسي ، ونقلها عثمان إلى ابنه شقيق ابن مجزأة . انظر المبرد : الكامل ، ج ١ ، ٣٦٢ .

(٢) نشبت حرب جاهلية بين أحمس وزيد ابني الغوث بن بجيلة ثم بين عرينة وأنصى ابني قسر بن الغوث فتشتت البطون البجيلة وتفرق أكثرها في بني عامر الهوازنية القيسية حتى جمعها عمر لجريز . انظر البكري : معجم ما استعجم ، ١ ، ٥٩ ، الأنباري : شرح المفضليات ، ١١٤ .

(٣) هو زيد بن مهلهل بن منهب بن عبد رضا ، نبهاني طائي من كهلان القحطانية وهو شاعر فارس ، كان يقيم في جبل « سلمى » أحد جبال طيء . وقد وفد على الرسول ﷺ سنة ٩ للهجرة وأسلم وسماه الرسول ﷺ زيد الخير وأقطعه أرضاً في « فيد » بقرب جبل سلمى ، ومات في منصرفه من الرسول ﷺ عائداً إلى بلاده . انظر البغدادي : خزنة الأدب ، ٢ ، ٤٤٨ .

(٤) هو ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدؤل ، من بني حنيفة أسلم قبل فتح مكة . وأقطعه الرسول ﷺ أرضاً باليمامة . انظر ابن سعيد : الطبقات ، ج ٥ ، ٥٥٠ .

(٥) هو فرات بن حيّان بن ثعلبة بن عبد العزى بن حبيب بن ربيعة بن سعد بن عجل من بني بكر ابن وائل كان خبيراً بطرق الجزيرة ومالكها . أسلم في وقت مبكر وارتد ثم عاد للإسلام في السنة الثامنة للهجرة وقد أقطعه الرسول ﷺ أرضاً باليمامة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ٥ ، ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٤٦ .

جميعاً .

ولما ارتدّ بعض العرب بعد وفاة الرسول ﷺ وقف أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقفة صارمة في قمع حركة الردة ^(١) ، عندها أدرك زعماء القبائل الشائرين أنّ دولة الإسلام قد أصبحت وطيدة الأركان وأنّ سلطان القبيلة الذي لا يعترف بقوة أعلى منه قد ولى وأنتهى .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديداً هو الآخر في قمع العصية والنزعات القبلية ، وقصته مع جبلة بن الأيهم ملك غسان معروفة ^(٢) ، ثم أنه كان يأذن لأصحاب السابقة في الإسلام من الموالي كصهيب وبلال قبل أن يأذن للزعماء أمثال : الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ، ولما فرض العطاء ميز أصحاب السابقة ولم يراع في ذلك الأحساب والأنساب ، ولا الامتيازات الموروثة عن الجاهلية التي كان يتجاهلها دائماً ^(٣) ، وألح عمر في تعقب الداعين لعصية الجاهلية ومهاتراتها ، وسجن

(١) من المرتدين من وقف عند حد منع الزكاة وذلك كمالك بن نويرة التميمي الذي فسّر الزكاة على أنها ضريبة تدفع للرسول عليه السلام وتنقطع بوفاة ، ومنهم من أرتد كلية ، ومنهم من أدعى النبوة كمسيلمة الكذاب الحنفي الذي تبعه خلق كثير لا يقر بعضهم بنبوته وإنما عصية وقالوا في ذلك : « كذاب ربيعة خير من صادق مضر » . وكان طليحة الأسدي قد ادعى النبوة أيضاً في أرض جلي طي وهو ممن كان يمتنّى نفسه بزعامة الحليفين « أسد وغطفان » قبل الإسلام . ومثله في هذا الطموح عيينة بن حصن زعيم الأحاليف « أسد وطي وغطفان » وقد ارتد هو الآخر ثم عاد الاثنان إلى الإسلام . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٣٤ .

(٢) آخر ملوك الغساسنة ، وهو جبلة بن الأيهم بن جبلة من آل جفنة . اسلم بعد أن حارب المسلمين مع الروم ، وفي المدينة لاحى رجلاً من مزينة فطلبه عمر للقصاص فأبى وعاد إلى بلاد الروم مرتدّاً إلى أن هلك عام ٢٠هـ . انظر البغدادي : خزائن الأدب ، ٢ ، ٢٤٢ .

(٣) فرض عمر العطاء بعد أن قدم أبوهيرة بأموال كثيرة من البحرين فأشار عليه أحداهم بأن يدون ديواناً كما يعمل الأعاجم ، وروي أنّ ذلك قد تم بعد سنة ١٤هـ ، وقيل بل هو في عام ٢٠هـ وأن الذي أشار على عمر هو : الوليد بن هشام بن المغيرة أسوة بما هو موجود ببلاد الشام من تدوين للدواوين وتجنيّد للجند ، وقد أمر عمر بأن يكتب الناس على منازلهم مع مراعاة أخذ القرابة من الرسول عليه =

الشاعر الحطيئة لإساءته للزبرقان بن بدر^(١) في أمور تعتبر من شئون الجاهلية وعصبياتها .

ولما سارت القبائل إلى الفتوح خارج الجزيرة كانت تسير وفق الخطط الحربية التي يرسمها القادة^(٢) ، وكان رؤساء القبائل وفرسانها جنوداً في الجيوش الإسلامية ، وحتى عملية الاستيطان كانت خاضعة لإدارة الدولة فهذا هو معاوية وقد ولي الشام والجزيرة لعثمان يقوم بانزال بني تميم بالراية ، وأسد وأخلاط من قيس في « المازحين » و « المدير » ثم يرتب أمر نزول مضر ، وربيعة في ديارهما ، وكل ذلك بأمر الخليفة عثمان^(٣) .

والاستيطان في الأمصار الجديدة والمدن التي استحدثها المسلمون كان يتم وفقاً للتخطيط الذي ترسمه الدولة بالرغم من أنّ التوزيع قد تم على أساس قبلي^(٤) ، وكانت الكوفة على نظام الأسباع بحيث كل قبيلة أو مجموعة من القبائل تؤلف سبعة^(٥) ، وقد جعلها زياد بن أبيه في زمن معاوية أربعاً وعين رؤساء الأرباع من غير

= السلام والسابقة في الإسلام والطبقات التي تستند إلى أساس الغزوات والفتوح ، وهذا وإن كان قد نبه إلى العناية بالأنساب فإنّ العصبية لم تكن مقصودة به . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٢٠٩ ، والبلاذري : فتوح البلدان ، ٤٣٦ .

(١) الحطيئة هو : جرول بن أوس شاعر مخضرم من بني عيس والزبرقان من سادة تميم أدرك الجاهلية والإسلام . وكان الحطيئة في جوار الزبرقان ثم انتقل إلى آل بغيض بن شماس من بني سعد من تميم وهم من أقارب الزبرقان وقد أغروه بهجاء الزبرقان فاستمدى عليه عمر فسجنه . انظر البغدادي : خزائن الأدب ، ١ ، ٤٠٩ ، ديوان الحطيئة ، ٧٥ .

(٢) انظر مثلاً : معارك القادسية في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٥٠٢ .

(٣) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢١١ . و « المازحين » و « المدير » في أرض الجزيرة الفراتية . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٤١١ .

(٤) التوزيع على أساس قبلي يساعد على سرعة الاستنفار كما أنه يسهل مهمة توزيع العطاء والفئ .

(٥) اختط سعد بن أبي وقاص الكوفة بموافقة عمر . وكانت أعشاراً في بدايتها ثم أسباعاً إلى أن صيرها زياد أربعاً . ولم يتيسر للكوفة أن تتحد قبائلها ذات النسب الواحد في سبع أو ربع واحد بل كانت =

قبائلها تمشياً مع السياسة المناهضة للعصبية^(١) ، وقد كان زياد من أشد الناس حماساً لهذه المناهضة فقد حذر الناس من ذلك في خطبه^(٢) ، وعاتب الشعراء الذين تصدوا للهجاء وإثارة الفتن كالفرزدق الذي طلبه لمعاقبته^(٣) ، وحارب زياد روح الجاهلية ومبدأ الثأر الفردي وسجن مرةً بن محكان السعدي التميمي^(٤) من أجل ذلك وتعقب بني القعقاع ، وبني طهية التميميين^(٥) ، وأخذ رؤساء القبائل بالسفهاء وملقحي الفتن من قومهم^(٦) .

وإن كانت الدولة الأموية قد شهدت نمواً متزايداً للعصبية القبلية فإن الدولة نفسها قد لاقت الأمرين من هذه العصبية وكانت إحدى معاول سقوطها وذلك حين لم تستطع القبائل في خراسان إخماد الثورة العباسية نتيجة لتفككها وتناحرها . ومما يلاحظ هو أن النمو المتزايد للعصبية إنما شهدته السنوات الأخيرة من حكم بني أمية .

خليطاً من القبائل إلا فيما ندر . أما البصرة فكانت أحماساً للقبائل التي تحدثنا عنها في الفصل

الأول . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ٥١٣ ، المنقري : وقعة صفين ، ٣٤٨ .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ٥٠٧ .

(٢) انظر الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ٢ ، ١٢ .

(٣) استعدت بنو قُميم وبنو نهشل من حنظلة من تميم زياداً على الفرزدق فطلبه زياد واضطر هو إلى

الهرب . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ١٧٩ ، وديوان الفرزدق .

(٤) أنهب مرةً بن محكان ماله تحدياً لجماعة من قومه كانوا ينافسونه في الشرف ، انظر الأصبهاني :

الأغاني ، ج ٢٠ ، ٩ .

(٥) أرسل زياد الحارث بن حاطب على صدقات بني حنظلة بن تميم فعمل بنو طهية للرسول طعاماً

سبقوا به بني عوف فثار الشر بينهما . وهذا شبيه بمنافسة غالب بن صعصعة التميمي وسحيم ابن

وثيل الرياحي التميمي زمن علي . انظر النقائض ، ص ٢٩١ .

(٦) ومن ذلك أن زياداً أرغم محمد بن الأشعث الكندي على الاتيان بحجر بن عمرو الكندي وقد سلك

عبيد الله مسلك أبيه في ذلك ، وكان الحجاج أشد منهما في الجرأة على رؤساء القبائل . انظر

الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ١٩١ ، الأصبهاني : الأغاني ١٧ ، ٥٦ ، وفيها عصبية ابن

مُفرغ الحميري الذي لم يجد من زعماء القبائل من يجيره من عبيد الله .

وقد حرص معاوية بن أبي سفيان في مطلع حكمه على أن يرسم سياسة متوازنة للقبائل^(١) ، وهكذا كان عبد الملك الذي عمل جاهداً على إطفاء نائفة الفتنة بين قبيلة كلب اليمانية وقيس المضرية العدنانية حتى أنه احتمل ديّات الحيين بعد « مرج راهط »^(٢) ودفع اثنين من أشراف قيس إلى الكلبيين ليقيدوا منهما لأنهما أشعلا نار الفتنة بين كلب وقيس ، وسجن ذات مرة عدداً من وجوه القبائل اليمانية بسبب مقتل غلام من قيس^(٣) .

وحرص خلفاء بني أمية وولانهم على أن يكون تعيين رؤساء القبائل عن طريقهم أو أن يحصل التعيين على موافقتهم على الأقل وعلى سبيل المثال فقد كتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد في العراق بأن يرد رئاسة بكر بن وائل إلى أشيم بن شقيق بن ثور السدوسي وكان قد نازعه عليها مالك بن مسمع البكري^(٤) .

كذلك فإن قتيبة بن مسلم الباهلي قد صرف زعامة بني تميم في خراسان إلى ضرار بن حصين الضبي ، ونزعها من وكيع بن حسان الغداني^(٥) .

ويضطر خلفاء بني أمية إلى عزل ولاتهم إذا ما اظهروا عصبيتهم ، حدث ذلك

(١) وقد أورد صاحب الأغاني أن معاوية مالاً قبيلة كلب ثم عدل عنها إلى قيس في خبر لا يعول عليه في البحث التاريخي كما هو شأن معظم أخبار الأصبهاني . انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ٨ ، ٢٥٤ .

(٢) انظر البلاذري : أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ٣٠٨ .

(٣) انظر البلاذري : أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ٣٠٨ . الأصبهاني : الأغاني ، ١٩ ، ١٠٩ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٣٩٦ ، النقائص ، ٢ ، ٧٢٨ وقد تقدم الحديث عن

شقيق وأنه ابن لجزأة بن ثور . على أن هناك من يرى أنه أخ لجزأة بن ثور بن عفير السدوسي

البصري . أما مالك بن مسمع فهو زعيم بكري كبير أيضاً من المسامعة الذين ينحدرون من ربيعة بن

ضبيعة أحد فرسان بكر في الجاهلية والملقب بـ « جَعْدَر » قتيل يوم « تحلاق اللّمْ » . انظر ابن

حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣١٧ ، ابن دريد : الاشتقاق ، ٣٥٥ ،

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ٢٧٧ .

لعمر بن عبد العزيز مع واليه على خراسان الجراح الحكمي ، ولهشام بن عبد الملك مع واليه على خراسان أيضا أسد بن عبد الله القسري ^(١) ، وقيل أنّ ما أتهم به هشام من ميلٍ لليمانية إنّما هو بسبب خالد القسري وأخيه أسد ، وأنه لما عزل أسداً عن خراسان أُشير عليه بجديع الكرمانى الأزدي فقال : لا حاجة لنا باليمانية ^(٢) ، وأنه اختار نصر بن سيار الكنانى وهو خندفي رداً على عصبية يوسف بن عمر واليه على العراق ، وأنه قال في ذلك ليوسف : « تقيست علي وأنا متخندف عليك » ^(٣) .

أما سلف هشام وهو يزيد بن عبد الملك فإن نقمته لم تكن موجهة ضد اليمانية بل إلى آل المهلب ، غير أنّ وقوف أزد الكوفة مع يزيد بن المهلب كان مدعاة لأن يقف منهم الخليفة موقفاً متشدداً وربما قد دعاه هذا إلى أن يختار ولاته من المضربين وحسب ^(٤) ، وقریباً من هذا ما فعله الحجاج بعد ثورة ابن الأشعث إذ أنه قد خشي من تكاتف اليمانية فنقم على آل المهلب واسند إمارة خراسان إلى والٍ من قيس هو : قتيبة ابن مسلم ^(٥) .

على أنّ العصبية القبلية قد بدت أكثر وضوحاً في أيام الوليد بن يزيد وهي أيام قصيرة ، وقد نسبت إلى الوليد قصيدة في ذم اليمن وعدم قدرة اليمانيين على الانتصار لخالد القسري وأُستغلّ لهو الخليفة ونقمة اليمانية عليه لتسيير الأمور إلى وجهة قبلية

(١) مع ما عُرِف به أسد القسري من التعصب فقد روى الطبري أنه خلط بين قبائل العرب في « بلخ »

ولم ينزلهم على الأحماس لئلا يتمصبوا . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ٣٨٨ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ٤٩٤ .

(٣) انظر الدينوري : الأخبار الطوال ، ج ١ ، ١٤٢ .

(٤) وقد مرّ معنا أن نقمته على يزيد بن المهلب لأنه تولى تمذيب أصهاره ال أبي عقيل ، وكانت كلب

اليمانية في بلاط يزيد بن عبد الملك كقيس المضربة مما يدل على عدم عصبية ضد اليمن . أما

ولاته المضربون فهم : مسلمة ثم عمر بن هبيرة على العراق ، وسعيد خذينة ثم سعيد الحرشي على

خراسان ، وعبد الرحمن بن الضحاك بن قيس على مكة . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢١١ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ١٩٢ .

أدت في النهاية إلى مقتله ^(١) ، وكان من الطبيعي أن يحمّد خلفه وهو يزيد بن الوليد « الناقص » لليمن صنيع ثوارهم إذ هم الذين أوصلوه إلى سدة الحكم ، وأن يميل إليهم ^(٢) ، ليرث مروان من بعده تركة مثقلة بالنزاع القبلي بلغ أشده في خراسان واتسع نطاقه ليشمل جذمي العرب عدنان وقحطان ^(٣) .

(١) انظر الدينوري : الأخبار الطوال ، ١ ، ٣٤٢ . والقصيدة قيلت على اسمه في الغالب انظر المصري : أثر أهل الكتاب ، ص ٢١٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ٣٦١ .

(٣) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٩ ، ٨٠ .

ـ موقف القبائل العربية من حركة عبد الله بن الزبير :

تُلح بعض كتابات الباحثين المحدثين على أنَّ العصبية القبلية كان لها شأن خطير جداً في توجيه السياسة الأموية ^(١) . وأنَّ دور التناحر القبلي والتمايز العشائري لم يقف عند حد الانتصار لوالٍ أو زعيم والوقوف ضد آخر ، بل أنَّه تعدى ذلك إلى أن يحدث آثاراً بعيدة المدى في الحياتين الاجتماعية والاقتصادية ^(٢) .

وقد أتهم الخليفة يزيد بن معاوية بمحالة قبيلة كلب اليمانية التي منها أخواله ، على حساب القبائل المضرة ، وبالذات المنتمين منها إلى قيس عيلان ^(٣) ، وقيل نحو من ذلك عن أبيه معاوية ، غير أنَّ العلاقة المميزة لظهور العصبية القبلية قد رسمت في نظر هؤلاء الباحثين عند معركة « مرج راهط » ^(٤) بالقرب من دمشق في سنة ٦٤ هـ ، تلك المعركة التي كانت الشرارة الأولى التي أشعلت فتيل الحرب القبلية بين كلب وقيس والتي امتدت آثارها زمناً طويلاً شمل عصر بني أمية كله واستنفرت فيها جهود شعراء القبيلتين للمكافحة والمنافخة كل يذود عن قبيلته ^(٥) .

وباستقراء الحوادث التاريخية ومتابعتها في مصادرها الأصلية يتبيّن لنا مدى التجني فيما قرره بعض الدارسين وما توصلوا إليه من نتائج خاطئة بنيت عليها دراسات بعيدة كل البعد عن الصحة والصواب ، وباختصار شديد فإنّه يمكن القول أنَّ معركة مرج

(١) ومن ذلك آراء الدكتور إحسان النص في كتابه عن العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي .

(٢) حتى أنَّ الدكتور طه حسين أشار إلى أنَّ العصبية قد ظهرت بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة وظلت هي الموجهة لأهواء الناس في عصر صدر الإسلام وعصر بني أمية ، بما يوحي بأن لا أثر يذكر للإسلام في الحياة العربية انظر مثلاً كتابه الفتنة الكبرى .

(٣) انظر إحسان النص : العصبية القبلية ، ص ٣٠٠ .

(٤) تقع مرج راهط في الغوطة بقرب دمشق . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ٣٢٠ .

(٥) انظر الطيب النجار : الدولة الأموية ، ص ٧١ ، ولهوزن : الدولة العربية ، ٨٦ .

راهط كانت حرباً بين عبد الله بن الزبير^(١) ومروان بن الحكم ولم يظهر فيها أي أثر للقبليّة إلا بعد أن التجأ أحد أنصار ابن الزبير وهو زفر بن الحارث الكلابي القيسي^(٢) إلى قريسا في أرض الجزيرة منهزماً من وقعة المرج ولم يكن زفر الكلابي قائداً للجند المظاهرين لابن الزبير في تلك المعركة ، كما أنه لم يوجد من بين القواد الكبار من يمثل قيساً فيها سواء ، إذ أنّ قائد المعركة القائم بنصرة ابن الزبير هو الضحّاك ابن قيس^(٣) وهو فهري قرشي كناني من مضر ، ومعه ناتل بن قيس الجذامي اليماني^(٤) ، والنعمان بن بشر الأنصاري اليماني^(٥) .

وقد بدأت القصة بوفاة يزيد بن معاوية وإعلان عبد الله بن الزبير نفسه خليفة في

(١) هو عبد الله بن الزبير بن العوام وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، امتنع عن مبايعة يزيد بن معاوية ، وأعلن نفسه خليفة بعد موت يزيد فدانت له البلاد الإسلامية ورجالها ما عدا حسان بن حذبل الكلبي في الأردن الذي اجتمع إلى بني أمية بالجابية وبايعوا مروان بن الحكم . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ، ٢٣٦ .

(٢) هو زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ الكلابي العامري من هوازن من قيس عيلان المضرية ، مات في عام ٧٥ هـ . انظر البغدادي : خزنة الأدب ، ج ١ ، ٣٩٣ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٨٦ .

(٣) هو الضحّاك بن قيس بن خالد الفهري : أبو أمية ، أحد الولاة الشجعان شهد فتح دمشق وسكنها ، وكان مع معاوية في « صفين » وولاه معاوية دمشق فكان عليها إلى أن خلع معاوية بن يزيد نفسه وقد قُتل الضحّاك في « مرج راهط » عام ٦٤ هـ . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ، ٢٢٠ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ١١١ .

(٤) هو ناتل بن قيس بن زيد بن حبان بن امرئ القيس الجذامي الكهلاني اليماني أبوه من الصحابة أمّا هو فكان من التابعين ويعرف بـ « ناتل أخو أهل الشام » ، اخرج روح بن زنباع الجذامي من فلسطين وتأمّر فيها وأعلن الطاعة لابن الزبير . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٢٥ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٤١٢ .

(٥) هو أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة ، خزرجي من أجلاء الصحابة ، كان من لصقاء بني أمية وولانهم بعد مقتل عثمان ، وإليه تنسب « معركة النعمان » . قتل عام ٦٤ هـ . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ، ٢٤٥ .

مكة ، وعندها قام أهل دمشق بمبايعة الضحّاك بن قيس حتى يتفق الناس على إمام ويستقيم أمر الخلافة ، وكان الضحّاك يهوى ابن الزبير ولكنه لم يظهر ذلك وتربّص حتى يعرف رأي الولاة في بلاد الشام ، فبايع النعمان بن بشير لابن الزبير في « حمص » وكذلك فعل زفر بن الحارث بـ « قنسرين » ، وأيضاً أعلن الطاعة ناتل ابن قيس الجذامي بـ « فلسطين »^(١) وحتى مروان بن الحكم - وهو كبير بني أمية - قد عزم على التوجه إلى ابن الزبير ومبايعته لولا أن قدم عليه عبيد الله بن زياد من العراق وثناه عن ذلك^(٢) .

وفي تلك الأثناء كان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي^(٣) بالأردن وهو ممن يهوى بني أمية ، وقد كتب إلى الضحّاك يعظم الأمويين ويهون من شأن ابن الزبير ، واتفق الضحّاك وحسان في إثر ذلك على أن يلتقيا في « الجابية »^(٤) ، لكن الضحّاك قد أعلن البيعة لابن الزبير قبل أن يلتقي بحسان ، ووافقه على ذلك من معه من اليمن وقيس ، ثم أنّ ولاية الشام وأكثرهم اليمانيون قد امدّوا الضحّاك حينما^(٥) اجتمع بنو أمية إلى حسان وبايعوا مروان بن الحكم^(٦) .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٣٩ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٣٤٦ .

(٣) هو حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف ، كلبي من قضاة الحميرية اليمانية ، وهو أمير بادية الشام من المخلصين لبني أمية ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤١٠ ، ابن عساكر : التهذيب ، جـ ٤ ، ص ١٤٥ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٣٥ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٣٥ .

(٦) ولم يكن مع آل مروان من القواد اليمانيين بالإضافة إلى حسان سوى الحصين بن نمير ومالك ابن هبيرة ، وهما من السكون من بني أشرس من كنده الكهلانية اليمانية ، وكان أولهما قد حصر ابن الزبير بمكة حتى توفي يزيد ، فعرض على ابن الزبير أن يبايعه بالخلافة بالشام لكن ابن الزبير رفض الذهاب إلى الشام ، انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٢٤٢ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٢٩ .

وحين التقى جيش بني أمية بجيش الضحاك الذي يفوقه عددا انهزم الضحاك الفهري القرشي وقتل ، كما قتل النعمان بن بشير الأنصاري اليماني ، وفر ناتل ابن قيس الجذامي اليماني إلى عبد الله بن الزبير ، كما فر القائد القيسي الوحيد في هذه المعركة ونعني به زفر بن الحارث بعد أن وتر بقتل اثنين من أبنائه ^(١) ، وقد تم النصر في هذه المعركة لبني أمية على أتباع ابن الزبير والقائمين على دعوته في الشام ^(٢) .

ولم تكن هذه المعركة بحال من الأحوال حرباً يمانية قيسية بنيت عليها حوادث خراسان القبلية ، كما أنه لا يمكن لنا القول من خلال ماسلف ومما سيتم عرضه لاحقاً أن قيساً في الشام ومن ثم في خراسان كانت زبيرية ^(٣) ، وأن اليمن كانت أموية ^(٤) ، إلا أنه كان من الطبيعي أن يتعقب مروان زفر بن الحارث ، الناجي الوحيد من الولاة الذين وقفوا في وجه بني أمية والذي أوى إلى قومه القيسيين في الجزيرة الفراتية ^(٥) .

ولم يحدث بين جيش مروان وزفر بن الحارث حرب يمكن أن يقال لها حرب يمانية (كلبية) قيسية إلا إذا أردنا التجني والتدليس على الحوادث ، وقد انتهت حرب

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٤٥ .

(٢) زروي أن النصر قد تم للمروانيين بمكيدة أعدها عبيد الله بن زياد ومروان بن الحكم حيث دعيا القوم إلى المواجهة فلما استجابوا كروا عليهم . انظر ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ٢٦٠ .

(٣) وهذا لا ينفي وجود قيسيين في صفوف ابن الزبير .

(٤) أن يكون أكثرية اتباع بني أمية من اليمن لا يعني أن اليمن أموية فالذين كانوا مع الضحاك من اليمن كثيرون ، والضحاك حارب بني أمية في مرج راهط ، بـ ٦٠ ألفاً في مقابل ١٣ ألفاً هم جند الأمويين . ومعلوم أن أكثرية أهل الشام يمانية وأن قيساً قليلة في البلاد الشامية . انظر عن اعداد الجند ، ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ٢٦٠ .

(٥) زفر بن الحارث من بني كلاب بن ربيعة من بني عامر ينتهي نسبه إلى آل الصعق العامريين وقد تقدم ذلك وهو المشهور والوارد في كتب الأنساب كما في ابن حزم مع الإشارة أحياناً إلى أنه سيد قيس في الشام غير أن ابن الأثير يذكر ذلك مع التنبيه إلى أن زفرأ ينسب إلى كندة اليمانية في بعض الأقوال ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٧ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٨٦ .

زُفر بن الحارث بأن صالحه عبد الملك بن مروان شريطة أن لا يشترك معه في حرب ابن الزبير وقد تم ذلك غير أن الهذيل بن زفر شارك عبد الملك في قتال مصعب بن الزبير والي عبد الله بن الزبير على العراق ، ثم أن مسلمة بن عبد الملك تزوج الرباب بنت زفر فكان يؤذن لأخوانها : الهذيل ، وكوثر قبل الناس ^(١) .

هذا وقد نسب إلى مروان بن الحكم أبيات شعرية بينة الوضع يمدح فيها أهل اليمن بعد معركة المرج وينعى على قيس هزيمتهم وأنه لا يرغب في القرب منهم ^(٢) . وكان مروان قد أرسل عبيد الله بن زياد لمحاربة زفر وأقره عبد الملك على ذلك بعد وفاة والده مروان وأطمعه بأن له ماغلب عليه من أرض الجزيرة الفراتية ^(٣) .

ومن الطريف أن عبيد الله بن زياد قد تحول إلى حرب أهل العراق وكان على ميسرته عمير بن الحباب السلمي القيسي ^(٤) ، وعمير هذا هو الذي يقال عن حربه في الجزيرة الفراتية بعد ذلك : إنها كانت تضامناً مع زفر بن الحارث للانتقام من قبيلة كلب وأهل اليمن لإيقاعهم بقيس في « مرج راهط » ، وهذا لا يستقيم لأن قوات

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٩١ ، الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٣١ .

(٢) أورد الطبري هذه القصيدة منسوبة إلى مروان بن الحكم ومنها
لما رأيت الأمر أمراً نهياً
مسيرت غسان لهم وكلباً

ثم ذكر عدداً من القبائل اليمنية وهذا مما يرجح أنها موضوعة فهل جميع من ذكروا من أهل اليمن قد حضروا معركة « مرج راهط » ؟ وهل يمكن لمروان أن يقر بأنهم هم أصحاب الملك ويعلن عداوته لقيس صريحة ؟ انظر القصيدة في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٣٩ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣٧٨ .

(٤) هو عمير بن الحباب بن جعد من بني ثعلبة بن بهثة بن سليم قال عبد الملك بن مروان قبح الله عميراً « لص ثوب ينازع عليه أعز عنده من نفسه ودينه » انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ١٥ ، وقد ترجم الزركلي لعمير وذكر أنه كان يقاتل عبيد الله بن زياد . وهذا خلاف ما في المصادر التاريخية كالطبري ، وابن الأثير . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٤٥ ، الزركلي : الأعلام باب العين .

بنى أمية كانت تخارب زفر بن الحارث في وقت كان فيه عمير يقاتل في صفوف اليمانيين ^(١) . ثم أن معارك عمير قد بدأت مع الكلبيين وتحولت إلى صراع عنيف بين قومه بني سليم وبني تغلب الربعيين في الجزيرة الفراتية ^(٢) .

ومن العجيب أن الأحكام التعميمية التي تقول أن قيس عيلان زبيرية واليمن أموية ^(٣) تغفل النظر إلى من كانوا في صفوف مصعب بن الزبير من أهل اليمن . وأولهم : إبراهيم بن الأشتر النخعي ^(٤) الذي كان مع المختار الثقفي القيسي في مقابلة عمير بن الحباب السلمي القيسي صاحب ميسرة عبيد الله بن زياد ^(٥) ، وابن الأشتر هو الذي قضى على عبيد الله وجيشه سنة ٦٧ هـ قبل التحام الحرب بين مصعب ابن الزبير والمختار الثقفي ، وقد قدم إلى مصعب في البصرة أناس من أهل الكوفة جملتهم من أهل اليمن وفي مقدمتهم محمد بن الأشعث الكندي ^(٦) واجتمع إلى مصعب رؤساء الأخماس بالبصرة غير أنه لم يقنع بذلك فأرسل زعيم اليمن محمد بن الأشعث يستعجل المهلب بن أبي صفرة الأزدي اليماني في الحضور إليه من بلاد فارس .

ولما حضر المهلب إلى البصرة نهض مصعب إلى مقاتلة المختار في الكوفة ^(٧) ، وحتى أهل البصرة الذين بادروا إلى الدخول في طاعة ابن الزبير حينما أعلن نفسه

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣٧٨ .

(٢) انظر عن انتصار تغلب الربيعة العدنانية لكلب القضاعية اليمانية بدافع الدين النصراني ، د . المصري : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ، ص ٤٦٣ .

(٣) تقدمت الإشارة إلى بعض من يصدر عن هذه الأحكام وانظر أيضاً ، حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ص ٧٥ ، أرسن رشيد : الشرطة في العصر الأموي ، ١٤٥ .

(٤) هو إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي من سعد العشيرة من مذحج الكهلانية اليمانية كان أبوه مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد شهد وقائع مصعب بإخلاص وثبات شديدين قتل عام ٧١ هـ انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٤٨ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٩٦ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣٨٠ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٥٣ .

(٧) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣٨٢ .

خليفة لم يكن ذلك بدافع الانتماء إلى قيس ، ذلك أنّ أهل البصرة ينتمون إلى القبائل الممثلة في الأحماس ^(١) وليست أغليبتهم قيسية بل أن قيسا برمتها لا تعدو أن تكون جزءاً في خمس أهل العالية ، وما حدث هو أنّ أهل البصرة حينما اضطرب أمرهم بعد وفاة يزيد بن معاوية نزعوا إلى أن يولوا عليهم رجلاً من قريش بعد أن احتكموا في ذلك إلى قيس بن الهيثم السلمي القيسي والتّعمان بن صبهان الراسبي اليماني ^(٢) ، وكان هذا الرجل هو عبد الله بن الحارث الهاشمي المعروف بـ « بيّه » وقد أمره ابن الزبير على هذه الإمارة ثم عزله في وقت اضطربت فيه نار الفتنة بين القبائل في البصرة وخراسان ^(٣) .

والذي ينظر في أمر هذه الفتن القبلية يلاحظ أنها تشتد حينما يضعف أمر السلطان وتنكمش حينما تحكم الدولة سيطرتها على المناطق ، ثم أنّ هذه الفتن توجهها مصالح شخصية في أغلبها بحيث يتسابق الناس إلى المطامع والخيرات وذلك كما حدث في خراسان حين غادرها سلّم بن زياد بعد وفاة يزيد حيث رغب سليمان ابن مرثد البكري في أن يناله شيء من أراضي خراسان وأرزاقها فولاه سلّم « مرو الروذ » و « الفارياب » و « الطالقان » و « الجوزجان » ^(٤) . وكذلك فعل أوس بن ثعلبة ^(٥) فولاه سلّم « هراة » ^(٦) وقد ظاهرتهما قبيلتهما بكر بن وائل الربعية وقالوا في ذلك :

(١) كان الأخنف بن قيس على تميم ، ومالك بن مسمع على بكر بن وائل ، ومالك بن المنذر على عبد القيس ، وزباد بن عمرو على الأزد ، وقيس بن الهيثم على أهل العالية (قيس عيلان وغيرها) . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ١١٥ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٨٠ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٤٤ .

(٥) هو أوس بن ثعلبة بن عكابة ، أمير شاعر ينسب إليه قصر أوس بالبصرة . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٥٢٢ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٤٤ .

علام تأكل مضر خراسان دوننا؟^(١) .

ولم تكن طاعة عبد الله بن خازم والي خراسان بعد سلم - لابن الزبير بدافع قيسيته إذ أن قيساً في خراسان كما هي في البصرة لا تمثل أغلبية قبلية بل هي منضوبة في خمس أهل العالية .

وكما اتضح فإنه من الصعب القول بأن القيسية زيرية بسبب « مرج راهط » وما صاحبها من حوادث . وكذلك فإن معارك الجزيرة الفراتية يجب أن توضع في حجمها الصحيح من حيث هي حرب قبلية جاهلية أسعرواها لص فاتك هو : عمير ابن الحباب^(٢) أثناء صراع بني مروان وآل الزبير على الحكم واشتغل بها الشعراء وملقحو الفتن^(٣) ، لكنه يمكن القول بأن ابن خازم قد أعلن ولاءه لابن الزبير لأن ابن الزبير هو الذي عينه والياً على خراسان وقد أورد هذا البلاذري^(٤) ، أو لأن ابن خازم وقد غلب على خراسان قد وجد نفسه مضطراً إلى الانضواء تحت راية الوالي الشرعي الذي هو ابن الزبير ثم إن ولاية خراسان مرتبطة بالعراق وبالبصرة بالذات كما سبق بيانه . والعراق تابع لابن الزبير ، ومن الطبيعي أن تكون خراسان تابعه له .

وقد أرسل ابن خازم ببيعته لابن الزبير من « هراة » إلى البصرة في عام ٦٤ هـ مع رجل من ولد عبد الله بن عامر بن كرز الأموي القرشي ، فوافى الرسول الناس في

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٤٥ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٤ .

(٢) تمرد عمير على عبد الملك وانضم إلى زفر ثم انتفض على زفر وعاد إلى عبد الملك ثم غدر فحبسه عبد الملك لكنه استطاع أن يفر من السجن ويهرب إلى الجزيرة الفراتية وهناك اصطدم بكلب ثم بتغلب إلى أن قتل عام ٧١ هـ وقد ثار له زفر ، كما أن الجحاف بن حكيم السلمي أوقع بتغلب وفر إلى الروم إلى أن أمنه عبد الملك فعاد . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٥ .

(٣) انظر نماذج من شعر الشعراء في هذه الحرب في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ١٧٠ ، والنقائض ، ١ ، ٢١٧ ، وديوان الأخطل ، وديوان جرير .

(٤) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٤ .

المسجد ، وأمير البصرة بيته ، وكان في القوم مالك بن مسمع وقد دار بينه وبين موفد ابن خازم كلام تهايجت ربيعة ومضر على إثره ، ثم قتل رجل يشكري ربعي من بني بكر قتله رجل من ضبة فأنحازت ربيعة بعد ذلك إلى الأزدي التي كانت تؤوي عبيد الله ابن زياد آنذاك وانتهى الأمر إلى ماسبقت الإشارة إليه من مقتل مسعود بن عمرو العتكي زعيم الأزدي وانهزام قومه وحلفائهم ربيعة أمام بني تميم^(١) .

وقد عزل ابن الزبير بيته بعد ذلك عن إمارة البصرة^(٢) وولاه الحارث بن عبد الله المخزومي^(٣) ثم مصعب بن الزبير الذي سبقت الإشارة إلى استدعائه للمهلب ووجوه أهل البصرة لحرب المختار الثقفي ، وقد سار المهلب بهؤلاء إلى الكوفة طالباً منهم الفرار من المختار ، وقد قتل زعيم اليمن الكبير محمد بن الأشعث وهو يقاتل في صف مصعب غير أنّ الدائرة دارت على المختار وجنده^(٤) . وبعدها أرسل مصعب إلى إبراهيم بن الأشتر النخعي اليماني فلما قدم إليه سرح المهلب إلى عمله في فارس وكان ذلك في عام ٦٧ هـ^(٥) . وظل ابن الأشتر من أشد الناس وفاءً لمصعب حتى أنه رفض إغراءات عبد الملك بن مروان^(٦) ، وكان مصعب حينما سار إليه عبد الملك في عام

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٤٣ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٨٥ .

(٣) يعرف بـ (القُباع) ، وهو أخو الشاعر عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، وكان خطيباً من وجوه قريش ورجالهم . انظر ابن خلكان : وفیات الأعيان ، ج ١ ، ٣٧٨ .

(٤) وقد أسف المهلب لمصرع ابن الأشعث ، أمّا مصعب فقد أراد أن يعفو عن بعض أهل الكوفة متأثراً برأي الأحنف بن قيس لكن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد الهمداني وهم رؤس أهل اليمن ألحوا عليه في قتلهم وقد فعل . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٨٩ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٩٠ .

(٦) كتب عبد الملك إلى وجهاء القوم في جيش مصعب ومن بينهم ابن الأشتر ومن وفاته لمصعب أتى بخطاب عبد الملك له مختوماً ، فلما قرأه مصعب قال : انه يطعمك العراق فلم يعر ابن الأشتر هذا الاغراء اهتماماً . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ١٠١ .

٧١هـ قد استدعى المهلب بن أبي صفرة ليستشيره في الأمر فقال له المهلب : أن أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك فاجعلني معك فقال له مصعب : أن أهل البصرة لم يرضوا أن يسيروا معي حتى أجعلك تقاتل الخوارج فاكفني هذا الشر^(١) ، وسار المصعب للقاء عبد الملك وعلى مقدمته ابن الأشتر ، وقد قُتل ابن الأشتر ثم قُتل مصعب^(٢) قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري الربعي^(٣) وقيل بل زائدة بن قدامة الثقفي القيسي .

وكان ابن خازم قد قال حين بلغه نهوض مصعب لملاقاة عبد الملك : أفعه عمر ابن عبيد الله بن معمر (قرشي) قيل : لا ، استعمله على فارس ، قال : أفعه المهلب بن أبي صفرة (أزدي) قيل : لا استعمله على الموصل . قال : أفعه عباد بن الحصين (تميمي) قيل : لا . استخلفه على البصرة . فقال : وأنا بخراسان . ثم قال :-

خُذْنِي فَجَرِّني جَعَارَ وَأَبْشِرِي بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره^(٤) .

أما بقية خبر النزاع اليماني القيسي فهو : أن عُمير بن الحباب السُلَيمي الموالي لمروان بن الحكم في بداية أمره قد استغل ضغينة زفر بن الحارث على بني أمية فخلع طاعتهم وانضم إلى زفر^(٥) في حرب كلب وتغلب النصرانية الربعية ، ثم أنه ملّ المقام

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣٩٢ .

(٢) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ٣٣٣ .

(٣) هو عبيد الله بن زياد بن ظبيان بن الجعد بن قيس بن عمرو بن مالك من بني تميم الله بن ثعلبة ابن عكابة من بني بكر بن وائل ، شاعر فائق من الشجعان قال له مالك بن مسمع : أكثر الله في العشيرة مثلك ، فقال : سألت ربك شططاً . وقيل أنه لم يقتل مصعباً وإنما احتز رأسه بعد أن قُتل وقد مات عبيد الله في عمان عام ٧٥هـ انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٥٢٣ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ١١٠ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ٧ .

مع زفر ومال إلى عبد الملك ثم انخزل عنه واغار على كلب ثم على تغلب عام ٧٠ هـ ، واستنصر قيساً ، وأراد جرّ تميم وأسد فلم يفلح واشتد عليه التغلبيون وبقرؤا بطون النساء^(١) فرد قومه السلميون على تغلب بالمثل إلى أن هلك قائد القبيلتين عميراً بن الحباب ، ويزيد بن هوبر في سنة ٧٠ هـ^(٢) ، وقد اجتمع لتغلب قوم من ربيعة : من النمر بن قاسط ، وشيبان البكرية^(٣) ، وأوقع زفر بن الحارث بتغلب بعد مصرع عمير .

ثم أن الجحّاف بن حكيم السلمي^(٤) أصاب تغلباً في يوم عرف باسم يوم « البشر » وهرب إلى الروم ولم يعد إلا بعد أن أمنه الخليفة عبد الملك بن مروان بعد أن آلت إليه مقاليد الخلافة واستتب له الأمر أو هو الوليد بن عبد الملك^(٥) . وقد ألهمت هذه المعارك حماس الشعراء الربيعيين والقيسيين كالأخطل التغلبي النصراني^(٦) ، والقطامي التغلبي^(٧) ، وابن صفّار المحاربي القيسي^(٨) .

(١) وهذه لم تكن عادة مألوفة عند العرب لكنها معروفة عند سكان سورية القدامى وانظر مزيداً من أخبار هذه الحروب في كتاب الدكتور المصري : أثر أهل الكتاب في الفتن ٤٦٢ ، وكتاب الدكتور النص : العصبية القبلية ، ص ٣٠٧ .

(٢) وقد افتخرت ليلي بنت الحارث التغلبية النصرانية باحد أيام تغلب فقالت :

لما رأونا والصليب طالماً ولما سرجيس سماً نقما

وكانت الأيام بين القبيلتين كثيرة . أشهرها يوم « الثرثار » ويوم « البشر » ويوم « ماكسين » ويوم « المعارك » . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٤ .

(٣) وقد كان عبيد الله بن زياد البكري ممن انضم إلى تغلب ، وقد قتل مصعب أخاه النأبي بن زياد ، فكان رده أن قتل مصعباً أو هو احتز رأسه كما سبق بيانه ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٩٥ .

(٤) هو الجحّاف بن حكيم بن عاصم بن قيس من بني ثعلبة بن بهته بن سليم : شاعر ، فاتك ، نائر . اهتد عبد الملك بن مروان دمه فهرب إلى الروم وأقام عندهم سبع سنين ، ومات في عام ٩٠ هـ . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٩٨ ، الجحامي : طبقات فحول الشعراء ، ٤١١ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٥ .

(٦) انظر ديوان الأخطل ، ٢٢٧ .

(٧) انظر ديوان القطامي .

(٨) انظر النعمان ، ١٠ ، ٢٢٣ . ٢٤٧

ومن هذا يتبين لنا مدى ضعف الرأي القائل أنّ أيام الجزيرة الفراتية هي أيام يمانية
قيسية أو حتى كلبية قيسية جاءت استمراراً للعداوة بين اليمن وقيس قبل مرج راهط
وكانت وقعة مراج راهط هي الشرارة التي أثارت العداوة القديمة فناصرت اليمن بني
أمية ووقفت قيس تنافح عن آل الزبير بدوافع علاقة القبيلتين العدائية القديمة وأنّ هذا
قد انسحب على قبيلتي قيس وربيعة في خراسان .

- ولاية عبد الله بن خازم على خراسان وصراعه مع بكر بن وائل ثم مع بني نعيم .

لما مات يزيد بن معاوية في عام ٦٤ هـ بايع جند خراسان لواليتهم سلم بن زياد على أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة^(١) ، وقد فُجع سلم بموت الخليفة في دمشق وبمصرع أخيه يزيد بن زياد في « سجستان »^(٢) . ثم أن الناس في خراسان قد نكثوا بيعتهم له بعد شهرين^(٣) .

وقيل ان الناس قد وثبوا بعمالهم في خراسان وأخرجوهم وغلب كل قوم على ناحية^(٤) ، ومهما يكن من أمر فقد خرج سلم بن زياد من خراسان مخلفاً عليها المهلب بن أبي صفرة ، فلما كان « بسرخس » لقيه سليمان بن مرثد البكري فنقم عليه استخلافه للمهلب^(٥) ، وبنو نزار في خراسان كثيرون فولاه سلم عدداً من البلاد ، وولى أوس بن ثعلبة البكري بلدة « هراة »^(٦) . وكان سلم قد بعث عبد الله بن خازم إلى الخليفة يزيد بن معاوية ومعه هدايا مما أصاب في « سمرقند » و « خوارزم » وقد تقابل الاثنان بنيسابور ، سلم منصور من خراسان وابن خازم عائد إليها ، وحين سأل

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٤٧ .

(٢) كان يزيد بن معاوية قد جمع لسلم بن زياد ولايتي خراسان وسجستان فولى سلم أخاه يزيد على سجستان ، وقبل موت يزيد بقليل غدر أهل كابل وأسروا أبا عبيدة بن زياد فسار إليهم يزيد بن زياد فقاتلهم بـ « جنزة » فقتل . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٨٩ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣٨٤ .

(٤) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٧٦ .

(٥) لم يكن المهلب ذا عصبية آنذاك لكن كان له إسهام كبير في الفتوح لا في خراسان وحدها بل وفي سجستان ، إذ كان هو وابن خازم وعبد بن الحصين مع أميرها عبد الرحمن بن سمرة قبل عام ٤٥ هـ ، انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٨٦ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٤٥ .

ابن خازم ابن زياد عمن ولى على خراسان وأخبره قال : أما وجدت في مضر رجلاً تستعمله حين فرقت خراسان بين بكر بن وائل ، ومزون عمان ، ثم قال : اكتب لي عهداً على البلاد : فقال له سلم : وكيف ذلك وأنا لست والياً قال : اكتب عهداً وخلاك ذم فلما كتب له عهداً طلب منه أن يعينه بمائه ألف درهم ففعل ^(١) .

ولم يكن أمام المهلب سوى التنحي عن إمارة خراسان ذلك أن قومه من الأزد لم يكونوا بذوي شوكة في خراسان آنذاك ثم هو قد هاله ما رأى من زحام على الولاية ينذر بشر مستطير ^(٢) .

هذا ويؤكد ينفرد البلاذري برواية مفادها أن سليمان بن مرثد البكري نازع ابن خازم في إمارة خراسان وأنهما كتبا بذلك إلى عبد الله بن الزبير فجاءهما جواب ابن الزبير بأن الإمارة يتولاها ابن خازم ^(٣) .

والذي يلاحظ هو أن قبيلة بكر بن وائل قد أصبحت من القوة بحيث طمعت في امتلاك خراسان ^(٤) ، وبكر بن وائل تعد في مقدمة القبائل السريّة إن لم تكن أشهرها في الجاهلية والإسلام ^(٥) ، وقد توغلت بكر في أرض فارس قبل البعثة بعد

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٤٤ .

(٢) وقد خلف على مرو ، أحد بني جشم بن سعد من تميم ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٤٤ .

(٣) وكان سليمان قد طعن بعهد سلم بن زياد لابن خازم وقال : أن لو استطاع سلم أن يقيم بخراسان لم يخرج عنها ويوجهك . فلما جاء أمر ابن الزبير بتولية ابن خازم قال سليمان : ما ابن الزبير بخليفة وإنما هو رجل عائذ بالبيت . وكان رسول سليمان وابن خازم إلى ابن الزبير هو عروة بن قطبة وقد استغرقت رحلته من وإلى خراسان ستة أشهر انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ١٠٥ .

(٤) قال البكريون حينما حاول هلال الضبي التميمي أن يصلح ذات بينهم مع ابن خازم : إنه لا بد من خروج مضر من أرض خراسان ، أو تقيم وتنزل لريعة عن كل كراع وسلاح وذهب وفضة ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٤٨ .

(٥) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٣١٠ ، ابن سعيد : نشوة الطرب ، ٤٠٣ .

حربها مع اختها تغلب في عالية نجد ثم حروبها الطويلة مع بني تميم في شمال جزيرة العرب وشرقها ^(١) ، على أن بني حنيفة وهم بكريون قد ظلوا في اليمامة وكأنهم قبيلة لا علاقة لها ب بكر البتة ، وكذلك بنو قيس بن ثعلبة البكريون قد شابهوا حنيفة لا في انفصالها النسبي عن بكر ولكن في احتكاكهم بأهل الحواضر في البحرين حتى أصبحوا وكأنهم من أهل المدر ^(٢) ، ومعروف أن بني حنيفة هم حاضرة اليمامة .

وبعد وفاة الرسول ﷺ حدثت الردة فشهدت حنيفة وقيس بن ثعلبة حركتين من أقوى حركات الردة وأشدّها عنفاً ^(٣) . قاد الأولى مسيلمة الكذاب الحنفي في اليمامة ، وقاد الثانية الحطم بن ضبيعة ^(٤) في بني قيس بن ثعلبة في البحرين .

على أن قبيلة بكر قد أفادت من توغلها في أرض فارس بحيث أصبح عدد من أفرادها وبطونها ممن لم يرتدوا طلائع للفتح الإسلامي ^(٥) . ثم هي قد شاركت مشاركة فعالة في فتوحات العراق وخراسان ^(٦) وأصبحت ذات خمس خاص بها في البصرة انضوت تحت لوائه جميع فروعها سواء في ذلك أصحاب المدر أو أهل الوبر ^(٧) ،

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ٢٠٥ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٦ ، ٩٠ .

(٢) أهل المدر هم : سكان الحواضر ، وأهل الوبر هم : أهل البادية : قال الرسول ﷺ في قيس بن عاصم المنقري التميمي : أنه « سيد أهل الوبر » انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٢٣٢ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ٣٢٠ .

(٤) هو شريح بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد ، وقد عُرف بالحطم لقوله : لقد لُقِّها الليل

بسواق حطم . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٥٣٦ . وقد وجد من بين البكريين من تصدى

لحركة الردة كالمثنى بن حارثة الشيباني انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ٢٤٢ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ٣١٣ .

(٦) انظر إسهام بكر في فتوح ومعارك القادسية ، ونهاوند ، والري وتستر وغيرها في الطبري ، وابن الأثير ،

والبلاذري . انظر من المصنفات الحديثة أحمد عادل كمال في كتابيه القادسية ، وسقوط المدائن ،

ومحمود شيت خطاب في كتابه قادة فتح العراق .

(٧) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ٥٩٣ . البكري : معجم ما استعجم ، ج ٢ ، ٦٩١ .

وكذلك الشأن بالنسبة لبكر في خراسان حيث اختصت بخمس منفرد .

على أن القبائل العربية قد اتسع نطاق عصبيتها في العصر الأموي وذلك لابتعادها عن مواطنها الأصلية ، ولما دعا إليه نظام المعارك وتسيير الجند والخطط من توحيد القبائل التي تجمعها أصول مشتركة في وحدات متتالية معينة ، أو خطط إستيطانية محددة ، وكذلك فإن احتكاك القبائل بعضها ببعض قد دعاها إلى توسيع العصبية مع ما يضاف إلى ذلك من النزعات السياسية ذات الأثر البين على العصبية ، واتصال العرب بالأُمم الأخرى ، ثم دور الشعراء والملاحاة المستمرة بينهم ، وعلى كلي فقد انضوت الفروع البكرية في مواطنها الجديدة تحت مسمى واحد وزاد ذلك بأن أصبح البكريون دائرين في كثير من الأحيان في فلك الدائرة الربعية التي تجمعهم بعبد القيس وغيرها (١) .

وقد استوطن خراسان عدد من الفروع البكرية يأتي في طليعتها : حنيفة (٢) ، وقيس بن ثعلبة (٣) ، وإلى بني قيس بن ثعلبة هؤلاء ينتمي سليمان بن مرثد صاحب ابن خازم (٤) .

(١) انظر على سبيل المثال حوادث البصرة في فتنة ابن الحضرمي أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، في ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ١٨٠ ، وأخبار ربيعة في موقعة « صفين » عند المنقري : وقعة صفين ، ٤٠٣ والفتنة القبلية في البصرة وخراسان عام ٦٤ هـ في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٤٤ .

(٢) ومن مشاهير بني حنيفة في خراسان ، خُليد بن عبد الله الحنفي ، وأرقم بن مطرف ، وضَمَّضَم بن يزيد ، وعاصم بن الصلت بن حرث ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٤٥ الكلبى : جمهرة النسب ، ٥٤١ .

(٣) يوجد في خراسان من غير هؤلاء : الرقاشيون من بني ذهل وهم عشيرة الحضنين بن المنذر وابنه يحيى الزعيمين المبرزين في البلاد الخراسانية وكذلك بنو شيان قوم يحيى بن نعيم وبنو نعيم الله قوم شاعر ربيعة بخراسان ، نهار بن توسعة البكري ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٠٧ .

(٤) ومن مشاهيرهم في خراسان عوفجة بن شريك بن الريان ، وكان لبني قيس بن ثعلبة خطة كبيرة في =

وقد سار ابن خازم بعد أن تغلب على عاصمة خراسان « مرو » إلى سليمان بن مرثد في « مروالروذ » وقتله أياماً حتى تغلب عليه وصرعه ، وكان عمرو بن مرثد البكري بـ « الطالقان » فاستعد للقاء ابن خازم بعد أن بلغه نبأ مصرع أخيه ، وسار ابن خازم إليه في سبعمئة مقاتل ^(١) . غير أن ابن خازم لم يكن ليجرؤ على الالتحام ببكر ابن وائل وهم ذوو كثرة عديدة لولا احتياطه لنفسه بذوي الشوكة من فرسان خراسان ، وهم بنو تميم في ذلك الوقت ، وإلا فهو يشكو من قلة في قومه لا قومه الأقربى بنو سليم فحسب بل وقيس عيلان برمتها ^(٢) .

وقد تمكن ابن خازم من القضاء على عمرو بن مرثد بمؤازرة فارس خراسان زهير بن ذؤيب التميمي ^(٣) وذلك على نهر بين « الطالقان » و « مرو » مما اضطر بني بكر إلى التساقط على « هراة » للانضمام إلى أوس بن ثعلبة التميمي البكري خاصة وأن ابن خازم كرّ راجعاً إلى « مروالروذ » ففر من كان بها من البكرين ^(٤) .

واجتمعت بكر إلى أوس من أنحاء خراسان المختلفة وقالوا : نبايعك على أن تسير إلى ابن خازم وتخرج مضر من خراسان كلها ، وكان ابن خازم قد ألح على التذكير بالرابطة المضرة ليضمن ولاء تميم له ^(٥) .

= البصرة تتوزع إلى محلات وسكك متعددة ومن البصرة كان انتقالهم إلى خراسان وإلى « هراة » بالذات . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٥٣٥ .

(١) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٤ .

(٢) بدليل عدم ذكرهم في حوادث حرب ابن خازم مع ربيعة وحربه مع بني تميم .

(٣) هو زهير بن ذؤيب بن زياد بن حمران بن جسر بن الحارث بن نشبه بن مالك من بني عدي بن عبد مناة بن أد بن طابخة (الرّباب) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ١٩٨ . وقال صاحب أعلام تميم أن زهيراً هو ابن ذؤيب بن عبد الله بن محكم بن زيد بن رياح يربوعي ، حظلي ، ولم يذكر المصدر . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ص ٢٧٧ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٤٤ .

(٥) وذلك في قوله : « لم تزل ربيعة غضاباً على ربها منذ بعث الله النبي ﷺ من مضر » انظر الطبري : =

وقد استكثر أوس بن ثعلبة وهو من بني تميم الله من بكر ما طلبه منه قومه ، وقال لهم : إن هذا بني ، وأرى أن تقيموا مكانكم وما أرى أن ابن خازم سيترككم ، ومن العجيب أن موالي بني جحطر بن قيس بن ثعلبة هم الذين ألحوا على أوس لكي يثأر بابني مرثد (١) .

وقد صدقت نبؤة أوس بن مرثد فقد سار إليهم ابن خازم بعد أن استخلف على « مرو » ابنه موسى . وكان من رأي أوس أن يبقى هو وقومه داخل مدينة « هراة » حتى يملأ ابن خازم من حصارهم ويعطيهم ما يشاؤون ، غير أن قومه عصوه وخرجوا عن المدينة وحفروا أمامهم خندقاً ، وكان ابن خازم مقيماً بين « عسكره » و « هراة » . أما تاريخ حربه لهم فقد كان ذلك في عام ٦٥ هـ وقد امتدت مجالدته لهم سنة كاملة قُتل فيها خلق كثير (٢) .

ولم يستطع أحد التصدي لهذه الفتنة ، غير أن أحد بني ضبة واسمه هلال حاول ثني ابن خازم عن إبادة بكر بعد أن قتل منهم من قتل فلم يسمع منه ابن خازم فقال الضبي : إذن انسحب أنا ومن يطيعني من تميم وخندق بأكملها ، وعندها قال ابن خازم : أنت رسولي إليهم مع يقيني بأن لا يرضيهم سوى خروجنا جميعاً من خراسان ، وسفر الضبي بين ابن خازم والبكرين فلم يجد جواباً عند أوس بن ثعلبة وتحول منه إلى بني حنيفة ثم إلى بني صهيب موالي قيس بن ثعلبة (٣) . وقد اصطدم

= تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٤٧ .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٤٧ .

(٢) كانت ربيعة حوالي ١٦ ألفاً حينما اجتمعوا إلى أوس في « هراة » وكان ابن خازم في حوالي ٦ آلاف غالييتهم من تميم . وقد قتل من ربيعة حوالي ٨ آلاف . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٣٢ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٥ .

(٣) وقد قال هلال الضبي بشأن هؤلاء الموالي : « لقد عظم الله أمر بني صهيب عندكم » . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٤٥ .

بالرأي المتشدد فكر راجعاً إلى ابن خازم الذي قال له : قد أخبرتك أن ربيعة لم تزل غضاباً على ربها منذ بعث الله النبي ﷺ من مضر^(١) .

وقد خدع البكريون حينما قيل لهم : أنكم قد رضيتُم من خراسان بهذا الخندق فخرجوا غير عابئين برأي أوس بن ثعلبة فاصطلمهم ابن خازم وذؤبان بن تميم ، شماس بن دثار العطاردي ، وبكير بن وشاح ، وزهير بن ذؤيب وغيرهم^(٢) ، وقتلت بكر مقتلة عظيمة ، وفر أوس بن مرثد إلى « سجستان » ومات هناك^(٣) . ودخل ابن خازم « هراة » وجعل عليها ابنه محمداً وضم إليه شماس بن دثار العطاردي التميمي ، وعلى شرطته بكير بن وشاح التميمي^(٤) .

وقد طلب ابن خازم من بني تميم أن يستوصوا بابنه محمد خيراً خاصة وهو ابن أختهم^(٥) ، غير أن الأمور مالبثت أن ساءت بين بني تميم وابن خازم بعد أن قلب لهم ظهر المجن وضرب ابنه محمد اثنين منهم حتى ماتا .

وامعاناً في محاولة إذلال التميميين طلب ابن خازم من شماس وبكير أن يمنعوا تميماً من دخول « هراة » وقد استجاب بكير لذلك أما شماس فقد أبى وأنضم إلى

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٣١ . وقيل أن هذه المقولة المنسوبة لابن خازم إنما هي لنصر ابن سيار . انظر د . المصري : أثر أهل الكتاب في الفتن ، ٤٧٠ .

(٢) وأبلى زهير العدوي في ذلك اليوم بلاء كبيراً هو وابنه أبياس الذي كان يطعن الخيل في مناخرها ، وكان زهير قد حمل بيني عدي فاتمه كافة تميم ، وزهير هو قاتل سليمان بن مرثد غير أن الذي أورده البلاذري يفيد بأن قاتله هو قيس بن عاصم السلمي ، وفي جمهرة ابن حزم ما يدل على أن قيساً هذا متقدم في عصره عن هذه الحوادث . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٤٤ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٤٧ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٤ .

(٣) متأثراً بجراحه وأضاف البلاذري أن ابن خازم دس له من سمه . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٥ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٣٢ .

(٥) أمه هي صفية من بني سعد بن تميم ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٤٦ .

قومه ^(١) ، ورصدت تميم لمحمد بن خازم حين خرج من « هراة » فقتلته في عام ٦٦ هـ ^(٢) ، وانحاز التميميون بعد ذلك وعليهم شماس إلى « مرو » ، واستقر رأيهم على منازلة ابن خازم بعد أن أسندوا قيادتهم إلى الحريش بن هلال القريني ^(٣) ومعه فرسان لم يدرك مثلهم إنما الرجل منهم كتيبة ^(٤) .

وقام الحريش بمصاولة ابن خازم عامين كاملين وإلى أن افترق فرسان تميم في نواحي « مرو الروذ » فلحق به ابن خازم وصعد له الحريش إلى أن اصطلحا ، وفي ذلك قال الحريش :-

أزال عظم يميني عن مركبة حمل الرديني في الإدلاج بالسحر

حولين ما اغتضمت عيني بمنزلة إلا وكفي وساد لي على حجر

بزي الحديد وسربالي إذا هجعت عني العيون مجال القارح الذكر ^(٥)

وكان افتراق بني تميم فرصة سانحة لابن خازم لخضد شوكتهم فقد أدرك

(١) أرسل بكير إلى شماس يقول : إني اعطيك ٣٠ ألفاً وأعطي كل رجل من بني تميم ألفاً على أن ينصرفوا فابوا . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٥٥ .

(٢) والذي قتله اثنان من بني سعد يقال لأحدهما كسيب ، وللثاني عجلة ، فقال ابن خازم بش ما اكسب كسيب لقومه ، ولقد عجل عجلة لقومة شراً ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٨٨ .

(٣) من بني أنف الناقة من بني عوف بن سعد بن تميم ، شاعر وفارس رهيب ، قيل فيه :

لو كنتم مثل الحريش صبرتم وكنتم بقصر الملح خير فوارس

إذا للقيتم بالعوالي ابن خازم سجال دم يورثن طول وساوس

وقد مات الحريش في « سفوان » في العراق أثناء فتنة ابن الأشعث . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٩١ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢١٩ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٩٠ .

(٥) وقد رغب الحريش بمبارزة ابن خازم ، فتصاول الفحلان حتى اضطر ابن خازم إلى التقهقر من جراء ضربة من عود غليظ كان في يد الحريش . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٥٥ .

ثمانين فارساً منهم ساروا إلى « فَرْتَنَّا »^(١) وخذق عليهم ، وقد أبدى زهير بن ذؤيب التميمي ضروباً فائقة من الشجاعة ، ورفض عروض الصلح التي قدمها ابن خازم^(٢) ، إلا أن طول أمد الحصار قد جعل تميمياً ترغب في الصلح على الرغم من رفض زهير لذلك وتحذيره من مغبة الخضوع لابن خازم .

ولما استسلموا لابن خازم قتل معظمهم^(٣) ، وقد أراد أن يعفو عن زهير لشجاعته وقال في ذلك : من لقتال عدو المسلمين ؟ من لنساء العرب ؟ لكن موسى ابن خازم ألح على أبيه في قتل زهير إلى أن قتله وقد قال الحريش في قتل زهير :

أعاذل كم من يوم حرب شهدت أكر إذا ما فارس السوء احجما

أبعد « زهير » و « ابن بشر » تتابعا « وورد » أرجي في خراسان مغنما^(٤)

وابن بشر هو : عثمان بن بشر المحتفز الزني كان على رأس الفرسان الثمانين الذي انحازوا إلى قصر « فَرْتَنَّا »^(٥) . وهو الذي مال إلى مصالحة ابن خازم ولم يستمع

(١) ذكرها ياقوت بالألف المقصورة وقال : أن « فرتنى » قصر بمرور الروذ ، انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ٤٣٦ ، ١

(٢) وفقد زهير أخاه الأشعث في هذه الحرب لكن أخاه اعلمه قبل أن يموت بأن الذي طعنه كان يركب برزواً أصفر ، فكان زهير لا يرى أحداً على برذون أصفر إلا حمل عليه فتحامى أهل العسكر البراذين الصفر فكانت مخلة في العسكر لا يركبها أحد ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٩١ .

(٣) عفا. ابن خازم عن الحجاج بن ناشب العدوي حين كلمه فيه قوم من تميم معتزلين ، والحجاج هذا من فرسان تميم الذين توجهوا إلى « فرتنا » وهو الذي كسر ضرس ابن خازم أثناء الحصار . كما عفا عن جيهان بن مشجعة الضبي لمحاوكة إنقاذ محمد بن عبد الله بن خازم ، وعفا أيضاً عن رجل من بني سعد رد الناس عن ابن خازم ذات مرة وقال : كفوا عن فارس مضر .

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ١٢٧ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ١٢٨ .

(٥) انظر ابن خزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٠٢ .

إلى نصيحة زهير بن ذؤيب ، وقد قتل عثمان وأخوه سليمان ^(١) أما « ورد » فهو :
الفلق العنبري التميمي .

ويروى أن الأحنف بن قيس قال وهو بالبصرة وقد بلغه نبأ مصرع هؤلاء
الفرسان : قبح الله ابن خازم قتل رجلاً من تميم بابنه صبي وغد أحرق لا يساوي
علقا ولو قتل منهم رجلاً به لكان وفي ^(٢) .

ومما هو جدير بالذكر أن تميمًا لما افترقت بخراسان انحاز أحدهم وهو : بحير ابن
ورقاء الصريمي إلى نيسابور « أبرشهر » وظل مناوئًا لابن خازم بعد أن ازداد غيظه
بسبب مصالحته للحريش ، وامتد صراع بحير بن وراق وابن خازم زماناً ، ابن خازم
في « مرو » وبحير في « أبرشهر » غير أن هذه العداوة لم تدفع بكير بن وشاح إلى
الإنضمام إلى قومه بني تميم بل ظلّ على ولائه لابن خازم وكان خليفته على
« مرو » ^(٣) .

ويلاحظ أن أكثرية تميم المحاربة لابن خازم هم : بنو سعد ، وإلى بني سعد
ينتمي كل من بحير وبكير الأول صريمي مقاعسي من بني عمرو بن كعب ،
والثاني عطاردي من بني عوف بن كعب ^(٤) ، وكانت مقاعس والبطون وهم : بطون
سعدية تميمية يتعصبون لبحير ضد بكير بن وشاح ^(٥) ، وفي عام ٧٢ هـ كان ابن
خازم يحارب بحيراً في أرض « أبرشهر » .

ولعل ابن خازم قد خشي انتفاض بكير خليفته على « مرو » بعد أن كاتبه عبد

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ١٣٨ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ١٣٨ .

(٤) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٣١٤ .

(٥) في الوقت الذي كان يتعصب فيه الأبناء السعديون لبكير . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ،

الملك ^(١) فغادر « أبرشهر » عائداً إلى « مرو » ورغب في إدراك ابنه موسى بـ « الترمذ » لكن بحيراً أدركه ومعه عمّار بن عبد العزيز الجشمي ، ووكيع بن عميرة القريني فقتلوه ^(٢) . وقالوا عن وكيع هذا أنه سعدي من بني أنف الناقة (قريع) من تميم . وأخواله من الموالي من بلده تدعى « دُورق » ويقال له لذلك : وكيع ابن الدورقية ^(٣) .

وقد اعتلى وكيع صدر ابن خازم وصاح بالثأرات « دويلة » فقال له ابن خازم : ويل لك أتقتل فارس مضر بعلي لا يساوي كفاً من نوى ^(٤) ، وكان « دويلة » أخا لو كيع من أمه ^(٥) ، وقد أثر عن وكيع أنه كان جلفاً جافياً ، كما كان رقيق الدين ^(٦) .

والذي يفهم مما أورده الطبري في حادثة مقتل ابن خازم في عام ٧٢ هـ هو أن عبد الملك بن مروان أرسل إلى ابن خازم يطلب منه أن يبايع له على أن يطعمه خراسان سبع سنين ، فرفض ابن خازم هذا العرض ووبخ رسول عبد الملك ، وهو : قيسي من

(١) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ، ٢٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ١٤٠ .

(٣) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٤٠ .

(٤) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٥ .

(٥) أو هو قال : كف من تراب ، انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ٨ ، ٣٢٥ .

(٦) وقد قتل مع ابن خازم ابنه عنبه ويحيى ، وطعن مولا طهمان وهو جد يعقوب بن داود كاتب المهدي ، الخليفة العباسي ، وفي قتل ابن خازم قال وكيع :

ذق يابن عجلي مثل ماقد أذقتني ولا تحسبي أنني كنت عن ذاك غافلاً

وقال الفردوق :

عَضَّتْ سيوف تميم حين أغضبها رأس ابن عجلي فأضحى رأسه شديداً

وعجلى هي أم ابن خازم أمه سوداء ، انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٥ ، المبرد : الكامل ، ١ ،

١٤٢ .

بني نعيم أو من غني ، وأجبره على أن يأكل الكتاب (١) .

ثم أن عبد الملك أرسل إلى بكير بن وشاح يُمنيه الإمارة ويَعده ويحرضه على التمرد على ابن خازم فكان أن خلع بكير الطاعة ، وخرج من « مرو » ليجد ابن ورقاء ومن معه قد قتلوا ابن خازم (٢) ، لكنه لم يشأ أن يقف عند ذلك بل أخذ ابن عمه بحير بن ورقاء وقيدته وسجنه وبعث إلى عبد الملك مدعياً قتل ابن خازم (٣) .

وخلافا لهذه الرواية فقد أورد الطبري رواية أخرى مفادها أن عبد الملك لم يرسل إلى ابن خازم إلا بعد مقتل عبد الله بن الزبير في عام ٧٣ هـ وأن ابن خازم قد غضب وقال لمبعوث عبد الملك : لولا أنك رسول لضربت عنقك (٤) . وقال رجل من بني سليم يرثي ابن خازم (٥) :-

أليتنا بـ « نيسابور » ردي عليّ الصبح ويحك أو أنيري

كواكبها زواحف لا غبات كأن سماءها بيدي مدير

فلو شهد الفوارس من سليم غداة يطاف بالأسد العقير

لنازل حوله قوم كرام فعز الوتر في طلب الوتر

أما أمر خراسان فقد صار لبكير بن وشاح الذي أبقى بحير بن ورقاء في السجن طوال فترة ولايته التي قاربت العامين (٦) ، على أن أمر خراسان لم يستقم له بسبب تعصب أكثر التميميين لبحير ، وقد سعى بكير إلى استرضاء بحير حينما علم بنية

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ١٤٠ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣٥٥ .

(٣) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ٣٢٥ .

(٤) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ٣٢٥ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ١٩٧ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣٥٥ .

عبد الملك في إرسال والٍ من قريش ، وسفر ضرار بن الحصين الضبي^(١) بين زعيمى تميم فخرج بحير من السجن ، غير أن الناس قد خشوا فساد البلاد بصراع بني تميم وخافوا قهر العدو فكتبوا لعبد الملك أن خراسان لا تصلح بعد هذه الفتنة إلا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه^(٢) .

وكان ردّ عبد الملك أنّ خراسان ثغر المشرق وكان به من الشر ما كان وعليه هذا التميمي وقد فسد الناس . ثم أمر أمية بن عبد الله الأموي القرشي^(٣) .

وظلّ بحير التميمي يترقب وصول أمية إلى أن وافاه بـ « أبرشهر » فاخبره عن خراسان وما يصلح لها ، وحذره من بكير ، وأكرم أمية بحيراً كما أنّه عرض على بكير أن يتولّى شرطته فرفض بكير ذلك فولاه أمية بحيراً وقال لبكير : اختر ماشئت من البلاد فاختر « طخارستان » فولاه أياها ، ثم عدل عن ذلك بمشورة بحير ثم جرت بينهما حوادث عدة نزع فيها بكير إلى التمرد والعصيان وأدت في نهايتها إلى مصرعه في عام ٧٧هـ في مدينة « مرو »^(٤) .

(١) ينتمي ضرار إلى أشهر البيوت في بني ضبة . بيت زيد الفوارس الجاهلي ، وحنان بن المنذر صاحب يوم القادسية . انظر عن هذا البيت الكلبي : جمهرة النسب ، ٢٩٤ .

(٢) ويلاحظ هنا أنّ العرب قد يغفلون أمر العصبية إذا خشوا الفتنة الشديدة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ١٩٥ .

(٣) كان أمية قد انهزم أمام أبي فديك الخارجي البكري ، فقال له عبد الملك : لولا انجيازك من أبي فديك لوليتك خراسان ، فقال أمية : إنّ انجيازي من أمامه خير من تعريض العصبية للموت ، فشهد له أناس بذلك منهم أخوه خالد والي الكوفة فولاه عبد الملك خراسان ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ١٩٧ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ٢٧٧ .

ـ آل المهلب وظهور عصية الأزد وأثر ذلك في الحياة السياسية العامة : ـ

استوطن الأزد الكوفة في وقت مبكر بالنسبة لنزول العرب في هذا المصر^(١) ، وقد حلوا في خططهم مع الأكثرية اليمانية التي آثرت الكوفة منزلاً وفضلتها وطناً^(٢) ، وأزد الكوفة هم أزد السراة . هذا في حين تأخر نزول الأزد في البصرة وكان الذين نزلوها منهم من أزد عمان^(٣) .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه قد زادت أعداد الأزديين في البصرة في أواخر عهد معاوية وابنه^(٤) يزيد . وكانوا ذوي حظوة عند والي زياد بن أبيه^(٥) ، وقد استشعر بنو تميم مدى قوة الأزديين ورغب بعضهم في محالفتهم ونقلوا ذلك إلى الأحنف ابن قيس سيدهم ، الذي لم يتسرع في ذلك وترى حتى حالفت الأزد ربيعة^(٦) .

(١) مع ملاحظة أنهم لم يستقلوا بخطة واحدة من خطط الكوفة بل كانوا معدودين في أهل المدينة انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ٥١٣ .

(٢) كان أهل اليمن هم أكثر من استوطن الكوفة من العرب . ولذلك عرفت الكوفة بأنها ذات أكثرية يمانية قحطانية ، وأن البصرة ذات أكثرية عدنانية بدوية ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٥٩ ، الدينوري : الأخبار الطوال ، ٥٥ .

(٣) كانت أرباع الكوفة في عهد زياد بن أبيه على النحو الآتي : تميم المضربة العدنانية وهمدان الكهلانية اليمانية ومذحج الكهلانية اليمانية في ربع ، وأهل المدينة ومعهم طوائف من قريش وقيس عيلان المضربة والأزد وخثعم اليمانية في ربع . كما ألحق بأهل اليمن طوائف من حمير وطى والأشعر وقضاعة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٥٩ ، المنقري : وقعة صفين ، ١٣١ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٤٧٨ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٦٠ .

(٥) وسبب ذلك أن زياداً ألتجأ إلى صبرة بن شيمان الحداني الأزدي في فتنة ابن الحضرمي في البصرة وكان زياد نائباً لوالها عبد الله بن العباس أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد منع الأزد وفيهم أبو صفرة والد المهلب زياداً وأجاروه في خططهم المعروفة بسكة الحدان . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ١٨٢ .

(٦) ويلاحظ أن التميميين قد قبلوا مخالفة الأساورة الذين نزلوا في بني سعد ، ومخالفة السباجية والزط الذين نزلوا في بني حنظلة ، انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٥٦ .

وكما كانت الأزد محظية عند زياد فإنها كذلك عند ابنه عبيد الله الذي لم يجد من يجيره في آخريات أيامه في البصرة إلا هم^(١) ، وقد ضرب هو على الوتر الحساس حينما ألح عليهم في تجديدهم حلفهم مع ربيعة للوقوف في وجه بني تميم^(٢) .

وحين سار الحكم الغفاري من البصرة والياً على خراسان أخذ عددًا من وجوه الناس وأعيانهم ، وكان المهلب بن أبي صفرة من بين هؤلاء . ولم يقف طموح المهلب عند أن يكون جندياً عادياً في جيش الحكم الغفاري بل أن مواهبه الفذة وشجاعته قد دفعته إلى أن يتولى أمر الحرب حينما حصر الحكم في غزوة له إلى جبال طخارستان في عام ٤٧ هـ^(٣) .

وفي عام ٦١ هـ رغب سلم بن زياد في التجهز من البصرة بعد أن ولاه يزيد بن معاوية إمرة خراسان ، فانتخب من البصرة عددًا من أقوى الرجال وأمضاهم عزيمة وقد كان المهلب في طليعة هؤلاء^(٤) .

ومن طريف الأخبار وغريبها أن سلم بن زياد أوفد المهلب من خراسان إلى الخليفة يزيد بن معاوية^١ دمشق وتصادف وجوده عند الخليفة مع وجود عبد الملك بن مروان وقال الخليفة بعد أن خرج عبد الملك : « أن أهل الكتاب يزعمون أن هذا يقصد عبد الملك - سيلي الحكم » ، وأن المهلب أثنى على عبد الملك ، فكان لذلك أثره في

(١) على أن هذه الحظوة قد لا تصلح بأن يقال أنها كانت دائمة وذلك لتغير الظروف والأحوال وتباين النزعات والأهواء .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ١٣ .

(٣) احتار الحكم حينما حصر في أحد الجبال فولى المهلب أمر الحرب فعمد المهلب بحنكته إلى الاستعانة بأحد عظماء تلك النواحي فاوقد ناراً في جبل فلما اجتمعوا إليها كان هو قد خرج بالجيش مع طريق آخر . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٧ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٥٢ .

العلاقة التي نشأت فيما بعد بين الأثنين (١) .

ولعل هذا الخبر من موضوعات أهل الكتاب ودسائسهم التي تهدف دائماً إلى إثارة الفتن وإلى الإدعاء بالعلم وإنّ لكل شيء أصلاً لديهم (٢) .

هذا وقد لمع اسم المهلب بن أبي صفرة في قتال الخوارج الأزارقة مؤيداً بأهل البصرة الذين رفضوا أن يتولّى خراسان لعبد الله بن الزبير وأرادوه لحرب الخوارج (٣) ، وكان للمهلب ما كان مع مصعب كما تم بيانه ، وأنفذ بشر بن مروان الناس معه عام ٧٤ هـ ملحاً عليه في الفتك بالأزارقة وزعيمهم قطري بن الفجاءة التميمي ، ومضى على ذلك الحجاج بن يوسف الذي ولي العراق بعد بشر في عام ٧٥ هـ وهدّد المتخلفين عن نصرته المهلب بالقتل ونفذ وعيده وفي ذلك قيل :

تخيّر فأما أن تزور ابن ضابئ عميراً وإما أن تزور المهلبا (٤)

ولم تكن الأزد قوم المهلب حتى ذلك الوقت بذوي شوكة وسطوة ببلاد خراسان .

(١) ويرى أن المهلب كان يقول لأصحابه وهو يحارب الأزارقة : أن عبد الملك سيتولى الخلافة ثم يحدث أصحابه بهذا الخبر . انظر ذلك بتمامه في ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ٢٦٢ .

(٢) انظر مثل هذه المفتريات والرّد عليها في كتاب الدكتور المصري : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري .

(٣) وقيل في ذلك : أن الأحنف بن قيس قال لوالي البصرة الحارث بن عبد الله المخزومي (القُبَاع) أن ليس للأزارقة إلا المهلب ، وقد وافق أهل البصرة على شروط المهلب بأن له ما غلب عليه ، ويعطي من بيت المال ما يتقوى به وأن يكتب بذلك إلى أهل الأخماس ، ولما سار إلى الحرب كانت الأزد وتميم ميمنة ، وبكر وعبد القيس ميسرة ، وأهل العالية في القلب . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٨٨ .

(٤) وعمير بن ضابئ ممن شارك في قتل عثمان رضي الله عنه وكان عثمان قد سجن أباه ضائباً البرجمي الحنظلي التميمي ، وقد استعفى عمير من الخروج للمهلب لكبر سنه فاعفاه الحجاج لكنه عاد وقتله لما علم بقصته مع عثمان . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٣٥ .

ومع ما أورده أبو عبيدة في النقائص من أن الأزد كانوا مع ربيعة في فتنة ابن خازم ^(١) ، فإن أثر الأزد ضئيل في هذه الفتنة أو هو معدوم على الإطلاق ، والذي يلاحظ هو أن المصادر التاريخية لم تشر إلى الخبر الذي أورده أبو عبيدة بتاتاً ^(٢) .

وعلى العكس من ذلك فإن الذي ورد في المصادر التاريخية كالطبري ^(٣) وابن الأثير ^(٤) هو أن الأزد قد استجدوا بابن خازم وبني تميم حينما لم يستطيعوا رد عدوان الترك عليهم عام ٦٥ هـ أثناء الفتنة التي استغلها الترك فأغاروا على قصر « اسفاد » وحاصروا أهله من الأزديين ، وقد انتهى خبر هذه الحادثة إلى اشتباك زهير بن ذؤيب التميمي مع الترك وطردهم ^(٥) وإلى هذا الموقف أشار شاعرا الأزد الكبيران في خراسان : ثابت قطنة العتكي ، وكعب بن معدان الأشقري ^(٦) .

أما حين قدم المهلب خراسان والياً عليها فإن الحال قد تغير وأصبحت الأزد قوة ذات شأن ^(٧) ، ولم يكن المهلب بالمتعصب المندفع إلى قومه على حساب مصلحة الدولة العامة على أن هذا لا يعني أنه لم يسع إلى تقريب أبناء عمومته من الأزديين وتقليدهم المناصب الهامة ، ومن ذلك أنه وجه ابنه حبيباً على مقدمته ، وكان هو يشغل منصب والي حرب خراسان وابنه المغيرة على الخراج ، وأما قائده فهو مجاعة ابن

(١) انظر النقائص ج ١ ، ٣٦١ .

(٢) انظر إحسان النص بالعصبة القبلية ، ص ٣١٨ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٤٦ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٢٨ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٤٦ .

(٦) على أن الذي يلاحظ هو أن قصيدة ثابت قطنة التي أوردها الطبري في هذا الخبر إنما هي في حادثة

إغارة الترك على « قصر الباهلي » المتأخرة في الزمن عن حادثة قصر « اسفاد » انظر الطبري : تاريخ

الأم والملوك ، ج ٧ ، ٤٦ .

(٧) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ١٤ ، ١٩٠ .

عبد الرحمن العتكي الأزدي (١) ، وكان يسند أمر السرايا إلى أبنائه يزيد والمفضل (٢) .

وزيادة في تعزيز موقف الأزد في تلك البلاد سعى المهلب إلى تقريب الربيعين إليهم أو هو قد جدد الحلف بينهما (٣) . ثم هو قد وقف بكل قوة وراء إنهاء الفتنة التي شبت بين الأزد وعبد القيس ، وتحمل ديّات القتلى الذين راحوا ضحية الفتنة (٤) ، وظل الائتلاف بين حبي ربيعة والأزد قوياً بل هو قد زاد تمكناً أيام يزيد بن المهلب الذي يعد أقرب إلى العصبية من والده ، ونقل أن ربيعة وقد تحالفت مع اليمن (الأزد) حشدت مع يزيد بن المهلب ونزلت حواليه فلما استبطأته في بعض أمورها شغبت عليه حتى أرضاها (٥) .

وقد زاد عدد الأزد منذ ذلك الحين حتى أصبحوا أكبر قبيلة عربية في خراسان في رأس المائة الأولى من الهجرة بعد بني تميم (٦) .

على أنّ مما هو جدير بالذكر هو أنّ صيت الأزد الذائع أيام آل المهلب لم يكن مرده إلى حب المهالبة لتقريب قومهم فحسب ، بل وإلى ماجلوا عليه من الكرم ، والأثرة ، وإفساح المجال للوافدين من الشعراء والمسترفدين وطالبي الفضل والإحسان وكان من الطبيعي والحالة هذه أن يقصدهم الناس من كل حدب وصوب وأن يتقرب إليهم

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ٢٨٠ .

(٢) وكان ثابت قطنة الشاعر الأزدي يتولى عدداً من الأعمال في عهد يزيد ، وكان ثابت من فرسان

الشعور ومشاهير القواد . انظر البغدادي : الخزائن ، ٤ ، ١٨٥ .

(٣) انظر الأصبهاني : الأغاني ج١٤ ، ٢٩٠ .

(٤) وقد التحم التهاجي بين زياد الأعجم مولى عبد القيس وكعب الأشقري الأزدي بسبب هذه الفتنة ،

انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج١٤ ، ٢٨٧ .

(٥) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ١ ، ٣٤٩ .

(٦) انظر حسين علوان : الشعر الأموي بخراسان ، ٢١٣ .

أصحاب المنافع ورجالات القبائل العربية . وأن يكون قومهم الأزدي خاصة هم أكثر الوافدين^(١) ، وينهض ماقيل في المهالبة من المدائح والاطراء دليلاً قوياً على ذلك ، وهذه المدائح لم تكن من اليمانيين بل هي من سائر القبائل وسنرى كيف أن يزيد ابن المهلب يفضل شاعراً من تميم هو حاجب بن ذبيان على شاعر فارس من الأزدي هو ثابت قطنة الذي هب لمرافقة آل المهلب منذ اللحظة الأولى التي توجه فيها المهلب أميراً على خراسان^(٢) .

ولعله من الإفراط في تصوير عصبية الأزدي القول بأن مكانة الأزدي قد علت علواً كبيراً بمقدم المهلب وانحطت مكانة قيس وتميم انحطاطاً شديداً^(٣) . فمن ناحية أن الأزدي قد علت مكانتهم فهذا لاشك فيه ، يدل عليه قول يزيد بن المهلب في ولايته الثانية حين وصف الأزدي بأنهم كانوا أذلّ خمس بخراسان ، وأنهم كانوا مسخرين لحمل الأشياء حتى قدم المهلب فلم يدع موضعاً يستخرج منه درهم إلا استعملهم عليه وأنه حملهم على رقاب الناس حتى صاروا وجوهاً .

أما من ناحية إذلال قيس وتميم فليس في المصادر ما يؤيد ذلك من الأخبار ذات القيمة بل أن بعض الأخبار تشير إلى اعتماد المهلب على عدد من الرجال الأكفاء الأشداء من تميم مثل عدي بن هريم ، وبحير بن ورقاء التميمي الذي صرخته عصبية بني تميم فيما بينهم ببلاد ما وراء النهر ، والذي كان لمصرعه أثر بالغ السوء على المهلب^(٤) .

والذي يبدو أن كل ماقيل عن عصبية المهلب ينحصر في أمرين أولهما هو : النمو

(١) انظر المبرد : الكامل ، ٢٥٥ .

(٢) وكان ليثار يزيد لحاجب بن ذبيان سبباً في التهاجي بين حاجب وثابت قطنة انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية ، ص ٢١٠ .

(٣) انظر حسين علوان : الشعر الأموي بخراسان ، ٧٥ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ١٤ .

المتزايد للأزدبيين واليمن بصفة عامة في عهده ، وعلو المكانة التي وصلوا إليها ، وهذا ما قد تم بيان أسبابه وأنّ العصبية ليست المسؤول الوحيد عنه ، والثاني هو : أنّ المهلب قد حبس عدداً من وجوه مضر وهو بيلاد ماوراء النهر في بلدة « كش » وعذبهم ثم أطلقهم وهذه قد اعتذر عنها المهلب نفسه ، وبأنّ الذي دعاه إليها هو شكه في أن امرأ يدبر ضده في الخفاء ، وقد قال الحجاج في ذلك : إذا كانوا ظالمين فلماذا يعفو عنهم أما إذا كانوا مظلومين فلماذا سجنهم (١) .

وبقي هنا الإشارة إلى أمر مهم في موضوع العصبية وذلك هو دور الشعراء ، فما أنّ يتقلد الإمارة شخص من قبيلة ما حتى يهب شعراء قبيلته مهللين لولايته على اعتبار أنّ ذلك نصر لقبيلتهم يباهون به القبائل الأخرى ، بل ويصورون الأمر على أنه خضوع من القبائل المنافسة للوالي الذي من قبيلة الشاعر صاحب الفخر (٢) ، وقد حدث ذلك مع المهلب حين بالغ الطرمّاح بن حكيم الطائي في تصوير خضوع بني تميم للمهالبة ، وقبولهم بحكمه وشنع في ذلك على غريمه الفرزدق (٣) . ثم لنرى كيف اعتبر شعراء تميم وعلى رأسهم الفرزدق (٤) أنّ قضاء هلال بن أحوز المازني على المهالبة ما هو إلا مفخرة لتميم بل وللعنانية بأسرها على الأزد وأهل اليمن عامة (٥) .

وبما يحمد للمهلب هو وقوفه الصارم ضد ثورة ابن الأشعث (٨٠ - ٨٣هـ) في سجستان والتي كانت العصبية اليمانية أحد أسبابها . والناظر في ثورة ابن الأشعث يلاحظ أن أموراً عدة قد دفعت إلى تأجيجها منها العصبية ، وإنّ لم تكن المحرك الأول ،

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٣ .

(٢) انظر نماذج من ذلك في كتاب النقائض لأبي عبيدة ، ١١٤ ، ١٧٨ ، ٢١١ .

(٣) انظر ديوان الطرمّاح ، ١٤٥ .

(٤) انظر ديوان الفرزدق : ٢٩٤ .

(٥) انظر إحسان النص : العصبية القبلية و ص ٢١٤ .

ومنها أن الحجاج قد دفع ابن الأشعث إلى التمرد دفعاً حينما ألح عليه في كتاباته بأن يتصرف وفق الخطة التي يرسمها الحجاج بالرغم من بعده عن ميدان المعركة (١) .
وأيضاً فإن في شخصية ابن الأشعث الطموحة التي امتلأت تيهاً وغروراً ما يدعو إلى العصيان ثم أن الشعراء وملقحي الفتن قد ضربوا على وتر الزعامة اليمانية الجاهلية (٢) ،
فألهبوا المشاعر ، وحركوا أشجاناً كانت في النفوس مطمورة (٣) .

وأخيراً فقد صادفت هذه الثورة هوى في نفوس أهل الكوفة (٤) من الموالي بالدرجة الأولى ومن أهل اليمن فيها بالدرجة الثانية على أنه ينبغي الاحتراز من القول بأن ثورة ابن الأشعث كانت ثورة موالٍ كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين (٥) ، أو أنها كانت ثورة أهل العراق على أهل الشام كما ذهب إلى ذلك بعض آخر (٦) .

(١) كتب عبد الرحمن إلى الحجاج عن طريقته في إقامة الحاميات ، ونقاط البريد فلم تعجب الحجاج هذه الطريقة فكتب إلى عبد الرحمن يلومه . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٧ .

(٢) وأبرز هؤلاء : أعشى همدان وهو يمني كوفي نظم في عبد الرحمن ابن الأشعث قصيدة ذكره فيها بامجاد اسلافة في الجاهلية . انظر البلاذري : أنساب الأشراف ، ٢٧٢ .

(٣) وقد تسمى عبد الرحمن بـ « ناصر المؤمنين » وبـ « القحطاني » انظر المقدسي : البدء والتاريخ ، ٢ ،

١٨٤ . وقد قيل عن القحطاني أنه رجل صالح يصلي خلفه عيسى ، أو هو الرجل الذي ينتظره

اليمانية ليعيد الملك فيها . انظر في مناقشة هذا الرأي د . المصري : أثر أهل الكتاب في الفتن ،

٥٣٢ ، د . عبد الواحد ذنون : العراق في عهد الحجاج ، ٨٣ .

(٤) وكان فيها عدد من القراء الذين انضموا إلى الثورة كما شارك المرحلة فيها انظر ابن سعد :

الطبقات ، ٦ ، ٢٠٥ ، الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٢٢ .

(٥) الخربوطلي : تاريخ العراق ، ١٧٠ .

(٦) ولهوزن : الدولة العربية ، ٩٠ ، ويلاحظ أن جيش عبدالرحمن بن الأشعث يتكون من اليمانيين

والتزاريين ، ورد ذلك في الأخبار التي ساقها الطبري ، وفي أشعار أعشى همدان ، والفَرَزْدَق ، انظر

الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٤ ، وديوان الفرزدق وقد قال الفرزدق :

عجبت لنوكسي من نزار وحيهم ربيعة والأحزاب ممن تمضوا

ومن حي قحطان سجتان أصبحوا على شيء من دينهم قد تنيرا

وكما سبق القول فقد أخلف موقف المهلب ظن الحجاج ، إذ أن الحجاج ذهب إلى أن المهلب سيظاھر ابن عمه عبد الرحمن بن الأشعث اليماني في هذه الثورة لكن المهلب قد أشار على الحجاج بالرأي الصائب حينما قال : دع الثوار حتى يقدموا إلى العراق (١) .

وعلى كل فلم تقف علاقة المهالبة الأزديين بحركة ابن الأشعث عند هذا الحد إذ هم قد أرسلوا نجدة إلى العراق من خراسان لنصرة الحجاج ، ثم هم قد تصدوا لفلول ابن الأشعث المنهزمة والتي اختارت خراسان ملجأ لها (٢) . والذي حدث في هذا الصدد هو أن ابن الأشعث قدم « هراة » من سجستان ثم قفل عائداً منها إلى المكان الذي قدم منه بعد أن اختلف أصحابه وانشق عليه عبيد الله بن عبد الرحمن القرشي (٣) . أما بقية الفل وعليهم عبد الرحمن العباسي فقد ساروا إلى « هراة » وقتلوا أميرها الرقاد الأزدي اليماني (٤) ، وهنا راسلهم والي خراسان يزيد بن المهلب يرجو كف شرهم فلما لم يتم ذلك سار إليهم وحاربهم إلى أن انتهت المجابهة بينه وبينهم إلى هزيمتهم (٥) فأرسل الأسرى إلى الحجاج وغالبية من أرسل من مضر أما

= وقال أعشى همدان :

بالسيد الفطريف عبد الرحمن سار بجمع كالدي من قحطان

ومن معد قد أتى ابن عدنان بجحفل جم شديد الأرنان .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٠ . وهنا وفي نفس الصفحة ورد خبر آخر في الطبري

يبدو أنه من مرويات أهل الكتاب حيث استشار عبد الملك خالد بن يزيد بن معاوية في أمر ثورة ابن

الأشعث فقال : إذا هي من خراسان فخف وإذا هي من سجستان فلا تخف ، وانظر أيضاً ابن كثير :

البداية والنهاية ، ج ٩ ، ٣٥ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٨٩ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٦ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٧ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٨ .

أهل اليمن فقد عفا عن كثير منهم^(١) ، وقد قيل : أن ذلك من أسباب غضب الحجاج على آل المهلب أو أنه قد عزل يزيد لهذا السبب ، وهذا بالطبع يصطدم بالرأي القائل أن الحجاج كان يكره أن يتولى آل المهلب خراسان منذ البداية ليمانيتهم وقيسيته المتطرفة^(٢) .

والذي يبدو هو أن الحجاج قد رأى أن من مصلحة الدولة وقد زاد نفوذ يزيد ابن المهلب وعظمت أمواله أن يستبدله بغيره خاصة أن الحجاج كان شديداً في محاسبة ولاته على الأموال^(٣) ، وقد قال للوليد بن عبد الملك عندما هرب يزيد إلى سليمان ابن عبد الملك : أن آل المهلب خانوا مال الله ولحقوا بسليمان ، وكان الحجاج قد طالب يزيد بمبالغ طائلة ، ولم يغفل عمر بن عبد العزيز عن هذه الأموال حين تم عزل يزيد عن ولايته الثانية على خراسان فطالبه بالأموال التي كتب بها إلى سليمان ابن عبد الملك في خراسان وبما بقى عليه من المال الذي طالبه به الحجاج^(٤) .

أما النمو المتزايد لعصبية الأزدي بصفة خاصة واليمن بصفة عامة فقد شهدته مطلع القرن الثاني الهجري أيام أسد القسري ، وقد زاد انحياز أسد البين لقومه من ظاهرة الانقسام في صفوف العرب المسلمين ، وقد شعر الخليفة هشام بذلك وبسوء النتائج المترتبة عليه فأصدر أمره بعزل أسد ، لكن نمو أمر العصبية والفتن الداخلية قد زاد حتى

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٣ .

(٢) انظر حسن علوان : الشعر العربي بخراسان ، ص ٨٥ .

(٣) انظر عبد الواحد ذنون : العراق في عهد الحجاج ، ٩٧ .

(٤) انظر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ٣٧١ ، وقد ناقش الدكتور عبد الواحد ذنون أمر عزل يزيد مضعفاً دور عصبية الحجاج في ذلك . انظر عبد الواحد ذنون : العراق في عهد الحجاج ، ص ١١٧ ، وما ينبغي ملاحظته هو أن الفراغ الذي خلفه قتية كان كبيراً بحيث لم يستطع يزيد أن يسده ثم أن حصره للمناصب في أيدي أبناء عمومه قد زاد من نقمة الناس وفرقتهم حتى أن سعيد نخدنة طلب عمال يزيد وسجنهم وسلبهم أموالهم في عام ١٠٢ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٤٥ ، ١٧٧ .

بلغ أوجه في عام ١١٦ هـ حينما أقبل الحارث بن سريج من بلاد ماوراء النهر إلى الفارياب مجنداً الناقمين من تميم والأزد ومستعيناً بأبناء عبد الله بن خازم الذين ظل أخوهم موسى ممتنعاً بترمذ زمناً طويلاً^(١) ، وبالدهاقين^(٢) مع مايعينه هذا من إتاحة الفرصة للمندسين والمتسللين من ذوي الديانات القديمة المناوئة للإسلام .

ولم تكن ولاية أسد الثانية بأحسن من سابقتها من ناحية الفتن والثورات والصراع القبلي وماسببه ذلك من متاعب لولاة خراسان والخلافة بأسرها^(٣) ، وبرز من الزعماء في هذه الولاية جديع الكرمانى الأزدي الذي أصبح مناوئاً لنصر بن سيار وبني أمية^(٤) .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٣٦ .

(٢) وبالمقابل فقد أصبح مقاتل بن حيان النبطي مستشاراً أميناً عند والي خراسان عاصم الهلالي . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢١٨ .

(٣) انتحل أسد القسري هزيمة الحارث بن سريج وسجن عاصماً الهلالي فقال عاصم في ذلك :

تخاصمني بـجيلة ثم تقضي لأنفسها لبس الحكم ذاكا
إذا كان خصمك يابن عمرو هو القاضي الذي يقضي علاكا
وحسبك من بلاء أن تولي قضاء في أمور من دهاكا
وفي النقرة على قريش قال أحد بني عبد القيس الربيعين :

نولت قريش لهذه العيش واتقت بنا كل فسج من خراسان اغبرا
فليت قريشاً أصبحوا ذات ليلة يعومون في لج من البحر أخضرا
انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢١١ ، المرزباني : معجم الشعراء ، ١١٨ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٢٤ .

قتيبة بن مسلم وظهور عصبية القيسية وأثر ذلك في الحياة السياسية العامة :-

لم يكن قتيبة بن مسلم بالذي يحمل أثراً ضخماً من المفاخر القبلية حينما قدم على خراسان أميراً لها فهو وإن كان في عداد القيسية ^(١) إلا أن قبيلته باهلة لم تكن بذات الشأن العالي الذي يمكن أن تجاري به القبائل الذائعة الصيت .

وقد شنع كثير من الشعراء على باهلة وشايعهم على ذلك أصحاب كثير من المصنفات التاريخية والأدبية ^(٢) ، ومع ذلك فقد ظهر اسم قتيبة في عهد عبد الملك ابن مروان ^(٣) . وأدرك والي العراق الحجاج بن يوسف مدى ما يتمتع به قتيبة من حنكة سياسية ومن بعد نظر مع شجاعة صارمة لا تعرف الوجل . وقد لاحظ الحجاج ذلك بوضوح أثناء ثورة شبيب الخارجي عام ٧٧ هـ ^(٤) حينما انبرى قتيبة للحجاج مبدئياً وجهة نظر صارمة في حرب الخوارج ومخطئاً الخطة التي ينتهجها الوالي في وقت يُحجم فيه كثير من أصحاب الرأي عن مواجهة الحجاج في آرائه ^(٥) .

(١) انظر نسب باهلة في ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٩٦ ، الكليبي : جمهرة النسب ، ص ٢٢٠ .

(٢) وعلى سبيل المثال فقد أورد المبرد عدداً من الأبيات الشعرية في التشنيع على باهلة ومن ذلك قول الشاعر :

سل الله ذا المن من فضله ولا تسألن أباً وائلة

فما سأل الله عبداً له فخاب ولو كان من باهلة

انظر المبرد : الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٦ ، وقد ألف الاستاذ حمد الجاسر مؤخراً كتاباً بعنوان : قبيلة باهلة المفترى عليها .

(٣) لكن أباه كان معروفاً مشهوراً كبير القدر عند يزيد بن معاوية ، وأبوه هو : مسلم بن عمرو ابن الحصين الباهلي . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ٤٢٨ ، وقد ترجم الزركلي لقتيبة وقال : أنه من مفاخر العرب . انظر الزركلي : الأعلام ، جـ ٦ ، ٤٢٧ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ٨٣ .

(٥) انظر بسام العسلي : قتيبة بن مسلم ، ص ١٠ .

ثم أن قتيبة ولي « الري » فشبت فتنة ابن الأشعث وكان قتيبة السند المعين في إطفائها والقضاء عليها بل هو قد أعتبر دار أمان لمن رغب في السلامة من الثائرين المتמרدين (١) .

وفي عام ٨٥ هـ كان الحجاج بن يوسف يوشك أن يخلع يزيد بن المهلب من إمرة خراسان لا إستجابة لدواعي نزعة العنصرية القيسية - كما يذهب إلى ذلك البعض - ولكن للأسباب التي تقدم بيانها وإيضاحها (٢) ، وإن كان من شيء يستوجب الإضافة هنا فهو أن الحجاج بن يوسف قد بدأ حياته العسكرية جندياً في جيش آل مروان ، ولما سار عبد الملك بن مروان لحرب مصعب بن الزبير كان الحجاج على ساقة الجيش ، وكان يلح على الناس بالمسير بل ويعمد إلى حرق أبواب من يتأخرون عن مصاحبة جيش عبد الملك للقضاء على آل الزبير وانصارهم الذين يقال أنهم القيسيون (٣) . فلا يصح مع ذلك أن يقال : أن الحجاج بالغ الترمت في التعصب لقيس (٤) .

وإذا كان ذلك لا يستقيم فإن الحجاج الذي كلف بالقضاء على خلافة عبد الله ابن الزبير في مكة وكانت نهايتها على يده (٥) قد أثبت بهذه السيرة أن لا قيسية يخلص لها أو يهبها حياته وإنما هي إرادته وتفكيره قد هدياه إلى انتهاج سلوك مغاير لما

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٣٠ .

(٢) الحجاج مخلص لبني أمية وقد أسهم أسهاماً كبيراً في القضاء على الزبيريين ومع ذلك يتهم بالتعصب للقيسية التي تتهم بأنها زبيرية الهوى .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ١٥٠ .

(٤) وأنه لذلك اختار معظم ولاته من القيسية ، وهذه التهمة وجهت للحجاج من قبل بعض الكتاب المحدثين : انظر النص : المعصية القبلية ، ٢٦١ ، ومناقشه الدكتور عبد الواحد ذنون لهذا الرأي وتفنيداً لأقوال من ذكر أنهم اتهموا الحجاج بالقيسية من أمثال الزهيري في كتابه نقائض جرير والفرزدق ، والدكتور شرقي ضيف في كتابه التطور والتجديد في الشعر الأموي . انظر عبد الواحد ذنون : العراق في عهد الحجاج ، ٢٠٦ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢١ .

يشاع عنه من تعلقه بقبيلة قيس ورفعه لشعار العصبية القبلية من أجلها^(١) إضافة إلى أن الحجاج لما زين لعبد الملك خلع يزيد عن خراسان سمى له أناساً ليسوا من قيس ليتولوا إمرتها غير أن عبد الملك لم يوافق على ذلك فلما ذكر له قتيبة أقره على أن يكون أميراً لخراسان^(٢) .

وقد أفادت القيسية من تأمر قتيبة على خراسان وظهر أثر ذلك بوضوح في أقوال الشعراء على أن ذلك لم يدفع بها إلى أن تكون ذات خمس خاص بها بل ظلت - وهي التي تضم مجموعة من القبائل - محسوبة في خمس أهل العالية^(٣) ، ولم تضاهي في كثرتها العددية بني تميم ولا حتى الأزد أو بكر بن وائل^(٤) ، ولم تبلغ من القوة مبلغاً يجعلها تستطيع أن تمنع ولاتها أو تحميهم عندما يتعرضون للقتل وذلك : كابن خازم وقتيبة اللذين صرعا على يد بني تميم^(٥) ، وإضافة إلى ذلك فإن قيساً لم تشهد هجرة لشعرائها الكبار إلى خراسان ومعلوم دور الشعر في دفع حركة التمايز القبلي وإظهارها وتأليب الناس على الانضواء تحت راية واحدة ولو لفترات محددة^(٦) .

(١) حينما أشار الدكتور النص إلى أن الحجاج مفرط في التعصب للقيسية استدرك على ذلك بقوله إن الحجاج لم يتعصب إلا بعد أن خاف ثورات أهل اليمن ، كثورة عبد الرحمن بن الأشعث . انظر النص : العصبية القبلية ، ص ٢٦٥ .

(٢) كان الحجاج قد سمى للخليفة - ماجة بن سمر التميمي ورثه لإمارة خراسان انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٠٢ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٤٠ .

(٤) انظر حسين علوان : الشعر العربي ، ص ٧٢ .

(٥) لا شك أن القيسيين كانوا قلة في أيام ابن خازم ، لكنهم ليسوا كذلك في أيام قتيبة وإنما دفعهم إلى عدم نصرته وجلهم من خلع سليمان بن عبد الملك وحنق كثير منهم على قتيبة لإساءته للجميع القبائل فقد ذكر أنه استنصر بني عامر القيسيين ولم ينصروه . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ،

١٤١ .

(٦) انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية ص ٨٢ .

ومهما يكن من أمر فإن قتيبة لم يحدث تغييراً أساسياً في ولاية خراسان وصرف همه إلى الجهاد الذي بلغ ذروته في عهده حيث عبر النهر واستقبله الملوك بالهدايا وفتح بلاداً عديدة ^(١) . حتى قيل أن عهده يمثل أوج عزة العرب المسلمين ^(٢) .

وقد اعتمد قتيبة في حروبه على عدد من القادة الأشداء وكانت أكثريتهم من أقاربه أو من المضربة على أقل تقدير ، ويأتي في طليعة هؤلاء اخوته ، صالح ، وعبد الله وعبد الرحمن ، ونصر بن سيار الكناني المضري ، وعبد الله بن والان التميمي ، ووكيع بن حسان التميمي ، وهريم بن أبي طخمة التميمي ^(٣) .

ويلاحظ اعتماد قتيبة على كثير من بني تميم في فتوحاته ^(٤) ، وطبيعي أن يُشارك هؤلاء في الغزوات كغيرهم من سائر القبائل مع خاصية الكثرة العددية والشدة اللتين تميزانهما ، على أن ولاية القيسيين كقتيبة قد لجأوا إلى بني تميم في أحيان كثيرة لقمع الفتن الداخلية مستغلين الرابطة المضربة التي تجمعهم بتميم ، وهي الرابطة التي نمت فيما بعد حتى أصبح الناس ومع مطلع القرن الهجري الثاني لا يسمعون في الغالب إلا عن كتل قبلية ثلاث هي : ربيعة ، واليمن ، ومضر ^(٥) .

ولعله من الإسراف في القول ماذهب إليه بعض المحللين أن تميماً تنكرت لقتيبة

(١) عن فتوح قتيبة العظيمة انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٧٢ .

(٢) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ص ٨٥ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٢ ، وما بعدها .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٢١٩ .

(٥) مع أن ربيعة واليمن يتحدان في الغالب ويصبحان كتلة واحدة في مقابل كتلة مضر ومن الأمثلة على

توحد اليمن وربيعة وقعة « البروقان » بينهم وبين مضر التي قال فيها بيان العبدي التميمي :

أتاني ورحلي بالمدينة وقعة لآل تميم ارجفت كل مرجف

نظل عيون البرش بكرين وائل إذا ذكرت قتلى « البروقان » تذرف

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٢٤٥ .

وهو الذي قد رفعها بعد جور المهالبة الأزدية عليها^(١) ، والغريب أن صاحب هذا الرأي ذهب مرة أخرى إلى أن قتيبة أنكر دور بني تميم البطولي الرائد في معاركه وغمطهم حقهم مما أدى إلى مصرعه^(٢) .

والذي لا شك فيه أن قتيبة لم يتبن سياسة قبلية كما هو شأن بعض الولاة وخاصة اليمانيين منهم . والدليل على ذلك تخلي القبائل العربية عنه عندما احتاج إليها في أخريات أيامه حتى أن القيسيين وهم قومه قد أبوا نصرته ، كما أن سياسة قتيبة قد جعلت القبائل تترك أحقادها جانباً ، ويصبح أفرادها جيشاً منضوياً تحت راية الفتح ، وكان قتيبة صارماً قوياً ذا هبة في نفوس أهل خراسان وأميناً مخلصاً لولاة الأمر^(٣) .

أما القول بأن خراسان كانت إمارة خالصة للأزد خلال حكم المهالبة وأن الحجاج حولها بتوليته لقتيبة إلى جانب قيس^(٤) فإنه يتجوز مرفوض ، فالمهالبة - وقد تقدم الحديث عنهم - قد عملوا على عدم نمو العصبية الأزدية بشكل واضح ولملفت للنظر^(٥) ، وإن كان هذا لم يمنع من علو شأن قومهم استغلالاً لمناصبهم واستجابة للعواطف القبلية التي كان الشعراء الأزديون لا يكتُمونها^(٦) ، أما عصبية قيس فلم تكن بالشكل الذي كانت عليه عصبية الأزد أيام المهالبة وبخاصة في عهد يزيد وأيام أسد القسري وبمعنى آخر لم تكن على النحو الذي صورته بعض دارسي تلك الحقبة من

(١) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٩٨ .

(٢) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ١٠١ .

(٣) انظر سيرة قتيبة وأخباره في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٤٧ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١١٢ وما بعدها .

(٤) انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٨٥ .

(٥) انظر الحاجظ : البيان والتبيين ، ج ٣ ، ٢٥٢ .

(٦) ولي يزيد بن المهلب رجلاً من الـحمد الأزدية « الزم » فلقبه كعب الأشقرى الأزدى وقال له : أنت شيخ بوليك « الزم » وبولي ربيعة الأعمال السنية وقال في ذلك شعراً . انظر الأصبهاني : الأغاني ج ١٤ ، ٢٩٤ .

الزمن ومن تطرقوا لها ^(١) ، على أن الذي ينبغي ملاحظته هو أن دواعي العصبية لدى الأزد كانت أشد وأقوى منها عند قيس وذلك لكثرة الولاة القيسيين ^(٢) الذين تأمروا في خراسان مما جعل الأزد تتطلع للزعامة والإلتفاف حول بعضها ، وأيضاً انعكاس الشعور العام عند اليمانيين على الأزد في خراسان ذلك الشعور المتمثل بمحاولة التقرب من الخلفاء والولاة أو التمرد عليهم للقضاء على سلطانهم وهذا يستدعي بالطبع أن يكون لهم عصبية ويكون بينهم اتصال وثيق العرى ، وكذلك كان وضع خراسان الذي هو صورة تكاد تكون طبق الأصل لمجتمع البصرة وجعل التنافس بين الأزد وبني تميم قوياً . والتميميون يميلون إلى قيس بل قد أصبحت القبيلتان كتلة واحدة وقوت الأزد ارتباطها ب بكر الربيعة وعبد القيس أيضاً ، وكل ذلك بدافع العصبية ، ويدفع هو إلى مزيد منها ^(٣) .

ومع ذلك فإن هناك أموراً تستدعي النظر والتأمل ومنها : أن داعي المصلحة الشخصية والمنفعة الخاصة لقبيلة ما يسيطر على التزامها بالحلف ، فقد تناذرت الأزد وعبد القيس الربيعة في ولاية المهلب ، واقتتلوا ، وتهاجى شعراؤهم ^(٤) ، وتكرر أسد

(١) انظر مثلاً الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٤٨ ، وحسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٩١ .

(٢) وأشهرهم : قيس بن الهيثم وعبد الله بن خازم ، وقتيبة بن مسلم ، وسلم الكلابي ، والجنيد المري ، وأشرس السلمي ، وعاصم الهلالي .

(٣) مع ملاحظة أن بعض المعجم يسمى إلى فرقة المسلمين باثارة العصبية بين العرب ومن ذلك ما رواه ابن خلدون من أن حيان النبطي نجح في الحصول على الجانب الشرقي من نهر بلخ نظير تأليه الناس مع وكيع بن حسان بن أبي سود ضد قتيبة . انظر ابن خلدون ، ج ٣ ، ٣٦ . وقد علا شأن حيان حتى طاول الأمراء والقادة كتب ذات مرة إلى مخلد بن يزيد بن المهلب وبدأ بنفسه ، وشاتم مرة أخرى سورة بن الحر التميمي . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٧٩ .

(٤) اصطدم زياد الأعجم شاعر عبد القيس ومولاها بكعب بن معدان الأشقري الأزدي وتلاحيا بسبب فتنة قوميهما . وقد أصلح المهلب بين القبيلتين وتحمل ديات القتلى انظر الأصبهاني : الأغاني ج ١٤ ، ٣٨٣ .

القَسْرِي لبكر وأختص الأزدية بالمنافع والمراكز حتى انتقده شعراء بكر (١) .

وحين احتدم الخلاف بين القبائل العربية بعد موت جديع الكرمانى الأزدى انسحب يحيى بن حُصَيْن الزعيم البكري تاركاً حلفاءه الأزدية يواجهون المعركة وحدهم (٢) .

وكل هذه أمثلة من واقع علاقة ربيعة بالأزد في خراسان تدلُّ على أن حلفهما ليس إلزاماً في كل الأحوال ، ومع ذلك فإنَّ علاقتهما ببعضها كانت أقوى من علاقة تميم بقيس التي كانت دائماً عرضة للتفكك والتنافر ، بل أن القبيلة الواحدة منهما لتتفكك إلى شيع وأحزاب يضرب بعضها البعض ، وذلك كالصراع الذي شب بين العشائر التميمية وبطون بني سعد بالذات في أواخر أيام ابن خازم عام ٧٢هـ وولايتي بَكِير بن وشَّاح وأمّية بن عبد الله القرشي فيما بين عامي ٧٢هـ و ٧٨هـ (٣) .

ومن الأمور التي تستدعي النظر أنَّ الشعراء قد صوروا في أشعارهم أن بين بعض القبائل أحلافا قوية وعهوداً مرعية وذلك كما في شعر ثابت قطنه ، وكعب الأشقري وهما من الأزد (٤) ، ونهار بن توسعة وهو من بكر (٥) ، وهؤلاء دائماً ما يتطرقون إلى

(١) وقد انتقد أبو اليزيد البكري الرعي سيامة أسد هذه بقوله :

إنَّ تنقض الأزد حلفاً كان أكده في سالف الدهر عبّاد ومسمود
ومالك وسويد اكدهاء معاً لما تجرّد فيها أي تجريد
حتى تنادوا اتاك ضاحية وفي الجلود من الإيقاع نقصيد

يقصد عبّاداً ومسموداً العنكيين الأزدية ، ومالك بن مسمع وسويد بن المجوف البكرين . انظر

الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٠٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٢٦ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٩٧ ، ١٢٢ ، ١٣٢ .

(٤) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ١ ، ٢٩٢ ، وانظر مزيداً من أخبار هذين الشاعرين مع نماذج من

شعرهما في الفصل الرابع .

(٥) انظر الآمدي : المؤلف والمختلف ، ٢٩٦ ، وفي الفصل الرابع تفصيل عن حياة هذا الشاعر ونموذج

من أشعاره .

حلف ربيعة والأزد ومثلهما حاجب بن ذبيان التميمي^(١) الذي يذكر الرابطة المضرة ويشيد بها ، مع مبالغة الشعراء في ذلك والتهويل به .

وكل الذي يدفع هؤلاء الشعراء في الغالب هو أهوائهم ورغباتهم الشخصية ، وكثيراً ما ينتفضون على أنفسهم ويذكرون عكس ما كانوا يقولونه^(٢) ، وكانت أشعار شعراء العراق صدى لأحداث خراسان يضخمونها ويهولونها ويعمقون الانقسامات القبلية عازفين على نغمة الرابطة العصبية والحلف^(٣) .

ولم تكن أقوال الشعراء لتصلح دائماً للأخذ بها كحقائق تاريخية ، من هنا كانت سقطة بعض الباحثين حينما يبنون الأحكام على ما كان يتناقله الرواة من أفواه الشعراء^(٤) وقد أفرط البعض في التعميم وتوسعوا في استنتاج الأحكام أما بناءً على الأشعار أو على الحوادث الفردية والمخالفات اليسيرة وجعلوها أحكاماً عامة^(٥) .

ومما هو جدير بالتأمل أيضاً هو أنّ العصبية القبلية ورابطة الحلف تزول تماماً عندما يكون المسلمون في غزوة ما ولا يحتاج هذا إلى دليل والأمثلة عليه ظاهرة في فتوح بلاد ماوراء النهر كلها . ولا يضير اشتراك القبائل جميعها في معارك الفتح أن الفضل ينسب إلى أصحابه ، وأنّ يكون للولاة والقادة الشرف في إدراك النصر .

وأمر آخر مهم هو أن بداية القرن الثاني الهجري شهدت عدداً من الولاة يعينون

(١) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٣٠٩ .

(٢) من ذلك مثلاً : أنّ كعب الأشقر الأزدي كان من لصقاء المهالبة منقطعاً إليهم في المدائح فما أن جاء قتيبة بن مسلم الباهلي حتى مدحه وذمّ يزيد بن المهلب مما كان سبباً في خوفه من يزيد بعد عودته إلى خراسان وهربه إلى عمان انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ١٤ ، ٢٩٢ .

(٣) انظر أمثلة لذلك في كتاب العصبية القبلية للدكتور إحسان النص ، ص ٢٠٦ .

(٤) انظر مثلاً الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٤٥ ، وحسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٧٥ ، النص : العصبية القبلية ، ٢٦١ .

(٥) كما فعل فان فلوتين : السيادة العربية ، ٦٠ .

في خراسان ويعزلون بسرعة ^(١) ، ولا شك أنَّ سرعة العزل ^(٢) تدعو إلى مزيد من عدم الاطمئنان ليس بالنسبة للولاة فحسب بل وحتى بالنسبة لأهل خراسان مع ملاحظة أنَّ قدوم كل وال جديد يستتبعه تغيير في ولااة الأقاليم والمدن وقواد الجيوش وعمال الخراج والمسؤولين عن الشرطة ، وتأبى العصبية إلا أن يكون لها دور فتستفز الوالى أو هو يستثيرها وينقسم الناس بين مؤيد ومعارض ، ويأتى دور الناقمين والطامعين .

ولم يكتف أشرس السلمي القيسي سروره وفخره بعشيرته حينما تولى خراسان في عام ١٠٩ هـ وهلل لذلك بعض قومه حين قالوا :

لقد سمع الرحمن تكبير أمة غداة أتاها من سليم إمامها ^(٣)

لكن زعيم ربيعة يحيى بن الحضين ^(٤) وجم لهذا التعيين ، بل هو أذاع في الناس أنه قد رأى في منامه : أن سيأتيهم الوعر الصدر ، الضعيف الناهضة ، ولم يكن أشرس مغالياً في التعصب لقومه لكن عهده كان عصر فرقة قبلية ، وقد شهد نمواً متزايداً للدعوة العباسية ، كما شهد حركة تعتبر الأولى من نوعها وذلك حين انضم

(١) أحسن سعيد خُذينة بالنتائج الوخيمة للفرقة العربية وانتبه لمكائد حيّان النبطي فقتله لكنه عزل بعد فترة من توليه الإمارة بسبب تدمير بعض المضربين . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ١٨٠ .
(٢) أصبحت عملية تعيين الولاة وعزلهم بسرعة سمة مميزة لمدة تقارب السبعة عشر عاماً تولى الإمارة فيها ما يقارب العشرة من الولاة .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ١٩٥ .

(٤) يعتبر يحيى بن الحضين من السادة الكبار في خراسان ، خلف أباه على زعامة ربيعة وله مواقف عبّر عنها خلف بن خليفة البكري بالولاء بقصيدة وثائقية تشرح للخلفاء الأمويين موقف ربيعة المناهض للعنف ودعوتها الدائمة إلى طاعة أولياء الأمر . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ٢٠٠ وقد علق حسين علوان على القصيدة محللاً مواقف بكر بن وائل وزعيمها يحيى بن الحضين . انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ١٢٧ .

عدد من العرب من تميم والأزد إلى سكان ماوراء النهر الأصليين منتقدين سياسة الوالي ومعلنين الحرب عليه ^(١) ، أما الفرقة القبلية التي شهدتها عصر أشروس فإن ولاية أسد القسري في عام ١٠٦ هـ كانت سبباً في تأجيجها ، وقد حصر أسد القسري تعصبه في قومه الأزد دون أحلافهم من ربيعة وإن كانت ربيعة وقفت إلى جانب الأزد في موقعة « البروقان » في عام ١٠٦ هـ ضد المضريين ^(٢) على أن أسداً أطلق أهل اليمن والربيعين الذين كانوا من دعاة بني العباس وعذب المضريين وذلك حينما قبض عليهم في ولايته الثانية لخراسان ^(٣) .

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٠٢ .

(٢) كان الأزد وربيعة قد تأخروا عن اللحاق بمسلم بن سعيد الكلبي متذرعين بعدم حصولهم على الاعطيات ومضمرين التمرد فأرسل لهم مسلم بن سعيد نصر بن سيار ليجري عليهم روايتهم ويحثهم على اللحاق به غير أنهم امتنعوا فدارت رحى المعركة وانهزموا شرّ هزيمة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ١٧٥ . وفي هذا العام تولى أسد القسري إمارة خراسان فعذب عدداً من المضريين فيهم نصر بن سيار وأناس من وجوه تميم ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٠٠ .

(٣) ألجم أسد القسري موسى بن كعب التميمي أحد دعاة بني العباس لجام حمار وجذب اللجام فحطم اسنانه ودق وجهه . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٢٢ .

موقع بني تميم في الصراع القبلي بخراسان وبلاد ماوراء النهر :-

ترجع علاقة بني تميم بخراسان إلى الفترة الأولى التي وطئت بها أقدام الفاتحين الأولين الأرض الخراسانية ، فقد كان الفاتح الأول لخراسان هو سيد بني تميم ^(١) ، الأحنف بن قيس ، وقد سار إليها بجيش من البصرة التي تعتبر تميم من أهم قبائلها ^(٢) .

ولما اقتضى الأمر إعادة الفتح في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه كان الأحنف على مقدمة الجيش ومعه عدد من بني تميم ، على رأسهم سيد خندف في صدر الإسلام ، الأقرع بن حابس التميمي ، شهيد موقعة « الجوزجان » ^(٣) .

وقد أنشأ الأحنف ما يمكن أن يسمى بأول مركز للاستقرار العربي الإسلامي في خراسان متمثلاً في القصر المنسوب إليه ، والواقع بقرب « مرو » ^(٤) .

واسهم في الرفع من مكانة تميم في المجتمعين العراقي والخراساني أن عدداً من قادة الفتح في بلاد العراق وفارس وخراسان كانوا من بني تميم ومن هؤلاء على سبيل المثال : القعقاع بن عمرو ^(٥) ، وعاصم بن عمرو ^(٦) ، وجزء بن معاوية ^(٧)

(١) انظر ابن الأثير : الكامل جـ ٣ ، ١٦ .

(٢) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٩٤ .

(٣) وقد تقدم أن فتح خراسان كان في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عن في عام ٢١ هـ وتمت إعادته بعد الانتفاض في عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه في عام ٢٨ هـ . وفي مناقشة الآراء في الفتح انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٢٠ .

(٤) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٩٥ .

(٥) هناك نماذج رائعة من اخبار القعقاع ويطولاته في معارك القادسية وغيرها . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٢ ، ٢٤٠ .

(٦) هو فاتح سجستان . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٣ ، ٢٥٦ .

(٧) هو فاتح مدينة دروق . انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٢ ، ٢٢٠ .

وسُلَـمى بن القَيْن (١) ، والأحنف بن قيس ، وزهرة بن الحوية ، وكان زهرة هذا زعيماً مملوكاً في الجاهلية في نواحي هجر بأرض البحرين (٢) ، ولما اختط المسلمون البصرة والكوفة كانه هو نزيل الأخيرة منهما ، وحدث قبل ذلك أن جماعة من الديلم استأمنوا سعد بن أبي وقاص في القادسية واعتنقوا الإسلام باتفاق مع سعد ينص على أن ينزلوا حيث أحبوا ويحالفوا من شاءوا من قبائل العرب ويفرض لهم في العطاء ، وقد صار هؤلاء إلى زهرة بن الحوية فحالفوه (٣) ، ويقال أنهم في محالفتهم لهذا التميمي قد جاروا الأساورة في البصرة الذين حالفوا تميماً بعد أن أسلموا بشروط مشابهة لشروط الديلم (٤) .

وكان شيزوريه الأسواري قد أراد النزول مع خالد بن المعمر السدوسي في بكر ابن وائل لكن سياه الأسواري رفض ذلك ، وحالف التميميين (٥) .

وقيل بل هم فضلوا تميماً على الأزد وليس بكر بن وائل لقربة تميم من الرسول ﷺ (٦) .

وقد صنع السبابجة ، والزط صنيع الأساورة فحالفوا بني حنظلة التميميين وكان الأساورة مع بني سعد (٧) . وقد وقف أحلاف تميم على الحيدة في يومي الجمل

(١) هو فاتح مناذر ونهر تيري : انظر التفاصيل عند محمود شيت خطاب ، قادة فتح بلاد فارس ، ص ١٤٢ - ١٤٦ .

(٢) انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٢١٢ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ١٠٤ .

(٤) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٣٩ وقد دخل بعض الديلم في الأساورة عندما سيرهم زياد إلى البصرة . انظر إحسان النص : العصبية القبلية ، ٢٢٠ .

(٥) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٦٠ .

(٦) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٩٥ .

(٧) انظر إحسان النص : العصبية القبلية ، ٢٨٠ .

وصفين لكنهم شاركوا تميماً في صراعها مع الأزد وربيعة أيام فتنة مسعود في عام ٦٤ هـ (١) .

وأصبحت تميم في عصر بني أمية كتلة أكبر مما كانت عليه في الجاهلية إذ لم يعد لفظ تميم قاصراً على المنتمين إلى تميم بن مر بل توسع في ذلك حتى أصبحت التميمية تعني جميع فروع بني طابخة بن إلياس بن مضر^(٢) ، وهؤلاء هم : مزينة والرباب ، عكل ، وعدي ، وثور ، حالفوا ضبة في الجاهلية على تميم^(٣) إلى أن بلغت تميم القبيلتين معاً وأصبحتا في عدادها^(٤) .

ولما كانت تميم وأجلافها يحلون غالباً في أراضي متجاورة منذ الجاهلية^(٥) ، ولصلة القرابة التي تربطهم ببعض فإنه لم يوجد في تميم ذلك التنافر الذي يلاحظ في حلف القبائل البعيدة النسب كحلف ربيعة والأزد مثلاً ، بل أن أحلاف تميم ، وهم قرابتها - قد أغفلوا مسميات قبائلهم الصغرى وانضوا تحت مسمى تميم^(٦) ، وتحقق هذا فعلاً في خراسان ، ففارس خراسان زهير العدوي هو زهير التميمي البطل المغوار^(٧) ، وعثمان بن بشر المحتفز المزني هو أحد قادة تميم المشاهير أيام فتنة ابن

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٤٣ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٤٧٨ .

(٣) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ١٨٩ وما بعدها .

(٤) انظر حمد الجاسر : جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، ١٢٠ .

(٥) انظر البكري : معجم ما استعجم ، ٢٣ .

(٦) وتأكد ذلك في الفتنة القبلية التي شهدتها البصرة في عام ٦٤ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٢٢ .

(٧) يلتقي زهير مع بني تميم في أد بن طابخة بن إلياس بن مضر وبنو تميم منسوبة إلى تميم بن مر ابن أد . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٢٢٠ .

خازم^(١) ، وضرار بن الحُصين الضبي هو الزعيم الذي ينافس وكيع بن حسان على سيادة قبيلة تميم أيام قتيبة بن مسلم^(٢) .

ومما تميز به التميميون في خراسان هو أن فروعهم أو غالبيتها مثلت هناك ، فنزل خراسان أناس من بني سعد : منقريون وقريعيون ، وصريميمون ، وعطارديون ، وفروع أخرى من مقاعس والبطون ، والأبناء ، ونزلها أناس من بني حنظلة : مجاشعيون ، ويربوعيون ، وغيرهم ونزلها أناس من بني عمرو ، ونزلها أناس من ضبة ، ومزينة ، وعدي ، وثور .

وقد تنوع النشاط التميمي في خراسان وتعددت مجالاته ، فبرز في تميم فرسان مشاهير ، وأبطال مغاوير ، وصفهم الطبري : « أن الواحد منهم كأنه كتيبة » ، وقال اثناء الحديث عن فتنة ابن خازم : أن قد توفر لتميم « فرسان لم ير مثلهم » لمصاولة ابن خازم ومجالدته^(٣) ، ومن هؤلاء : الحريش بن هلال القريني السعدي ، الذي كان من خيرة أبطال أهل البصرة^(٤) . وقد كان على خمس تميم حينما سار المهلب لقتال الخوارج « الأزارقة »^(٥) ، ثم أصبح ذا شأن مع قومه في خراسان^(٦) .

ومنهم شماس بن دثار العطاردي السعدي ، أول من تصدى من بني تميم لابن خازم ورفض تنكره لهم ، وقد فارق شماس تميمًا حينما انشقت على نفسها ونزل

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ٨٨ . ومزينة هم : بنو عمرو ابن أد انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٩٦ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٩٤ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ٩٥ .

(٤) انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ص ١٢٩ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ٨٨ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ٤٢ وقد كان الحريش شاعراً مجيداً انظر حسين علوان :

الشعر العربي بخراسان ، ص ١١٩ .

سجستان ، غير أنه ما لبث أن عاد ، وسار مع أمية بن عبد الله في ٧٧ هـ مجاهداً في بلاد ماوراء النهر (١) .

وبرز في تميم شعراء فحول ، دونوا مآثرها ، وسجلوا بشعرهم مفاخرها .
والتحموا مع شعراء القبائل الأخرى في نقائض هجائية لم تصل إلى حد الاقتداء في معظمها (٢) . وقد أُعتبر المغيرة بن حنبل شاعر تميم الأول في خراسان (٣) ، وهو حنظلي من الفرسان الأشداء (٤) ، وقد نشأ في حنظلة شعراء آخرون كالشمردل ابن شريك وهو يربوعي ينحو في شعره منحى الأراجيز التي يدور معظمها حول الصيد (٥) ، وكأبي الهندي اليربوعي (٦) الذي مال إلى العبث والمجون في سلوكه وشعره ، ومن غير بني حنظلة هناك حاجب الفيل مازني من بني عمرو (٧) .

وهذا التفوق الشعري الذي تميزت به تميم لم يقف عند حد أن يكون لها شعراء بخراسان يرصدون حوادث سيرها ، بل أن شعراء تميم في البصرة قد عاشوا بخراسان بأحاسيسهم ومشاعرهم ، ويكفي أن نشير للفرزدق الذي كان يستشعر مكان قبيلته استشعاراً قوياً (٨) ويبدئ ويعيد في المعاني التي ردها الشعراء التميميون بخراسان وهو في العراق مع الإسهاب والمبالغة في هذه المعاني (٩) حتى أنه ليتمكن القول بأن الفرزدق

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٨١ ، ٢٧٥ .

(٢) انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ص ٩٦ .

(٣) انظر المبرد : الكامل ، ج ٢ ، ١٤٣ .

(٤) انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ٣٢٠ .

(٥) انظر الآمدي : المؤلف والمختلف ، ٢٠٥ .

(٦) جده شيب بن ريمي الرياحي اليربوعي سيد بني يربوع بالكوفة . انظر الجمحي : طبقات الشعراء ١٤٧ . ومياني التفصيل في ذلك عند الحديث عن الشعراء العرب في خراسان في الفصل الخامس .

(٧) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٥ ، ٣٥١ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ٢ ، ٦٣١ .

(٨) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٨٥ .

(٩) فخر الفرزدق بقتل تميم لأبن خازم وانكر على قومه التميميين اشتراكهم في فتنة ابن الأشعث كما =

كان له حضور شعري في خراسان أكثر من بعض شعراء تميم الموجودين هناك .

والفرزدق من أشد شعراء العصر الأموي تعلقاً بقومه وتعصباً لهم ولذلك كانت المآسي التي تحل بهم تثير أشجانه ولواعج نفسه فيأدر إلى رثائهم ، كما أنه قد وقف جانباً من شعره على البارزين من قومه ، مطنباً في ذكر أخبار تميم ومعتبراً كل ماحوت خراسان أمجاداً لهم ومآثر^(١) .

وبلغ التميميون شأواً بعيداً في دفع حركة الفتح الإسلامي ، وأعتبرت بعض المناطق فتحاً تميمياً خالصاً وذلك كمدينة « بخارى » أيام قتيبة^(٢) ، وأنقذ فرسان تميم الجيوش الإسلامية الفاتحة من مآزق كثيرة كما حدث في « سمرقند » أيام الجنيد المري^(٣) ، وردوا هجمات عنيفة على حصون المسلمين كما في قصر « اسفاد » أيام ابن خازم ، وكما في قصر « الباهلي » في عام ١٠٢ هـ^(٤) .

= اطنب في قصة مقتل ركيع لقتية ، وتصدى بقوة لتعصب القسريين خالد وأخيه أسد . وأفاض في مدح ابن أحوز قاتل آل المهلب ، كل ذلك بروح جياشة وعاطفة مندفة . انظر ديوان الفرزدق ، ٧٥ ، ١٠١ ، ١١٤ ، ٢٠١ ، ٢٥٥ .

(١) انظر إحصان النص : المعصية القبلية ، ٢٨٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٦٨ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٢٩ .

(٤) قصر الباهلي من أعمال سمرقند وكانت تميم قد صدت الترك حينما أرادوا اقتحامه والتزوج من امرأة عربية بالقوة وفي ذلك قال كعب بن معدان الأنشكري :

أناك أناك الغوث في برق عارض دروع وبيض حشوهن تميم
أبو أن يضموا حشو ما تجمع القرى فضمهم يوم اللقاء صميم

وقال ثابت قطنة :

فدت نفسي فوارس من تميم غداة الروح في ظنك المقام

فمن مثل المسيب في تميم أبى بشر كقادمة الحمام

يذكر بلاء المسيب بن بشر الرياحي التميمي . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٦٢ . وقد أبلى في ذلك اليوم الأشهب بن عبد الله الحنظلي التميمي . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٩٤ .

وكان في طليعة تميم في هذه الغزوات فرسان كثير عرفوا بالشدة والصرامة
كشعبة بن ظهير النهشلي الحنظلي^(١) ، وسورة بن الحر الدارمي الحنظلي^(٢) ،
وعاصم بن عمير السعدي^(٣) .

وتولى إمارة خراسان من تميم خُليد بن قرة اليربوعي وكان ذلك في أيام علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه ، ويكير بن وشاح العطاردي في عام ٧٢ هـ ، ووكيع
ابن حسان اليربوعي في عام ٨٦ هـ ، وتولى عدد منهم مناصب مختلفة مثل : إمارات
المدن ، والشرطة ، وقيادة الجيوش ، ومن أبرزهم في ذلك سلم بن أحوز المازني من بني
عمرو بن تميم الذي كان على شرطة نصر بن سيار في أخريات أيام بني أمية^(٤) .

وكان للتميميين دور بارز مؤثر في الفتن الداخلية التي شبت في خراسان ولعل
أبرزها صراعهم مع بكر بن وائل وابن خازم الذي استمر لعدة سنوات^(٥) ، وخلافهم

(١) وقد تولى إمرة السغد في عام ١٠٢ هـ . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٦٢ .

(٢) كان سورة بن الحر الدارمي أميراً على سمرقند ، وقتل في وقعة الشعب عام ١١٢ هـ أيام الجند
المري . فقال هشام بن عبد الملك : إنا لله وإنا إليه راجعون مصاب سورة بخراسان ، ومصاب الجراح
الحكمي بالباب . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢١١ .

(٣) تأمر عاصم في سمرقند وله أعمال بطولية رائعة قتل في عام ١٣١ انظر ترجمته في كتاب أعلام

تميم لحسين حسن ، ص ٤٥٩ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٣٩ .

(٥) لم يكن هذا الصراع صورة طبق الأصل لحروب الجاهلية إذ هو نزاع على المصالح وامتلاك البلاد
والسيادة لا على المكاسب المادية الوقتية ثم أن الإطار العام لقبيلتي بكر وتميم قد اتسع ودخل فيه
حتى أحلاف القبيلتين من غير العرب كبني صهيب أحلاف بني قيس بن ثعلبة البكرين الذين
رفضوا الصلح مع تميم وابن خازم وأيضاً فإن هذا الصراع يدور في أرض تختلف في شكلها وتكوينها
عن صحراء العرب التي ألفوها في جاهليتهم ، والحرب هنا حرب مدن وختناق مما لا تألفه أكثر فروع
هاتين القبيلتين فضلاً عن أن العرب قد أصبحوا ذوي مبادئ وأهداف مبنية لأهداف ومبادئ النظام
الجاهلي ، ومعنى هذا أن هذا الصراع ليس صراعاً عرياً بمعناه المعروف قبل الإسلام ولا هو ردة
جاهلية بالرغم من أن اصداء هذا الصراع ظلت تستفز حمية القرابة وتستثير السخائم والأحقاد
القديمة .

مع قتيبة بن مسلم الذي أسفر عن مصرعه على يد وكيع بن حسان بن أبي سود ،
 لكن الفتنة الأشد وقعاً وأبعد أثراً هي تلك الحركة الإنشقاقية التي قادها الحارث بن
 سريج المجاشعي الحنظلي التميمي والتي امتدت لمدة تزيد عن الاثنى عشر عاماً^(١) ،
 وحملت في ثناياها صراعاً مذهبياً فكرياً قليباً ، ذلك أن الحارث نقم على الولاة مارآه
 من إخلال بالأموال الشرعية ثم هو قد تبني مذهب الإرجاء وجاء بأفكار غريبة متشددة
 ليست من الإرجاء واتبعه على ذلك خلق كثيرون شقّ بهم عصا الطاعة ، واستولى
 على عدد من المدن والبلدان فاضعفت مركز السلطة الحاكمة في أيام نصر بن سيار
 وزاد من هوة الانشقاق القبلي ، مما سهّل لدعاة بني العباس مهمة الاستيلاء على
 خراسان واسقاط حكم بني أمية^(٢) .

وقد بدأت فتنة التميميين مع الولاة وفيما بينهم بوقوف أحد بني جشم السعديين
 في وجه ابن خازم حينما قدم « مرو » ولم يكن من صالح ابن خازم وقد تغلب على
 « مرو » أن يكسب عداوة تميم لأن بكر بن وائل قد امتنعت عليه وطمعت في
 إحتلاك خراسان ، وتقرب ابن خازم إلى بني تميم مستثيراً فيهم الحمية المضربة ومؤكداً
 على علاقة المصاهرة التي تربطه بهم بل ومنيهم الإمارة^(٣) .

ومع بغض بعض بني تميم للحرب الدائرة بينه وبين بكر فإنّ تميماً قد صفّت له

(١) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ٢٦ .

(٢) خرج الحارث بن سريج عام ١١٦ هـ في ولاية عاصم بن عبد الله الهلالي ولما انهزم جيشه أمام
 أبواب « مرو » انصرف إلى بلاد ما وراء النهر ، فاقام اثنتى عشرة سنة ، وفي عام ١٢٧ هـ عاد إلى
 « مرو » بعد أن أرسل إليه نصر بن سيار أماناً من يزيد بن الوليد غير أنه مالبث أن عاد إلى سيرته
 الأولى حتى قتل في عام ١٢٨ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ٢٥٩ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٦٥ .

خراسان فلما كان ذلك اطرَحهم « وجفاهم »^(١) فانقلبوا عليه في حرب شديدة العنف ، وقد تفرق جمعهم ، وانقسموا إلى أحزاب شتى إلا أنه مع ذلك لم يستطع التغلب عليهم فقد قتلوه وادالوا دولته .

وحين أحس بُكير بن وشاح بقرب قدوم وال جديد على خراسان حاول التقرب إلى ابن عمه ومنافسه السجين بحير بن ورقاء الصريمي^(٢) ، لكن بحيراً رفض ، فسعى بالصلح بينهما الزعيم التميمي الكبير ضرار بن حصين الضبي بعد أن وقفت مقاعس والبطون من بني سعد مع بحير ، ووقف الأبناء السعديون مع بكير^(٣) . ولم يشأ أمية بن عبد الله أن يعرض لبكير وعماله وهو الذي جاء لإطفاء نائرة قبائل خراسان بصفة عامة وبني تميم بصفة خاصة ، بل أن أمية عرض على بكير منصب الشرطة^(٤) فلما لم يقبله تقلده بحير ، وحين هم بكير بالمسير إلى « طخارستان » والياً عليها من قبل أمية ، غير أمية رأيه في ذلك بمشورة بحير وأبقى بكيراً ، ثم أغزاه بلاد ماوراء النهر وعدل عن ذلك أيضاً .

ولما غزا أمية بلاد ماوراء النهر ، أخذ بكير أمعه ، فلما كانا في منتصف الطريق رده إلى « مرو » والياً عليها فما أن وصلها بكير حتى خلع الطاعة وانتقض على أمية بمؤازرة رجال من تميم من أمثال : عتاب اللقوة ، والأحنف العنبري^(٥) ، وبعد حرب بين

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٧٥ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٣٧٨ ، جـ ٤ ، ص ٢٠ .

(٣) أرسل بكير لبكير أربعين ألفاً واخذ عليه أن لا يقاتله . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ١٩٧ .

(٤) رفض بكير أن يكون على شرطة أمية وقال : كنت أمس والي خراسان تحمل الحراب بين يدي فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحرب . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢٠٩ .

(٥) لما هم بكير بالعودة إلى « مرو » بأمر من أمية أشار عليه عتاب اللقوة بأن يحرق السفن ويستولي على « مرو » بعد أن يخلع أمية ويأكلها إلى زمن ، وقد أيد الأحنف العنبري اليربوعي هذا الرأي واطاعهما بكير ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢٠٩ .

أمية وبكير اصطلاح الاثنان على أن يقضي أمية عن بكير ٤٠٠ ألف ^{دھم} ويصل أصحابه ،
ويوليه أي كورخراسان شاء ^(١) ، على أن مدة الصلح لم تدم طويلاً حيث هم بكير
بالتمرّد مرة أخرى فقبض عليه أمية في سنة ٧٧ هـ ودفعه إلى غريمه بحير بن ورقاء
الذي قتله ولم يستمع إليه حين قال : إنك بقتلي تفرق أمر بني سعد ، بل كان رده
عليه : أن بني سعد لن يتفقوا مادنا حين ^(٢) .

والذي يلاحظ هو أن انشقاق بني تميم قد زاد بعد أن أقصي بكير عن الولاية ،
فكان شماس بن دثار وهو عطاردي من عشيرة بكير مع بحير ، وكان على مقدمة
جيش أمية المكلف بالقضاء على ثورة بكير في « مرو » ^(٣) ، بل أن كثيراً من
الزعماء التميميين ^(٤) كانوا مع بحير ولا شك أنهم قد نعموا على بكير مولاته لابن
خازم أثناء صراعهم معه ، وأيضاً إقدامه على سجن بحير وادعاء قتل ابن خازم ، ومع
ذلك فإن بكيراً لم يعدم مؤيداً من التميميين حتى بعد وفاته فقد قال عثمان بن رجاء
السّدي :-

فلو كنت من عوف بن سعد ذؤابة تركت بحيراً في دم مترق
فقل لبكير نم ولا تخشس نائراً بعوف فعوف أهل شاة حبلق ^(٥)
وهو بذلك يستنهض بني عوف بن كعب للأخذ بثأر بكير ^(٦) ، وقد أثارت

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ٧٠ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٢١١ .

(٣) انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٢٨٠ .

(٤) من أمثال ضرار بن الحصين الضبي ، وعبد العزيز بن جارية بن قدامة السّدي ، وقد شهدا مع بحير

علي بكير عند أمية وقالوا : أنه يزعم على الثورة فقال بكير : إن هؤلاء اعدائي ، انظر الطبري : تاريخ

الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ٢٧٩ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٨ ، ٦ .

(٦) انظر إحسان النص : العصبية القبلية ، ٢٨١ .

أبياته حفيظهم فتعاقد منهم ١٧ رجلاً على الطلب بدم بكيّر وقتله واحد منهم (١) .

والقصة في ذلك طويلة على أن خلاصتها هي أن صَعَصَعَةَ بن حرب من بني عوف بن كعب بن سعد خرج من البادية إلى سجستان مدعياً أنه من بني حنيفة ، فلاتف قرابة بحير هناك ، ثم قال إني سائر إلي بحير طمعاً في أن يعينني على رد ميراث غلبت عليه وأود لو كتبتكم معي إليه ، ففعلوا ذلك فسار حتى أدرك بحيراً بـ « آخرون » فيما وراء النهر مع المهلب بن أبي صفرة ، ومكث معه زمناً متردداً إليه على أنه حنفي من بكر بن وائل وإلا فقد كان بحير كثير الاحتراس ولا يأمن أحداً .

وفي غفلة من بحير في يوم من الأيام دنا منه وقتله ، فقال الناس خارجي ، وصاح هو ، يالثرأت بكيّر ، وأنا ثائر بكيّر ، وقد طبّت نفساً حينما قتلته أمام الملاء ولو أردت غير ذلك لفعلت (٢) ، وانتهى الأمر به إلى القتل ، غير أن بني عوف والأبناء ثاروا لما يروونه من عدم وجود مبرر لقتل صَعَصَعَةَ وقد قتل بحيراً بكيّر ، وضع بنو مقاعس والبطون حمية لبحير ، وخاف الناس أن يعظم البأس لكن أهل الحجي مع المهلب حملوا دم صَعَصَعَةَ وجعلوا دم بحير بواءً بكيّر (٣) . وكان ذلك في عام ٨١ هـ (٤) .

وقد ظلت أخبار بني نعيم تتوالي ، وحوادثهم تتصل في خراسان على المستويين

(١) كان بحير يُعلم بأن المتصبيين لبكيّر يطلبون دمه وقد قال في ذلك :

توعدني الأبناء جهلاً كأنما يرون فضائي مقفراً من بني كعب

رفعت له كفي بحدٍ مهند حسام كلون الملح ذي رونق غضب

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٥ .

(٢) قال المهلب بن أبي صفرة : مارأيت رجلاً أسقى بالموت من هذا انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ،

ص ٧٦ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٧ .

(٤) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ٣٩ .

الداخلي والدارجي ، وفي عام ٩١هـ وفي أتون احتدام معارك الفتوح الإسلامية في بلاد ماوراء النهر كان بنو تميم يسجلون ضروباً من الشجاعة المنقطعة النظير ، وقيل أن قتيبة بن مسلم لم ير لتميم هذه المزية ، ثم أنه قتل الأهاتم من بني منقر السعديين ^(١) ، ولم يقبل شفاعة وكيع التميمي فيهم وصرف إمارة تميم عن وكيع وقلدها ضرار ابن الحصين الضبي .

وما أن أهل عام ٩٦هـ حتى كان قتيبة يعيش مأزقاً خطيراً وهو قد أجاب الوليد ابن عبد الملك إلى نزع ولاية العهد من أخيه سليمان ، وجعلها لابنه عبد العزيز ، وقد مات الوليد وتولى الخلافة سليمان فخافه قتيبة ، وخشي قدوم يزيد بن المهلب إليه ، فغزا فرغانة ^(٢) ، واضطرب أمره حين دعا القبائل إلى خلع الخليفة فلما لم يجبه أحد انهال على الناس شتماً وتوبيخاً حتى استفزهم ^(٣) ، وغضبت الأزدي غضباً شديداً همّت معه بالفتك بقتيبة لولا أن أشار عليها زعيم ربيعة الحصين بن المنذر بالترث لكلا تتعصب تميم ، وقد انتهى الأمر إلى يتولى حيّان النبطي ^(٤) مهمة تأليب الناس للقضاء على قتيبة .

وقد وجد حيّان ضالته المنشودة في وكيع بن حسان بن أبي سود التميمي ،

(١) أثار الأهاتم الجيش على قتيبة فاستأذن الحجاج في قتلهم فأذن له وفي ذلك قال كعب الأشقر الأزدى :

قل للأهاتم من يعود بفضله بعد المفضل والأغر يزيد

رداً صحائف حنككم بمعاذر رجعت أشاتم طيركم بسعود

انظر الأصبهاني : الأغاني ، ١٤ ، ٢٩٣ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٣٨ .

(٣) وكان القيسيون ممن نالهم شتمه وتوبيخه فلما أحس بالخطر قال : أين بنو عامر ، فقال محفن ابن

جزء الكلابي نادم حيث وضعتهم ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٢٣ .

(٤) هو من موالى بني شيان ، وعن دورة التميمي في هذه الفتنة انظر د . المصري : أثر أهل الكتاب في

الفتن ٥٥٢ .

الموتور بقتل الأهاتم ، والفاضب على قتيبة لغمطه حق تميم وصرف رئاستها عنه ،
والمملوء زهواً وتيهاً بجفاء وعنجهية شديدين ، وبائع الناس وكيماً ففتك بقتيبة في
أحداث مؤلة مؤسفة ، ملأت أعطاف كثير من الشعراء غروراً فراحوا يتجاذبون قضية
مقتله مفاخرين بقبائلهم ومباهين بزعمائها ، فعل ذلك ثابت قطنة الأزدي (١) ، ونهار
ابن تَوْسعة البكري (٢) ، وأوغل في ذلك الفرزدق حين نظم ميميته ذات المائة
والخمسين بيتاً (٣) .

وقد كان لمصرع قتيبة (٤) أثر سلبي كبير حيث توقف المد الهائل للفتح
الإسلامي ، وتضخم التعصب القبلي فأناح ذلك لنقباء الدعوة العباسية أن يظهروا

(١) قال ثابت قطنة :

ألم تر أن الباهلي ابن مسلم - « فرغانة » القصوى بدار هوان
انظر أبو عبيدة : النقائض ، ٣٦٣ .

(٢) وقد قال نهار :

ولما رأينا الباهلي ابن مسلم - نجير عممناه عضباً مهناً
انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٢٥ .

(٣) ولم يقتصر الفرزدق في الفخر بمقتل قتيبة بميميته التي منها قوله :

تميرنا أيام قيس ولم ندع - لعلنا أنفأ مستقيم الخياشم
وإنما له قصيدة أخرى منها قوله

ومنا الذي سل السيوف وشامها - عشية باب القصر من « فرغان »
وفي موت وكيع قال الفرزدق :

لقد رزئت بأساً وحزماً وسودداً - تميم يرمي يوم مات وكيع
انظر المبرد : الكامل ، ج ٢ ، ٣٦٢ ، ديوان الفرزدق ، ٣٢٥ .

(٤) ألح بعض القيسيين - استجابة لدواعي المصيبة - على أن قتيبة قد قُتل وهو على طاعة السلطان وقد
كلّف سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب بأن يطلب البيّنة على ذلك على أن وكيماً لم يقد
بقتيبة ومات موتاً طبيعياً . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٤٥ ، المبرد : الكامل ، ج ٢ ،
٣٦٢ .

في خراسان على رأس المائة الأولى للهجرة^(١) ، وأتاح ذلك للمتعصبين من العرب أن يصطدموا ببعضهم في عام ١٠٦ هـ ، والأشد من ذلك والأنكى هو أن الفرقة والشتات سهّل للمبادئ التي نادى بها الجهم بن صفوان حين علا صوته بالمذهب المنسوب إليه^(٢) .

وحين أحس الخليفة هشام بن عبد الملك بما يجره التعصب القبلي من متاعب جرّد خالداً القسري والي العراق وخراسان عن مناصبه ، وذلك في عام ١٢٠ هـ وهو العام الذي مات فيه أسد ، وولى خراسان رجلاً لا عصبية له هو نصر بن سيار^(٣) .

والناظر في أمر نصر يجد أنه كما قال الخليفة : « لا عصبية له » . لكن نصراً كان يحارب في صفوف بني تميم في الغزوات كما في معركة الشعب سنة ١١٢ هـ^(٤) ، وأيضاً فقد كان من بين النفر التميميين الذين عذبهم أسد في خراسان عام ١٠٨ هـ وأرسلهم إلى أخيه خالد في العراق^(٥) ، وقبل ذلك انتصرت تميم وقادها هو في وقعة « البروقان » سنة ١٠٦ هـ .

وحين تولى نصر أمر خراسان كان قريباً من بني تميم بل هو واحد منهم

(١) وكان عددهم اثني عشر نقيباً . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٦ .

(٢) الجهم من موالي بني تميم وفي بعض الروايات أنه من موالي بني راسب اليمانيين ، سار مع الحارث ابن سريج وأصبح كاتبه ونادى بمذهب الأرجاء ثم انحرف عنه إلى ما هو أشد كفرةً ونكراً (مذهب الجهمية) ، والجهمية تعطل الله سبحانه وتعالى عن صفاته وتقول بخلق القرآن . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٩٢ ، الشهرستاني : الملل والنحل ، ٨٦ .

(٣) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ٧٨ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٨٩ .

(٥) وفي ذلك قال الفرزدق مخاطباً خالداً القسري :

أخالد لولا الله لم تعط طاعة ولولا بنو مروان لم يوثقوا نصرا

إذن للقيتم عند شد وثاقه بنى الحرب لا كشف اللقاء ولا ضجرا

انظر المبرد : الكامل ، ج ٢ ، ٣٢٧ .

للأسباب التي تقدم ذكرها ، وللرابطة الخندفية التي تجمعهم بهم وقد قال في ذلك :

أنا ابن خُندف تمنيني قبائلها للصالحات وعمي قيس عيلاناً

وما من شك في أن نصراً أراد أن يتقوى ببني تميم ويحول أيضاً دون استمالة الحارث بن سريج لهم ، وكان نصر وسلم بن أحوز التميمي متلازمين أيام أسد القسري فلما أصبح نصر أميراً جعل بن أحوز على شرطته ، وجعل وشاح بن بكير ابن وشاح على « مرو » العاصمة ، وعاصم بن عمير التميمي على « سمرقند » وقد بلغ من تعصب بني تميم لنصر أن أنكروا محاولة خلعه عند الخليفة هشام عام ١٢٣ هـ ، وكان يوسف بن عمر الثقفي يقف وراء هذه المحاولة (١) .

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٣٦ .

الفصل الرابع

حياة القبائل العربية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية

- ١ - علاقة القبائل العربية بالأعاجم .
- ٢ - موقف القبائل العربية من الحياة الجديدة وأهم الأعمال التي زاولها العرب .
- ٣ - موقف القبائل العربية من الفتن المذهبية .
- ٤ - شعر القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر وأثر اللغة والأدب العربيين في تلك البلاد .
- ٥ - جهود العلماء العرب في خراسان وبلاد ماوراء النهر في الدراسات الشرعية .

علاقة القبائل العربية بالأعاجم :

تتضح معالم العلاقة بين العرب وأهل خراسان الأصليين منذ اللحظة الأولى التي دخل الجيش الإسلامي فيها الأرض الخراسانية ، ولعل المكاتبات الدائرة بين الأحنف ابن قيس التميمي ومرزبان « مرو » تصلح لأن تكون أساساً للبحث في هذه العلاقة والنظر في أشكالها وتطوراتها ^(١) .

ونص ماكتب به مرزبان ^(٢) « مرو الروذ » إلى الأحنف كالآتي : « إلى أمير الجيش : إنا نحمد الله الذي بيده الدول يغير ما شاء من الملك ويرفع من شاء بعد الذلة ، ويضع من شاء بعد الرفعة ، وانه دعاني إلى مصالحتك وموادعتك ما كان من إسلام جدي ، وما كان رأي من صاحبكم من الكرامة والمنزلة ، فمرحبا بكم وابشروا ، وأنا أدعوكم إلى الصلح فيما بينكم وبيننا على أن أؤدي إليكم خراجاً ، ستين درهم ، وأن تقروا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جد أبي ، حيث قتل الحية التي أكلت الناس وقطعت السبل من الأرضيين والقرى بما فيها من الرجال ، ولاتأخذوا من أحد من أهل بيتي شيئاً من الخراج فإن جعلت ذلك ولاتخرج المرازبة من أهل بيتي إلى غيركم ، فإن جعلت ذلك ليخرجت إليك ، وقد بعثت إليك ابن أخي ماهك ليستوثق منك بما سألت » ^(٣) .

ورَد الأحنف عليه بالآتي : بسم الله الرحمن الرحيم : من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مرو والروذ ومن معه من الأساورة ^(٤) والأعاجم : سلام على من اتبع الهدى وآمن واتقى : -

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ١١٧ .

(٢) المرزبان هو الحاكم ، انظر حسين بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ٨٣٠ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ١٢٠ .

(٤) الأساورة هم الفرسان ويشكلون القسم الرئيسي في الجيش الفارسي ، وأصنافهم ثلاثة : أساورة خالدون ، وأساورة متطوعون ، وأساورة فدائيون (جنود مأجورون) انظر حسن بيرنيا : تاريخ إيران القدم ، ٢٩٩ .

أما بعد : فإن ابن أخيك « ماهك » قدم علي ، فنصح لك جهده وأبلغ عنك وقد عرضت ذلك علي من معي من المسلمين ، وأنا وهم فيما عليك سواء ، وقد أجبتك إلى ما سألت وعرضت ، علي أن تؤدي عن أكرثك ^(١) وفلاحيك والأرضين ستين ألف درهم إليّ وإلى الوالي من بعدي من أمراء المسلمين ، إلا ما كان من الأرضين التي ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطع جد أبيك لما كان من قتله الحياتي ^{التي أفسدت الأرض وقطعت السبل والأرض لله ولرسوله} يورثها من يشاء من عباده ، وإن عليك نصرة المسلمين وقتال عدوهم بمن معك من الأساورة إن أحب المسلمون ذلك وأرادوه ، وأنّ لك على ذلك نصرة المسلمين على من يقاتل من وراءك من أهل ملتك جار لك بذلك مني كتاب ، يكون لك بعدي ولا خراج عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الأرحام . وإن أنت أسلمت واتبعت الرسول ﷺ كان لك من المسلمين العطاء والمنزلة والرزق وأنت أخوهم ، ولك بذلك ذمتي وذمة أبي وذم المسلمين وذم آبائهم [«] وشهد علي مافي هذا الكتاب جماعة من المسلمين ، وكتبه كيسان مولى بني ثعلبة . وختم أمير الجيش الأحنف ابن قيس (نعبد الله) ^(٢) .

فهذه الوثيقة التاريخية من الأحنف أمير الجيش تبين كيفية الصلح الذي يتم على الأرض علماً بأن أراضي خراسان قد افتتحت صلحاً ^(٣) ماعدا بعض الأجزاء الصغيرة كناحية « سنك » ^(٤) في أرض « مرو الشاهجان » العاصمة الخراسانية ^(٥) .

(١) الأكار : الحراث ، وأكر الأرض أكرأ حرثها وزرعها ، والمؤاكرة المزارعة على نصيب معلوم ، انظر الجوهري : الصحاح ، جـ ٣ ، ٩٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٥ ، ٧٥ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٥٧ .

(٤) وقد يقال لها : « سنج » تقع غرب « مرو » وقال ياقوت : هما قرنتان أحدهما من أعظم قرى « مرو الشاهجان » . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ١٠٥ . وكفي لسترخ : بلدان الخلافة الشرقية ،

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٥ ، ٧٥ .

أما صاحب الأرض فله ما للمسلمين من العرب وعليه ماعليهم إذا هو دخل في الإسلام إذا أصبح أخاهم مساوياً لهم في « العطاء والمنزلة والرزق » .

وطبق هذا المبدأ من أول يوم قدم فيه أهل الصلح من الخراسانيين خراجهم ، ورفض العرب المسلمون الزيادة في ذلك حتى وإن كانت برضى أهل الأراضي ودهاقينهم ، ونرى ذلك واضحاً جلياً في مسألة أسيد بن المششم التميمي خليفة الأحنف على « بلخ » حين جمع أهل « بلخ » له هدايا كثيرة وحملوها إليه مع ما صولحوا عليه ، فرفض أسيد ذلك وامتنع عن الافتاء بشأنه حتى قدوم الأحنف فلما قدم الأحنف رفض أخذ هذه الهدايا مع أنها كانت عادة متبعة لدى أهل تلك البلاد بحيث يقبض ولاتهم السابقون منهم هدايا الأعياد وخراج الأراضي (١) .

وفي خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه قدم عليه ماهويه مرزبان « مرو الشاهجان » فأقره على ما كان بينه وبين المسلمين من الصلح وجباية الخراج التي يقوم بها الدهاقين من الفرس (٢) .

وكان أول وال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه على خراسان أعجباً (٣) وظلت جباية الخراج بأيدي الدهاقين في عصر بني أمية لمعرفتهم بالأراضي ، ودقتهم في الحساب وانضباطهم (٤) ، أما إمارات المدن والقرى السابقة للإسلام فظلت كما هي وظل حكام المعجم ممن دخلوا في الصلح من « الأصبهانيين » و « المرازمة » و « الدهاقين » حكاماً في أوطانهم بعد الإسلام .

وقد لاحظنا كيف أن « نيزك طرخان » لما استثار الأعاجم في عهد قتيبة نهض

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٦٠ .

(٢) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٩٩ .

(٣) هو عبد الرحمن بن أبيزى مولى قبيلة خزاعة الأزدية اليمانية انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٩٩ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ٢٩٨ ، ضياء الدين الريس : الخراج ، ١٩١ .

الملوك والمرازبة ، والدهاقين الحاكمون في البلاد الخراسانية الإسلامية كـ « بلخ » و « الفارياب » و « الجوزجان »^(١) .

وتمسك الولاة في العهد الأموي بالنصوص المتفق عليها بين أهل الأراضي والفاحين ، ووقفوا على حد ما يؤخذ على الأرض الخراجية فقط^(٢) ، ورفض أحدهم وهو الحكم الغفاري أن يصطفي مازاد على ذلك^(٣) . وبقي ديوان الحسابات أعجمياً حتى أواخر العهد الأموي يقوم عليه كتبة من المجوس^(٤) ، وحينما حاول أشرس السلمي فرض الجزية على من أسلم أنكر ذلك العجم والعرب على حد سواء^(٥) ، وقبل ذلك كان بكير بن وشاح التميمي ينكر جور الدهاقين في جباية الخراج منتصراً للعرب والعجم ملاك الأراضي^(٦) .

والعجمي والعربي واحد في العطاء ، ولم يقبل الأعاجم أن ينقص إعطياتهم وشكوا واليهم الجراح الحكمي إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز بسبب العطاء فانتصر لهم وعاقب الوالي^(٧)

وقد ارتبط العجم بالعرب برباط المعاهدة في ظل الإسلام ، وانتمى العجم إلى القبائل العربية عن طريق هذه المعاهدة ، وهي معاهدة حلف يصبح الأعجمي بموجبها

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٧٥ .

(٢) انظر د . المصري : الموالي ، ص ٧٠ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ص ١٣٠ .

(٤) وقد كتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار في عام ١٢٤ هـ أن ينقله إلى العربية ولا يولي عليه إلا مسلماً فنقله وولى عليه إسحاق بن طلق النهشلي التميمي وهو أول من نقل الكتابة من الفارسية إلى العربية ، انظر ضياء الدين الريس : الخراج ، ص ٢٢٢ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٢٠٦ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٢٠٨ .

(٧) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ١٣٨ .

منتعياً إلى القبيلة ولاءً ، كما أن العربي منتعٍ إليها ولاءً أو نسباً^(١) .

والحلف مألوف لدى العرب منذ جاهليتهم فتضم القبيلة أحياناً قوماً بينهم نسب قريب كما في قبيلة الرباب^(٢) ، أو نسب بعيد كما في الحمس ، وأحلاف قريش^(٣) ، أو أبعد من ذلك كحلف بعض القبائل العدنانية والقحطانية^(٤) .

لكن الإسلام عدل في مفهوم الحلف الجاهلي فلم يعد بين المتحالفين تمايز طبقي وعلى سبيل المثال فإن دية الحليف والصريح أصبحت متساوية في الإسلام على خلاف ما هو في الجاهلية ، وشارك أحلاف العرب الذين هم « مواليهم » في الحياتين الاجتماعية والاقتصادية ، وغيرهما في خراسان ، وبرز منهم القواد والولاة والمستشارون ففي عام ٦٤ هـ احتدم الصراع بين ابن خازم وبكر بن وائل فكان بنو صهيب البكريون بالولاء ذوي أثر بارز في الحرب ، بل ورفضوا الاستكانة أو الخضوع لابن خازم حميةً للبكرين^(٥) .

وحين سار أمية بن عبد الله لغزو بلاد ماوراء النهر في عام ٧٧ هـ كان ثابت الخزاعي بالولاء على مقدمة جيشه ، ولما كثر الجيش راجعاً لمقاتلة بكير بن وشاح كان ثابت وجهاً لوجه أمام بكير في مصاولة عنيفة ، وحتى بكير لم يعدم أن يكون في جيشه أناس من العجم بل هو قد استنصر بهم ونصرهم ونادى إلى رفع الخراج عمن يدخل في الإسلام منهم فأقبل كثيرون على الإسلام^(٦) . والخراج لاعلاقة له بالجزية

(١) انظر المصري : الموالي ، ٢٥ .

(٢) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٢١٠ .

(٣) الحمس مجموعة قبائل عدنانية من قريش ، ونميم وهوازن يربط بينهما الحلف ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٣٠ .

(٤) كما في حلف ربيعة والأزد ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ١٥ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ١٧ .

(٦) انظر التفاصيل عند الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٢٦٩ .

التي يخلط بعض الباحثين^(١) في أمرها فيظنون الجزية خراجاً والعكس^(٢) .

وبعد أن هدأت فتنة بٌكير ظهرت مرةً أخرى متذرعاً صاحبها بقسوة الدهاقين على المُلّاك من العرب والعجم وداعياً إلى الإطاحة بأمية بن عبد الله^(٣) ، ومن قوة رابطة بعض الأعاجم بالعرب كان لصقيل مولى بٌكير يد في الأخذ بثأره من بحير بن ورقاء التميمي عام ٨١هـ^(٤) .

وفي عام ٨٢هـ كان يزيد بن المهلب يسير من والده فيما وراء النهر إلى « مرو » حين توفي أخوه المُغيرة ، وعلى مقدمته فرسان من العجم فيهم : غزوان الإسكاف صاحب « زم » الذي أسلم على يد المهلب وحسن إسلامه وأبو محمد الزُمّي ، وعطية مولى بني العتيك من الأزد^(٥) .

وفي هذه الأثناء علا شأن ال حرّيث بن قُطبة موالى خزاعة الأزدية ، وهموا أن يفتكوا بالمهلب بعد أن انقطع إليهم جماعة من العرب ، غير أنهم عدلوا عن ذلك بتأثير ثابت قُطبة وساورا إلى موسى بن خازم بـ « ترمذ »^(٦) .

وكان يزيد بن المهلب محبوباً لدى العجم حتى أنهم ظلوا يفرشون له الرياحين

(١) من أمثال جرجي زيدان في كتابه : تاريخ التمدن الإسلامي .

(٢) انظر مناقشة موضوع الجزية والخراج في كتاب ضياء الدين الرئيس ، الخراج ، وكتاب جميل المصري : الموالي وموقف الدولة الأموية منهم ، ٦٩ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٢٧٧ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٧ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٧ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٠ ، وثابت بن قُطبة هذا غير ثابت قُطنة الأزدي .

في كل بلد يمر به وذلك حين طلبه الحجاج في عام ٨٥ هـ^(١) . ولم يجد آل المهلب ما يثير قلقهم من الأعاجم إبان ولايتهم سوى محاولة آل قطبة الالتفاف حول موسى بن خازم وخلع يزيد بن المهلب انتقاماً لمقتل الحارث بن منقذ وأخذ يزيد لأموالهم ، وقد خشي ابن خازم وأتصاره من ازدياد شوكة آل قطبة فيما لو طرد يزيد أو قتل ولذا فقد أخفق آل قطبة الموالي في محاولتهم إلى حد ما ، ذلك أنهم اكتفوا بطرد عمال يزيد من بلاد ما وراء النهر على أن يأكلوا غنائمها إلى حين^(٢) .

وفي إبان ذلك قوي أمر موسى بن خازم بـ « ترمذ » لكن الحاكم الحقيقي كان ثابت قطبة ، وهو محبب في العجم بعيد الصوت ، يعظمونه ويتقون به فكان الرجل منهم إذا أعطى عهداً يريد الوفاء به حلف بحياة ثابت فلا يغير .

ولم يُقدّر لحالة الوفاق أن تستمر بين ابن خازم وآل قطبة فكادوا له وكاد لهم حتى قضى عليهم ، ولما سير المفضل بن المهلب إليه جيشاً كان عثمان بن مسعود وهو من الموالي على رأس هذا الجيش ، ففتك بابن خازم وجمعاً من العرب وأعتق بعضاً منهم مراعاة لصدقاتهم لآل قطبة^(٣) .

ويمكن القول بأن قتيبة بن مسلم كان أكثر التصاقاً بالعجم من آل المهلب ، ففي أول غزوة له كان دهاقين العجم معه^(٤) وأشهرهم « نيزك طرخان »^(٥) ، وحين غدر « نيزك طارخان » قضى عليه قتيبة بواسطة سليم الناصح أحد الموالي ، وكان سليم الناصح مستشاراً أميناً في وقائع المسلمين فيما وراء النهر ، وفي وقعة « بيكند » بالذات

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ١١٠ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٨ ، ٤٦ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٨ ، ٥٢ .

(٤) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١٠ .

(٥) انظر ابن الأثير : جـ ٤ ، ١٠٥ .

عام ٨٨ هـ (١)

وظهر في الموالي أيام قتيبة حيان النبطي الذي علا صيته في عام ٩٠ هـ بعد فتح « بخارى » وتوسط بالصلح بين المسلمين بقيادة قتيبة وأهل الصغد بقيادة طرخون (٢) ، ثم كان له دور رئيسي بارز في مصرع قتيبة (٣) ، وخشي المسلمون بعد ذلك شره فأغرى سورة بن الحر التميمي به سعيد خدينة فقتله (٤) .

ونهج أخوة قتيبة منهجه في التقرب إلى الأعاجم فعقدوا مع رؤسائهم صداقات قوية ومن ذلك أن ملك « شومان » كان صديقاً حميماً لصالح بن مسلم (٥) .

ولما سار قتيبة لحرب « سمرقند » كان معه عشرون ألفاً من الأعاجم ، وظهرت شجاعة هؤلاء وإخلاصهم أثناء الحصار (٦) ، وعين قتيبة على خراج « خوارزم » أحد الموالي وهو عبيد الله بن أبي عبيد الله ، وكان أميناً مخلصاً ، كما أن قتيبة اتخذ الخوارزمي وهو مولى مستشاراً وعاملاً له (٧) .

وفي أخريات أيام قتيبة كان المقاتلة من الموالي سبعة آلاف يقفون جنباً إلى جنب مع تميم ، وبكر ، والأزد ، وعبد القيس ، وأهل العالية ، وأهل الكوفة (٨) ، ورئيسهم

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٦٢ ، ٦٥ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١١٣ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٠٦ . ود . المصري : أثر أهل الكتاب في الفتن ، ٤٥٠ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٦٢ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١١٠ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٤ .

(٧) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٩٠ .

(٨) ذكر الطبري أن بخراسان يومئذ من المقاتلة من أهل البصرة من أهل العالية تسعة آلاف وبكر بن وائل سبعة آلاف ، وتمام عشرة آلاف ، والموالي سبعة آلاف . وقد ذكر ابن الأثير ذلك غير أن صيغته يفهم

حيّان النبطي ، وهو الذي مال بهم إلى معسكر وكيع بن أبي سُود في حربه مع قتيبة (١) .

وزادت أعداد المقاتلة من الموالي بعد عصر قتيبة ، وعظم شأن الكتاب منهم ، فكان المغيرة بن أبي مرة البكري بالولاء يكتب ليزيد بن المهلب في ولايته الثانية ، وهو صاحب مشورته الأمين (٢) ، وفي رأس المائة الهجرية كان المقاتلة من الموالي عشرين ألفاً تُصرف لهم الأعطيات (٣) ، وتسند المهام إلى البارزين منهم أمثال : أبي الصيّداء ، صالح بن طريق ، الدّين الفاضل ، مولى بني ضبة التميميين (٤) .

وفي تلك الأثناء وقريباً منها كان للدعوة العباسية نقباء فيهم أربعة من الموالي هم : عمران بن إسماعيل أبو نجم مولى آل أبي معيط من قريش ، وشبل بن طهمان ، أبو علي ، الهروي مولى بني حنيفة البكريين الربيعيين ، وعمرو بن أعين ، أبو حمزة ، وعيسى بن أعين من موالي خزاعة الأزديّة اليمانية (٥) .

الى رجال مشهورين للخص في النزاعات وتنظيم شؤون البلاد

وكتب الخلفاء فيما وراء النهر وذلك كما في كتاب عمر بن عبد العزيز إلى سليمان بن أبي السري مولى بني عوافة (٦) .

= منها أن أهل البصرة وأهل العالية مجموعة واحدة وذلك حين قال أن المقاتلة من أهل البصرة وأهل العالية تسعة آلاف جامعاً أيهما والصحيح ما ذكره الطبري من أن أهل البصرة تشمل أهل العالية ، وتميم ، والأزد ، وبكر ، وعبد القيس ، وهذا ما اُشار إليه البلاذري حين قال أن مقاتله أهل البصرة أربعون ألفاً ولم يفصل . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٠٦ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٤٠ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١٣ .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٠٧ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٧ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٣٣ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٣٤ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٦٨ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٣٨ .

وبدأ الاختلاط بين العرب^{الموالي} وأضحاً في بلاد ماوراء النهر بعد المائة الأولى من الهجرة ، فحمل العرب أسماء المدن العربية مع أسماء قبائلهم^(١) .

وفي عام ١٠٢ هـ كان الدهاقين مستشارين لسعيد خذينة بشأن ولاية عماله على المدن والقرى^(٢) ، ولما هجم كورصول على العرب بقصر الباهلي انتصر للعرب دهاقين « قي » وقدموا لهم ثلاثمائة مقاتل^(٣) .

وفي عام ١٠٤ هـ أطاف المسيب بن بشر التميمي بوادي السغد بأمر من سعيد الحرشي ومعه سليمان بن أبي السري وقوم من وجهاء العجم^(٤) . وأبلى العجم بلاء حسناً في حروب « فرغانة » عام ١٠٦ هـ ، وكان قائدهم عبد الله بن أبي عبد الله الكرمانى السلمي القيسي بالولاء ، وكان به حينئذ من الموالي أيضاً ، وهو توبة بن أبي أسيد ، عنبري ، تميمي بالولاء^(٥) .

هذا ولعل عهد أسد القسري يعد في مقدمة العهود التي شهدت تقارباً قوياً بين العنصرين العربي والعجمي في خراسان ، وماذاك إلا لما أثر عن أسد وولاته وعماله من التقرب للدهاقين ، وقد بلغ تعلق أسد بهم ، وتعلقهم به أن قدموا معه إلى العراق عام ١٠٩ هـ^(٦) . وأسد القسري يشبه في ذلك عبيد الله بن زياد الذي كان يؤثر الدهاقين ويرفض أن يولي أحداً من غيرهم على جباية الخراج^(٧) .

(١) وذلك مثل عاصم بن عمير السمرقندي التميمي انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٠٦ وهو صريمي سعيدي من تميم انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٣٥٩ .

(٢) وكان سعيد يرد ذراري السبي عقب كل غزوة ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٦١ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٦٣ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٨٧ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٦ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٤ .

(٧) وكان يقول أن العربي إذا استعمل انكسر الخراج . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٢٤ . وقد ناقش هذا الموضوع ضياء الدين الريس وتحدث عن الكتاب من الموالي انظر الريس : الخراج ، ١٩١ .

وقد نحا أخوة عبید الله منحاه في تقرب الموالي وتقليدهم مناصب الجباية والكتابة ، وشهر في أيامهم « اسطفانوس »^(١) .

والمتبوع لأخبار خراسان في العصر الأموي يلاحظ هذا التلازم في العلاقة العربية العجمية في كافة الشؤون الحياتية آنذاك فقلَّ أن تخلو ولاية أو إمارة من العنصر العجمي الفعال الذي يتمم النشاط العربي ، وإذا كان قد شُنع على أشرس السلمي بأنه قد وضع الجزية على من أسلم من الترك فإن المتبوع للوقائع يدرك بأن صاحب هذا الرأي إنما هو من الموالي وهو : أبو أمية عميرة النبطي^(٢) ، وحين ضج الترك من هذا الصنيع انتصر لهم بعض العرب أمثال : الربيع بن عمران التميمي ، والقاسم الشيباني وبيان العنبري و ثابت قطنة الأزدي ، وبشر بن جرموز الضبي^(٣) .

ولعل عام ١١٢ هـ . قد سجل إسهاماً بالغ الفعالية كان العرب والعجم فيه صفاً واحداً في المعركة المعروفة بمعركة الشعب^(٤) ، التي كادت أن تعصف بالمسلمين وقد برز في ذلك اليوم من الموالي^(٥) ، الفضل بن بسام مولى بني ليث الكنانيين ، وعبد الله بن أبي عبد الله مولى بني سليم القيسيين ، والبختري بن مجاهد مولى بني شيبان البكرين الربيعيين^(٦) .

ومن المزالق التي وقع بها بعض الباحثين^(٧) تعميم الوقائع الفردية ، كأن يقال أن

(١) انظر الرئيس : الخراج ، ١٩١ .

(٢) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١٧ . أعلن أشرس السلمي رفع الجزية عن من يسلم فلماً أسلم الناس وضمها عليهم .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٧ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢١٢ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢١١ .

(٦) انظر المصري : الموالي ، ص ٥٧ .

(٧) من أمثال احسان النصري كتابه العصبية القبلية و ضرور في كتابه الحياة السياسية و زاهية قدورة في كتابها الشعوبية .

الموالي قد انضموا إلى حركة الحارث بن سريج التميمي وهذا القول مبني بلا شك على وجود عدد منهم في جيش الحارث لكنه لا يصلح حكماً عاماً إذ أن عدداً من الموالي أيضاً كانوا موجودين في الجيش الذي يحارب الحارث ، والحق أن كل الحركات قد وجد فيها أعداد من الموالي مؤيدة ومعارضة شأنهم في ذلك شأن العرب (١) .

ولم يذكر في التاريخ الأموي الخراساني أن الموالي قد أجمعوا على القيام بحركة ما ، أو أنهم انفردوا بثورة معينة ، ومع هذا فإن مصنفات كثيرة قد طفحت باتهام الأمويين وولاتهم والعرب بصفة عامة باحتقار الموالي من العجم وإذلالهم وحرمانهم من الوظائف وإرهاقهم بالضرائب وإن هذا قد أدى إلى انتفاض الموالي وتمردهم وإدالة دولة بني أمية لصالح بني العباس (٢) .

وهذا القول أو الاتهام فرية كبيرة ردها الكثيرون بقصد أو بدون قصد ، فأما القول أن الموالي هم الذين أقاموا دولة بني العباس فسيأتي بيانه والرد عليه واثبات زيفه وبطلانه في الفصل الخامس من هذا البحث وأما القول بأن العرب احتقروا العجم وحرموهم من المناصب فقد مرّ بنا بعض الأدلة التي تبرهن على تهافت هذا الإدعاء وتفاهته (٣) .

وأصحاب التشنيع على العرب في قضية اضهاد الموالي هم المستشرقون في

(١) وقيل عن حركة الحارث بن سريج أنها امتداد للحركة الإصلاحية التي قام بها اثنان من الموالي هما أبو الصيداء وثابت قطنة وهذا القول لزاهية قدوره وهو وهم لأن حركة ابن سريج لا علاقة لها بما قام به أبو الصيداء وثابت قطنة ثم أن ما قاما به لا يمدو أن يكون مقاومة لفكرة أشرس السلمي التي جاء بها الموالي كما أن ثابتاً ليس مولى بل هو عربي من الأزدي ، انظر زاهية قدورة : الشعوية ، ٦٠ . ولعلها وهمت ولم تميز بين ثابت قطنة وثابت بن قطبة .

(٢) انظر في ذلك مثلاً إحسان النص : العصبية القبلية ، وزاهية قدوره : الشعوية ، ومحمد سرور : الحياة السياسية وغيرهم . . .

(٣) وانظر مناقشة عدد من المفتريات حول هذا الموضوع والرد عليها في كتاب الدكتور المصري : الموالي ، موقف الدولة الأموية منهم ، ص ١٧ .

الغالب (١) ، وتابعهم على ذلك بعض العرب الباحثين في التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي في عصر بني أمية ودارسي الأدب (٢) ، وقد ألحوا على مسائل تكررت بعينها في كثير من الكتابات منها : مسألة أنفة العرب من الأصهار إلى الموالي ، مع العلم بأن قضية المصاهرة تخضع لعادات تعارف العرب عليها في بواديهم النائية وتوارثوها في قبائلهم الصحراوية المتبدية ، وفي العصر الجاهلي كان العربي البدوي يأنف من الإصهار إلى ساكني الحواضر حتى ولو كانوا ملوكاً ومن ذلك قصة النعمان بن المنذر مع كسرى ملك فارس (٣) ، وقصة بني تميم حين رفضوا تزويج المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة (٤) وماتلقوه بسبب ذلك من عناء ومشقة .

وظلت هذه العادة لدى العربي حتى بعد الإسلام ، تبدو واضحة في البادية ، وتخف وطأتها كل ما أقبل العربي على التحضر .

ولا تقف هذه العادة عند حد أنفة العربي من مصاهرة غير العرب من الأمم الأخرى ، بل أن ذلك يحدث بين العرب أنفسهم فقد رفض الهملع بن أعفر التميمي أن يزوج ابنته للزبير بن العوام رضى الله عنه أنفة وترفعاً (٥) ، وأهان بنو السعراء معاوية ابن صعبعة عندما خطب منهم وضربوا وجه دابته مع أنه تميمي مثلهم (٦) ، وحين

(١) من أمثال فان فلوسن في كتابه السياسة العربية والشيعة والاسرائيليات .

(٢) مثل حسن إبراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام ، وسرور في كتابه الحياة السياسية وجرجي زيدان في كتابه تاريخ التمدن الإسلامي .

(٣) رفض النعمان بن المنذر تزويج كسرى فأدى ذلك إلى عدد من الحوادث انتهت بموقعة ذي قار الشهيرة . انظر تفاصيل هذه الحوادث في كتاب أيام العرب في الجاهلية لجاد المولى وآخرين ، ص

(٤) انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٢٠ .

(٥) وفي ذلك قال : إني لسمع البيع إن صفقت لها
يميني واضحت للحواري زينب

انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٢٦٧ .

(٦) انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٤٨ .

تمت مصاهرة بين آل مَسْمَع البكريين الربيعيين والحبطات التميميين قال الفرزدق :

آل مسمع اكفأؤهم آل دارم وتنكح في اكفائها الحبطات

فرد عليه شاعر الحبطات منافحاً ومباهياً فقال :

ألم يكن عباد كفيئاً لدارم بلى وأبيات بها الحجرات ^(١) .

وكان عَقِيل بن عَلْفَة المُرِّي الذُبْيَانِي الغطفاني أعرابياً جلفاً يأنف من مصاهرة من لا يراهم اكفاء له من العرب ولو كانوا ولاة أو أمراء ^(٢) تمشياً مع هذه النزعة التي تضعف بلا شك حينما يقوى الإيمان ويتحضر البدوي .

وهذا التشدد في المصاهرة لم يكن قاعدة عامة فقد أصهر كثير من العرب إلى الموالي ^(٣) ، وحتى الأعراب العصبيون زوجوا بناتهم للعجم وكان لهم أولاد من بنات العجم ومثلهم في ذلك الشعراء الذين طالما شنعوا على الناس في مسألة المصاهرة والنسب وغيروا الناس بأمهاتهم الأعجميات ^(٤) ، وقد عرفت خراسان قادة وولاة ومساير حرب كانوا من أمهات أعجميات نذكر منهم على سبيل المثال : عبيد الله بن زياد

(١) انظر المبرد : الكامل ، ١٨٥ .

(٢) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٧٥ .

(٣) ومن ذلك مثلاً أن إبراهيم بن النعمان بن بشير الأنصاري زوج ابنته ليحيى بن أبي حفصة وهو مولى ، وتزوج حمران بن أبان وأولاده عرييات . انظر المصري : الموالي ، ٣٢ .

(٤) وفي المدينة نشأ عدد من الأفاضل الذين فاقوا أهل المدينة رِعاً ، وهم من أمهات أعجميات مثل علي ابن الحسين ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، انظر المصري : الموالي ، ٣٢ .

(٥) من ذلك أن جريراً الشاعر التميمي تسمى بجارية فارسية فجاءت له بانه بلال ، فكان اخوة بلال يعيرونه بها فيرد عليهم بأنها أفضل من أمهم البدوية ، وقال ذات مرة لأحد بني حمان السعديين التميميين حينما قال له يابن أم حكيم : ماتذكر من ابنه الدهقان ... ليست كأملك التي بـ « المروت » تغدو على أثر مناتها كأنما عقابها حافرا حمار . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ١٤١ .

ووكيع بن عميرة التميمي^(١) ، وبكير بن وشاح التميمي^(٢) ، وكانت أم يزيد ابن الوليد بن عبد الملك من سبي « سمرقند »^(٣) .

والملاحظ أن مسألة زواج المولى من عربية والعكس لم ينظر فيها النفسية العربية البدوية ، ثم هي قد استغلت لترغد قضية اضطهاد الموالي التي صورت بحجم أكبر من حجمها ونقلت من الحوادث الفردية وقصص الأدباء والظرفاء كما في مرويّات ابن عبد ربه^(٤) والأصبهاني^(٥) .

أما مسألة حرمان الموالى من العطاء فقد ردها البعض دونما النظر في الوقائع التاريخية التي تثبت عكس ذلك ، فعبيد الله بن زياد على سبيل المثال فرض للبخاريين من العطاء^(٦) ، والموالي أنفسهم أنكروا على الجراح الحكمي حرمانهم من ذلك وهذا دليل على أن لهم أعطيات ، وقد عوقب الجراح بالتوبيخ والعزل بسبب هذا التصرف^(٧) .

أما مسألة الضرائب فالذي أورده البعض أن العرب قد أُرهِقوا الموالي بها وهذا باطل لأن أراضي خراسان وبلاد ماوراء النهر قد فتحت في معظمها صلحاً ، وكان هناك خراج على الأراضي سواء كان صاحبها مسلماً أو غير مسلم ، عربي أو أعجمي ، إذ هي أراضي خراجية **فصل الباحثون المنصفون** أمرها ، ونهبوا إلى المحاذير التي يقع فيها

(١) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٥ ، وقد خلط البكري بين وكيع هذا ووكيع بن حسان بن أبي سود فظنهما شخصاً واحداً . انظر البكري : معجم ما استعجم ، ٩٨ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٢٧٥ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٤ .

(٤) انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ٣١٧ - ٣٢٢ .

(٥) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ٥ ، ١١٤ .

(٦) انظر قدامة : الخراج ، ٢٦ .

(٧) عاقبه بالعزل عمر بن عبد العزيز . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٢٥ .

البعض ممن لا دراية لهم بالأنظمة الإدارية والاقتصادية آنذاك ، ومن ينساقون بعلم أو بدون علم وراء أقوال أهل الأهواء من المغرضين ^(١) .

ومما يلاحظ أن خراج الأرض قد يشتط به بعض الولاة فيضجر من ذلك أصحاب الأراضي عجم ، وغيرهم ^(٢) ، وقد يتساهل به البعض إلى أبعد الحدود ^(٣) .

وقد تعرّض العرب من ولاة وغيرهم إلى المساءلة والتضييق والمطالبة بالأموال التي يحصلون عليها أو يقال : أنهم حصلوا عليها ، ومن ذلك أن الخليفة يزيد بن معاوية ضيق على واليه على خراسان عبد الرحمن بن زياد وهدّده بالسجن أن لم يوافه بالأموال التي حصل عليها إبان ولايته ^(٤) ، وحمل ابن هبيرة - والي العراق - عدداً من أشرف خراسان أموالاً باهظة ^(٥) ، واشتط الحجاج في مطالبة آل المهلب بالأموال ^(٦) ، وحبس سعيد خزيمة عدداً من وجهاء اليمن في خراسان ، وصادر أموالهم ^(٧) .

وبقى هنا في علاقة العرب بالعجم الإشارة إلى موضوع الدراسات الشرعية التي نبغ فيها عدد من الموالى فاصبحوا أعلاماً ذوي مكانة عالية ، ومنارة يهتدي بها ،

(١) انظر الأقوال في ذلك ومناقشتها والرد عليها في كتاب الدكتور المصري : الموالى ، ٦٩ - ٨٠ .

(٢) كما فعل والي خراسان أمية بن عبد الله . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٢٠٨ .

(٣) كما فعل والي خراسان نصر بن سيار . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٤٧ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ٢٩٥ .

(٥) اخذ عمر بن هبيرة الغفاري والي العراق قهرماناً ليزيد بن المهلب وسأله عن أشرف خراسان فاتهمهم القهرمان بالباطل فكتب ابن هبيرة إلى والي خراسان مسلم الكلابي يطالبه بالأموال التي أخذوها من الفتي . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٩ . وقد أورد ضياء الدين الرئيس هذا الخبر في

مواضيع يحسن الرجوع إليها انظر الرئيس : الخراج ، ٢٤٢ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٢٧ .

(٧) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٦١ .

فتسّموا المناصب العليا في خراسان كالقضاء والفتيا والتدريس والتأديب^(١) .

وبقي أيضاً التنبيه إلى أن ما يرد من بعض العرب من نيز للموالي وبأنهم علوج والتشنيع عليهم في عجميتهم لا ينحصر في العجم وحدهم إذ أن العرب يتنازعون فيما بينهم في كثير من الأحيان وعلى سبيل المثال فعبد الله بن خازم الذي وصف دويلة أنخا وكيع بن عميرة بأنه علج لا يساوي كفاً من نوى أو كفاً من تراب وصف الأزد أيضاً بأنهم « مزون عمان »^(٢) .

(١) مرّ معنا طرف من أخبار هؤلاء وسنمر بنا أخبار أخرى في صفحات تالية .
(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ١٧ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٩٦ . وقد ورد كثير من التشنيع على القبائل العربية ونيزها بألقابها . انظر المبرد : الكامل ، جـ ١ ، ١٤٢ .

٢ - موقف القبائل العربية من الحياة الجديدة وأهم الأعمال التي زاولها العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر :-

دخل العرب المسلمون أرض خراسان فأصبحت بلداً إسلامية وجزءاً مهماً من
ديار الخلافة وجناحاً شرقياً له وزنه السياسي والاقتصادي والثقافي .

وانتمى الخراسانيون إلى الإسلام ثقافة وفكراً وإلى العرب ولأء^(١) ، فالخراساني
معروف بالقبيلة التي يحالفها في ظل الإسلام وفي دائرته ، ولا يعني هذا أن الخراساني
أهمل انتماءه إلى أرضه أو بلدته فهو منسوب إليها موطناً كما هو منسوب إلى القبيلة
العربية حلفاً فيقال : الهروي التميمي ، والبليخي السلمي ، والمروزي الشيباني ،
وهكذا .

وفي المقابل فإن أبناء القبائل العربية قد عرفوا بخراسان وشهروا في بلادهم التي
أصبحوا ينسبون إليها بعد أن استوطنوها فيقال لهم : عرب خراسان وجند خراسان ،
وبعوث خراسان ، ومقاتلة خراسان ، وأهل خراسان ، وقبائل خراسان ، وفلان
الخراساني ، والنيسابوري ، والنسائي ، والسفدي ، والسمرقندي ، والبخاري . ويقال
ذلك لمن سكن هذه البلاد ، وينسب إلى البلاد الأخرى من يسكنها من العرب
الأقحاح .

ويلاحظ أن تطاول الأزمان والإنصهار في بوتقة الحياة الحضرية قد جعل أهل
خراسان يغفلون الانتساب إلى القبائل ويكتفون بالانتساب إلى المدن والقرى التي

(١) يحمل لفظ المولى عدة معان ، والمقصود هنا ولاء الحلف ، وقد اكتسب مفهوم الولاء معنى
اصطلاحياً عند مؤرخي الإسلام فقصدوا به كل من أسلم من غير العرب ، فالموالي إما أن يكونوا من
أهل البلدان المفتوحة انضموا حين إسلامهم إلى العرب فصاروا موالي بالحلف والموالة ، وإما أن
يكونوا في أصلهم أسرى حرب استرقوا ثم اعتقوا . انظر المصري : الموالي ، ٢٣ ، إحسان النص :
العصبية القبلية ، ٢٣٨ .

يعيشون فيها ، وقد أدى ذلك إلى تقلص المظهر العربي وانكماشه .

ولم يؤد نفور العرب في بداية أمرهم من مزاوله الأعمال إلى الترفع عن الاتصال بالأعاجم والاحتكاك بهم بل ومحاكتهم في اللبس ^(١) وحضور احتفالات الأعياد والمهرجانات التي يقيمونها ^(٢) ، فلبس العرب سراويل الأعاجم وتفننوا في اختيارها ، واحتفلوا بالمهرجانات ، وعيد النيروز وقبلوا فيها الهدايا من العجم ، وكان الولاة والأهالي في ذلك على حد سواء ، واشتهر من بين الولاة أسد القسري الذي كان يحضر المهرجانات الأعجمية ويسامر الدهاقين ^(٣) .

على أنه ومع ما يلاحظ من أن عملية استيطان العرب في خراسان قد بدأت منذ مطلع العصر الأموي ^(٤) إلا أن مزاوله العرب للأعمال المختلفة قد بدأت ضعيفة ، ولعلّ السبب في ذلك يكمن في أن دفع افواج من العرب إلى خراسان قد قصد به تثبيت الأمن بالدرجة الأولى إذ أن كراهة العرب للتجمير ^(٥) تدفع بالمدن والبلدان إلى التمرد والانتفاض على الحاميات التي يخلفها الفاتحون وراءهم ، وقد لاقى المسلمون الأمرين من ذلك ولذا كان لابد من بقاء أعداد كبيرة من العرب في البلاد المفتوحة

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٥ ، ٢٢٧ .

(٢) وتقدم في هذه الأعياد الهدايا النفيسة للولاة على اختلاف أنواعها وأشكالها انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٥٢ . ومنذ أيام عصر بني أمية الأولى عايش العرب العجم وتبادلوا معهم الصداقات ، واشتركوا جميعاً في الفتح ، وصحب العرب أناس من العجم إلى العراق والشام ، وتسمى كثير من العجم باسماء عربية . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٨ ، ١٩٤ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ١١٠ ، والبلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٠ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ١٩٥ .

(٤) في عامي ٤٥ و ٥١ هـ انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٢٥٢ ، ٢٧٣ .

(٥) كان العرب ينفرون من التجمير وهو البقاء في الثغور مدة طويلة وخاصة في فصل الشتاء وما قيل في ذلك : أن عبد المؤمن بن شيت بن ريمي التميمي شجع على الانضمام إلى ثورة ابن الأشعث بقوله : إن الحجاج يدفعكم إلى التجمير ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٨ ، ١٩٧ .

لحفظ البلاد من الفتن ، ومنع الثورات ^(١) ، وكان بعث العرب إلى خراسان بعيالاتهم أسلوباً حكيماً قصد منه بث روح الطمأنينة في نفوس المقاتلين ، وتفرغهم للفتوح هناك إذ أنّ انشغالهم النفسي بزوجاتهم وأبنائهم في العراق يززع طمأنينتهم ويشل تفكيرهم ^(٢) .

وقد ورد في بعض وثائق الصلح أنّ بعض قادة الفتح طلبوا من أهل خراسان أن يوسعوا للعرب في منازلهم ^(٣) غير أنّ الملاحظ أنّ العرب اختاروا القرى والأماكن النائية عن المدن ^(٤) مكاناً لسكنائهم تمشياً مع أمزجتهم التي تميل إلى ذلك ، وهذا أبعدهم عن الاحتكاك المباشر بالتجار وأصحاب الصناعات والحرف اليدوية .

ولعلّ العرب قد ألفوا تلك المقولة التي تذكر بأنه لا يصلح للعرب إلا ما يصلح للبعير والشاء ، فكانوا يفضلون المفاوز القرية من المدن ويختارونها مساكن لهم ، حدث ذلك في العراق وحدث في خراسان ، وكانت مفازة « آمل » بين « مرو الشاهجان » ونهر « جيحون » مركز استقرار ملائماً لطبيعة العرب فضلوه على المدن ^(٥) ، وحين عبر العرب نهر جيحون شهرت بلدة « بيكند » بكثرة المستقرين بها من العرب وماذاك إلا لبعدها من المياه السبخة الكثيرة والزراعات ، وقربها من الصحراء ^(٦) .

(١) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٠ .

(٢) ذكر الطبري أنّ العرب في ولاية الربيع بن زياد الحارثي نقلوا أسرهم إلى خراسان . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ٢٩٢ .

(٣) مثال ذلك الصلح الذي تم بين ابن عامر ومرزيان « مرو الشاهجان » انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٩٥ .

(٤) يلاحظ ذلك في تمركزهم في القرى المحيطة بـ « مرو » وهي : قرى تميم وخزاعة . التي مر ذكرها صفة ١٧٥ .

(٥) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ٨٧ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ٥٧ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ٢٢٧ .

وقد قطع العرب النهر بالأبل^(١) ، واشتهرت « طخارستان » ببعض العرب أصحاب الأبل والشاء^(٢) ، ونقلوا عن موسى بن خازم عنايته بهذه الأنعام المرتبطة تاريخياً بالعرب في جزيرتهم الصحراوية^(٣) .

ويلاحظ أيضاً أن ارتباط العرب بالجنديّة - وتبعيتهم لسجل العطاء كانت تحوّل بينهم وبين الالتصاق بالحرف والصناعات ، فظلوا عسكرياً مجندين في الحاميات ، يقومون على شؤون الطرق والمسالخ في خارج المدن ، ومتأهبين للتنفير العام^(٤) .

ولم يكن العرب في معظمهم بحاجة إلى الكسب والارتزاق إذ أن أرزاقهم تُعَيّن لهم من قبل الدولة^(٥) ، ويشمل ذلك حتى أولادهم ونساءهم^(٦) .

وقد حرص الكثيرون على الالتحاق ببعوث خراسان لكن هذا لم يدفع بهم في بداية الأمر إلى الانخراط في الأعمال الحياتية الخراسانية من زراعة وصناعة وتجارة لما سلف من أنهم مسجلون بديوان الجنديّة ، وجبهم للحياة النائية عن المدن ، ولعدم اطمئنان بعضهم إلى استمرار الإقامة الدائمة هناك لكثرة الغزوات والحروب والثورات وأيضاً تغير الولاة وما يستتبع ذلك من تحوّل عدد من أنصارهم أو من قبائلهم إلى بلاد أخرى ومجيء وافدين جدد ، ومحاربين يختارهم الولاة بمعرفتهم أو يتعلقونهم رغبة في القرب منهم وطمعاً في المكاسب الدنيوية وهذا ينطبق على بعض الشعراء وذوي

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ٢٢٧ .

(٢) انظر صالح العلي : امتداد العرب ، ٤٥ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٠٢ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٥٤ .

(٥) وكان ديوان العطاء يزيد في بعض الأحيان عن حاجة الناس ، حدث ذلك في خراسان زمن عمر ابن عبد العزيز مع قلة الغزوات في عهده . انظر ضياء الدين الرئيس : الخراج ، ٢٣٢ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١١٦ .

ولعله لم يتح للعربي ذلك الاحتكاك الذي يمكنه من العمل مع أهل خراسان في الزراعة والتجارة في بداية الأمر إذ أن أهل البلاد الأصليين لم يسمحوا بمشاطرة الفاتحين لهم بمنزلهم كما أن أراضيهم كانت عزيزة عليهم إلى أبعد الحدود فلم يكن من السهولة أن تؤول إلى العرب (٢) ، وهذا ينطبق على خراسان بشكل أوضح إذ أن بلاد ماوراء النهر قد شهدت تحولاً جذرياً في عملية الاستيطان فنزل العرب في وسط « بخارى » و « سمرقند » (٣) ودفع قتيبة الناس بعيالاتهم إلى بلاد « الشاش » و « فرغانة » (٤) .

وفي ضوء ماتقدم فإن القرن الهجري الأول لم يشهد انخراطاً تاماً للعرب في الحياة الخراسانية من حيث مزاوله الأعمال الصناعية والتجارية والزراعية وفيما عدا ما قيل من أن بعض العرب ضجوا من إرهاق العمال لهم في جباية خراج أراضيهم الزراعية في عام ٧٧هـ (٥) فإنه لا توجد إشارة إلى تغلغل العرب في العمل الزراعي ، وحتى هذه الحادثة لا تدل على نشاط عربي زراعي لأن بكير بن وشاح التميمي الذي تبناها استغلها استغلالاً سياسياً للتأليب على أمية بن عبد الله الأموي والطعن في سياسته

(١) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٥٥ . وقد نعتت الدولة الأموية بالمظهر العربي وهذا ينطبق على خراسان وقد أدى تمسك الفاتحون بعريتهم في خراسان إلى الحيلولة بينهم وبين مزاوله المهن الصناعية التي كان العربي يأنف منها .

(٢) انظر البلاذري : فوح البلدان ، ٣٩٧ .

(٣) وكان ذلك من ضمن شروط الصلح الذي تم بين قتيبة وأهل هاتين المدينتين انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٢١ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٩ .

(٥) تبني هذه الضجة بكير بن وشاح لهدف سياسي ، وأشار بعض المحدثين إلى اشتغال العرب بالزراعة اعتماداً عليها . انظر الرئيس : الخراج ، ١٣٤ ، حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٦٤ .

ويمكن القول أن العرب قد اقبلوا على المشاركة في النشاطات الخراسانية المختلفة في القرن الثاني من الهجرة ، وبالأذات النشاط الزراعي يدل على ذلك كثرة القرى المنسوبة للعرب مما يوحي بأنها كانت لهم يحرثونها ويزرعونها ويجرون الماء في القنوات إليها فلبني خزاعة الأزديين اليمانيين قرى في أرض « مرو » ، ولتميم قرى في « طخارستان » ، ولكندة اليمانية قرى ، ولقيس وبكر وتغلب قرى أخرى ورساتيق (٢) ، بل قد تنسب القرى إلى أشخاص من العرب فيقال : قرية فلان كما يقال قرية القبيلة الفلانية وذلك كقرية « كتجانة » المنسوبة إلى نصر بن سيار (٣) .

وقد أصبحت عملية الاستيطان أكثر تنظيماً في مطلع القرن الثاني للهجرة حيث صار للعرب بيوت ومساكن في المدن تشرف الدولة على إقامتها وترتيبها ، وذلك صنيع أسد القسري في منازل العرب بـ « البروقان » و « بلخ » عام ١٠٧ هـ (٤) .

وهذا أدعى إلى أن ينصرف العرب إلى الحياة المعاشة ، وينخرطوا في سبل معاشها الزراعية والتجارية والصناعية .

كما شهدت هذه الفترة اهتماماً بالإقطاعات والأمولاك الزراعية نظير أرض « المرغاب » التي منحها الخليفة يزيد بن عبد الملك لهلال بن أحوز المازني

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٥ وقال الاستاذ حسين علوان : أن زعماء بني تميم وعلى رأسهم بكير وبحير بن ورقاء ارادوا أن يستبدوا بحكم خراسان وهذا هو القصد من هذه الصيغة المدوية ، وما يلاحظ على ما ذكره علوان هو أن بكيراً وبحيراً التميميين لم يكونا في صف واحد فبكير نأثر على أمية بن عبد الله وبحير معه . انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٦٩ .

(٢) انظر أهم مواطن استقرار العرب في خراسان في الفصل الثاني من هذا البحث .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٩٧ .

(٤) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ١٠٧ .

التميمي (١) .

وقد رأى العرب في خراسان من الخيرات ونتاج الأراضي الزراعية ما لم يكونوا يألفونه ،
فأثر ذلك في أسلوب معيشتهم ، وزادتهم الأموال الكثيرة غنى ، ورفاهاً (٢) ، وكانت
خراسان مغربة للعرب للذهاب إليها حتى أن المهلب أثر أن يختارها على « سجستان » ،
وهو قد خبر الناحيتين كليهما (٣) .

وكانت أموال خراسان تكفي حاجة ساكنيها وتزيد يستنتج ذلك من المكاتبات
الدائرة بين الخليفة عمر بن عبد العزيز وواليه على خراسان حيث أمر الخليفة بصرف
الأموال على أصحاب الأعطيات فصرفها الوالي على أصحابها وقسم الزائد في باقي
الناس فكفاهم ، وعرف آل المهلب بتوزيع الأموال على الناس إلى حد السرف (٤) ،
وكان قتيبة لا يكاد يظفر بمال حتى يوزعه على المقاتلين معه (٥) ، وأثر عن أمية ابن
عبد الله الاسراف في الخيلاء والمباهاة حتى كان يقول أن خراسان لا تكفي لمطبخه (٦) ،
وأفرط بكير بن وشاح وجنده التميميون في اختيار الملابس البالغة الزينة ، المتعددة
الألوان (٧) .

(١) انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ١٠٧ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٨ ، ٩٥ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ٣٥ .

(٤) انظر المبرد : الكامل ، جـ ٢ ، ٢٦٠ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٨ ، ٨٩ .

(٦) وكان هذا مما أخذه قتيبة على أمية حين تحدث عن حسن سيرته هو في القبائل التي ثارت عليه .

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ١٩٧ ، جـ ٨ ، ٩٤ . وروي أن والي « هراة » ودهقانها

قدما لأسد القسري في أحد الأعياد هدية تقدر بألف ألف ، قطران من ذهب وفضة ومثلهما صحاف

وأباريق ، والدياج الهروي المروزي والدياج القوهي وكرة من ذهب . انظر ابن الأثير : الكامل ،

جـ ٤ ، ١٧٨ .

(٧) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ١٩٩ .

وكان العرب يحصلون على ما يريدون من تجار خراسان وبلاد ماوراء النهر مع تأجيل السداد إلى ما بعد الغزوات ، فعل ذلك بكير بن وشاح حينما كلفه أمية ابن عبد الله بغزو بلاد ماوراء النهر فلما صرفه عن الغزو سدّد ما للتجار عنه وعن بعض أعوانه ، وسدّد أمية عن الآخرين بعد مقتل بكير ، وكانوا قد استدانوا بأموال كثيرة ^(١) .

وهذا يقف بنا على نوع من العلاقة بين العرب والتجار من أهل البلاد الأصليين ، على أنّ حركة التجارة كانت نشطة في أيام الغزوات ، وعلى نزوع العرب إلى الإكثار من شراء عدة الحرب وما إليها من لباس وأطعمة .

ولا شك أن مغامرات الحرب الكثيرة كانت مما يشجع على ذلك فقد وجد العرب في « بيكند » بعد الفتح من آنية الذهب والفضة ما لم يصيبوا مثله ^(٢) ، وغنموا في « البحيرة » أموالاً أعجزت المحصنين لكثرتها ^(٣) ، وأجاز نصر بن سيار لأحد عماله بأن يحمل معه إلى هشام هو وآل بيته ما بدا لهم فحمل بعضهم ألف ألف وأكثر من هذا القدر ، وأعدّ ذات مرة ضروباً من التحف النفيسة والهدايا الثمينة ، كما أمر بصنع تماثيل ، الطباء ورؤس السباع والآيائل ^(٤) وكتب إليه الوليد بن يزيد كتاباً يستهديه أباريق من ذهب وفضة وأنّ يصطحب معه البزاة والبراذين الفارهة ^(٥) .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٢٠٩ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٠٧ .

(٣) انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ص ٤٠ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢١٢ ، وذكر الدكتور الغزي أنه يستفاد مما أورده الطبري أنّ نصراً أعدّ ضروباً أخرى من التحف النفيسة والهدايا الثمينة فاشترى الممالك ولم يدع بخراسان جارية ولا عبداً ولا برذوناً فارها إلا اشتراه . كما أمر بصنع تماثيل الطباء ورؤس السباع والآيائل يستفاد من ذلك أنّ صناعة التماثيل الحيوانية شائعة وأن أهل الفقه لم ينكروا ذلك . انظر الغزي :

الشعر الأموي في خراسان ، ص ٤٠ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢١٢ .

وكان من الطبيعي أن يتعلم أهل خراسان لغة العرب الفاتحين لغة القرآن وأن يعلموها أولادهم لأنها لازمة لهم في أمور الدين والدراسات الشرعية ، وقطع أهل خراسان شوطاً كبيراً في علوم اللغة وآدابها حتى غدوا من أساطينها ^(١) .

واحتك العرب باللغتين الفارسية والتركية فتعلمها بعضهم ، وروي أن أحد بني باهلة المحاصرين لـ « كمرجة » كان يتكلم التركية ^(٢) ، وأثر عن أحد بني تميم أنه كان يعرف الفارسية فكان ترجماناً بين الفرس وأحد الموالى من الأتراك الذين يتكلمون العربية ^(٣) ، وكان الكرمانى الأزدي يتكلم الفارسية ^(٤) .

وفي هزيمة أسد القسري في أرض « بلخ » عام ١١٩ هـ تغنى الصبيان بشعر بالفارسية فقالوا :

أز خُتلان آمديه بروتباه آمديه

آبار بارز آمديه خُشنك نزار آمديه ^(٥)

ولقب العرب سعيد بن عبد العزيز والى خراسان بـ « خُذينة » لأن ملك « أبغز » سأل عنه فقال : « خُذِينِه لِمَتِه سَكِينِه » ^(٦) .

(١) برز عدد من الموالى في القضاء والفتيا فكان لزاماً أن يكونوا مبرزين في اللغة العربية وقد مرّ أسماء عدد من مشاهير الموالى الذين أجادوا العربية ونبغوا فيها .

(٢) كان حصار « كمرجة » في عام ١١٠ هـ وهي في بلاد ما وراء النهر . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٠٣ .

(٣) هو الربيع بن عمران التميمي ، وكان المولى الذي معه هو : أبو الصيداء صالح بن طريف مولى بني ضبة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٦ .

(٤) انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٤٥ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٣٤ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٦١ .

وقد انصرف بعض العرب إلى اللهو والملذات في خراسان ، واشتهر أبو الهندي الشاعر التميمي بالعكوف على الشراب ^(١) .

وكان في « ترمذ » أيام موسى بن خازم حانات خمر يأوي إليها بعض العرب ^(٢) ،
وحين تورط بعض جنود قتيبة في الخمر قتل بعضهم حفاظاً على جنده ^(٣) ، وكذا
فعل وكيع بن حسان ابن أبي سود ، وقريباً من ذلك صنع عبد الرحمن بن مسلم أخو
قتيبة ^(٤) ، وأثر عن بعض العرب ولعهم بالصيد في الأراضى الخراسانية ، وبرز في ذلك
الشمرذل بن شريك التميمي ^(٥) .

(١) قيل : اسمه غالب أو عبد الملك أو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبت بن ريمي الرياحي اليربوعي التميمي ، من شعراء خراسان المعدودين ، أيام نصر بن سيار ، وكان سريع البديهة ، حاضر الجواب ، مفرطاً في العكوف على الشراب ، انظر الميرد : الكامل ، ج ٢ ، ٧٥٤ ، الأصبهاني : الأغاني : ج ٢١ ، ٢١٧ . وقد ترجم له الدكتور الفزي في شعراء خراسان . انظر الفزي : الشعر الأموي في خراسان ، ١٨٢ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٨٦ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٨ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٨ ، ٩٥ .

(٥) هو : الشمرذل بن شريك بن عبد الله ، يربوعي ، من شعراء تميم المعدودين أكثر شعره في الرثاء والصيد ، قتل أخوته في حروب خراسان فأكثر من رثائهم . انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ١٣ . ٣٥٦ .

٣- موقف القبائل العربية من الفتن المذهبية :-

تضم الأرض الخراسانية أجناساً متعددة وقوميات متباينة ، ففيها العرب ، والفرس ، والأتراك ، كما أنَّ فيها عدداً من الديانات والعقائد المختلفة ، فبالإضافة إلى الإسلام هناك مجوسية ، ويهودية ، ونصرانية (١) .

ومن الطبيعي أن تكون هذه البيئة من أنسب الأماكن لظهور الفتن المذهبية ونموها ، بل وقد يأوي أصحاب المذاهب المنحرفة إلى خراسان لتباين قومياتها ووجود عددٍ من الأديان بها ، ولبعدها أيضاً عن دار الخلافة الإسلامية (٢) .

ولم يكن اعتباطاً أن يختار العباسيون خراسان موطناً لبث دعوتهم في عام ١٠٠ هـ . وذلك حين بعث محمد بن علي بن عبد الله بن عباس محمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج وحيان العطار ليشعروا الدعوة هناك (٣) .

وقد أثمرت الدعوة لآل العباس في خراسان حتى أن داعيتهم زياراً أبا محمد مولى همدان أقام بـ « مرو » شتوة يفتد الناس فيها عليه ويدارسونه وذلك في عام ١٠٩ هـ ، وكان أبرز المناصرين له يحيى بن عقيل الخراساني من قبيلة الأزدي اليمانية (٤) .

وفيما بين عام ١٠٠ هـ وابتداء أمر أبي مسلم الخراساني في عام ١٢٩ هـ ظهر نشاط للدعاة أشد في عام ١٠٧ هـ و ١٠٩ هـ أثناء ولاية أسد بن عبد الله القسري الأولى وفي عام ١١٨ هـ أثناء ولاية أسد الثانية (٥) ، وفي هذا العام الأخير انحرف

(١) أشار إلى ذلك نصر بن سيار في إحدى خطبه انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٣١ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٥ ، ٥٦ .

(٢) انظر الفزري : الشعر الأموي في خراسان ، ٤١ .

(٣) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٩ ، ١٠١ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٠٦ .

(٥) انظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ١٧٧ ، ١٩٩ .

الداعية العباسي في خراسان عما مضى عليه أسلافه من الدعوة للرضا من آل البيت ،
واسم هذا الداعية عمّار بن يزيد بعثه بكير بن ماهان والياً على شيعة بني العباس ،
لكنه مالبث أن غيّر اسمه وتسمّى بخدّاش ، وغير مادعا الناس إليه وأظهر دين « الخرمية »
ورخص للناس في نساء بعض ، وبلغ من جرأته في ذلك أن أخبر الناس بأن ما يدعو
إليه أنّما بأمر محمد بن علي بن عبد الله بن عبّاس (١) .

ولم تلقِ دعوة خدّاش قبولا من القبائل العربية في خراسان ، وأوصى أسد القسري
إلى يحيى بن نعيم الشيباني البكري بأن يقتله ، فقتله بـ « آمل » وصلبه (٢) .
وبعد موت خدّاش لم تجد بدعته من يتبناها ، أو ينحو منحاه بل هي قد ماتت
بموته ، كما أنّ الدعوة العباسية قد انجذبت من بعده إلى وجهتها الصحيحة .

وقد جاءت فتنة خدّاش أبان فتنة الحارث بن سريج التميمي الذي يقول
بالأرجاء (٣) ، لكن الأرجاء لم يعد أذاك مذهباً مستقلاً متميزاً بآراء تحدّد معالمه
وتبيّن جوانبه . كما أنّ ابن سريج لا يعد من أعلام الإرجاء البارزين بالرغم من قوله
بالإرجاء واشعاله لثورة خطيرة امتدت فترة طويلة من الزمن زعزعت الأمن وهددته مراراً
كثيراً (٤) .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٤٧ ، والخرمية اصحاب التناسخ والحلول والإباحة . انظر

ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٢٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٤٧ .

(٣) الأرجاء على معنيين أحدهما : بمعنى التأخير كما في قوله تعالى : « قالوا أرجه وأخاه » أي أمهله
وأخره ، والثاني إعطاء الرجاء . قال الشهرستاني أمّا إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول
فصحيح ، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد ، وأمّا بالمعنى الثاني فظاهر ، فإنهم كانوا
يقولون : لا نضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، وقيل الأرجاء تأخير حكم
صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضي عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة ، أو
من أهل النار ، انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٣٨ .

(٤) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ٢٦ . ومع شهرة الحارث ابن سريج فإن صاحب أعلام
تميم لم يترجم له .

وكما أنَّ مذهب الإرجاء غير متميز في ذلك الوقت فإن صاحبه في خراسان الحارث بن سريج غامض مضطرب في تصرفاته ، فهو يدعو إلى تحكيم كتاب الله وسنة نبيه في الحياة وإقامة العدل ، ويستعين مع ذلك بالمشركين على قتال المسلمين ^(١) .

رومن الواضح أن فتنة ابن سريج قد اختلط فيها الفكر بالسياسة واكتنفها ما يدخل في حركات الفتن من الطموح وحب الظهور الشخصي والرغبة في الإنتقام والمطامع .

والناظر في أمر هذه الفتنة يلحظ أيضاً أنها لم تكن ثورة للموالي ضد الحكم أو التسلط العربي الذي يمثلها بنو أمية وولاتهم في خراسان ^(٢) ، فصاحب هذه الفتنة عربي صليبة ، مجاشعي ، حنظلي من تميم ، وثابت قطنة المشهور بالإرجاء عربي صليبة أيضاً من الأزدي اليمانيين ، ووهم من عدّه من الموالي ^(٣) .

ومن غريب ما قيل في أمر المرجئة أنها لعبت دوراً هاماً في التوفيق بين المصالح المتعارضة بين العرب وغيرهم من المسلمين ، حين تطور النزاع بين الأحزاب والطوائف وحلّت مشكلة اجتماعية جديدة في الدولة الأموية وهي موقف العرب من المسلمين الجدد فقد ذهب المرجئة إلى القول بأنه لا يحل للحكومة أن تعامل هؤلاء كما لو كانوا لا يزالون على كفرهم بعد أن أصبحوا مسلمين لهم مال للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وهذا القول ورد في بعض المباحث الحديثة ^(٤) وهو منقول عن الدراسات

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٠٣ ، ٢٢١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٢ .

(٢) اشارت زاهية قدوره إلى أن ثورة ابن سريج تمثل غضب الموالي على الحكم الأموي . انظر زاهية قدوره : الشعبية ، ص ٦٠ .

(٣) عدته زاهية قدوره من الموالي وهذا خطأ ولعلها خلطت بينه وبين ثابت بن قطبة الذي هو من الموالي حقيقة ، وعلى كل فقد اطنبت الباحثة في قضية الموالي ودرغبتهم في الإنتقام لأنفسهم من خلال ثورة ابن سريج مع ما في استنتاجاتها من بعد عن الأدلة الصحيحة . انظر زاهية قدوره : الشعبية ، ص ٦٧ .

(٤) انظر فاطمة جمعة : الاتجاهات الحزبية في الإسلام ، ١٦٦ .

وقريباً مما تقدم ورد أيضاً أنّ بني أمية لم يضطهدوا المرجئة كما اضطهدوا المعتزلة والخوارج والشيعة بل هم قد استعملوا من عرف بالإرجاء كما فعل يزيد بن المهلب بثابت قطنة حين ولاء عملاً من أعمال الثغور ، وقد وجد بنو أمية في تعاليم المرجئة ما يساعدهم على فرض سلطانهم على المسلمين لأنّ الحساب مرجأ إلى الآخرة ، ولا داعي « إلى فتحه منذ هذا العالم وهذا يعني أنّ من الأفضل التسليم بواقع الخلافة كما فرضه الأمويون بغض النظر عن شرعيته أو عدمها على أنّ يترك لله أمر الثواب والعقاب » (٢) .

والقول بأنّ المرجئة انتصرت لغير العرب من سوء المعاملة التي يلقونها (٣) قول ينقصه الدليل ويحتاج إلى ما يدعمه من الحوادث الثابتة ، وإذا كان هذا القول يرمز إلى وقفة ثابت قطنة وهو مرجئي مع من فرضت عليهم الجزية أيام أشرس السلمي بعد أن أسلموا فإن ثابتاً لم يكن وحده في هذه الوقفة إذ كان معه عدد من العرب والموالي ، وتقدم أنّ ما حدث من أشرس بشأن الجزية إنما هو بتدبير من أحد الموالى ، ثم أنّ ثابت قطنة لم يقف هذا الموقف بدافع مذهب الإرجاء بل هو وقفه من أجل أنه التزم لمن أسلم بأن يرفع عنه الخراج فلما لم يف أشرس بما التزم به عبر ثابت عن سخطه مع مجموعة من أصحابه لم يؤثر عنهم أنهم من أصحاب الإرجاء (٤) ، وحتى ثابت نفسه لم يعرف عنه اهتمام واضح بهذا المذهب أو قول فصل وكل ماورد في سيرته هو أن له

(١) انظر فان فلوتن : السيادة العربية والاشيعة والاسرائيليات ، ٧٥ .

(٢) انظر فاطمة جمعة : الاتجاهات الحزبية في الإسلام ، ١٦٧ .

(٣) قالت قدوره أنّ الحارث بن سريج كان يرى رأي المرجئة وهي تفر المساواة بين المسلمين وتكفر آية حكومة تميز بين المسلم العربي وغير العربي وتدعو إلى محاربتها ، انظر زاهية قدورة : الشعبية ،

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٤٢ .

أبياتاً من الشعر قال فيها بالارجاء (١) .

والارجاء ذاته لم يتنصر لجنس من الناس ضد جنس آخر أو للموالي ضد العرب فهو بمعناه البسيط تأخير اصحاب الذنوب وعدم الحكم عليهم بجنة أو نار إلى يوم القيامة ، والأصل أنه نشأ أيام اختلاف المسلمين في عهد علي بن أبي طالب فحدث أن توقفت جماعة من المسلمين من القول بالضلal على أحد وتخرجت من الحكم على الناس ووكلت ذلك إلى رب العالمين ، وقيل أيضاً بأن معنى الإرجاء من أرجأ بمعنى بعث الرجاء أو اعطاه أي أن المرجئة يرجون لكل مسلم مغفرة من الله (٢) .

على أن مفهوم الإرجاء قد تطور واختلط بالجبرية والقدرية (٣) وإن كان هذا التطور لم يؤثر عن الحارث بن سريج في خراسان بل أثر عن بعض اتباعه كالجهم بن صفوان (٤) الذي خرج من الإرجاء إلى القول بالجبرية الخالصة حتي أصبح صاحب مذهب بالغ التطرف نسب إليه وعرف باسم مذهب « الجهمية » (٥) .

(١) واشهرها قوله : ترجى الأمور إذا كانت مشبهة ونصدق القول فيمن جار أو عندا

انظر الاصبهاني : الأغاني ، ١٤ ، ٢٥٠ ، ، وأشار الدكتور الغزي إلى أن ثابت قطنة مال إلى هذا

المذهب وخالف فيه نصر بن سيار . انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٤٢ .

(٢) انظر المصري : أثر أهل الكتاب في الفتن ، ٥٣٣ .

(٣) الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى ، والقدرية قدرة العبد على اكتساب

اعماله . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ٨٥ .

(٤) الجهم بن صفوان مولى بني تميم أو لبني راسب من الأزدي اليمنية أصله من بلخ ويعرف بالسمرقندي

لأنه عاش فترة من الزمن فيها ، وظهرت بدعته « بترمز » وهو تلميذ الجعد بن درهم مولى بني

همدان اليمنية أول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته . انظر الشهرستاني : الملل

والنحل ، ٨٦ ، قتله سلم بن أحوز المازني التميمي ، ومن الغريب أن صاحب أعلام تميم ترجم له

بما يوحي أنه عربي صليبة فقال : هو مجاشعي حنظلي من تميم ، وعبد قتله من الأعمال المؤسفة

التي قام بها سلم بن أحوز . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ١٧٧ ، ٢٩٧ .

(٥) توافق الجهمية المعتزلة بنفي الصفات الأزلية وتزيد بأنه لا يجوز أن يوصف الله تعالى بصفة يوصف

بها خلقه ، لأن ذلك يقضي تشبيها ، وكان جهم يخرج باصحابه فيقفهم على المجذومين ويقول :

وقد عرف الحارث في بداية امره مقاتلاً صنديداً في جيش المسلمين ، برز في صفوف بني تميم أيام حصار « كمرجة » في أرض « سمرقند » عام ١١٠ هـ ^(١) ، وفي عام ١١٦ هـ خلع واقتل من « النخذ » حتى وصل إلى « الفارياب » وقدم أمامه بشر بن جرموز الضبي التميمي ، فوجه عاصم الهلالي إليه حنظليين من تميم هما : هلال بن عليم والأشهب الحنظلي ومعهما جرير بن همام السدوسي البكري ، ومنصور بن عمر بن أبي الخرقاء وخطاب بن محرز السليمان ، ومقاتل بن حيان النبطي مولى بني شيان البكرين ^(٢) .

وقد أخفق هذا الوفد في مسعاه بنسب تعنت الحارث ، فتناول الموفوون الحارث في « مرو » وذكروا خبث سيرته وغدره ، أما هو فقد استولى على « بلخ » وطرده عاملها نصر بن سيار ^(٣) .

وولى الحارث أحد ولد عبد الله بن خازم على « بلخ » وفيما بين أرض « الجوزجان » و « بلخ » كان الحارث يدعو إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضا ، ومعه ستون ألفاً من الفرسان فيهم : حماد بن عامر بن مالك الحماني السعدي التميمي ، وبشر بن أنيف الرياحي اليزيدي الحنظلي التميمي ، ومحمد بن المثنى الحداني الأزدي اليماني ، ووابصة بن زرارة العبدي الربيعي ، ووصف الطبري أصحاب الحارث بأنهم فرسان الأزدي وتمرير ^(٤) .

انظروا ، أرحم الراحمين يفعل مثل هذا ؟ انكاراً لرحمته كما أنكر حكمته . ويقال أن جماعة من الدهريين جادلوا جهنماً قتل أربعين يوماً بدون صلاة . وجههم على طرفي نقيض مع مقاتل ابن سليمان فجهم يبالغ في النفي والتعطيل ومقاتل يسرف في الاثبات والتجسيم ، انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ٨٦ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، ١٩٩ .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٢٦ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٥٩ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٢٧ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٢٢٧ .

وبالمقابل كان مع عاصم الهلالي عدد من وجوه القبائل أشهرهم خالد بن هريم
الثعلبي اليربوعي الحنظلي التميمي ويزيد بن قرآن الرياحي اليربوعي الحنظلي
التميمي (١) .

وقد اجتاحت الحارث « الجوزجان » و « الفارياب » و « الطالقان » و « مرو الروذ »
مما حدا بعاصم إلى التفكير في الهرب إلى « نيسابور » وطلب مدد من الخليفة بالشام
لولا أن أصحابه التميميين ثنوه عن ذلك فمكث بـ « مرو » (٢) .

وفي أرض « مرو » كانت المواجهة بين الطرفين الحارث بوجوه من عدد من
العشائر العربية ودهاقين العجم ، ، وعاصم الهلالي بأهل مرو من العرب وغيرهم ،
وحين أوشكت الهزيمة أن تحيق بالحارث وأصحابه طلبوا المهادنة فأجيبوا إلى ذلك
وأرسل أهل « مرو » إليهم عدداً من الفقهاء والقراء وكبار القوم منهم : المؤمن بن خالد
الحنفي البكري ، ومقاتل بن حيان النبطي ، وأرسل الحارث محمد بن مسلم العنبري
التميمي لمناظرتهم ، على أن المناظرة لم تسفر عن نتيجة فالتحم الفريقان من جديد ،
وانهزم الحارث وأصحابه (٣) .

وعاد الحارث للحرب مرة أخرى ، وأوشك عاصم أن ييئس معه فيما يشبه
الإجماع على مناهضة الخليفة بعد أن أرسل الخليفة أسد القسري والياً على خراسان
مرة ثانية (٤) ، غير أن هذه المحاولة فشلت بتصدي يحيى بن الحضير زعيم ربيعة لها ،
فنزل عاصم بقرية لكندة بأعلى « مرو » ونزل الحارث بقرية لبني العنبر التميميين

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٢٨ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٢٨ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٢٨ .

(٤) علم عاصم بمقدم أسد حين نزل « الدائقان » وسير على مقدمته محمد بن مالك الهمداني اليماني ،

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٢٤ .

فالتقوا بالخيـل والرجال حتى انهزم الحارث بعد أن أبدى شجاعة عجيبة ، وكثر القتل في التميميين من أصحابه (١) .

وأدعى أسد القسري هزيمة الحارث الذي تحصن بـ « مرو الروذ » حيث الغالبية التميمية ، وتتابعت المعارك في « مرو الروذ » و « أمل » حتى اضطر الحارث إلى النزوح إلى « ترمذ » (٢) في وقت اضطربت فيه أمور « سمرقند » ، وظهر نشاط دعاة آل العباس مما دعا بأسد إلى حشد عددٍ من المقاتلة من أبناء القبائل ، وتعيين رؤساء جدد عليهم أمثال : الحوثر بن يزيد العبدي الذي عينه على بني تميم ، ومنصور بن سالم الذي عينه على أهل العالية (٣) .

وقد بعث أسد الجيوش إلى « ترمذ » و « أمل » و « سمرقند » (٤) ، كما قبض على نقباء الدعوة العباسية بتحريض من أحد الباهليين ، فتكلم اليمانيون من النقباء ودافعوا عن أنفسهم متذرعين بحسد الباهليين وهقدهم عليهم لشدتهم على قتيبة ، فغنى أسد عن اليمانيين ثم الربيعيين ، وعذب المضربين وهم من تميم وكاد أن يفتك بهم لولا شفاعة الأزدي فيهم (٥) .

وكانت الضربة الموجهة لأصحاب الحارث على يد الكرمانى الأزدي اليماني عام ١١٩ هـ وذلك في « بلخ » وفي قلعة « التبوشكان » بـ « طخارستان » وكان مع

(١) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٦ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٨ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٢٢٦ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٨ .

(٥) أمر أسد بكعب بن موسى التميمي أحد النقباء فألجم بلجام حمار وأمر باللجام أن يجذب فجذب حتى تخطمت اسنانه ، فقال لاهز بن قريط التميمي وهو من النقباء ما هذا حق تترك اليمانيين والربيعيين وتعذبنا ، فكاد أسد أن يفتك به لولا شفاعة الأزدي انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٢٢٨ .

الكرماني رؤساء اليمانية من أمثال : سالم بن منصور البجلي ، وصالح بن القعقاع الأزدي (١) . غير أن أسداً القسري وقواده وغالبيتهم من أهل اليمن قد لقوا عنتاً من الحارث حيث اعتصم بـ « طخارستان » واستعان بالثائرين من الترك الثائرين ببلاد ماوراء النهر ، وكانت حرباً مميتة جمع أسد فيها القبائل على رايتها والدهاقين ، ومع الحارث « خاقان » و « جيغوية الطخاري » وملك السغد ، وقد التقوا « بيلخ » و « مرو الروز » ثم ببلاد ماوراء النهر وبـ « سمرقند » بالذات (٢) .

وفي عام ١٢١ هـ سار نصر بن سيار إلى بلاد ماوراء النهر ، وكان الحارث ابن سريج يومئذ بأرض الترك فأقبل معهم ، وعلى الترك كورصول ، أما نصر فكان معه عشرون ألفاً من غير العرب وهم أهل « بخارى » و « سمرقند » و « كش » و « أشروسنة » والعرب على أحماسهم (٣) .

وقد قُتل « كورصول » وهُزمت الترك (٤) فكتب يوسف بن عمر والي العراق إلى نصر أن سر إلى هذا الغارز ذنبه في « الشاش » يعني الحارث بن سريج فإن أظفرك الله به وبأهل الشاش فخر ببلادهم واسب ذرايهم وإياك وورطة المسلمين ، فأنفذ نصر أمر يوسف وهزم الحارث ومن معه من الترك وعاد إلى « سمرقند » (٥) :

وفي عام ١٢٧ هـ طمع نصر بن سيار في مناصحة الحارث بن سريج ومصالحته وذلك بسبب الفتنة بين نصر والكرماني وخشيته من قدوم الحارث عليه في أصحابه ،

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٣١ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٢٧ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٦٩ .

(٤) سأل « كورصول » عن أسره فقيل : عاصم بن عمير التميمي قال : لست أجد ألم القتل إذا كان من أسرنى فارس من فرسان العرب . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٢٤ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٨٧ .

فأرسل إليه مقاتل بن حيان النبطي ، ثم أخذ له أماناً من الخليفة يزيد بن الوليد وردّ عليه أمواله ^(١) ، فقدم الحارث وأقام بـ « مرو الروذ » ، وكان الناس قد لقوه بـ « كشمأهين » فلمّا لقيهم قال : ماقرت عيني منذ خرجت إلى يومي هذا ، وماقرت عيني إلا أنّ يطاع الله ، ولقيه نصر وأنزله وأجرى عليه كل يوم خمسين درهماً ، فكان يقتصر على لون واحد وطلق أهله ، وأولاده وعرض عليه نصر أنّ يوليه ويعطيه مائة ألف دينار فلم يقبل ، وأرسل إلى نصر أنّي لست من الدنيا والآلذات في شيء أنما أسألك كتاب الله ، والعمل بالسنة ، وأن تستعمل أهل الخير فإن فعلت ساعدتك على عدوك ^(٢) .

وكتب الحارث أيضاً إلى الكرمانى بمثل ما كتب به إلى نصر ، ودعا بني تميم إلى نفسه فأجابه منهم ومن غيرهم جمع كثير وقال لنصر : إنّما خرجت من هذه البلدة منذ ثلاث عشرة سنة إنكاراً للجور وأنت تريدني عليه ^(٣) .

وخرج الحارث سنة ١٢٨ هـ من « مرو » وعسكر خارجها بنحجة أنّ الخليفة الجديد مروان بن محمد لا يجيز الأمان الذي أعطاه له يزيد ^(٤) ، وطلب من نصر أن يجعل الأمر شورى ، ويعزل العمال بما فيهم سلّم بن أحوز التميمي صاحب الشرطة ^(٥) .

(١) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٦٠ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٧٦ .

(٣) وكانت امرأة نصر المرزبانية بنت قديد بن منيع المنقري التميمي ، أحد سادة مضر بخراسان تلاطف الحارث وتهدي إليه فيقسم هديتها بين أصحابه بالسوية . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ص ٥٣ .

(٤) لما صارت الخلافة إلى مروان بن محمد استوحش الحارث من ذلك وامتنع عن البيعة وتكلم في مروان ، انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٦ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ص ٦٦ .

واتفق الرأي على أن يُحكّم الطرفان بينهما أناساً من أهل العلم والدراية ، فاختار نصر مقاتل بن سليمان ، ومقاتل بن حيان ، واختار الحارث المغيرة بن شعبة الجهضمي ، ومعاذ بن جبلة ^(١) .

ولم يتوصل هؤلاء إلى حل يرضي الطرفين ، وأخفق أيضاً كل من جهم بن صفوان ، ومقاتل بن حيان حينما حكّما بعد ذلك بين نصر والحارث ، ورفض الحارث عرض نصر أن يوليه ما وراء النهر ويعطيه ثلاثمائة ألف ^(٢) .

وكان الحارث يزعم أنه صاحب الرايات السود وقد أمر كاتبه الجهم بن صفوان أن يقرأ سيرته في الأسواق والمساجد ، فاجتمع عليه خلق كثير قاتل بهم نصراً ^(٣) ، ثم انضم إلى الكرمانى واليمن وربيعة ، وأخيراً فارقهم واعتزل حربهم مع نصر ، ولما خرج نصر من « مرو » دخل الحارث في صراع مع الكرمانى وأتباعه ، وقاتل حتى قتل مع نفر من أصحابه غالبيتهم من تميم ^(٤) وكان ذلك في عام ١٢٨ هـ .

وبمقتل الحارث انتهت فتنته التي امتدت اثني عشر عاماً دعا الحارث خلالها إلى تحكيم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والبيعة للرضى ، مع مناداته أحياناً بمنع الظلم والجور ، والتشجيع أحياناً أخرى على ولاية بني أمية ، وهذه دعوات عامة لا تحمل فكراً فلسفياً شاذاً لكن الحارث أبى كل عروض المصالحة ورفض مقترحات الوسطاء والمحكمين كما أنه وضع يده بيد المشركين في حربه ضد الولاة وفي حربهم هم ضد

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ٢٩٢ .

(٢) كما أن زعماء تميم كلموا الحارث وقالوا : ألم يُصير نصر سلطاناً وولايتة في أيدي قومك ألم يخرجك من أرض الترك ومن حكم خاقان ، غير أن الحارث لم يسمع كلامهم . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٩ ، ٦٦ .

(٣) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ٦٦ .

(٤) انظر ابن خياط : تاريخ بن خياط ، ٣٨٣ .

ولم يكن لآرائه - إن صحَّ أن يقال أنَّ له آراء - أي أثر بعد وفاته وذلك على النقيض من آراء كاتبه الجهم بن صفوان مولى تميم أو بني راسب الأزديين اليمانيين الذي قتل قبله بعد أن اشتد في معتقده حتى أنكر صفات الله تعالى وغالى في جبريته حتى عدَّ مذهبه من أخطر المذاهب وأشدّها بعداً عن منهج الإسلام (٢) .

وقد رأينا أنه قد تبع الحارث جمع كثير من العرب والموالي ، كما أنَّ المناهضين له كانوا من العنصرين ، مما لا يصح معه أن يقال بأنَّ ثورة الحارث ثورة للموالي أو هي انتصار لهم ضد العرب ، كما أنَّ العرب الذين معه ينتمون إلى مختلف القبائل وكذلك كان العرب من أضداده .

وفيما عدا ثورة الحارث وظهر دعاء آل العباس شهدت خراسان حركتين للطالبين الأولى ليحيى بن زيد بن علي بن الحسين ، وهي امتداد لحركة أبيه الذي ثار بالكوفة وقتل بها سنة ١٢٢ هـ (٣) في خلافة هشام بن عبد الملك وولاية يوسف ابن عمر على العراق ، وكان من أمر يحيى أن سار إلى خراسان بعد مقتل أبيه ونزل « بلخ » إلى أن سرَّحه نصر بن سيار منها بعد أن أمنه ووصله وحذّره الفتنة .

(١) قال نصر للحارث بن سريج : إن كنت تزعم أنكم تهديمون سور دمشق وتزيلون ملك بني أمية فخذ مني خمسمائة رأساً ، ومائتي بعير ، واحمل من الأموال ماشئت وآلة الحرب وسر فلعمري لئن كنت صاحب ماذكرت إني لفي يدك وإن كنت لست ذلك فقد أهلك عشيرتك ، فقال الحارث قد علمت أنَّ هذا حق ولكن لا يبايعني عليه من صجني فقال نصر فقد ظهر أنهم ليسوا على رأيك فاذا كر الله في عشرين ألفاً من ربيعة واليمن يهلكون فيما بينكم ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٢١٩ .

(٢) قالت زاهية قدوره: أن حركة أبي مسلم الخراساني امتداد لحركة الحارث بن سريج. والحق أن حركة أبي مسلم ثمرة للدعوة العباسية التي ظهرت منذ عام ١٠٠ هـ والتي افادت من الثورات والاضطرابات أمثال حركة ابن سريج . انظر زاهية قدوره : الشعبية ، ٦٧ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٢٤٠ .

ولما لم يكمل يحيى مسيره أرسل إليه نصر سَلَم بن أَحوز المازني التميمي على رأس جيش فأدركه بـ « الجوزجان » وقتله حتى قتل في عام ١٢٥ هـ ^(١) دون أن يكون له اتباع كثيرون من القبائل العربية في خراسان ، بل لقد قيل أنه كان في سبعين رجلاً قدم أكثرهم معه من العراق ^(٢) .

أما الحركة الثانية فهي لعبد الله بن معاوية بن حبيب بن جعفر بن أبي طالب ، الذي خرج وكثر أتباعه في عام ١٢٩ هـ ولحق بـ « هراة » بعد أن جاء بأمر مبتدعة في الدين مالا فيها أهل الإلحاد ، وقد انتهى به الأمر إلى القتل على يد مالك بن الهيثم الخزازي والي « هراة » من قبل أبي مسلم الخراساني ^(٣) ، دون أن يحدث أثراً كبيراً بعد مجيئه إلى خراسان ، ودون أن يكون للقبائل العربية موقف معين من حركته المذهبية ^(٤) .

وبصفة عامة فإنه من الصعب القول بأن قبيلة ما أو مجموعة من القبائل قد اتخذت أو تبنت مذهباً فكرياً بشكل جماعي ، بل أن مجموعة من الأفراد قد ينضون تحت فتنة مذهبية مع عدم وجود رابطة قبلية توحد بينهم مع ملاحظة أن المذاهب الفكرية لم تكن قد اتضحت صورتها في هذا الوقت ، وإن وجدت فهي لخدمة أغراض سياسية .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٣٠٠ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٣٠٠ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٣٠٦ .

(٤) وفي أواخر أيام بني أمية بخراسان اجتمع عدد كبير من القبائل غالبيتهم من ربيعة واليمن على شيان ابن سَلَمَة السدوسي البكري الريمي ، وهو خارجي حروري ، يقال أنه أول من أظهر تشبيه الله بخلقه تعالى عن ذلك . وقد عظم شأنه بـ « مرو » ورفض دعوة أبي مسلم له للبيعة غير أنه اضطر إلى الخروج إلى « سرخس » مع نفر من بني بكر بن وائل ، فأدركه جيش لأبي مسلم فحاربه حتى قتل في عام ١٣٥ هـ . انظر ابن خياط : تاريخ ابن خياط ٢٩٠ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٣١١ ، الشهرستاني : الملل والنحل ، ٢٤٥ .

٤ - شعر القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر وأثر اللغة والأدب العربيين في تلك البلاد :-

رافق الشعر العربي حركة الفتح الأولى بخراسان ، إذ تروي المصادر مقطوعات شعرية تذكر الانتصارات قالها قادة المعارك وأبطال الحرب من أمثال : ربيعة بن عامر التميمي ^(١) ، وأسيد بن المتشمس التميمي ممن كانوا مع الأحنف بن قيس .

والشعر العربي الخراساني لا يختلف عن غيره من الأشعار العربية حتى في الموضوعات التي طرقها والميادين التي تعرض لها ، بمعنى أن الحياة الجديدة قلما لفتت انظار شعراء خراسان إلى التحدث عنها ، أو هم لم يسمعوها إحياءها المتصل بطبيعتها المختلفة عن الطبيعة التي عاشوا فيها ، وعاش فيها أجدادهم من قبل ، ولعل ذلك راجع إلى أن شعر هؤلاء الشعراء قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بواقعهم السياسي والحربي والقبلي أيضاً ، مما لم يجدوا معه مجالاً للحديث عن الطبيعة الخراسانية والحياة الجديدة بما فيها من أناس وحيوانات وأشجار ^(٢) ، ثم أن أغلب الشعراء الخراسانيين كانوا قواد معارك وفرساناً محاربين يتغنون بالأمجاد ، ويشيدون بالانتصارات ، ويتوجعون على الانكسارات والفواجع التي تلهم بالمجتمع في بعض الأحيان وتلم بقبائلهم وعشائهم في أحيان

(١) يقول ربيعة بن عامر التميمي :

وراء من « المروين » إن كنت جاهلاً	ونحن وردنا من « هراة » مناهاً
و « طوس » و « مرو » قد أزرنا القنابلاً	و « بلخ » و « نيسابور » قد بقيت بنا
نفضهم حتى احتربنا المناهلاً	أنخنا عليهم كورة بعد كورة
	وينسب ربيعة إلى أمه أحياناً وفيه يقول النجاشي :
ألا إن ربيعة بن كأس هو الفتى	ألا رب من يدعى فتى ليس بالفتى
إذا شبعوا من ثقل جفنته سقى	طويل قصود القوم في قعر بيته

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٢٦٤ .

(٢) انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٤٧ .

أخرى مستجيبين في هذه الأخيرة لدواعي العصبية^(١) .

وأغلب شعراء خراسان جاءوا مهاجرين مع قبائلهم ، وكان لكل قبيلة شاعرها فلألزبد ثابت قطنة وكعب الأشقري ، وليكر بن وائل نهار بن توسعة ، ولعبد القيس زياد الأعجم ، ولتميم المغيرة بن حنّاء ، بالإضافة إلى شعراء آخرين لا يعرف لهم شعر إلا في المناسبات الكبيرة الخطيرة كالذي حدث عند مقتل عبد الله بن خازم وفي وثوب وكعب بن حسان على قتية ، وفي حرب اليمانية ومضر أيام نصر بن سيار^(٢) .

ويمكن القول بأن الشعر العربي الخراساني أفاد تاريخياً من ناحية الاستئناس به بشأن بعض الوقائع والحوادث وإن كان التاريخ هو الذي يخدم الأدب وليس العكس ، ومن راعوا أهمية الجانب الأدبي والشعر في الأخبار التاريخية الطبري : حين أثبت نصوصاً كثيرة قرنوها بالحوادث سواء كان ذلك في حركات الفتح أو في الانتفاضات والثورات^(٣) .

وتعد قصيدة مالك بن الربّ التميمي في رثاء نفسه من جيد الشعر العربي الخراساني^(٤) ، وقد قالها حين أحس بدنو أجله في أرض « مرو » وأتهم البرواة فيما بعد بالتطويل والإضافة إليها^(٥) .

وأثارت فتنة ابن خازم قرائح الشعراء من أمثال : المغيرة بن حنّاء الحنظلي التميمي الذي نعى على بكر بن وائل هزيمتها ، والحريش بن هلال السعدي

(١) وأشهر هؤلاء المغيرة بن حنّاء التميمي ، وثابت قطنة الأزدي ، وكعب الأشقري الأزدي .

(٢) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٥٧ .

(٣) انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٥٠ .

(٤) انظر محمود شاكر : خراسان ، ٢٢ ، وقد أورد ٥٦ بيتاً هي كامل القصيدة .

(٥) أشار الأصبهاني إلى النحل في هذه القصيدة نقلاً عن أبي عبيدة . انظر الأصبهاني : الأغاني ،

ج ١٩ ، ١٥٠ .

التميمي الذي وصف شجاعته وتحسر على تفرق قومه التميميين (١) .

وكثر في الشعر الخراساني وصف المعارك وفتح القلاع والحصون كما تحسر الشعراء على ما يعرض للمسلمين من نكبات ، ومن أبلغ ما قيل في هذا المعنى مقطوعة لأبن السَّجَف المجاشعي الحنظلي التميمي يصور فيها وقعة الشعب في عام ١١٣ هـ ، ويخاطب هشام بن عبد الملك بقوله :

أذكر يتامى بأرض الترك ضائعة هزلى كأنهم فى الحائط الحجل
وارحم وإلافهها أمه دمرت لا أنفس بقيت فيها ولا نفل
وقريباً من هذا قول ابن عرس العبدي الربعي يذكر شهداء هذه الوقعة ويندبهم بقوله :

أين حُماة الحرب من معشر كانوا جمال المنسر الحارد
بادوا بأجال توافوا لها والعائر المهمل كالبائد
إلى أن قال مخاطباً الجنيد المري :

لا تحسبن الحرب يوم الضحى كشربك المزاء بالبارد
أضحت « سمرقند » وأشياعها أحدىثة الغائب والشاهد (٢)

(١) وقد تقدم الإشارة إلى ذلك ، ومن جيد ما ينسب إلى الحرّيش قوله يرثي قطن بن عمرو بن الاهتم السعدي التميمي :

إذا ذكرت قتلى الكرام تبادرت عيون بنسي سعد على قطن دما
أناه نعيم يتغيه فلم يجد ب « بيهق » إلا جفن سيف واعظما
وغير بقايا رمة لعبت بها أعاصير « نيسابور » حولاً مجرماً
انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ٥٣٨ ، وقد ذكره الدكتور الغزي باسم الحرشي والصواب انه الحرّيش .

انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٥٢ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢١٢ .

وأُسهم الشعر الخراساني في معركة العصبيات في آواخر العصر الأموي ، يقول
المفضل السلمي :

يامعشر الأزد أنني نصحت لكم فلا تطيعوا جديعاً أيما صنعا
فما تناهوا ولا زادتهم عظة إلا لجاجاً وقالوا الهجر والقذعا
يا معشر الأزد مهلاً قد أضلكم ما لا يطاق دفعاً إذا وقعاً (١) .

وحذر نصر بن سيار من مغبة هذه العصبيات والفتن السائرة في ركابها ، ثم هو
قد تورط بالعصبية في آخر الأمر فقال بعد موت الحارث بن سريج التميمي :

يامدخل الذل على قومه بعداً وسُحقاً لك من هالك
شؤمك أردى مضراً كلها وعض من قومك بالحارك
فما كانت الأزد وأشياعها تطمع في عمرو ولا مالك (٢) .

واستصرخ الشعراء نصر بن سيار في أخريات أيام الفتنة ومن ذلك قول عباد ابن
الحارث بن سريج :

ألا يا نصر قد برح الخفاء وقد طال التمني والرجاء
وأصبحت المزون بأرض « مرو » تقضى في الحكومة ما تشاء
فإن مضر بذا رضيت وذلت فطال بها المذلة والشقاء (٣) .

(١) انظر المرزباني : معجم الشعراء ، ٢٣٧ .

(٢) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ٢٦ .

(٣) ذكر ابن كثير أن هذه القصيدة رد من عباد بن الحارث على نصر في قصيدته السابقة . انظر ابن
كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ٢٧ .

لكن نصراً كان يستغيث هو الآخر ، ويستنجد ويستصرخ بني أمية بقوله :

أبلغ يزيداً وخير القول أصدقه وقد تبينت أن لا خير في الكذب

إن خراسان أرض قد رزيت بها أيضاً لو أفرخ قد حدثت بالعجب

فراخُ عامين إلا أنها كبرت لما يطرن وقد سربلن بالزغب (١)

وقوله

أرى تحت الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام

أقول من التعجب ليت شعري أليقظ أمية أم نيام (٢)

وتطرق بعض الشعراء للصراع الفكري بين النحل والمذاهب ، ومن ذلك أن ثابت
قطنة أشار إلى مفهوم الأرجاء بقوله :

ترجى الأمور إذا كانت مشبهة ونصدق القول فيمن جار أو عندا

المسلمون على الإسلام كلهم والمشركون أشتوا دينهم قددا

ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً م الناس شركاً إذا ما وحد الصمدا (٣)

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ٤٧ . ويقصد بيزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق .

(٢) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ٣٢٧ .

(٣) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ١٤ ، ٢٦٥ ، وعلق الدكتور الغزي على هذه الأبيات بقوله : كأن

ثابت قطنة يقول : لا تضر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة ، وكان هذا المذهب يعد
مسألة الخلافة بالنسبة لعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) من الأمور
المشبهة التي يرجأ الحكم فيها إلى الله ، والمرجئة يقفون في هذا الرأي مع الخوارج على طرفي
نقيض إذ كان الخوارج يكفرون عثمان وعلياً جميعاً ، ولذلك ردّ ثابت قطنة عليهم بقوله :

كل الخوارج مخط في مقالته ولو تعبد فيما قال واجتهد

انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٦٠ .

وهاجم نصر بن سيار الحارث بن سريج مفنداً إرجائه ومشنعاً عليه وضع يده في يد خاقان الترك في قصيدة ورد فيها قوله :

ارجأؤكم لزكم والشرك في قرن فأنتم أهل اشراك ومرجونا
فامنع جهادك من لم يرج آخره وكن عدواً لقوم لا يصلونا^(١)

ولم يمنع انشغال الشعراء بعظائم الأمور من المعارك وأهوال الاضطرابات من أن يرد لهم مقطوعات شعرية في الحنين إلى الأوطان والغزل والحديث عن الصيد ، وخير من مثل الحنين إلى الأوطان مالك بن الرّيب وهو شاعر غزلي أيضاً ، وله في ذلك قوله :-

تذكرني قبابُ الترك أهلي ومبدأهم إذا نزلوا سناما
وصوت حمامةٍ بجبال « كس » دعت مع مطلع الشمس الحماما
فبت لصوتها أرقاً وبانت بمنطقها تراجعني الكلاما^(٢)
وفي الغزل قال أبو جلدة اليشكري البكري على نهج الأقدمين :
بانت سعادٌ وأمسى جلها انقطعاً وليت وصلاً لها من جلها رجعا
شطت بها غربةٌ زوراء نازحةً فطارت النفسُ من وجد بها قطعاً^(٣)

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ٥٧ .

(٢) انظر الغزي : الشعر الأموي ، ٦١ .

(٣) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ١١ ، ٢١٤ ، وأبو جلدة من بني عدي بن جشم بن يشكر من بكر ابن وائل الربعية المدنانية واسم أبيه عبيد الله مات عام ٨٣هـ وقيل : بل قتله الحجاج في ذلك العام لاشتراكه في ثورة ابن الأشعث ، كان أبو جلدة مولعاً بالشراب ، وكان يهاجي زياداً الأعجم ، انظر الزركلي : الأعلام ، ج ٢ ، ١٣٣ .

وفي الصيد نظم الشمردل بن شريك أراجيز كثيرة منها قوله :-

قد اغتدي والصبح في حجا به والليل لم يأو إلى مآبه

وعرف الصوت الذي يدعى به ولمعة الملمع في أثوابه ^(١)

أما الهجاء والنقائض فلم ينج الشعر الخراساني منها ، بل لقد غالى الشعراء في ذلك ، وبلغ الذورة فيه شعراء خراسان المشهورون الذين سنقف عند حياة كل واحد منهم مترجمين له ومتتبعين آثاره ما أمكن ذلك .

ومن موضوعات الشعر الخراساني أيضاً المديح والرثاء ، فللمغيرة بن حنناء قصائد رائعة في المهلب ، وقتيبة لم يسر فيها على النظام التقليدي من حيث التمهيد لها بذكر الناقة ووصف الديار والأطلال ، والمغيرة فارس صنيذ تستهويه الشجاعة في ممدوحية من الولاة فيعبر عن ذلك اعجاباً وارتياحاً ^(٢) .

ولثابت قطنة قصائد أخرى في آل المهلب ، ولكعب الأشقري قصائد أيضاً نظمها في آل المهلب وقتيبة ، وربما اقترن المديح بالتحريض والإثارة ، وذلك كقصيدة نهار ابن توسعة البكري التي يمدح فيها قتيبة ويحثه على الفتك بمن ينوون الثورة عليه ، ومن المفارقات أن هذا الشاعر عاد فوصف قتيبة بعد موته بالتجبر ، وشمّت بمقتله ^(٣) .

على أن المدح في الشعر الخراساني قد تميز بالجودة والابداع لما توفر في الولاة القواد الممدوحين من صفات البطولة النادرة والكرم اللامحدود ، وكان مادحهم فرسان مشاهير في غالبيتهم ، ورؤساء مطاعون في قبائلهم .

(١) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ١٣ ، ٣٥٦ .

(٢) يبدو المغيرة في شعره ندأً لممدوحه مساوياً لهم ومن ذلك قوله في قتيبة :-

أبلغ أبا حفص قتيبة مدحتي وأقرأ عليه تحيتي وسلامي

انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٤٦ ، ١٤٥ .

(٣) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ١٩٢ .

وحظي الرثاء أيضاً بشعر متميز جيد ، يُعد في الذروة من المراثي العربية ، وقد جاء نتيجة للسفك والتقتيل ومصارع أبرز الوجوه والرؤساء العرب في الفتن الداخلية والثورات ، فكانت هذه المآسي مصدراً خصباً ازدهر فيها شعر الرثاء ونما^(١) .

كما أنَّ حركات الفتح واستشهاد عددٍ من الأبطال في ساحات الوغى قد أثار القرائح فنظم الشعراء القصائد الطوال وأتوا بفرائد من مقطوعات الرثاء .

وطبيعي أن يرافق شعر الرثاء حركة الفتح من أولها لما ينتج عن المعارك من استشهاد عدد من المقاتلين ، وهكذا فعل الشاعر ابن الغريرة حينما رثى شهداء « الجوزجان »^(٢) ، ومثله فعل الشمردل بن شريك^(٣) في رثاء إخوته أيام يزيد ابن المهلب ، ونهار بن تَوْسعة في رثاء أخيه عتبان^(٤) .

وحينما قُتل محمد بن عبد الله بن خازم رثاه أبوه^(٥) ، فلما صرَّع الأب رثاه أحد بني سليم بقوله :

أليتنا بنيسابور ردي علي الصبح ويحك أو أنيري

كواكبها زواحف لا غبات كأن سماءها بيدي مدير^(٦)

(١) ومن ذلك ما قيل في مصرع عبد الله بن خازم وقتيبة بن مسلم . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ١٩٧ ، ج٨ ، ١٠٢ ، والنفاض ، ج١ ، ٣٦٣ .

(٢) انظر ياقوت : معجم البلدان ، ٢ ، ١٤٩ ، وقد تقدم الإشارة إلى الأبيات .

(٣) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج١٣ ، ٣٥٢ .

(٤) يقول نهار بن تَوْسعة :

عتبان قد كنت امرأة إلى جانب حتى رزئتك والحدود تضعض

انظر ديوان الحماسة ، ٣٧ .

(٥) كما رثاه أخوه موسى بن خازم بقوله :

ذكرت أخي والخلو مما أصابني يفظ ولا يدري بما في الجوانح

انظر المرزباني : معجم الشعراء ، ٢٨٧ .

(٦) لا غبات : بطيئات ، وهذا البيت للمهلهل بن ربيعة الشاعر التغلبي الجاهلي . انظر حسين علوان : =

تلوم على الحوادث أم عمرو وهل لك في الحوادث من نكير^(١)

وقد يتصل الرثاء بنعي الشاعر^{على} عشيرته تهاونها في الأخذ بثأر قتلها كما فعل
عصام بن رجاء السعدي في رثاء بكير بن وشاح التميمي^(٢) .

ومن جيد الرثاء الخراساني قصيدة عبد الرحمن بن جمانة الباهلي في رثاء قتيبة
ابن مسلم ومنها قوله :

كأن أبا حفص قتيبة لم يسر بجيش إلى جيش ولم يعل منبرا

ولم تخفق الرايات والقوم حوله وقوفاً ولم تشهد له الناس عسكرياً^(٣)

دعته المنايا فاستجاب لربه وراح إلى الجنات عفأ مطهراً

وللشعراء مرثي مثيرة فيمن ماتوا حتف أنوفهم كالمهلب بن أبي صفرة الذي رثاه
نهار بن توسعة البكري بقوله :

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما بـ « مرو الروذ » رهني ضريحه وقد غيبا عن كل شرق ومغرب^(٤)

وذلك في قصيدة يذكر فيها الغزو والجهاد والكرم والجود وأنها قد ذهبت بذهاب
المهلب وغيابه ، وقريباً من ذلك رثاء زياد الأعجم للمغيرة بن المهلب الذي وصفه بأنه
صاحب الصولة واليد الندية وأنه الشهاب المسلط على الكافرين والمنافقين^(٥) ، وغير

= الشعر الأموي بخراسان ، ٣٥ .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ١٠٣ .

(٢) انظر المرزباني : معجم الشعراء ، ٩١ .

(٣) انظر النقاظ ، ٣٦٣ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٠ . وقد ورد خطأ في قول الطبري : التميمي نسبة إلى

تميم مع أن الشاعر من بني تميم من بكر بن وائل ، وجاء الخطأ من التصحيف .

(٥) انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٨٨ .

ذلك من الفضائل التي عددها في قصيدة طويلة ورد فيها قوله :

أَنَّ السَّامِاحَةَ وَالْمَرْوَةَ ضُمْنَا قَبْرَابَ « مَرَوْ » عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ (١)

ومما يلاحظ هو كثرة المقطوعات في الشعر الخراساني ، ويرد البعض ذلك إلى أن الحروب المستمرة لم تعط الشعراء سعة من الوقت ليطلقوا في قصائدهم ، ومثلوا لذلك بأشعار لنهار بن توسعة البكري ، وحاجب الفيل المازني التميمي وعثمان بن صدقة ، وزباد الأعجم ، وبأشعار غير معروف قائلها (٢) .

ومع ذلك برز في خراسان شعراء فحول في مقدمتهم المغيرة بن حنبل (٣) شاعر بني تميم المقدم ، وأحد الفرسان المحدثين ، وهو من مواليد العراق ، وقدم خراسان مع المهلب بن أبي صفرة (٤) .

والمغيرة من أشرف قومه ، ومن أسرة عرفت بنظم الشعر والإبداع فيه (٥) ، وأثر عنه أنه كان فظاً غليظ القلب مع شجاعه وقوة بأس واعتداده بالنفس .

ولا ينسى المغيرة اعتداده بنفسه وبقومه حتى في مدحة للآخرين ، مدح طلحة لطلحة فخاطبه وكأنه ند له (٦) ، وكذلك فعل مع المهلب في قصيدة محكمة مستوفاه المعاني ،

(١) انظر بن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ٤٣٨ .

(٢) انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ٢٢٧ .

(٣) هو المغيرة بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف من بني ربيعة بن حنظلة بن تميم وحنبل أمه . وقيل بل لقب لأبيه الذي يدعى حبير أيضاً . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٢٢٦ ، الأمدي : المؤلف والمختلف ، ١٤٨ .

(٤) انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ١٤٧ .

(٥) كان أبو المغيرة شاعراً وكذلك كان أخوه : يزيد ، وصخر ، وبينه وبين أخوته مراسلات لا تخلو من العتاب والحكمة . انظر الأصبهاني : الأغاني . ج ١٣ . ٨١ .

(٦) ورد في مدحه لطلحة قوله :

فلا ترج مني نصرني ومودني إذا كنت عني بالمودة نائياً

سلسلة الألفاظ ، كما هو شأنه في أشعاره التي تنبض بأحاسيس الشجاعة والإقدام في الحروب ، وهذه صفات يتحدث عنها المغيرة لأنها ألصق بنفسه من الصفات الأخرى ، وما مدحه للمهلب وقتية إلا اعجاباً ببطولتهما واقتحاهما الأهوال فجاء شعره صادقاً قوياً جزلاً جيد السبك ^(١) .

وحين التحم الهجاء بين المغيرة وزيد الأعجم مولى عبد القيس وشاعرها بزّه المغيرة بهذا الجانب جانب الفروسية والاعتداد بالنفس ومصاولة الأقران فخرس زيد الأعجم وفزعت عبد القيس مع أن شاعرها هجاء طويل اللسان أبعد من المغيرة في الفحش والإيذاء ^(٢) ، وقد استشهد المغيرة في « نسف » ببلاد ماوراء النهر عام ٩١ هـ ^(٣) .

وتكاد يقترب ثابت قطنة الأزدي من المغيرة من حيث الفروسية والشعر ، لكن ثابت قطنة أشد تعصباً لقومه الأزدي من المغيرة بالإضافة إلى الضيق الشديد والحنق الذي يجده ثابت في نفسه على بنى أمية مما لا يوجد مثله عند المغيرة ^(٤) .

ولعل حنق ثابت على الأمويين إنما هو بسبب مصرع آل المهلب الذين كان يعتز بهم اعتزازاً بالغاً ، وهذا ما جعل نفسه تضطرم ، وتثور ولا تكاد تهدأ مع شاعرية خصبة ، وفروسية فذة ^(٥) .

وثابت قطنة من العَمَلِك واسمه ثابت بن كعب بن جابر بن كعب ، وكنيته أبو

= أجمَل غيري نائلاً لعطائكم ومن ليس يغني ^{مذموم} مثل غنائيا

انظر ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ج ٧ ، ٩٧ .

(١) انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ١٤٩ ، حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٢٩٠ ،

حسين حسن : أعلام تميم ، ٥٢٨ .

(٢) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ١٣ ، ٨٧ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأم والملوك ، ج ٨ ، ٨١ .

(٤) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ١٤ ، ٢٦٧ .

(٥) انظر الغزي : الشعر الأموي ، ١٦٠ .

العلاء^(١) ، وعرف بثابت قطنة لأن سهماً أصاب إحدى عينيه فكان يحشوها
قطناً^(٢) . وقد نزل ثابت أرض خراسان قبل نديه المغيرة التميمي وكعب الأشقري
الأزدي ، على أنه فارقها أيام أمية بن عبد الله الأموي ، ثم عاد إليها في ولاية
المهلب^(٣) .

وعلا شأن ثابت قطنة أيام المهالبة وطار صيته حين جمع مع الشاعرية حسن
القيادة ، والكفاءة في الأعمال والبلاء في الحروب فعد بذلك من مشاهير الفرسان
ذوي النجدة والبأس ومن محاربي الثغور ، وولاة الأقاليم الأكفاء^(٤) .

وكان ثابت من جلساء آل المهلب الدائمين ولصقائهم المخلصين حتى قيل إنه
وكعب الأشقري لا يفارقان مجلس يزيد^(٥) ، وما أن عصفت الأيام بالمهالبة حتى بدأ
ينظم فيهم عظيم المراثي في قصائد قوية مؤثرة يتهدد فيها ويتوعد بالانتقام لقوم ذهبوا -
في رأيه - نتيجة للغدر والتعصب القبلي لا لشق عصا الطاعة والخروج على دولة
الإسلام^(٦) .

(١) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٥٦ .

(٢) انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ٤٨٣ .

(٣) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ١٤ ، ٢٨١ .

(٤) انظر البغدادي : الخزائن ، ج ٤ ، ١٧٨ .

(٥) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ١٤ ، ٢٦٦ .

(٦) قال ثابت بعد مقتل يزيد بن المهلب :-

أرقت ولم تارق معي أم خالد وقد أرقت عيناى حولاً مجرمًا
على عالم هد العشيرة فقصده دعتة المنايا فاستجاب وسلما

إلى أن قال :

فعلى إن مالت بي الريح ميلة على ابن أبي ذبيان أن يتندما

يقصد مسلمة بن عبد الملك وذلك أن عبد الملك بن مروان كان يسمي أبا ذبيان لبخره . انظر الطبري :

تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٥٠ .

وكادت شدة ثابت وعنفه وعدم استكانته أن تعصف به هو الآخر وأن تذهب بريجه (١) لكنه سلم وهذا حتى تولى أسد القسري خراسان فظهر ثابت جلدأ صلباً قائداً أميراً في « سمرقند » (٢) ، وظل كذلك في عهد أشروس السلمي غير أن انضمامه للمناهضين لأشروس بشأن الجزية جعله يدخل السجن إلى أن شفع فيه نصر بن سيار ، فمدحه بقصيدة لعلها الوحيدة التي خرجت من بين قصائده عن نطاق مدح قومه اليمانيين (٣) .

وتظهر شدة اعتداد ثابت بنفسه والأنفة التي تلازمه في عتبه على أسد القسري حين بعثه في جيش أميره عيسى بن شداد البرجمي الحنظلي التميمي وقد قال :

أرى كل قوم يعرفون أباهم وأبو بجيلة بينهم يتذبذب
إنني وجدت أبي أباك فلا تكن ألبا علي مع العدو وتجلب
أجعلتني للبرجمي حقيبة والبرجمي هو اللئيم المحقب (٤)

ودخل ثابت قطنة في معارك الهجاء والملاحاة ، وأشهر من اصطدم بهم حاجب الفيل التميمي ، وأبو جلدة اليشكري ، وكان حاجب الفيل ممن اتصل بيزيد ابن المهلب فأجزل يزيد له العطاء فحسده ثابت على ذلك وهجاه ، فرد عليه حاجب بقوله :

لا يعرف الناس منه غير قطنته وما سواه من الآباء مجهول

(١) وذلك في عام ١٠٢هـ حين هم سعيد خديجة أن يفتك به . انظر الأصبهاني : الأغاني ، ١٤ ، ٢٧١ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٨ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٧ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٥ .

فالتحم الهجاء بينهما إلى أمد (١) .

أما اليشكري فقد كان هو البادئ وذلك حين تعرّض للمهلب بقصيدة هجاه فيها
وطعن في قومه الأزدي ، فانبرى له ثابت قطنة في أهاجي مرةً مقدعةً فخراً شديداً بقومه
وتعلقاً قوياً بهم (٢) .

وعلى نحو ما عاش ثابت قطنة في خراسان عاش صاحبه الأزدي كعب
الاشقري (٣) ، وكعب شاعر أموي مبدع ، متعصب مغرور متهور (٤) ، يعد في
الطليعة من الشعراء الخراسانيين ، وفي مقدمة من نظموا المدائح في آل المهلب (٥) .

على أن إخلاصه لهم لم يمنع من أن يلتصق بقتيبة - على خلاف ثابت قطنة -
بل إنه قد قلب لهم ظهر المجنّ مما اغضبهم عليه فلم يقبلوا فيه شفاعته (٦) فهجر
خراسان بعد أن عادوا إليها وعاش بقية عمره مغترباً بائساً مملقاً (٧) .

والتحم الهجاء بين كعب وزباد الأعجم وتعدّى الهجاء شخصيهما إلى قبيلتيهما
مما أفرع المهلب وجعله يقف في وجه هذه الخصومة الشعرية ويتصدى لها (٨) .

(١) انظر الأصبهاني : الأغاني ١٤ ، ٢٦٥ . وذكر الاستاذ علوان أن الهجاء بينهما قد امتد إلى عام

١٠٦ هـ انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٣٠٧ .

(٢) انظر الأصبهاني : الأغاني : ١٤ ، ٢٧٦ ، وقد توفي ثابت قطنة في عام ١١٠ هـ في خراسان . انظر

البغدادي : الخزانة ، ٤ ، ١٨٥ .

(٣) هو كعب بن معدان الأشقري الأزدي ، أبو مالك ، مات في عُمان في عام ١٠٢ هـ . انظر المبرد :

الكامل ، ج ٢ ، ٢٠٣ . ابن دريد : الاشتقاق ، ٥٠١ .

(٤) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٢٦٢ .

(٥) انظر الغزي : الشعر الأموي ، ١٧٢ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٧٠ . وفيها قصيدته بقتيبة من مسلم . .

(٧) ورد الإشارة إلى يؤسه واغترابه في أبيات ذكرها له الأصبهاني : انظر الأصبهاني : الأغاني : ج ١٤ ،

٢٩٢ .

ويعد كعب أحد فحول الشعراء الأربعة في العصر الأموي : شهد الفرزدق له بذلك ، وكان عبد الملك بن مروان يعجب بشعره ، ويروى أنَّ أبا جعفر المنصور كان يقول : إن شعر الأشقري غاية غايات المديح (٢) .

ومع شدة عصبية كعب وامعانه في التعلق بقومه فإنه لم يتجاهل بني تميم ولم يقلل من قيمتهم بوصفهم أضخم كتلة عربية بخراسان ، يخلصون في قتالهم مع جميع الولاة ، وفي كل الغزوات ، ويصدقون في دفاعهم عن العرب في الضائقات (٣) فنراه يقول :-

أُتاك الغوث في برق عارضٍ	دروع وبيضُ حشوهن تميم
أبوا أن يضموا حشو ما تجتمع القرى	فضهم يوم اللقاء صميمٌ
ورزقهم من رائحات يُزينها	ضروع عريضات الخواصر كوم (٤)

وكانه في ذلك ثابت قطنة الأزدي الذي يُسلم لتميم بالشجاعة ويتحدث بلسان الشاعر الفارس عن بطولتهم في « قصر الباهلي » ثم يثني على نفسه ممجداً لها مباحياً بيسالته ويعود مرة أخرى ليمدح تميماً حين انهزم قتيبة وقومه في إحدى المعارك ، وثبت بنو تميم في الميدان :-

توافت تميم في الطعان وعردت بهيلة لما عاينت معشراً غلبا

(١) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج٤ ، ١٤٠ ، ٢٨٠ .

(٢) انظر الغزى : الشعر الأموي في خراسان ، ١٧٩ .

(٣) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٢١٥ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ٦٠ .

كفأة يهرب الناس حدهم إذا ما مشوا في الحرب تحسبهم نكبا^(١)

هذا ويختلف الباحثون في تحديد مكان إقامة كعب الأشقري في آخر أيامه فمن قائل أنه فرّ إلى عُمان في ولاية يزيد بن المهلب الثانية على خراسان إلى أن دس المهالبة له من يقتله في عام ١٠٢^(٢) ومن قائل أن يزيد سجنه ثم أطلق سراحه وبقي في خراسان ، وشارك في الشكوى من عمال الخراج أيام عمر بن عبد العزيز وبعث إليه بقصيدة دعاه فيها إلى محاسبة الخونة ، ثم انتقل إلى عمان وقتل هناك بتدبير المهالبة في العام المشار إليه^(٣) .

ومن شعراء خراسان البارزين أيضاً نهار بن تَوْسَعَة البكري الربعي^(٤) ، أشعر بكر بخراسان ، ومن جيد شعره مرثيته بالمهلب بن أبي صفرة التي تناقلها أكثر القدماء^(٥) ، وهو أول خبر ينبي بوجود نهار بخراسان^(٦) .

ولم يكن نهار بن تَوْسَعَة منقطعاً إلى قتيبة كشأنه مع يزيد بن المهلب بل هو قد هجا قتيبة ، ونفر أيضاً من يزيد في ولايته الثانية واستمر في نفوره من الولاة^(٧) وإن كان يشارك في الغزوات حتى عام ١١٢ هـ حيث كان على رأس وفد أرسله الجعيد المُرِّي إلى هشام بن عبد الملك^(٨) .

وقد أثر عن نهار بن تَوْسَعَة قوله :-

-
- (١) انظر الأصبهاني : الأغاني : ج٤ ، ١٤٩ ، ٢٧٩ .
 - (٢) انظر الغزي : الشعر الأموي ، ١٧٦ .
 - (٣) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٢٦٣ .
 - (٤) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣١٥ .
 - (٥) انظر الآمدي : المؤلف والمؤلف ، ٢٩٦ .
 - (٦) انظر الفالي : الأمالي ، ٢ ، ١٩٤ ، والنقائض ، ١ ، ٣٦٨ .
 - (٧) انظر علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٢٨٠ .
 - (٨) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ٢٢١ .

أبي الإسلام لا أبلي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

دعي القوم ينصر مدعية ليلحقه بذى النسب الصميم

وما كرم ولو شرفت جدود ولكن التقى هو الكريم (١)

ولكنه مع ذلك لم يسلم من الاستجابة لدواعي العصبية ، فظل مرتبطاً بقومه متحزباً لهم وكان الناطق الرسمي بأهوائهم ، والمكافح عن منافعهم لا يتورع عن هجاء حلفائهم الأزد إذا تنكروا لهم أو اعتدوا عليهم (٢) .

وبالرغم من اقضاء قتيبة بن مسلم له فقد استأمنه واعتذر عن هجائه له (٣) ، وحين هم قتيبة بخلع سليمان بن عبد الملك حذره نهار من عاقبة هذا التهور ، ونصحه بأن لا يغفل عن المتربصين به من تميم والأزد ويكر أيضاً فقال : -

تَمَرُ وَشَمَرُ يَاقُتِيبُ بن مسلم فَإِنَّ تَمِيمًا ظَالِمٌ وَابْنُ ظَالِمٍ

وَلَا تَثِقَنَّ بِالْأَزْدِ فَالْغَدْرُ مِنْهُمْ وَيَكْرُ فَمِنْهُمْ مُسْتَحِلُّ الْحَارِمِ

وَإِنِّي لِأَخْشَى يَاقُتِيبَ عَلَيْكُمْ مَعْرَةَ يَوْمٍ مِثْلُ يَوْمِ ابْنِ خَازِمٍ (٤)

وقد عاش ابن تروسة إلى أيام أسد القسري في خراسان (٥) في عام ١٢٠ هـ

(١) انظر المبرد : الكامل ، ج ٢ ، ١٥٩ .

(٢) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ٢٨٨ .

(٣) قال نهار حين أقصى آل المهلب عن خراسان وولي قتيبة :

كَانَتْ خِرَاسَانُ أَرْضاً إِذْ يَزِيدُ بِهَا وَكُلُّ بَابٍ مِنْ الْخِيَرَاتِ مَفْتُوحٌ

فَبَدَلْتُ بَعْدَهُ قُتَيْباً نَظِيفٌ بِهِ كَأَنَّمَا وَجْهُهُ بِالْخَلِّ مَنْضُوحٌ

انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ٢ ، ١٤٦ . وهذه القصيدة شبيهة بقصيدة مالك بن الرّيب في

سعيد بن عثمان وقال البلاذري : أنهما قصيدة واحدة ، انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٢ .

(٤) انظر النقائض ، ١ ، ٣٥٩ .

(٥) في ولايته الثانية على خراسان وقال في اليمانيين عام ١٢٠ هـ حينما رأهم يتهاككون على الهدايا يوم =

وانقطعت أخباره بعد ذلك ^(١) .

ومن البارزين من شعراء خراسان أيضاً زياد الأعجم وهو مولى لعبد القيس الربعية ^(٢) ، ولد في منطقة نائية بفارس ، وظل يرتضخ لكنة أعجمية حتى وهو معدود في الطليعة من شعراء العربية ، ولكي يتغلب على عدم استطاعته نطق بعض الحروف وعجزه عن اخراجها من مخارجها الصحيحة كما يفعل العربي الفصيح اتخذ لشعره منشداً تحمّل مؤونته وقاسمه جوائزه وبقي على هذا الحال حتى تيسر له غلاماً معروفاً بالفصاحة وهبه له المهلب بن أبي صفرة ^(٣) .

وقيل أن زياداً ينطق السين شيئاً والعين همزه والكاف ياء والصاد سينا والحاء هاء والراء زايا ، والطاء تاء ، نادى غلاماً له ذات مرة فقال : « منذ لدن دأوتك إلى أن قلت لبي ما كنت تسناً » ^(٤) وقال في مدح يزيد بن المهلب : -

فتى زاده الشلتان في الحمد رغبة إذا غير الشلتان كل خليل ^(٥)

وقد برز زياد شاعراً فحلاً في المدائح والأهاجي والمراثي ، صاول كبار شعراء

المهرجان بـ « بلغ » -

تَقُولُونَ إِنَّ نَادِي لِرُوعٍ مَثُوبٍ وَأَنْتُمْ غَدَاةُ الْمَهْرَجَانِ كَثِيرٍ

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٤٨ .

(١) ذكر الزركلي أن ابن تومعة مات عام ٨٣ هـ . وهذا يخالف ما أورده الطبري من أنه عاش إلى عام

١٢٠ هـ . انظر الزركلي : الأعلام ، ج ٨ ، ٤٩ .

(٢) هو زياد بن سليم الأعجم ، أبو امامة العبدي ولاء . انظر ابن عساكر : التهذيب ، ج ٤ ، ٤٠١ .

وقال الدكتور الغزي هو عبدي بالولاء ، والأصح في النسبة إلى عبد القيس أن يقال عبدي أو

عقبسي ، أما عبدي فتقال في النسبة إلى بني عبد الله بن دارم بن تميم أو عبد الله بن غطفان ،

انظر الغزي : الشعر الأموي ، ١٢٨ .

(٣) انظر الجاحظ : البيان والتبيين ، ١ ، ٧٤ .

(٤) انظر الأصبهاني : الأغاني ، ١٥ ، ٣٨٠ .

(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ٢ ، ٤٦٧ .

خراسان ونازلهم ونافع عن عبد القيس وكافح عنها .

وتحاشاه كثير من الشعراء مخافة موهبته الشعرية وسلطة لسانه وسرعة جوابه ،
فقد كان هجاؤه مرأً مقدعاً تأذى منه غير واحد من بني يشكر البكرين ^(١) ، بالإضافة
إلى من مر ذكرهم من الشعراء المناوئين له كالمغيرة بن حَبَاء ^(٢) وكعب الأشقري
وغيرهم من سائر الناس ^(٣) .

ووهب زياد نفسه للتجوال والتكسب بالشعر فطاف البلاد يمدح ويهجو ، وعرفت
له روائع من الشعر في المدح والرثاء رثى آل المهلب ، ومدح عبد الله بن الحشرج
القيسي ، وجبير بن الزبيري النميري ، وفي هذا الأخير يقول : ^(٤)

وجدت العامري ابن الزبيري جُبِيراً خيراً مختبط لِسار ^(٥)
وجدتك إذ يلاك الأمر صلباً كريم العرق من عودِ نِزار
وزندك حين تُنسب من نمير كريماً في زناد المجد وارِ
لعمرك مارماح بني نمير بطائشة الكعوب ولا قصارِ

إلى آخر هذه القصيدة المتميزة بنصاعة أسلوبها وسهولته ، شأنها في ذلك شأن
قصائد هذا الشاعر المبدع الذي اجتمعت له الموهبة الشعرية والمعرفة الواسعة باللغة فأجاد

(١) هجا زياد بني يشكر فاستجدوا بشاعرهم سويد بن أبي كامل فهجاه زياد ثم هاجى قتادة بن مغرب
اليشكري ، انظر الأصبهاني : الأغاني ١٣ ، ١٠٣ ، ١٥ ، ٣٤٨ .

(٢) انظر الأصبهاني : الأغاني ١٣ ، ٩٢ .

(٣) وبلغ من سوء هجائه أن المهلب بن أبي صفرة والفرزدق كانا يخشيان لسانه ، انظر علوان : الشعر
العربي بخراسان ، ٣٢٦ .

(٤) انظر الآمدي : المؤلف والمختلف ، ١٩٥ .

(٥) الخط : ضرب الشجرة ليسقط ما بها وهو يقصد أن ممدوحه خير من يذهب إليه .

حتى نال اعجاب المعجبين وبلغ الذروة في الشعر العربي (١) .

ولعل تفوق هذا الشاعر وتميز شعره العربي يقف بنا على جانب مهم من آثار الفتح الإسلامي وهوانتشار اللغة العربية وآدابها بين سكان البلاد الأصليين حتى نبغ منهم شعراء مجيدون تمثلوا العربية وفقهوها وتعمقوا في درر معانيها ، وأصبح الموالي كالشعراء العرب بل وقد تفوق البعض منهم على أقرانهم العرب كما هو الحال بالنسبة لزياد هذا وخلف بن خليفة مولى بكر بن وائل (٢) .

ولم يُعرف في خراسان في العصر الأموي شعر بغير العربية وما أثر عن الفارسية ماهو إلا أناشيد مقطعة كتلك التي وردت الإشارة إلى أن الطبري أُردها عندما تغنى الصبيان بهزيمة أسد القسري .

إذن فقط سيطرت العربية في خراسان وأصبحت لغة الدين ولغة الآداب والفكر ولم تسجل المصادر العربية في عصر بني أمية أدباً باللغات الأخرى (٣) .

(١) قيل أن امرأة من بني نعيم أوصت لزياد الأعجم بثلاث مالها مكافأة له على هذه القصيدة . انظر الأمدى : المؤلف والمختلف ، ١٩٥ .

(٢) يلقب بالأقطع ، شاعر أموي ، مطبوع ، رواية من بني قيس بن ثعلبة البكرين بالولاء واشتهر بقصيدته يحيى بن الحُضَيْن بن المنذر في عام ١١٧هـ ، وبقصيدته التي يحرض فيها الكرمانى والأزد على الوثوب بنصر بن سيار ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ، ٨٧ . وقد ترجم له الزركلى وذكر أن وفاته نحو ١٢٥هـ والذي يفهم من قصيدته الأخيرة في الكرمانى أنه مات بعد ذلك . انظر الزركلى : الأعلام ، ج٢ ، ٣١٠ .

(٣) انظر الغزى : الشعر الأموي في خراسان ، ٤٥ .

٥ - جهود العلماء العرب في خراسان وبلاد ماوراء النهر في الدراسات الشرعية :-

نزل خراسان بعض الصحابة ، فأثبت أصحاب الطبقات أسماءهم في مقدمة من يؤخذ عنهم العلم في تلك البلاد .

وترجم المصنفون لساكني خراسان هؤلاء فذكروا الصحابي الجليل الحَكَمُ ابن عمرو بن مجدع بن حذيم بن حلوان بن الحارث بن ثعلبة بن مليل بن ضمرة ، غفاري ، كناني مضري ، عدناني ^(١) تأمر في خراسان ، ومات عام ٥٠ للهجرة وهو والٍ عليها ^(٢) ، وأثر عنه رضى الله عنه الشدة في الحق والصلابة في التمسك به حتى كانت لا تأخذه به لومة لائم ^(٣) .

وذكروا الصحابي الجليل بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج ابن سعد بن رزاح بن عدي بن سَهْم بن مَازَن بن الحارث الأسلمي من المضرية العدنانية ^(٤) .

وهو من المهاجرين الأولين ممن هاجر إلى النبي ﷺ قبل قدومه المدينة ولحق به ، فلما أراد النبي ﷺ دخول المدينة ، قال بريدة : لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء ، ثم حمل عمامته وشدها في رمح ومشى بين يدي النبي ﷺ يوم قدومه المدينة ، كنيته أبو سهل وقد قيل أبو ساسان ، انتقل إلى البصرة ، وأقام بها زماناً ، ثم خرج إلى سجستان فبقي بها مدة ، وبها عقبه ، قال البستي ، وقبره بـ « مرو » مشهور يعرف ، بجانب قبر الحكم الغفاري ^(٥) .

(١) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ١٨٦ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢٤٣ .

(٣) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ٦٠ .

(٤) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٤٠ .

(٥) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ٦٠ . مثل بُرَيْدَةَ الأسلمي عن رأيهِ في عثمان وعلي وطلحة -

ورد أيضاً ذكر قريط بن أبي رُمثة من بين الصحابة الذين استوطنوا خراسان ، وهو ممن هاجر مع أبيه إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ لأبي رُمثة : ابنك هذا ؟ قال : نعم ، قال : أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه ، ثم خرج أبو رُمثة بابنه قريط إلى البحرين مع العلاء الحضرمي في حياة رسول الله ﷺ فأقام بها إلى أن خرج غازياً في أيام عمر ، وقريط هو الذي فتح « الأبله » ، ثم غزا خراسان مع الأحنف بن قيس ونزل « مرو » واستوطنها إلى أن مات وبها عقبه (١) .

وترجم البستي لقيس بن سعد بن عبادة مع الصحابة نزلاء خراسان ، وقيس خزرجي يكنى بأبي القاسم ، خدم النبي ﷺ عشر سنين من وقت قدومه المدينة إلى أن قبضه الله إلى جنته ، وشارك في حرب صفين مع علي بن أبي طالب ، وكان على مقدمة جيشه ، وقيل أن معاوية بن أبي سفيان طلبه في عام ٥٨ هـ ، فاندس في « تفليس » إلى أن مات في عام ٨٥ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان (٢) .

وترجم أيضاً للصحابي قثم بن العباس بن عبد المطلب ، وعده من الصحابة المجاهدين في خراسان ، إذ خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان واستشهد ببلاد ماوراء النهر بـ « سمرقند » (٣) وأشار البستي إلى أن هناك من زعم بأن قثم بن العباس مدفون في « مرو » (٤) وفيما عدا هذا الزعم الذي أشار إليه البستي فإن الروايات تذكر أن

= والزيبر فقال قوم سبقت لهم سوابق فإن يشأ يغفر لهم بما سبق لهم وإن يشأ يعذبهم بما أحدثوا فعل ، حسابهم على الله ، فعذ بذلك من المرجحة الأولى الذين يرجون عثمان وعلياً ولا يشهدون بإيمان وكفر ، انظر المصري : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ، ٥٣٤ .

(١) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ٦١ ، وأبو رُمثة من بلي من قضاة الحميرية القحطانية . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٤٧ .

(٢) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٠ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢٠٠ ، ٢٥٣ .

(٤) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ٦١ .

استشهاده كان في « سمرقند » (١) .

وورد في كتاب الطبقات لابن خياط أنَّ أبا بُرزة الأسلمي معدود من الصحابة الذين نزلوا خراسان وماتوا بها ، واسم أبي بُرزة نُضْلَةُ بن عبد الله بن الحارث بن حبال ابن أنس بن خزيمة بن مالك بن سلامان بن أسلم ، نزل البصرة ، وأتى خراسان فمات بعد عزل ابن زياد (٢) .

كما ورد في طبقات ابن خياط اسم عبد الرحمن بن يعمر صحابي من بني الدُّثُل بن بكر نزل الكوفة ، وأتى خراسان فمات بها (٣) .

وورد في جمهرة النسب في تعداد بني معاوية بن قُشَيْر أنَّ منهم : حَيْدَةَ بن حَيْدَةَ ابن معاوية بن قُشَيْر (٤) ، قال هشام : أخبرني أبي أنَّه أدركه بخراسان ، وابنه وفد إلى رسول الله ﷺ . قال محمد : إنما أدرك ابنه بخراسان (٥) .

وذكر ابن حزم في ترجمة حَيْدَةَ أنَّه حَيْدَةَ بن معاوية بن حَيْدَةَ بن قُشَيْر له صحبة : وابن ابن ابنه بُهْرُ بن حَكِيم بن مُعَاوِيَةَ بن حَيْدَةَ ، روي عنه (٦) .

وكما حظيت خراسان بنزول عدد من الصحابة في أرضها فقد حظيت بعدد من التابعين وهم أكثر من الصحابة ، سمَّاهم ابن خياط الطبقة الأولى في خراسان وعد منهم يحيى بن يعمر الغطفاني ، من أهل البصرة ، وزيد بن علي أبو القرمص ، وعبد

(١) وفي « سمرقند » مزار لقُثم بن العباس . انظر إحسان خلوصي : الطريق إلى سمرقند ، ٨٧ .

(٢) انظر ابن خياط : الطبقات : ٢١٧ .

(٣) انظر ابن خياط : الطبقات : ٢١٧ .

(٤) انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٢٥٤ .

(٥) هشام هو الكلبي صاحب الجمهرة ومحمد هو ابنه . انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٢٥٤ .

(٦) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٤٢ .

الله وسليمان ابنا بُريدة بن حُصيب ، وأبو مُجلز لاحق بن حميد السدوسي (١) .

ويحي من يعمر ليس من غطفان كما ذكر ابن خياط ، فهو عدواني من بني شقة بن عوف بن بكر بن يشكر ، وعدوان تلتقي مع غطفان في قيس عيلان المضربة العدنانية ، وقد وردت سلسلة نسب يحي في كثير من المصادر مثل الطبري (٢) والبستي (٣) وابن حزم (٤) .

ومن طريف ما يروى عن يحي بن يعمر أنه كتب ذات مرة : « إِنَّا لقينا العدو فمَنَحنا الله أَكثافهم فقتلنا طائفة وأسَرنا طائفة ولحقت طائفة برؤس الجبال وعراعر الأودية وأهضام الغيطان وأثناء الأنهار » ووقع هذا الكتاب يزيد بن المهلب وأُرسله إلى الحجاج فقال الحجاج : من يكتب ليزيد فليل يَحْيى بن يَعْمَر ، فكتب إلى يزيد أن ينفذه إليه ففعل ، ولما قدم يحي بن يعمر على الحجاج سأله عن أناس سمَّاهم له وهل يلحنون ؟ فأجاب نعم فقال الحجاج ، وأنا ، قال : وأنت أيضا تلحن لحناً خفياً تزيد حرفاً وتجعل أن في موضع إن ، وإن في موضع أن ، وعندها غضب الحجاج فأعاد يحي إلى خراسان (٥) .

ومع تبصر يحي بالعربية وتعمقه فيها فقد كان علماً فقيهاً محدثاً تولى قضاء « مرو » لقتيبة بن مسلم ، وقد تقدم أنه كان من أوعية العلم وحملة الحجة ، روى عن عدد من الصحابة كأبي هريرة ، وعمار بن ياسر ، وابن عباس ، وابن عمر وأبي ذر

(١) انظر ابن الخياط : الطبقات ، ٢٥٧ . وأبو مجلز السدوسي ممن زكي عند عمر بن عبد العزيز حينما سأل عن نقاة أهل خراسان ، وقبل ذلك ولاه وكيع بن حسان بن أبي سود أمر « مرو » .. انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٥٨ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٦٣ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٣٩ .

(٣) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٢٦ .

(٤) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣١٠ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٣٩ .

الغفاري ، وحدث عنه عبد الله بن بُريدة ، وقتادة ، وعطاء الخراساني وسليمان التميمي (١) .

وتتلمذ على يدي يحيى ونقل عنه عدد من الفقهاء والمحدثين أشهرهم ابن عقيل الحذاء ، من أهل البصرة وسكن مرو ، وهو معدود في التابعين سمع ابن أبي أوفى يقول : كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ويقل اللغو ويطول الصلاة ويقصر الخطبة ولا يأنف أن يمشي معه المسكين والأرملة فيقضي له حاجته (٢) .

ومن التابعين الذي عرفوا بخراسان عدا من ذكر ابن خياط الزبير بن عدي الهمداني ، أبو عدي ، ولد بالكوفة ، وسمع أنس بن مالك ، وهو من العباد الزهاد ، لكن أخباره فيها شيء من المناكير ، وذكر البستي أن كل ما في أخباره من المناكير فهي من جهة بشر بن الحسين الأصبهاني (٣) .

ومنهم أيضاً عطاء بن السائب الليثي الكناني المضري ، من أهل المدينة ، مسح علي بن أبي طالب رأسه وقال : بارك الله عليك وعلى ذريتك من بعدك ، سكن مرو (٤) وولد له بها ابن فسماه محمداً ولمحمد ابن يقال له : السائب وللسائب ابن يقال له عطاء ، عدادهم كلهم في أهل « مرو » (٥) .

ومنهم همام بن خنّاس العبدي الربيعي ، انتقل إلى « مرو » من البصرة ، وأخذ العلم من عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستفاد وأفاد (٦) .

(١) انظر الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ، ٨١ .

(٢) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٢٦ .

(٣) وكانت وفاته في عام ١٣١ هـ . انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٢٦ .

(٤) وكان على الشرطة أيام أمية بن عبد الله ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٧١ .

(٥) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٢٦ .

(٦) انظر البستي : مشاهير العلماء الأمصار ، ١٢٦ .

ومن سكن « مرو » من التابعين الربيع بن أنس بن زياد البكري ، أخذ العلم من أنس بن مالك ، وكان راوية لأبي العالية الرياحي التميمي ، وداخل أخباره بعض المناكير ، ذكر البستي أنها من جهة أبي جعفر الرازي ^(١) .

وعَدَّ البستي ^(٢) الربيع بن زياد الحارثي والي خراسان ^(٣) من مشاهير التابعين ونقل أنه سمع هن أبي بن كعب وغيره من الصحابة .

وعُرِفَت خراسان وبلاد ماوراء النهر بعدد من مشاهير أتباع التابعين ، الثقات والأثبات في الروايات ، وهم الطبقة الثانية عند ابن خياط ، وقد عدَّ ابن خياط منهم : يعقوب بن القعقاع ونسبه إلى بني تميم ^(٤) ، والحق أنه من الأزد من بني الأعلم اليمانيين ، كانت أخته الجنوب بنت القعقاع زوجة للحسن بن العمرطة أمير « سمرقند » في عام ١٠٦ هـ والحسن من بني آكل المزار الكنديين الكهلانيين ملوك اليمن المشاهير ، وقد ولي يعقوب قضاء « مرو » ، وذكر ذلك الطبري حينما تحدث عن إمارة ابن العمرطة في سنة ١٠٦ هـ ^(٥) ، وذكر البستي أيضاً أن أبا مسلم الخراساني ولي يعقوب قضاء « مرو » ^(٦) .

ومن بين أتباع التابعين اشتهر الضحاك بن مزاحم الهلالي العامري القيسي وهو صاحب مدرسة كبيرة يتعلم فيها الصبيان بدون مقابل ، ولم يقتصر علم هذه المدرسة على بلد معين في خراسان وبلاد ماوراء النهر ، فقد كان الضحاك يتنقل باستمرار

(١) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٢٦ .

(٢) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار و ١٢٦ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢٤٥ .

(٤) انظر ابن خياط : الطبقات ، ٣٠٤ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٨ .

(٦) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٥ .

فيما بين « بلخ » مسقط رأسه و « بخارى » و « سمرقند » و « مرو » مع عناية شديدة بعلم القرآن واحتساب في تعليمه .

وذكر البستي أن الضحاك لم يسمع من ابن عباس ولا من أحد من الصحابة شيئاً ، ورواية أبي إسحاق السبيعي عن الضحاك قال قلت لابن عباس وهم وهم فيه شريك كيف يقول لابن عباس ولم يره ، وإنما لقي سعيد بن جبيرة ب « الرّي » فأخذ عنه التفسير (١) .

وجل أتباع التابعين في خراسان أخذوا علومهم عن التابعين فالضحاك أخذ عن سعيد بن جبيرة ، وأصبغ بن علقمة أخذ عن سعيد بن المسيب ، ومحمد بن زيد العبدي ، أخذ عن الأئنين معاً ، وعبد المؤمن الحنفي أخذ عن عبد الله بن بريدة الأسلمي (٢) .

وقد وصف أصبغ بن علقمة وهو حنظلي تميمي بأنه من خيار المشايخ المعلمين ب « مرو » (٣) كما كان محمد بن زيد العبدي الربيعي من القضاة المشهورين سكن « مرو » وتولى قضاءها ، وروى عنه المصريون والمراوزة (٤) ، ومثله في صدق الحديث عبد المؤمن بن خالد الحنفي الربيعي (٥) ، إذ كان متقناً ثبتاً (٦) .

ويلاحظ أن علم العلماء العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر لم يقتصر على أهل تلك البلاد بل يتعداها إلى ماسواها من الأقاليم فالمصريون مثلاً ينقلون عن محمد

(١) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٧ . وتوفي الضحاك في عام ١٠٢ هـ أو ١٠٥ هـ . انظر

الزركلي : الأعلام ج ٣ ، ٢١٥ .

(٢) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٧ .

(٣) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٨ .

(٤) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٨ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٦ ، ج ٩ ، ٤٧ .

(٦) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٨ .

ابن زيد ، وأهل العراق ينقلون عن عمر بن سالم الأنصاري قاضي « مرو » وعن وسيم ابن جميل الثقفي ، وجواب التميمي (١) .

وقد أصبحت البلدان الخراسانية وحواضر بلاد ماوراء النهر مدارس علم يقصدها الناس من شتى الأصقاع للنهل من سائر العلوم والمعارف ، واشتهر كثير من المحدثين وأصحاب الفتيا والتعليم بعدم استقرارهم في بلد معين من تلك البلاد فكان ذلك فرصة لنشر العلم في نواح ومناطق متعددة ، وقد عرف بذلك الضحاك بن مزاحم كما تقدم ، ومثله في هذا الأسلوب والنهج كثير بن زياد السلمي البُرْساني الأزدي صاحب الحسن البصري ، الذي كان يحدث بـ « بلخ » مدة من الزمن ثم انتقل إلى « سمرقند » فـ « بخارى » وهكذا (٢) ، ومثلهما منصور بن النعمان اليشكري الربيعي أبو حفص صاحب أبي مجلز وعكرمة فقد كان يحدث بـ « مرو » في خراسان وفي « بخارى » ببلاد ماوراء النهر (٣) .

ومن الثقافة المأمونين بخراسان عمرو بن مُصعب ، أول مولود بـ « سرخس » في الإسلام وكان أبوه من أصحاب علي رضي الله عنه ، وله أخ يدعى خارجة ، ذكره ابن خياط في الطبقة الثالثة من أهل خراسان (٤) ، وضعفه البستي (٥) .

ومن مشاهير من اجتهدوا في نشر العلم سليمان ابن عامر بن عمير الكندي البُرْزي . من أهل « مرو » قال سمعت الربيع بن أنس يقول من استطاع منكم أن يكون له في مدينة « مرو » دار فيها بئر طحانة فليفعل ، والنضر بن زرارة الذهلي البكري الربيعي ، من أهل « بلخ » ، مستقيم الأمر في الحديث ، وأبو طيبة عيسى ابن

(١) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٨ .

(٢) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٨ .

(٣) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٨ .

(٤) انظر ابن خياط : الطبقات ، ٣٠٦ .

(٥) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٨ .

سليمان الدارمي التميمي (١) :

وقد انقطع بعض العلماء العرب إلى العبادة ، وشهروا بالتجرد من ملاذ الدنيا والتكشف ، وأثر ذلك عن أحد الأزديين الذي كان يرفض ما يجود به الوالي عليه (٢) ، وهو شبيه بذلك بإبراهيم بن أدهم التميمي زاهد خراسان الشهير (٣) ، وقريباً من نهجهما عاش كرز بن وبر الحارثي المتعبد الزاهد (٤) .

وبالإضافة إلى جهود العلماء العرب في نشر العلم الشرعي وتعليمه كان للموالي اسهام كبير في العناية بعلوم القرآن وبثها بين الناس في البلدان الخراسانية ومدن ماوراء النهر وغيرها .

ومن هؤلاء الموالى جبلة بن أبي رواد مولى العتيك الأزديين اليمانيين المقتول بـ « نيسابور » في عام ١٣١ هـ (٥) ، وحسين بن واقد مولى عبد الله بن عامر بن كرز القرشي ، قاضي « مرو » المتوفى في عام ١٥٩ هـ (٦) ، والمفضل بن عطية المروزي - مولى بني عباس (٧) ، وعبد الله بن المبارك مولى بني حنظلة التميميين أحد الأئمة فقها وورعاً وعلماً وفضلاً وشجاعة ونجدة ، ممن رحل وجمع وحدث ، وحفظ وذاكر ولزم الورع الخفي والصلابة في الدين (٨) .

(١) انظر اخبارهم في البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٨ .

(٢) اصاب يزيد بن المهلب تاجاً فيه جوهر فقال : أترون احداً يزهد في هذا التاج قالوا : لا ، فدعا محمد ابن واسع الأزدي وقال : خذ هذا التاج فرفض ، فلما عزم عليه أخذه ونصدق به . انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٣٥ .

(٣) انظر ابن كثير : البداية النهاية ، ج ١٠ ، ١٤٠ .

(٤) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٩ .

(٥) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٩ .

(٦) انظر الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ، ٨٤ .

(٧) انظر البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٩ .

(٨) انظر الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ، ٨٤ ، البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ١٩٩ ، وقد توفي عبد =

ومع توالي الأيام توالى جهود علماء خراسان العرب في الدراسات الشرعية فنبغ
 جهابذة العلم من أمثال : المسيب بن شريك التميمي المتوفى في عام ١٨٥ هـ^(١) ،
 الذي سمع الحديث بخراسان وقرأ القرآن ودرس الفقه واللغة^(٢) ، والنضر بن شميل
 المروزي المازني التميمي المولود في عام ١٠٤ هـ^(٣) وصاحب التصانيف الكثيرة في
 الحديث واللغة والأدب^(٤) .

-
- = الله بن المبارك عام ١٨١ هـ انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٣٧٣ .
- (١) هو المسيب بن شريك بن مخزوم من الشقرات من بني تميم من مواليد خراسان انظر الكلبي :
 جمهرة النسب ، ١٩٢ .
- (٢) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢١٣ ، وذكر صاحب أعلام تميم أن المسيب بن شريك توفي
 عام ١٨٦ هـ انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٣٥٤ .
- (٣) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢١١ .
- (٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ١٩٥ ، ٢٥ ، ويلاحظ أن كثيراً من علماء خراسان جمعوا بين
 الفقه والحديث والأدب ، وذلك كإسحاق بن راهوية المروزي الحنظلي التميمي المتوفى في عام
 ٢٣٨ هـ . انظر ابن خلكان : وفیات الأعيان ، ١ ، ٦٤ . وانتشرت المذاهب الإسلامية في تلك البلاد
 فغلب المذهب الحنفي عليها ثم انتشر المذهب الشافعي وخاصة في منطقة « الشاش » ببلاد ماوراء
 النهر ، انظر الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ، ٩٤ .

الفصل الخامس

اسهام القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر في
الفتح الإسلامي شرقاً وموقفها من سقوط دولة بني أمية
وقيام دولة بني العباس

- ١ - سياسة الولاة في تسيير حركة الفتح وموقف القبائل العربية منها .
- ٢ - أهم المواقع التي أسهمت القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر في فتحها .
- ٣ - الفتن المذهبية والتمهيد لظهور الدعوة العباسية وموقف القبائل العربية من هذه الدعوة .
- ٤ - أهم القبائل التي أسهمت في سقوط دولة بني أمية ، وسقوط دولة بني العباس .

١ - سياسة الولاية في تسيير حركة الفتح وموقف القبائل العربية منها :-

لم يكن لولاية خراسان سياسة ثابتة محددة موحدة في عملية الفتح إذ هي تختلف باختلاف الظروف والمناسبات والدواعي ، كما أنها تخضع في أغلب الأحيان للطريقة التي يتبعها كل والي فيكون لشخصية الوالي وحرصه وتصميمه أثر في تسيير الجيوش ، وبالطبع فإنَّ الحرص والتصميم وفن القيادة العسكرية تختلف من شخص إلى آخر .

وسياسة تسيير حركة الفتح من حيث الإعداد والتنظيم والاشراف لا يقصد بها الفتح من حيث هو فتح إذ أن ذلك جزء من مهمة الدولة الإسلامية في الغزو ونشر الإسلام ، وقد يكون ذلك بأمر من الخليفة في الشام أو من والي العراق الذي يتبعه والي خراسان في كثير من الأحيان ، أو يكون برأي من والي خراسان نفسه على اعتبار أن وجوده أميراً في خراسان يحمل ضمناً الموافقة على التوسع شرقاً ومد حركة الفتح إلى أقصى حد تصل إليه ^(١) .

لكن مما ينبغي ملاحظته هو أن الخطة العسكرية التي يضعها الوالي للسياسة التي ينتهجها في تعبئة القبائل قد تكون بتوجيه من والي العراق أو الخليفة في الشام أيضاً ، وأقرب مثل على ذلك هو السياسة التي رسمها الحجاج لقتيبة بن مسلم في غزو « بخارى » ^(١) .

وكان عبد الله بن خازم السلمي بارعاً في إعداد الجيش وتعبئته واللجوء إلى الحيل العسكرية ، وقد أثبت مهارة فائقة في التصدي للتمرد حين جاشت جماعة في

(١) وكان مما يؤخذ على الولاية أحياناً عدم غزوهم ومن ذلك أن يزيد بن معاوية عَنف عبد الرحمن ابن زياد لأنه لم يغز وكذلك فعل أسد القسري مع عاصم الهلالي . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ١٥٧ ، ح٨ ، ١٤٢ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ١٩٥ .

« طخارستان » عام ٤٣ هـ . لكن عمله هذا أغضب قومه القيسيين لأنهم كانوا يرون أن ولي الأمر في خراسان هو ابن عمه قيس بن الهيثم السلمي وليس هو ^(١) .

وسار الحكم بن عمرو الغفاري في غزوه لـ « طخارستان » وجبال « الغور » على ما يشبه النهج الذي رسمه زياد بن أبي سفيان حين رتب أمر حرب خراسان وشئون خراجها ^(٢) ، وقد عبر الحكم النهر سنة ٤٥ هـ فكان أول من صلى وراءه ^(٣) .

وفي ثاني محاولة للمسلمين لعبور نهرجيخون سنة ٥٠ هـ لم تشر المصادر إلى خطة حربية معينة أو تعبئة خاصة ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الوالي وهو الربيع ابن زياد لم يقم بعملية حربية كبيرة في هذه المحاولة بالرغم مما روي بأنه أمر الجند بالتناهد ^(٤) .

وحين عبر المسلمون النهر بعد ذلك ، وبالتحديد في عام ٥٦ هـ ، كان الوالي القائد عبيد الله بن زياد يسير في ضوء وصية الخليفة معاوية بن أبي سفيان المشتملة

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ١٠٤ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ٢٢٤ .

(٣) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٠ ، وقد اشار الاستاذ شكري فيصل إلى أن غزوات العرب إلى بلاد ما وراء النهر كانت تمهيدية لم تتميز بالاستقرار قبل عهد زياد بن أبيه وقد وجد زياد وابنه عبيد الله أن الأمر لا يستقر فيما وراء النهر إن لم يستقر في خراسان ، ولذلك كان من أمر زياد خطوتان بارزتان : جعله « مرو » مركز ولاية خراسان ، وحمل خمسين ألف أسرة على الهجرة من البصرة والكوفة إلى خراسان ، انظر شكري فيصل : الفتح الإسلامي ، ٢١٣ .

(٤) روى البلاذري أن عبد الله بن المبارك المروزي التيمي قال لرجل من أهل الصغانيان كان يطلب الحديث أندري من فتح بلادك قال لا . قال : فتحها الحكم الغفاري ، ولحقه ولي زياد بن سفيان الربيع ابن زياد الحارثي سنة ٥١ خراسان وحول معه من أهل المصريين زهاء خمسين ألفاً بعيالهم ، وكان فيهم بريدة الأسلمي أبو عبد الله وبـ « مرو » توفي أيام يزيد بن معاوية ، وكان أيضاً أبو برزة الأسلمي عبد الله بن نضلة وبها مات واسكنهم دون النهر ، والربيع أول من أمر الجند بالتناهد ، انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٠ .

على التوجيه السياسي والإداري والاجتماعي والتي تحضّ على مناصحة الاتباع والوفاء مع العدو ومغالbته وما إلى ذلك^(١) .

لكن الوالي الذي أتى بعده لم يغز ولم يفتح شيئاً وهو أسلم بن زرعة الكلابي ، ولما قدم سعيد بن عثمان بن عفان واليا سنة ٥٧هـ عبر النهر بوجه من رؤساء العرب في تعبئة تامة فغنم وعاد^(٢) .

وقد توقفت العمليات العسكرية من بعد سعيد بن عثمان واثناء ولايتي أسلم ابن زرعة وعبد الرحمن بن زياد حتى قدم سلم بن زياد في عام ٦١هـ فقدم الطلائع أمامه إلى خراسان واختار عدداً من السادة العرب من العراق من مختلف القبائل وجعلهم على رأس ما يقارب الستة آلاف من الفرسان .

وكان سلم قد رغب الناس في الجهاد وهو مقيم في العراق وحشهم عليه ، فأخذ الناس يتوافدون على الديوان للتسجيل ، ولما قدم سلم خراسان غزا بلاد الصفد وشتا في بعض مغازية خلافاً لمغازي العرب المسلمين السابقة التي كانت تنتهي بدخول فصل الشتاء^(٣) ، وتستأنف بعد انقضائه^(٤) .

(١) انظر الوصية في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ١٦٧ .

(٢) ومع ما ذكر من عبور الحكم الففاري للنهر ، وحرب الربيع بن زياد في « أمل » و « زم » وحصار عبيد الله بن زياد « بيكند » فقد قيل أن سعيد بن عثمان هو أول من قطع النهر بالجند ومعه رفيع أبو العالية الرياحي وهو مولي لأمرأة من بني رياح اليربوعيين التميميين . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠١ هذا بالرغم من أن البلاذري قال قبل ذلك وفي نفس الصفحة أن عبيد الله بن زياد قطع النهر في أربعة وعشرين ألفاً فأتي « بيكند » أي قبل ولاية سعيد .

(٣) وفي تلك قال مالك بن الربيع :

إنّ الشتاء عدو ما نقاتله فاقفل هديت وثوب الدق مطروح

انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٢ .

(٤) وكان فيمن انتخبهم سلم ، حنظلة بن عرادة التميمي ، وعبد الله بن خازم ، والمهلب وهم من مساعير الحرب ، وطلحة الطلحات ، وهو من الأجواد المشهورين ، ويحيى بن يعمر العدواني وهو من

ولما تولى أمية بن عبد الله الأموي أمر خراسان سنة ٧٥ هـ لم يرغب في مباشرة الغزو بنفسه وكلف بكير بن وشاح التميمي بهذه المهمة وأمره بالمسير إلى بلاد ماوراء النهر فتجهز بكير والناس معه وتكلفوا الخيل والسلاح وأدانوا من رجال السغد وتجارهم ، على أن هذه الغزوة لم تتم كما أن أمية لم يوفق في الغزو حينما تولاه بنفسه واتخذ التدابير له بالرغم من الامدادات التي وصلته من الخليفة عبد الملك بن مروان (١) .

وسبب ذلك اضطراب أمر القبائل في بداية عهده وخاصة تميم ، وثورة بكير ابن وشاح بـ « مرو » وتمرد موسى بن خازم بـ « ترمذ » (٢) .

وفي أثناء ولاية المهلب بن أبي صفرة على خراسان كان هو مسئولاً عن حربها وعلى خراجها ابنه المغيرة ، وقد تكلف الاستدانة وهو في العراق لسداد ماعليه من الأموال ولمواجهة أمور ولاية خراسان (٣) .

واتخذ المهلب مركزاً ثابتاً له في بلاد ماوراء النهر ، حيث عسكر في مدينة « كش » مع عدد من القادة الأكفاء من وجهاء القبائل ومشاهير فرسانها ، ومن هؤلاء : أبو الأدهم زياد بن عمرو الزماني البكري الربعي الذي كان طليعة للمهلب وعلى مقدمته وقيل أنه يغني غناء ألفين في البأس والتدبير والنصيحة (٤) ، وهريم ابن عدي المجاشعي الحنظلي التميمي الذي كان المهلب يقدر بلاءه وكفايته (٥) ، ومنهم أيضاً ابنه حبيب بن المهلب قائد السرايا المنطلقة من « كش » إلى نواح مختلفة في

= الكتاب البارعين ، وروي أن امرأة سلم هي أول امرأة من العرب قطع بها النهر . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ٢٧٢ .

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٩ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٢٧٩ .

(٣) حتى أن امرأته خيرة القشيرية العامرية الهوازنية باعت حليها وأدت ثمنها لزوجه المهلب مساعدة له .

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ٢٨١ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٠ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٧٧ ، ١٠٩ .

ولم تلق سيرة المهلب في خراسان ولا سياسته في الحرب معارضة أو انتقاداً من القبائل العربية ، وما قيل من أنه سجن قوماً من مضر تلافاه بان عفا عنهم وأطلقهم وقد احتج هو بسجنهم بأنه قد رابه منهم أمراً ما هم فلم تذكر المصادر سبباً لنقمتهم عليه (٢) .

واقضى يزيد أثر أبيه في الاستعانة بمشاهير القبائل غير أنه لم يستطع إخفاء الميل إلى اليمانية ثم هو شغل عن الفتح بفلول ثورة ابن الأشعث المتساقطة على « هراة » (٣) كما شغل أخوه المفضل من بعد بموسى بن خازم وآل قطبة الموالي بـ « ترمذ » (٤) .

وتتغير ملامح السياسة الحربية للفتح وتبدو أكثر وضوحاً بمجئ قتيبة بن مسلم خراسان ، وقد توفر آنذاك سياسة إدارية محكمة يمثلها الخليفة الوليد بن عبد الملك ووالي العراق الحجاج بن يوسف ووالي خراسان قتيبة المرتبط بوالي العراق ، وكل هذه الأطراف تقف وراء الرغبة الجادة في توسيع نطاق الفتح شرقاً (٥) ، ولكي يحقق قتيبة هذه الرغبة بدأ عهده بخطبة بليغة حث فيها على الجهاد ثم عرض الجند في السلاح والكراع وجعل على خراج « مرو » أياس بن عبد الله بن عمرو وعلى حربها عثمان ابن السعدي (٦) وبدأ باخضاع البلاد الثائرة في خراسان ونهض لغزو ما وراء النهر (٧) .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٣ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٣ .

(٣) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤٠٧ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٩٩ .

(٥) قال الاستاذ شكري فيصل : « ولاية رجل خفيف مثل قتيبة ودعم الحجاج له واستشعار أنه من ورائه يدعمه ويؤيده كان جديراً أن يمكن لفتوحات ما وراء النهر أن تعطى أطايب ثمارها » ، وقد قسم شكري فيصل حركة الفتح إلى ثلاث مراحل : مرحلة ما قبل قتيبة ومرحلة ما بعد قتيبة ، انظر

شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي ، ص ٢١٢ .

(٦) هو عثمان بن السعدي عند الطبري وابن السعدي عند ابن الأثير . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ،

ج ٨ ، ص ٥٩ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٥ .

(٧) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤٠٩ .

ولم يكن قتيبة ميالاً إلى أحد من القبائل دون الأخرى ، ولم يفرق بين العرب والموالي فكان جيشه خليطاً من أهالي خراسان جميعهم ، ولعت في عهده أسماء معينة من ذوي الرأي والمشورة كالمنذر بن حصين الضبي من زعماء تميم و حُضَيْن ابن المنذر زعيم ربيعة ومحض بن جزء الكلابي من كبار القيسية ^(١) ، وسليم الناصح ، وحيان النبطي من الموالي ^(٢) .

ونصب قتيبة عبد الله بن والان التميمي على الغنائم والقسم ، فكان أميناً لها يقسمها أولاً بأول ، ولما أصاب المسلمون في « بيكند » سلاحاً كثيراً ، وعدة حرب استأذن قتيبة الحجاج في دفعها إلى الجند فأذن له الحجاج بذلك ^(٣) ، فتقوى المسلمون بذلك .

وكان قتيبة يحثهم على أن يشتروا بأموال الغنائم سلاحاً وخيلاً وقد اندفعوا إلى ذلك وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة ، وغالوا بالسلاح ^(٤) .

وكانت شئون الحرب موضع مراجعة بين قتيبة والحجاج في كثير من الأحيان ومن ذلك مثلاً أن قتيبة لما قفل من غزو « بخارى » في عام ٨٩ هـ وقد أعياه ملكها « وردان خذاه » أرسل إلى الحجاج فطلب الحجاج منه أن يصور له « بخارى » فلما فعل كتب إليه : أن أرجع إلى مراغتك وتب إلى الله مما كان منك ، وأنها من مكان كذا وكذا ^(٥) . وقد أعاد قتيبة الكرة ومعه القبائل على تعبئتها وفي مقدمتها الأزدي وتميم

(١) مُحض بن جزء الكلابي من بني عامر الهوازنية القيسية المضرية العدنانية ذكره الكلبي باسم مُحض بن

جزء بن عامر ، انظر الكلبي : جمهرة النسب ، ٣٢٨ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٦٣ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١١٥ .

(٤) انظر بسم العسلي : قتيبة بن مسلم ، ٣٥ .

(٥) وقيل بل كتب إليه أن كس بكس وانسف نفساً ورد وردان وإياك والتحويل ودعني من بينات الطريق ، ذكر الروائين الطبري ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٦٧ .

ففتحها في عام ٩٠ هـ (١) .

وحين اضطرب شأن القبائل في أخريات أيام قُتَيْبَة وهَمَّت بالانقضاء عليه ذكر قُتَيْبَة فضله على المحاربين معه وحسن سياسته فيهم ، منتقداً سياسة من كان قبله فقال : « إني قد جمعتكم من عين التمر وفيض البحر فضممت الأخ إلى أخيه والولد إلى أبيه وقسمت بينكم فيأكم وأجريت عليكم أعطياتكم غير مكدرة ولا مؤخرة ، وقد جربتم الولاة قبلي أناكم أُمَيَّة فكتب إلى أمير المؤمنين أن خراج خراسان لا يقيم بمطبخي ثم جاءكم أبو سعيد (٢) فدوم بكم ثلاث سنين لا تدرون أفي طاعة أنتم أم في معصية لم يجب فينا ولم ينكأ عدواً » (٣) .

وقبل أن يلي يزيد بن المهلب خراسان مرة ثانية كان يحدث سليمان بن عبد الملك عن أهمية « جرجان » و « طبرستان » وضرورة اخضاعهما (٤) ، وما أن أعيد هناك حتى عيى جيشاً ضخماً مكوناً من أهل البصرة والكوفة والشام ووجوه خراسان والرّي ، فكان عددهم مائة ألف مقاتل سوى الموالى والمماليك والمتطوعين توجه بهم إلى « جرجان » وقرب يزيد وجوه أهل اليمن من أمثال آل المهلب ، وجمال وجهم ابن زياد زحر الجعفي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي ، والحجاج ابن حارثة الخثعمي ، وأبو الجهم الكلبي ، كما ولي عبد الله بن المعمر اليشكري وهو من ربيعة « البياسان » و « دهستان » ، وحفظ يزيد مع ميله لليمن - لبعض العرب

(١) انظر ابن خياط : تاريخ ابن خياط ٣٠٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١١٨ .

(٢) يقصد المهلب بن أبي صفرة .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٠٥ . وقد ذكر شكري فيصل أن قُتَيْبَة افاد من الغزوات

المتصلة التي قام بها المهلب بن أبي صفرة وأشار إلى أهم اسباب نجاح قُتَيْبَة نقلاً عن جب واضاف إليها أسباباً أخرى ومن بين أهم ما اشار إليه أن قُتَيْبَة وجه همه إلى توحيد كلمة العرب لإدراكه لأثر

الخلافت العربية في توهين الفتوح انظر شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي ، ٢١٤ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١١٨ .

مكائنتهم ، فكان هُريم بن أبي طُحمة التميمي مستشاراً في حروب « طبرستان »^(١) .

وأُسند يزيد ولاية « جرجان » إلى جهم بن زحر الجعفي ، فما أن عزل يزيد حتى تمرد جهم وحبس والي « جرجان » الجديد ثم فر إلى الجراح الحَكَمي أمير خراسان ، فاستكثر الجراح منه ذلك ، وكلفه بغزو « الخُتل » تكفيراً عن خطيئته^(٢) .

واستمر الغزو في عهد الجراح الحَكَمي غير أن الموالي لم يرضوا عن سياسته في العطاء فعزله عمر^(٣) ، ولم يكن من سياسة عمر التوسع في الفتوحات فقد كان يرى المحافظة على ماتم فتحه والاكتفاء به .

وقد كثر الاضطراب في بلاد ماوراء النهر أيام عبد الرحمن بن نعيم الغامدي وأُشرس السلمي ، ولم ينتقد أُشرس في سياسته الحربية ، وإنما انتقدت سياسته المالية^(٤) ، وبعده كان الجنيد المري أشد في تنظيم الجيوش وتسييرها ، وفي أرض سمرقند جعل عثمان بن عبد الله بن الشخير العامري في مقدمة جيشه ، والأزد وبني تميم ميمنة ، وربيعة ميسرة ، واستعان بعدد من الموالي من ذوي الرأي والمشورة ، والتحم

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١١٨ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٥٧ .

(٣) مضى القول في قصة عمر بن عبد العزيز مع عامله على خراسان الجراح الحَكَمي ، ، وناقش هذا الموضوع الدكتور المصري في كتابه عن الموالي . انظر المصري : الموالي ، موقف الدولة الأموية منهم ٧٥ ، ومن الملاحظ أن الروايات الشعبية شنت على الجراح الحَكَمي واتهمته بما هو برئ منه ومن ذلك ما ذكره البلاذري نقلاً عن أبي عبيدة من أن الجراح يصير الذهب والفضة على أوزان مختلفة ويضعها تحت بساط في مجلسه ويدفعها إلى قومه . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١٦ .

(٤) المقصود ما حدث بشأن الجزية وفرضها على من أسلم في بلاد ماوراء النهر ، وقد سبق القول أن الذي دبر ذلك هو عميرة النبطي أحد الموالي ، وروى البلاذري أن عميرة ويكنى أبا مية زين الشر لأشرس فزاد وظائف خراسان واستخف بالدهاقين انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١٧ .

بالترك في معارك حامية ، أشهرها موقعة « الشعب »^(١) سنة ١١٣ هـ .

وفي أخريات أيام بني أمية كان لنصر بن سيار الكناني وقائع أشبه ما تكون بوقائع قتيبة بن مسلم^(٢) ، وكان يوسف بن عمر والي العراق قد وصاه بأن يسير إلى الحارث ابن سريج في « الشاش » وحذره من ورطة المسلمين^(٣) .

وقد غزا نصر غزوته الأولى من « بلخ » عام ١٢١ هـ ثم عاد إلى « مرو » فجمع الناس وبين لهم سياسته الإدارية والمالية في خطبة ألقاها عليهم^(٤) .

ثم جهز الجيش مرة أخرى في نفس العام وسار حتى بلغ « سمرقند » و « ورغسر »^(٥) وأتبع هذه الغزوة بغزوة ثالثة سنة ١٢٢ هـ بلغ فيها « الشاش » بعد أن قتل « كورصول » زعيم الترك وكان على مقدمته في هذه الغزوة يحيى بن الحظين ابن المنذر زعيم ربيعة ومعه رجال من رؤساء تميم والأزد وجههم لمحاصرة « فرغانة »^(٦) .

وبعد أن أدانت « الشاش » لنصر ولي عليها « نيزك » مولى عمرو بن العاص ، وحين ضج أهل « الصفد » في عهد نصر صالحيهم على شروط أنكرها بعض من معه فكتب بشأنها إلى هشام بن عبد الملك فأقرها ، وكان مما أنكره أهل خراسان على نصر أنه أرسل إلى الترك يدعوهم إلى الرجوع إلى بلادهم مع ضمان عدم معاقبة من كان مسلماً فارتد عن الإسلام وأن لا يعدي عليهم في دين لأحد من الناس ولا يؤخذ أسراء المسلمين من أيديهم إلا بقضية قاض وشهادة عدول وكل ذلك محاولة منه

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢١١ .

(٢) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١٨ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ٢٧٠ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٧٦ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٤٥ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٤٦ .

لاستمرار الجهاد ونشر الدعوة الإسلامية والترغيب في الدين بعد أن تفرق الترك في غارة بعضهم على بعض (١) .

وفيما عدا ذلك كان سعيد بن الحارث (سعيد خدينة) يطمح في عام ١٠٢ هـ إلى القضاء على الفتن والاضطرابات فقط (٢) فعبر النهر مرتين لم يتجاوز فيهما سمرقند التي انتقض بعضها على الحكم الإسلامي (٣) ، وكان من سياسة سعيد إطلاق أسرى السبي وعدم مطاردة المنهزمين (٤) .

وألح سعيد الحرشي بعده على التصدي لموجات الترك العاتية القادمة من « فرغانة » و « الشاش » إلى أرض السغد وسمرقند ، وكان عرب ماوراء النهر هم عماد جيشه بعد أن أصبحت أقدامهم ثابتة هناك بالإضافة إلى أهل البلاد الأصليين من المسلمين (٥) .

ورغب مسلم بن سعيد الكلابي الوالي بعد الحرشي أن يصل بالجيش الإسلامي إلى حيث انتهى قتيبة بن مسلم (٦) ، فتخلف بعض العرب عن المسير معه ، وما أن انتهت وقعة « البروقان » سنة ١٠٦ هـ (٧) حتى أعدَّ مسلم العدة للغزو وخطب الناس وحشهم على الجهاد وتهدد المتخلفين بالقتل ، وقد تمَّ له المسير إلى بلاد السغد

(١) تفرق الترك في غزو بعضهم على بعض بعد مقتل خاقان في ولاية أسد القسري فلما ولي نصر أرسل إليهم يدعوهم إلى الرجوع إلى بلادهم بالشروط التي أنكرها عليه بعض أمراء خراسان . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٥٠ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٣٥ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٦٠ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٦٢ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٧٢ .

(٦) وقد وصل إلى « فرغانة » في غزوته الثانية . انظر ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ٣٣٦ .

(٧) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٩٣ .

وحصل له هناك وقعة شديدة عرفت بيوم « العطش »^(١) .

وانجتهت غزوات أسد القسري إلى جبال « نمرون » و « الغور » وغزا « الختل » ولم يتوغل في بلاد ماوراء النهر^(٢) ، وكانت سياسة أسد الحربية والإدارية مرضية من قبل الدهاقين ، لكن بعض العرب في جيشه كانوا يرمين منه ، ومنهم بعض رؤساء المضربة ، وقد شغل في ولايته الثانية ، بالحرب مع الحارث بن سريج وأعوانه من الترك^(٣) .

وفيما بين ولايتي أسد الأولى والثانية ، سير أشروس السلمي الجيوش إلى بلاد ماوراء النهر وأقام هناك مدة الزمن ، ولم ينقم عليه أحد في سياسته الحربية كما تقدم .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٥ .

(٢) انظر ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ٣٢٨ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩١ ، ٢٢٨ .

٢ - أهم المواقع التي أسهمت القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر في فتحها :-

لا يقف إسهام القبائل العربية في الفتح عند منطقة دون أخرى ، لكن بعض المناطق قد عرفت بنشاط معين لقبائل محددة .

وكان فتح مدينة « بخارى » فتحاً تميمياً خالصاً أقرت لبني تميم بذلك القبائل العربية المشاركة في الفتح ، واعترف لهم بالفضل قائد المعركة الوالي قتيبة بن مسلم .

وحين عيّن قُتيبة القبائل على رايّتها كان الأزديّ اليمانيون يلوّحون بمدى ما يتميزون به من قوة وثقل على العدو ، وما أن سار قُتيبة لمحاصرة « بخارى » حتى استنجد « وردان خذاه » باهل السّغد من الترك وغيرهم ، على أن الامدادات لم تأت إلا بعد أن حاصر قتيبة « بخارى » لكن قتيبة قد أصبح محصوراً بجيشه بين أهل « بخارى » وجيوش « السّغد » ، وهنا طلب الأزديّ اليمانيون من قتيبة أن يجعلهم على حدة ويخلّي بينهم وبين قتال هذه الجيوش ففعل غير أن الجيوش أطبقت على الأزديين وتقدمت مجتاحة المسلمين فحطمتهم ودخلت في عسكر قتيبة وهو جالس عليه رداء أصفر فوق سلاحه وقد هال النساء دخول المشركين المعسكر فضربن وجوه الخيل وبكين .

وأفادت مجنبتا المسلمين في الانطواء على الترك وردّهم إلى نشز وقفوا عليه ، وعندها صاح قتيبة بالناس من يزيلهم لنا عن هذا الموضع فلم يقدم عليه أحد والقبائل كلها وقوف فمشى قتيبة إلى بني تميم فقال : يا بني تميم انكم أنتم بمنزلة الحطمية^(١) فيوم كأيامكم أبي لكم الفداء^(٢) .

(١) الحطمية من الدروع : الثقيلة العريضة ، نسبة إلى حطمة بن محارب ، بطن من عبد القيس كانوا

يعملونها . انظر الجوهري : الصحاح ، ج-٣ ، ١٧٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج-٨ ، ٦٨ .

ولم تُقدم تميم حتى أخذ قائدها وكيع بن حسان بن أبي سود الراية وقال :
يا بني تميم أئسلمونني اليوم ، قالوا : لا يا أبا مطرف ، وكان هريم بن أبي طحمة على
خيل بني تميم ، فأحجم الناس كلهم فقال وكيع يا هريم تقدم وقدم خيلك ودفع إليه
الراية ، فتقدم هريم ودب وكيع في الرجال حتى انتهى هريم إلى نهر بينه وبين العدو
فوقف فقال له وكيع : أقحم يا هريم فنظر هريم إلى وكيع نظر الجمل الصئول (١)
وقال أنا أقحم خيلي هذا النهر فإن انكشفت كان هلاكها والله إنك لأحمق ، فعيّره
وكيع وقال أترد أمري وحذفه بعمود كان معه .

فضرب هريم فرسه فأقحمه وعبر ، وانتهى وكيع إلى النهر فجعل عليه قنطرة
وقال لأصحابه : من وطن نفسه على الموت فليعبر ومن لا فليثبت مكانه فما عبر معه
إلا ثمانمائة راجل فدب فيهم حتى إذا أعيوا أقعدهم فأراحوا حتى دنا من العدو فجعل
الخيل مجنبتين وقال لهريم أني مطاعن القوم فاشغلهم عنا بالخيل وقال للناس شدوا
فحملوا فما انتشوا حتى خالطوهم وحمل هريم خيبله عليهم فطاعنهم بالرماح فما
كفوا عنهم حتى حذروهم عن موقفهم (٢) .

وشاهد المسلمون ما فعله بنو تميم فقال قتيبة أما ترون العدو منهزمين فلم يسمع له

(١) الصئول : هو البعير إذا اشتد هياجه . انظر الجوهري : الصحاح ، ج ٤ ، ١٢٥ . وعبرة ابن الأثير
هي : فنظر هريم نطل الجمل الهائج الصائل انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١١٣ .
(٢) وفي شجاعة هريم قال جرير :

متى ما تتجلى الفمرات يعلم هريم وابن أحوز ما ألبا
هما إذا لخدف عن حماها ونار الحرب تضطرم اضطراما

ويقصد بابن أحوز هلال بن أحوز المازني التميمي .

وقال الفرزدق :

لعمري لقد جلى هريم بسيفه وجوهاً علتها غبرة فتجلت
وقائلة : كيف القتال ؟ ولو رأيت هريما لدارت عينها واسمدت

انظر ديوان جرير ، ٤٧ ، ديوان الفرزدق ، ٩٥ .

أحد وتريث الناس حتى ولّى الترك فأتطبقوا فنادى قتيبة من أتى برأس فله مائة ، فجاء يومئذ أحد عشر رجلاً من بني قريع السعديين التميميين كل رجل يجيء برأس فيقال له من أنت ؟ فيقول قريعي ، فجاء رجل من الأزد برأس فقالوا من أنت ؟ قال قريعي فقال جهم بن زحر الجعفي اليماني كذب والله انه لابن عمي ^(١) فقال قتيبة : مادعاك إلى هذا قال رأيت كل من جاء قال قريعي فظننت أنه ينبغي لكل من جاء بأن يقول قريعي ^(٢) .

وأبلى بنو تميم بلاء عظيماً أيام حصار « سمرقند » عام ٩٣ هـ . وذلك أن أهل سمرقند المحاصرين كتبوا إلى « ملك الشاش » و « إخشاد فرغانة » بأن العرب إن ولو « سمرقند » سيصلون إليكم وقد ضعفتم وذلتم فأجدهم هؤلاء بأبناء الملوك وأهل النجدة ، فانتخب قتيبة اربعمئة من أهل البأس عليهم شعبة بن ظهير النهشلي التميمي ، وزهير بن حيان العدوي التميمي و قال : جاءكم دهاقين العجم وأنتم دهاقين العرب فذبوا عن أحسابكم وابلوا بلاء تستوجبون به الثواب .

وقد ذب هؤلاء النخبة وقاتلوا في الليل قتال المستميت حتى لم يفلت من امدادات الترك إلا الشريد ^(١) .

وأيضاً فقد كان بنو تميم الطليعة الفاتكة أيام سعيد خذينة في عام ١٠٢ هـ يتقدمهم سورة بن الحر وشعبة بن ظهير ، وكانت وقعة « قصر الباهلي » سنة ١٠٢ هـ

(١) ابن عمه بالنظر للرابطة الكهلانية ، فجَعَفَ من بني سَعْد العشيرة من كَهْلَان ، والأزد كهلانية أيضاً ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٩٧ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٦٩ ، ووهم صاحب أعلام تميم حينما ذكر أن رأس بني تميم في هذه الوقعة هو وكيع بن عميرة يعني وكيع بن الدوقية القريعي السعدي فالحق أن قائدهم هو وكيع بن حسان بن أبي سود الغداني اليربوعي الحنظلي . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٥٥٧ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٨٧ .

امتحاناً عسيراً صمد فيه مساعير الحرب من تميم فسجل لهم التاريخ يوماً ظن الناس فيه أن « القيامة قد قامت » (١) وكانت المسلحة في أرض السغد (٢) من بني تميم وعلى خيلهم شعبة بن ظهير ، فعبر سعيد خذينة النهر لما علم بانتفاضهم في عام ١٠٢ هـ لكنهم عاجلوا شعبة صاحب الخيل فقتلوه ، فالتفت تميم على الخليل بن أوس (٣) وقد أصبح صاحب خيلها ، فهزمت العدو مع مقدم سعيد ، ومكث سعيد في « سمرقند » لكنه كلف بني تميم بمحاصرة « ورغسر » واخضاعها (٤) .

ويذكر الطبري أن الخليل بن أوس السعدي التميمي أصبح على خيل بني تميم يومئذ حتى ولى نصر بن سيار ثم صارت رئاسة بني تميم لأخيه الحكم بن أوس (٥) وذكر الطبري أيضاً في حوادث عام ١٠٥ هـ أن الترك لحقت بمسلم بن سعيد وهو يعبر نهر « بلخ » عائداً إلى خراسان فحمى بنو تميم الناس وهم يومئذ على الساقة وعلى خيلهم عبيد الله بن زهير بن حيّان العدوي (٦) .

وحين كرّ مسلم إلى أرض السغد في عام ١٠٦ هـ احاط الترك به وبجيّشه في

(١) وذلك لما سمعوه من همام القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل ، . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٦٤ .

(٢) المسلحة : موضع الخفاة الذي يقف به الجند للمحافظة والمراقبة وقد يطلق على القوم المسلحين في الثغور ، انظر الجوهري : الصحاح ، ج ٢ ، ٤٧ .

(٣) الخليل بن أوس من بني ظالم من بني عشمس من بني سعد من تميم نادى قومه شعبة فانضمت إليه جماعة حمل بهم على العدو وكان الخليل آنذاك فتى يافعاً . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٦٥ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٨٠ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ١٦٥ .

(٦) من بني عدي بن عبد مناة من الرّباب من تميم ، قتل في وقعة الشعب عام ١١٣ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٩٣ ، ٢٠٩ . ولم يترجم له صاحب أعلام تميم لأنه لم يترجم لأحد من الرّباب التميميين : « عوف ، وعدي ، وعكل ، وثور » مع أن الرّباب معدودون في تميم في الجاهلية والإسلام قال ذو الرمة :

شدة من القِيْظ وقلة في الماء فجاهد المسلمون جهاداً عظيماً حتى هزموهم وكان البلاء المشهود آنذاك لبني تميم^(١) .

وفي أرض السَّغْد أيضاً ضَيَّقَ التُّركُ على أشْرَسِ السَّلْمِي وجيشه في عام ١١٠ هـ ومنعوا عنه الماء حتى كاد الناس يهلكون عطشاً فانبرى فرسان من تميم فيهم إسحاق ابن محمد^(٢) والحارث بن سريج فازالوا التُّرك عن الماء وأنقذوا جيش المسلمين^(٣) .

ومما يذكر أنه كان للقيسيين بلاء مشهود مع أشْرَسِ في ذلك اليوم^(٤) ، وبعد ذلك في ولاية أسد القسري الثانية كان لأهل العالية ومنهم قيس مشاركة فعالة في القضاء على فتن التُّرك^(٥) .

أما أهل اليمن فقد اشتهر بلاؤهم وسطوتهم في ولاية يزيد بن المهلب الثانية عندما غزا « جرجان » في عام ٩٨ هـ . وقد تنافس أهل اليمن في ذلك اليوم على الفتك ، وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجُعْفِي وهو فارس اليمن آنذاك ينقم على قومه تقديم غيره من فرسان مَذْحِجَ اليمانية وحين أحاط التُّرك بيزيد وجيشه على غرة منه ألحَّ اليمانيون وعلى رأسهم الحَجَّاج الخثعمي^(١) في دفع العدو -

=	بعد الناسون إلى تميم	نبوت المجد أربعة كبارا
	يعدون الرباب وآل سعد	وعمرأ لم حنظلة الخيارا

انظر ديوان ذي الرمة ، ١٨٥ .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٤ .

(٢) هو إسحاق بن محمد بن حسان ابن أخي وكيع بن حسان بن أبي سؤد الغُداني . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٥ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٥ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٥ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٠٢ .

(٦) الحجاج بن جارية أو حارثة الخثعمي اليماني كان ممن ثار مع ابن الأشعث . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٣٩٤ ، ج ٤ ، ٨١ .

حتى اضطروا إلى التفهقر وطلب الصلح على « دَهَشَقَان » ومن بعدها صالحت « جرجان » وتولى إمارتها رجل من الأزديين هو أسد بن عبد الله الأزدي (١) .

وكان الرُّبُعيون مع اليمن في صولاتهم آنذاك وعليهم رجل من بني بكر ابن وائل هو عبد الله بن المعمر اليشكري (٢) ، وفي ١١٣ هـ حدثت وقعة الشعب فكان الرُّبُعيون على ميسرة جيش الجنيد المري (٣) ، وفي فتوحات نصر بن سيار كانت ربيعة وزعيمها يحيى بن الحضين بن المنذر مقدمة للجيش المكلف بفتح « الشاش » (٤) .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٢٠ .

(٢) عبد الله بن المعمر اليشكري البكري ، قائد شجاع ، من الرؤساء الولاة ، ولاه يزيد بن المهلب « قهستان » فقتل بها عام ٩٨ هـ ، قتله الترك بعد أن ثاروا بها . انظر ابن الأثير : الكامل ، ٤ ، ٤٨ .

(٣) وكان التميميون والأزد ميمنة ، وعلى مجففة خيل بني تميم عبيد الله بن زهير بن حيّان وعلى المجردة عمرو بن جرفاس المنقري السعدي التميمي ، وعلى جماعة بني تميم عامر بن مالك الحماني السعدي ، وعلى الأزدي عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو ، وعلى المجففة والمجردة فضيل بن هناد وعبد الله بن حوذان . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٠٩ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ٢٤٥ .

٣ - الفن المذهبية والتمهيد لظهور الدعوة العباسية وموقف القبائل العربية من هذه الدعوة :-

ظهر نشاط الدعوة العباسية لأول مرة في عام ١٠٠ هـ^(١) ، وفي عام ١٠٢ هـ أطلع عمرو بن بَحِير بن ورقاء التميمي على كلام من أقوام أنكره عليهم ، ثم أخبر الوالي سعيد خدينة عنهم ، وقال : « إن هاهنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح » . فبعث إليهم سعيد : فأتني بهم وقال : « من أنتم » ؟ قالوا : « أناس من التجار » . قال : « فما هذا الذي يحكى عنكم » قالوا : « لا ندري ؟ قال : « جئتم دعاة » !! فقالوا : « إن لنا في أنفسنا وتجارتنا شغلاً عن هذا » فقال : « من يعرف هؤلاء » ؟ فجاءه أناس من أهل خراسان جلّهم من ربيعة واليمن فقالوا : نحن نعرفهم وهم علينا إن أتاك شيء تكرهه » . فخلّى سبيلهم^(٢) .

وفي عام ١٠٥ هـ كلف محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بكير بن ماهان بمهمة الدعوة ، وكان بكير ترجماناً للجند المري في السند وقدم معه إلى العراق^(٣) ، وظلّ دعاة بني العباس يفدون إلى خراسان من الكوفة ، واشتهر يحيى بن عقيل الخزاعي الأزدي بتلقي القادمين من الدعاة ، وكانت دور آل الرقاد الأزدية بـ « مرو » منزلاً لهم^(٤) .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٣٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ولم يوضح المصدر أسماء هؤلاء الأقوام ، أما الذي أخبر عنهم فهو ابن بَحِير بن ورقاء الصريمي السعدي التميمي الفارس الشهير وأخباره قليلة .

(٣) تقدم الحديث عن امرأة بكير بن ماهان ، والذي أوصله إلى المنصب الرفيع في الدعوة العباسية هو أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس جملة في العراق مكان ميسرة بعد وفاته ، وكان بكير قد لقي حين قدم مع الجند ميسرة وأبا عكرمة الصادقة . فعرضوا عليه الدعوة فاجابهم إليها انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٨٠ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٥ .

وفي ولاية أسد القسري الأولى قدم زياد أبو محمد مولى همدان يدعو إلى العباسيين فحدث فتنة عظيمة لا بسبب الدعوة لبني العباس فحسب بل وبالجدل الذي اثاره بشأن آل علي بن أبي طالب وآل العباس وأيهما أفضل^(١) .

وقد نذر أسد القسري بصاحب الدعوة واعوانه فاعدمهم جميعاً فقدم من بعدهم رجل من الكوفة يقال له كثير فمكث ما يقارب الستين إلى أن قدم عليه خدّاش فغلبه على أمره^(٢) .

وقد رفع الحارث بن سريج شعار الدعوة إلى تحكيم كتاب الله وسنة نبيه وإلى الرضا وسود رايه في عام ١١٧ هـ^(٣) ، ولم تكن حركته عباسية غير أنها افادت الدعوة بما أحدثته من انشقاق في صفوف أهل خراسان وتصدّع في كلمة القبائل العربية والموالي .

وحين تصدّى والي خراسان للحارث بن سريج كان يحيى بن عقيل الخراعي في صف الوالي محارباً لابن سريج ثم كان مع الوفد الذين أرسلهم الوالي إليه للمفاوضة^(٤) .

وقد انتصر الهيثم الشيباني البكري للحارث بن سريج فراسله أسد من « زم » والهيثم مقيم وقتها في « باذكر » وقال أنكم إنما أنكرتم على قومكم ما كان من سوء سيرتهم ولم يبلغ ذلك النساء ولا استحلال الفروج ولا غلبة المشركين على مثل « سمرقند » وطلب منه المؤاخاة والمعاهدة ، وأن يكونوا يداً واحدة فأجابه الشيباني إلى ما طلب وكان ذلك في عام ١١٧ هـ ، وهو نفس العام الذي قبض فيه أسد على نقباء

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٠٤ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ١٩٧ .

(٣) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ٢٦ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ٢٢٦ .

الدعوة العباسية وعلى رأسهم جماعة من قومه اليمانيين وهم الذين كانوا سبباً في نجاة النقباء بعد أن كان أسد قد هم أن يفتك بهم جميعاً^(١) .

ومع عفو أسد عن النقباء في ذلك العام فإن العام الذي أعقبه قد شهد صرامة من أسد في معاقبة الدعاة تمثلت في أمره ليحيى بن نعيم الشيباني البكري عامل « آمل » أن يقتل خدأش الذي انحرف بالدعوة ، ويصلبه ، ثم تولى هو قتل حزور مولى المهاجر ابن دارة الضبي بشاطيء نهر جيحون^(٢) .

والملاحظ أن المصادر وهي تشير إلى نزول بعض الدعاة في خراسان لا تذكر أن لهم ارتباطاً بالنقباء الأئني عشر المعينين هناك فزياد أبو محمد مولى همدان نزل خراسان وأعدم ومعه عدد من الأتباع دونما إشارة إلى النقباء أو أن له علاقة بهم ، وكثير قام بالدعوة ولم يذكر عنه اتصاله بهم ، وخدأش قام بها أيضاً وانحرف وانتهى به الأمر إلى القتل دون أن يؤثر القبض عليه وقلته في تنظيمهم أو أن تجرهم فتنة إلى المحاكمة والمساءلة .

وفي ضوء هذه الملاحظة فإن الذي يبدو هو أن الدعوة للعباسيين في خراسان قد زيد فيها حتى حسبت الحركات الفردية وبعض أنواع التمرد والدجل دعوة عباسية .

ومهما يكن من أمر فقد اختار النقباء سليمان بن كثير الخزاعي الأزدي زعيماً لهم عام ١٢٠ هـ وكلفوه بمهمة الاتصال بمحمد بن علي بن عبد الله العباس ، فلما قدّم سليمان على محمد بن علي انكر محمد فظاهر من بدعة خدأش بخراسان

(١) روى الطبري أن سليمان بن كثير تمثل عند أسد بقول الشاعر : -

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

ثم ذكر حسد المضربة لليمن وأن باهلة تطلب اليمانيين بثأر قتيلة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٢٨ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ٢٢٩ . المسعودي : مروج الذهب ، ج ٣ ، ٢٢٥ .

وصرف سليمان إلى أصحابه ، ثم اتبعه بيكير بن ماهان ^(١) .

وظلَّ النقباء بخراسان لم يعرض لهم أحد بسوء وساروا بقصد الحج في عام ١٢٤ هـ ، وفي الكوفة كان لقاءهم بأبي مسلم الخراساني ^(٢) فدعوه إلى ما هم عليه لما رأوه عليه من علامات النجاة فأجابهم وقبل دعوتهم .

وفي الرواية التي أوردها الطبري عن هذه الحادثة أنَّ الذين قدموا للحج هم ثلاثة من أهل اليمن ومضري واحد ، فأهل اليمن سليمان بن كثير الخزازي ومالك بن الهيثم الخزازي الأزدي ، وقحطبة بن شبيب الطائي ، والمضري لأهز بن قريظ التميمي ^(٣) .

ولم تكن القبائل العربية في خراسان لتلقي بالآ إلى هذه الدعوة وهي التي قد شغلت بفتنة الكرمانى الأزدي ، والكرمانى رجل شديد الطموح منى إمارة خراسان أو هو قد تولاهما فعلاً مدة يسيرة من الزمن قبل مقدم نصر بن سيار ^(٤) ، وحمل بعد ذلك لواء العصبة اليمانية في خراسان ، واشتد أمره أثناء ولاية منصور بن جمهور الكلبي على العراق ^(٥) .

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ٢٣٥ .

(٢) ولد أبو مسلم الخراساني في عام ١٠٠ هـ ، وقيل في عام ١٠٨ هـ ، بقرب « مرو » عاصمة خراسان على الأرجح ، واسمه عبد الرحمن وقيل تسمى بذلك بعد أن كان يعرف بإبراهيم وهو من موالي عجل البكرة الربيعية وينتهي نسبه إلى يزر جمهور ، على أن في ذلك اختلافاً كثيراً ، انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ٣٢٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٧ ، ٦ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٨ ، ٢٨٣ . ويلاحظ أن هؤلاء النقباء جميعهم من العرب وهذا يدحض الدعوى القائلة بأن الدعوة العباسية نبتت في وسط الموالي . وانظر في مناقشة هذه الدعوة والرد عليها هيلة القصير : العلاقات بين العرب والفرس ، ٦٤ ، صالح الوشمي : أبو مسلم الخراساني ، ٨٤ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٨ ، ٢٥١ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٨ ، ٢٨٢ .

وكان نصر بن سيار مدركاً للأخطار التي تنطوي عليها عصبية الكرمانى وتأثيره على اليمن وربيعة لذا فقد أشرك عدداً من زعمائهم فى المناصب الإدارية وولاية الأقاليم فولى يعقوب بن يحيى بن الحُضَيْن (١) على أعلى طخارستان ومسعدة بن عبد الله الشكرى على « خوارزم » واتبعه بابان الحكم الزهراني الأزدي ، والمغيرة بن شعبة الجَهْضَمي اليماني على « قهستان » (٢) .

وبذل نصر جهده فى الحد من غلواء العصبية ومنع قومه من الاستجابة لدواعيها ، وأسرع فى عام ١٢٦ هـ إلى العطاء يفرقه على مستحقه (٣) ، على أن ذلك كله لم يثنى أقواماً من الالتفاف حول الكرمانى وفي مقدمتهم سباع بن النعمان الأزدي اليماني والفرافصة بن ظهير البكري الربعي ، وحاول أتباع نصر من المضرية أن يوغروا صدره على الكرمانى لكى يقتله لكنه تريت ، ثم استدعاه وذكر له منته عليه وامتناعه عن قتله مخالفاً بذلك أمر يوسف بن عمر والى العراق ، وأنه حمل عنه ما كان عليه من المغارم ، فاجابه الكرمانى مذكراً إياه بسابق فضله عليه (٤) وأنه بعيد عن الفتنة (٥) .

ولم يستجب نصر لطلب خاصته بقتل الكرمانى واكتفى بحجسه بعد اللغظ فى مجلسه بين الأزدیین والمضريين ، وعلى رأس الأزدیین ائذذاك المقدام وقدامة ابنا عبد الرحمن بن نعيم الأزدي وكان مما قالاه لأصحاب نصر : - إن جلساء فرعون خير

(١) ابن المنذر الرقاش الذهلي البكري الربعي ، من سادة ربيعة بخراسان ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣١٨ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ، ٣٤ .

(٣) وتمثل بقول النابغة :

فإن يغلب شقاؤكم عليكم فإنني فى صلاحكم سميت

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ، ٣٤ .

(٤) يشير بذلك إلى أنه شفع فيه عند أسد القسري عندما غضب أسد على نصر انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ١٧٤ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ، ٣٩ .

منكم إذا قالوا « أرجه وأخاه » (١) .

وقد ضجَّ الأزدي لما آل إليه مصير الكرمانى واجتمعوا فى « نوش » قرية اليحمد الأزديين (٢) واحتالوا مع موالىهم إلى أن أخرجوا زعيمهم من السجن وتحزّبوا بعد خروجه فى قراهم وهم أصحاب عدد وعدّة ، مما اضطر نصر إلى أن يعسكر خارج « مرو » لملاقاتهم (٣) .

ولم يقع صدام بين الطرفين فقد تصالحا غير أن الكرمانى انتقض مرة أخرى وطلب من نصر أن يعتزل وأن يتولى أمر خراسان رجل من بنى بكر بن وائل (٤) .

ولم يقبل نصر بهذا العرض وظلّت السفراء تتردد فيما بينه وبين الكرمانى فى وقت سعى هو فيه إلى طلب الأمان للحارث بن سريج (٥) .

وقد أُمّن الحارث فى عام ١٢٦ هـ والتوتر على أشده فى أرض « مرو » بسبب تعنت الكرمانى أمّا الحارث فقد قدم « سمرقند » مع قاضيه وخاصته ورسّل نصر إليه ، وفى « سمرقند » أراد الوالى منصور بن عمر أن يقاتله وقال فى كتاب بعثه إلى نصر : أن الحارث بالغ فى الدّم وقد ضرّ بنى أمية فى سلطانهم وإن قدم عليك فرق بنى تميم فدعنى أكى به فأينا قتل صاحبه فالى الجنة أو إلى النار . إلا أن منصور بن عمر لم ينفذ ما هم به ولم يجبه نصر إلى تحقيق رغبته (٦) .

(١) انظر الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ، ٣٩ .

(٢) « نوش » من قرى « مرو » انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٥ ، ٣١١ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٢٩٤ .

(٤) ومعلوم ما فى هذه الدعوة من اضرار بنصر بن سيار والموالين له من المضرة إذ أن ربيعة كانوا احلافاً لليمن .

(٥) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ، ٢٦ .

(٦) انظر الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ، ٦٧ .

وفى تلك الأثناء وجّه إبراهيم بن محمد بن علي ^(١) بكير بن ماهان إلى خراسان فقدم « مرو » وجمع النقباء ومن بها من الدعاة ودعاهم إلى إبراهيم ورفع إليهم كتابه ^(٢) .

وما من شك بأن نصراً كان في شغل شاغل عن هؤلاء الدعاة ونشاطهم ، فلم يذكر أن سوءاً قد عرضوا له منه ، أو أنه قد اطلع على شيء من أمرهم ، على أن ما أقلق نصراً وأزعجه هو خروج الحارث بن سريج وانتقاضه مرة أخرى ، ومن عجيب أمر ابن سريج أن نصراً أكرمه ووصله ، ووصلته أيضاً المرزبانة زوجة نصر وهي تميمية من بني منقر وأبوها قديد بن منيع ^(٣) من سادة المضربة بخراسان إلا أن أكرام نصر وذويه وتقديرهم لم يجعله يركن إلى الهدوء بل كان دائم التذكير بالعمل بالكتاب والسنة واستعمال أهل الخير والفضل ، وكتب بذلك إلى نصر وإلى الكرمانى ودعا بني تميم إلى نفسه فاجابه قوم منهم فيهم : محمد بن حمران المنقري ، ومحمد بن حرب ابن جرفاس المنقري والخليل بن غزوان العدوي ، وعبد الله بن مجاعة السعدي ، وبشر ابن جرموز الضبي ، غير أن اقواماً آخرين من تميم ومن قيس نهضوا إليه يحذرونه الفتنة

(١) توفي محمد بن علي بن عبد الله بن العباس في عام ١٢٤هـ فقام بشئون الدعوة من بعده ابنه إبراهيم وهو الذي احتضن أبا مسلم الخراساني وبنائه ، ونقل الدعوة من طورها السري إلى طورها العلني ، وقد قبض مروان بن محمد على إبراهيم الإمام وسجنه في « حران » فمات في سجنه عام ١٣٢هـ . انظر المقدسي : البدء والتاريخ ، ٦٧ .

(٢) يلحظ بعض الباحثين أهمية الدور الذي قام به بكير بن ماهان في ارساء وتنظيم قواعد الدعوة العباسية ، انظر الوشمي : أبو مسلم الخراساني ، ٥٤ . غير أن الدور الذي قام به بكير وغيره من العجم يجب أن لا يتجاوز الباحثون به حدوده كما فعل الدكتور حسن محمود في تصويره لحركة أبي مسلم الخراساني ، انظر حسن محمود : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ٤٥ .

(٣) كان قديد بن منيع ممن رشحهم يوسف بن عمر الثقفي لولاية خراسان ومن الشخصيات الخراسانية البارزة في المجتمع الخراساني ، مفر بين نصر والكرمانى وكان مشفقاً على الجميع من الكوارث غير أن جهوده ذهبت سدى ، ونهب منزله في « مرو » في تلك الفتنة ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ٥٨ ، الكلبى : جمهرة أنساب العرب ، ٢٣٢ .

وتعريض المسلمين إلى القتل ، وقدم على نصر فرسان من مضر من « طخارستان »
وبلاد ماوراء النهر منهم عاصم بن عمير السمرقندي السعدي التميمي وعقيل ابن
معقل الليثي الكناني (١) .

واجتهد الجهم بن صفوان في تأليب الناس ضد نصر ودعوتهم إلى الحارث ابن
سريج في وقت وقف فيه الكرمانى وأتباعه من اليمن وربيعة على الحياذ ، وقد اصطدم
نصر ومن معه بالحارث ومن معه ، وأكثرت المحاربين من بني تميم ، وأسفر الصدام عن
هزيمة الحارث ، وقتل كثير من أصحابه منهم : جهم بن صفوان أسره سلم بن أحوز
التميمي قائد الشرطة ثم قتله ، كما قتل سلم كبار معاوني الحارث من التميميين (٢) .

وكتب الحارث بعد أن هزم إلى الكرمانى فهب الكرمانى يبايعه الناس وفي
مقدمتهم يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني البكري ، وصالح بن القعقاع الأزدي
اليمني فازدادت الأمور بذلك سوءاً وانخزل عن الحارث جماعة من أصحابه لمخالفته
الكرمانى واضطر نصر إلى مغادرة « مرو » وبقي الحارث يقاتل فيها إلى أن صرع في
عام ١٢٨ هـ (٣) .

ويتضح مما تقدم أن غالبية القبائل اليمنية تكاد تكون في مواجهة نصر بن سيار
والي الأمويين المؤيد بغالبية القبائل المضرية .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ٦٧ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ٧٢ .

(٣) هو نفس العام الذي قدم فيه أبو مسلم إلى خراسان فافادت الدعوة العباسية من حركة الحارث ابن
سريج لما نجم عنها من انشقاق خطير في صفوف المجتمع الخراساني ، انظر الطبري : تاريخ الأمم
والملوك ، ج ٩ ، ٧٤ .

٤ - أهم القبائل التي أسهمت في إشتغال دولة بني أمية وإقامة دولة بني العباس .

تأتي قبيلة خُزاعة الأزدية اليمانية في طليعة القبائل المناصرة للعباسيين ، وكان يحيى بن عَقِيل الخزاعي يتلقى الدعاة القادمين إلى أرض خراسان ويجمع بهم ، وكان أكثر نزول هؤلاء الدعاة في دور آل الرقاد الأزديين اليمانيين في « مرو » (١) .

وكان أُسَيْد بن عبد الله الخزاعي مسؤولاً عن الدعوة في « نيسابور » من أرض خراسان (٢) ، وفي منتصف عام ١٢٩ هـ عاد أبو مسلم الخراساني ليقابل إبراهيم الإمام ، وفي طريقه مر بـ « نسا » فسأل عن أُسَيْد الخزاعي حتى اهتدى إليه فتباحثا أمر الدعوة (٣) ، ثم واصل أبو مسلم المسيرة لكن رسل إبراهيم الإمام وافته بـ « قومس » وهناك أبلغوه بضرورة العودة وإبلاغ سليمان بن كثير الخزاعي الأزدی باظهار الدعوة ، وبعث قُحطبة بن شبيب الطائي اليماني إلى إبراهيم الإمام ليخبره عن أحوال الناس (٤) .

ولما وردت كتب الإمام إلى أبي مسلم كان أُسَيْد بن عبد الله الخزاعي الأزدی هو أول من سود بـ « نسا » (٥) .

وقد عرفت الدعوة العباسية بالنقباء والدعاة وأشهرهم سليمان بن كثير ، وقد بلغ من شهرته أن إبراهيم الإمام عرض عليه أن يتولى النيابة عنه في خراسان وأن يؤمر على الدعاة هناك غير أنه رفض ذلك وطلب من الإمام أن يوجه إليهم رجلاً من أهل

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٩٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ١٧٥ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٨٥ .

(٤) وكان نص خطاب الإمام هو : « أتني قد بعث إليك برأية النصر فارجع من حيث الفاك كتابي ووجه إلى قُحطبة بن شبيب بما معك يوافي به في الموسم » انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ١٨٥ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٣٢٥ .

وحين ارسل إبراهيم الإمام أبا مسلم الخراساني ليتولى أمر الدعوة هناك أمره أن يسمع ويطيع سليمان بن كثير شيخ قبيلة خزاعة وقال : ولا تخالف هذا الشيخ ولا تعصي أمره وإذا اشكل عليك أمر فاكتف به مني ^(٢) .

ولم يكتف إبراهيم الإمام بأن يأمر أبا مسلم بالجهر بالدعوة بل أرسل إلى سليمان ابن كثير كتاباً جاء فيه « أن اظهر دعوتك ولا تربص فقد آن ذلك » ^(٣) .

فلسليمان بن كثير اذن موجه الدعاة ، ونقيب النقباء ^(٤) ، وشريك أبي مسلم بالجهر بالدعوة ، ولا شك أن ثقة الإمام كانت به كبيرة ، ولذا كان دوره في القيام بالدعوة دوراً رائداً لا يستهان به ^(٥) .

وبدهي أن يستطيع سليمان بن كثير التأثير على عدد كبير من الناس وخاصة من قبيلة خزاعة .

ومما يبدو أن اختيار سليمان بن كثير ليكون زعيماً للدعاة لم يأت اعتباطاً وأن بني العباس قد أدركوا أهمية القبائل العربية وزعمائها وإن نجاح دعوتهم مرهون بتأييد هذه القبائل لها ، ومن هنا جاء اختيار سليمان بن كثير بحسبانه زعيماً عربياً كبيراً في الاراضي الخراسانية نافذ القول في قبيلته ^(٤) .

(١) انظر هيلة القصير : العلاقات بين العرب والفرس ، ٦٤ .

(٢) انظر العميون والحدائق (مؤلف مجهول) ، ج ٣ ، ١٥٧ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ١٩١ .

(٤) النقيب أعلى مرتبة من الداعية غير أن الدكتور حسن محمود خالف في ذلك وعد الدعاة أكبر شأناً من النقباء . انظر حسن محمود والشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ١٤ .

(٥) انظر الوشمي : أبو مسلم الخراساني ، ٧٢ ، وهيلة القصير : العلاقات بين العرب والفرس ، ٦٤ .

(٦) اشار الاستاذ صالح الوشمي إلى أن القوة الضاربة والفعالة في قيام الدولة العباسية كانت من القبائل العربية في خراسان ، وهو قول للدكتور فاروق عمر استشفه من اقوال الأزدي مؤلف تاريخ الموصل =

ولم يفتن بعض الباحثين إلى الدور الكبير الذي لعبته خُزاعة في أيام الدعوة العباسية بل أنهم أغفلوا دور العرب كَلِيَّةً ، ونسبوا نشاط دعوة آل العباس في خراسان إلى الموالي وأيدوا ذلك بحجج منها أن الدعوة قامت في قرى « مرو »^(١) ومادروا أن هذه القرى عربية خالصة تنسب إلى الخزاعيين بصفة خاصة^(٢) .

وأشهر هذه القرى « سفيدنج » و « ألين » و « فنين » ، وقد نزل أبو مسلم وقت الجهر بالدعوة في الأولى منها ثم صار إلى الثانية^(٣) ، وجعل زعيم خُزاعة سليمان ابن كثير إماماً للمصلين^(٤) مدركاً - بلا شك - في كل ما يفعله أهمية العنصر العربي وبالذات القبائل المرتبطة بزعمائها .

وقد هم نصر بن سيار أن يبيّت خُزاعة في قراها غير أن مستشاريه ثنوه عن ذلك تحسباً من مخالفة أحياء اليمن إذا مارأوا انتهاك حرمة قرى اليمانيين وإذلالهم في منازلهم ، وأشاروا عليه بأن يبعث إليهم للمناظرة^(٥) .

على أن مما يجب ملاحظته هو أن قبائل اليمن - لا خُزاعة وحدها - تميل إلى العباسيين ودعوتهم ، وهناك نص أورده المصادر التاريخية يوصي فيه إبراهيم الإمام بالقبائل اليمانية خيراً ، ويأمر أبا مسلم بأن يكرمهم بل ويقرر أن هذا الأمر لا يتم إلا

= المتوفى في عام ٣٣٤هـ ، انظر صالح الوشمي : أبو مسلم الخراساني ، ٨٢ .

(١) انظر مثلاً ولهاوزن : تاريخ الدولة العربية ، ٤٦١ .

(٢) انظر الفصل الثالث من هذا البحث .

(٣) وأول من وافاه بهذه القرى أهل اليمن من خُزاعة الأزدية وطىء الكهلانية ثم بعض المضربين العدنانيين

من تميم ، انظر اخبار الدولة العباسية (مؤلف مجهول) ٢٥٤ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٢٠٤ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ٢٠٢ ، اخبار الدولة العباسية (مؤلف مجهول) ،

بهم ، ثم هو يذكر أنَّ ربيعة في منزلة تلي منزلة اليمن ^(١) .

ومن عجيب أمر هذه الرسالة أنَّ في آخرها حثُّ من إبراهيم الإمام لأبي مسلم على أن لا يدع في خراسان متكلماً بالعربية ، وهذا تناقض صريح إذ كيف يأمر الإمام بالاعتماد على اليمن وهم من العرب ثم يأمر بقتل العرب جميعاً .

وقد استغل هذه الرسالة الذين يدعون بأنَّ الدعوة العباسية اعتمدت على العنصر الفارسي فحسب وقالوا أن أمر الإمام بقتل العرب دليل على أنَّ الموالي هم وحدهم عصب الدعوة ^(٢) .

والرسالة تبرز أنَّ أهل اليمن كانوا موضع ثقة بني العباس ومحل اطمئنانهم ، وهي تختلف في بعض المصادر عما سبق ذكره إذ لم يرد فيها إشارة إلى قتل العرب بل هي وصية للنزول عند اليمانيين وتألّف ربيعة وتوقّ مضر ^(٣) ، وفي ذلك ورد قول أبي مسلم : أمرني الإمام أن أنزل في أهل اليمن وأتألّف ربيعة ، ولا أدع نصيبي من صالح مضر ^(٤) .

ولا يستبعد أن يكون الأمر بقتل العرب مقصوراً على العرب الذين لا يدخلون في الطاعة ويؤيد هذا ما أورده الدينوري من أنَّ إبراهيم الإمام أوصى أبا مسلم بأن « لا يدع

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ، ٢٠٤ ، ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ج٢ ، ١٠٩ .
(٢) اشار بعض الباحثين إلى أنَّ الموالي هم عصب الدعوة العباسية ومن هؤلاء محمد حلمي أحمد وذهب آخرون إلى أنَّ الموالي لم يشاركوا في الثورة وانها عربية خالصة ومن هؤلاء الدكتور فاروق عمر ، وهناك بعض الآراء المتعددة التي ذهب إليها فريق ثالث مثل الدكتور حسين علوان . انظر محمد حلمي أحمد : الخلافة والدولة ، ٧٠ ، فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية ، ١٧٠ ، حسين علوان : الشعر من مخزومي الدولتين ، ٩١ .

(٣) انظر الدينوري : الأخبار الطوال ، ٣٥٩ .

(٤) انظر اخبار الدولة العباسية ، ٣٨٥ .

بخراسان عربياً لا يدخل في أمره إلا ضرب عنقه^(١) .

وإذا علمنا تأييد خِزاعة اليمانية للدعوة العباسية بسبب تأثير كبير الدعاة سليمان ابن كثير الخزاعي وغيره من بني قومه ، ولاحظنا أن عامة الأزدي تؤيد الكرمانى الأزدي المنشق على عامل بني أمية في خراسان والمناوى له أدركنا طبيعة العلاقة التي تربط اليمن بالدعوة العباسية ، وهي علاقة تقوم على أساس القرب من الدعاة إما تأييداً وتبناً لأفكار الدعوة ومبادئها كما هو الشأن عند الخزاعيين أو كرهاً لبني أمية كما هو الشأن عند الكرمانى ومناصريه من الأزدي^(٢) .

وقد جاء اعلان الدعوة العباسية في وقت اشتد فيه التنافس القبلي فكان الربيعيون إلى جانب أحلافهم اليمانيين في مواجهة المضريين^(٣) ، والملتفين حول نصر بن سيار ، ومن هنا يمكن القول بأن ربيعة مناصرة لدعوة بني العباس ومؤيده لها أو هي على أقل تقدير ليست ضدها .

على أن موقف ربيعة قد تأثر بحركة شيان الحروري الذي دلف إلى خراسان وأقحم نفسه أو هو قد أقحم في صراعها^(٤) .

ولم يكن شيان يكره أبا مسلم شأنه في ذلك شأن الكرمانى لأن أبا مسلم دعا إلى

(١) انظر الدينوري : الأخبار الطوال ، ٣٥٩ .

(٢) افاد الكرمانى الدعوة من خلال تمرد على السلطة وشقه عصى الطاعة مراراً وقد حوّل صراعة ، مع نصر إلى صراع قبلى بحيث وقفت اليمن في وجه مضر ، انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ٢٩٨ .

(٣) حال الكرمانى دون انضمام ربيعة إلى مضرب بل وجعلها في صفه حين كتب إلى عمر بن إبراهيم ولد أبرهة بن الصباح من ملوك حمير اليمانية وكان مستوطناً الكوفة وسأله أن يوجه إليه بنسخة من حلف اليمن وربيعة فلما وصلته النسخة مع كبار اليمن واشراف ربيعة وقرأ عليهم نسخة الحلف

تعاهدوا على النصر ، انظر الدينوري : الأخبار الطوال ، ٣٣٧ .

(٤) انظر عن شيان الحروري وحركته المنسوبة إليه ، الشهرستاني : الملل والنحل ، ٣٣٥ .

خلع مروان بن محمد (١) .

وقد التفت اليمن وربيعة حول الكرمانى يتزعم ربيعة يحيى بن نعيم الشيباني ويتزعم اليمن محمد بن المثنى الحداني الأزدي ، والتحم هؤلاء مع نصر بن سيار ومن معه من المضربة فى حرب مميتة أسفرت عن مصرع الكرمانى فى وقت ازدادت فيه شوكة أنصار الدعوة العباسية (٢) .

وبعد مصرع الكرمانى قوى التصاق ربيعة باليمن حيث تحالف ابنه على مع شيان على قتال نصر بن سيار (٣) ، وعبثاً حاول نصر أن يشيهم عما هم عليه وينبهم إلى خطر الدعوة الجديدة وأنصارها من نقباء ونظراء بنى العباس ، بل أن ابن الكرمانى وقومه الأزدي قد انضموا إلى أبى مسلم الخراسانى مخالفين فى ذلك رأى حليفهم يحيى ابن نعيم الشيباني البكري الذى أحب موادة نصر ، ورأى شيان الذى وادع نصراً فعلاً وامتنع عن قتاله .

وبانضمام ابن الكرمانى إلى أبى مسلم فى أواخر عام ١٢٩ هـ أصبح أهل اليمن جميعهم فى صفوف الدعوة العباسية (٤) .

وقد سار أبو مسلم من « سفيذنج » إلى « الماخوان » وقريباً من هذه كان لقاءه بابنى الكرمانى على وعثمان ، فسلم على علي بالإمارة وأكرمه ثم اتفقا على أن يدخل أبو مسلم « مرو » من ناحية ، ويدخلها ابن الكرمانى من ناحية

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ، ٢٢٥ .

(٢) وكان ذلك فى عام ١٢٩ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٣٠٥ وكان أبو مسلم وقتها يُدعى نار العدواة بين الأطراف المتصارعة ، انظر الوشمي : أبو مسلم الخراسانى ، ١٢٩ .

(٣) ذكر ابن خياط أن الكرمانى وشيان تحالفا على قتال نصر والأصوب أنه ابن الكرمانى لا الكرمانى نفسه ، انظر ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ٢٨٥ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ، ٢١٥ .

أخرى (١) .

وتوزعت أهواء ربيعة بين الرغبة في مسايرة حلفائها الأزديين اليمانيين وبين مناصرة شيان الحروري ، على أن مجموعة كبيرة من البكرين الربيعيين سارت مع شيان إلى « سرخس » وفي « سرخس » قاتلتهم قوة بعث بها أبو مسلم فقتل شيان وتفرق جنده (٢) .

وبما زاد في تفرق أهواء الربيعيين هو أن زعيمهم مجاهد بن يحيى بن الحضين ابن المنذر ظل موالياً لنصر بن سيار والدولة الأموية (٣) .

ومهما يكن من أمر فإن ربيعة كانت مع أبي مسلم في غالبيتها ، وكان أبو مسلم يبحث أصحابه على التقرب من ربيعة واليمن وبنهاهم عن الاطمئنان إلى المضربين ويقول لهم إن السلطان في مضر وهم عمال مروان الجعدي ، وهم قتلة يحيى بن زيد ، ومثل ذلك كان يقول سليمان بن كثير الذي روى أنه صاحب الشأن الأكبر في استدراج اليمانيين وخاصة علي بن الكرماني إلى صفوف الدعاة العباسيين (٤) .

وكان سليمان بن كثير خطيباً مفوهاً جمع النقباء في دار المحتفz في « مرو » وأرسل يطلب وفداً من نصر بن سيار يناظره وذلك في مطلع عام ١٣٠هـ فتكلم وأفصح مما أعجب الحاضرين وتكلم النقباء من بعده وأجمعوا على اختيار علي ابن

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ٢٢٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ، ٢١٧ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ، ٢١٧ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ، ٢١٧ .

الكرماني وأصحابه من اليمن وربيعة فانصرف وفد مضر وهم جماعة نصر عليهم الذلة
والكتابة (١) .

أما ما ذكر من اجتماع القبائل العربية اليمن وربيعة ومضر ضد أبي مسلم فلا أثر
له أبداً ، وهو مجرد خبر لم تورد المصادر أن شيئاً ما قد ترتب عليه كقتال أو نحوه (٢) ،
بل ذكر الطبري في أحداث عام ١٣٠ هـ أن أبا مسلم انصرف بعد اجتماع سليمان
ابن كثير بالنقباء بوفد مضر إلى « الماخوان » وأمر أتباعه أن يبتنوا المساكن ويستعدوا
للشتاء فقد أعفاهم الله من اجتماع كلمة العرب (٣) .

على أن كلام أبي مسلم لا يفهم منه أن العرب قد افترقوا مما مكن الموالي من
السيطرة على خراسان إذ أن افتراق العرب معناه أن بعضهم أصبحوا مناصرين لبني
العبّاس ودعوتهم الناشئة وهؤلاء هم اليمانيون ، خزاعة بنظرائها ونقبائها ودعاتها وبقية
فروع الأزدي بفرسانها وزعمائها وبعضهم بقوا على ولائهم للدولة الأموية .

ولم يكن أبو مسلم يخرج عن رأي الخزاعيين في شؤون الدعوة والحرب حتى أن
أبا مسلم لما قبض على قادة نصر بن سيار وفي مقدمتهم سلم بن أحوز التميمي نقد
مشورة أبو زبيب الخزاعي حين قال : اجعل سوطك السيف وسجنتك القبر (٤) .

ومضى القول بأن غالبية النقباء والنظراء هم من القبائل اليمانية ، ويأتي في طبيعة

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٣٠٩ ، وبعد هذه المناظرة اجتذب أبو مسلم شطراً كبيراً من عرب
خراسان فخطط بعد ذلك لاحتلال « مرو » حاضرة خراسان انظر الوشمي : أبو مسلم الخراساني ،
١٤٦ .

(٢) ذكر ابن الأثير أن مضر وربيعة واليمن تهادنوا في « بلخ » وانفقوا على حرب أبي مسلم ، انظر ابن
الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٣٠٦ والملاحظ هو أنه لم تظهر أية نتيجة لهذه المهادنة والاتفاق .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ٢٢٩ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ٢٣٠ .

هؤلاء سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وزيد بن صالح وطلحة بن زريق وعمرو بن أعين ، وقحطية بن شبيب الطائي ، وهذا الأخير هو قائد العباسيين الذي أقبل بالجيوش من خراسان حتى وردت العراق ^(١) .

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن أبا مسلم قد أصبح إلى اليمانيين فزادت علاقته بهم قوة ، واشتد ارتباطه بهم ^(٢) ، كما أن الموالي ذوي المكانة المرموقة في الدعوة كانوا من موالي اليمن ، وفي مقدمة هؤلاء عيسى وعمرو بن أعين ^(٣) .

ومهما قيل عن دور أبي مسلم الخراساني في قيادة الدعوة العباسية بخراسان فإن أبا مسلم لا يسامي القادة اليمانيين مرتبة ، وقد مضى الحديث عن سليمان بن كثير واسهامه الفعال في الدعوة وهو ما يمكن أن يسمى بالقيادة الفكرية أما القيادة العسكرية فقد تولاهما قحطية الطائي اليماني ^(٤) .

وكان قحطية قد وصل خراسان بعد الانتصارات المبدئية التي حققها دعاة العباسيين ، وقدم قحطية ومعه لوائه الذي عقده له إبراهيم الإمام فجعله أبو مسلم على مقدمته ، وضم إليه الجيوش وجعل إليه العزل والاستعمال وكتب إلى الجنود بالسّمع والطاعة له ^(٥) .

(١) انظر اخبار الدولة العباسية ، ٣٢١ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ٧٥ .

(٣) وهم من موالي خزاعة . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٣٠٩ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ٢٤٥ .

(٤) قائد شجاع من طيء الكهلانية القحطانية ، وهو أحد نقباء الدعوة العباسية كان ابنه الحسن من قادة العباسيين المشاهير ، مات قحطية وهو يقود الجيوش العباسية بأرض فارس متجهاً إلى العراق عام ١٣٢ هـ ، انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ٤٩ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ٢٣٥ .

وبدأت مهمة قحطبة بالاستيلاء على « نيسابور » عاصمة الأقليم الغربي من خراسان ومقر نصر بن سيار بعد نزوحه من « مرو »^(١) .

وما من شك أن بنى العباس أدركوا أهمية تولي قحطبة للقيادة العسكرية الحربية فهو عربي من أهل اليمن أنصار الدعوة ورجالها ، عالم بخراسان ودعاتها ونشاطهم في قراهم^(٢) .

ويظهر من أسماء أصحاب المناصب بعد انتصارات الدعوة العباسية أن غالبيتهم من أهل اليمن فأما « سمرقند » « سابع بن النعمان الأزدي اليماني وأمير « الطبيين » و « فارس » محمد بن الأشعث الخزاعي ، وعلى الشرطة مالك ابن الهيثم الخزاعي ، وعلى مقدمة جيش أبي مسلم الحسن بن قحطبة الطائي^(٣) .

ولم يقف دور أهل اليمن عند حد تذليل خراسان للعباسيين بل هم حطموا قوة ابن هبيرة عامل الأمويين في العراق واستمالوا إليهم القبائل اليمانية حتى قال أبو جعفر المنصور لهم « السلطان سلطانكم والدولة دولتكم »^(٤) .

واستسلمت القبائل اليمانية في « مرو » لعبد الله بن علي وانضمت إليه في دمشق بعد أن قال لهم « انكم واخوتكم من ربيعة كنتم بخراسان شيعتنا وأنصارنا انصرفوا وخلوا بيتنا وبين مضر »^(٥) .

(١) انظر الميون والحدثي (مؤلف مجهول) ج ٣ ، ١٩١ .

(٢) وفد توغل قحطبة وابنه الحسن في بلاد العراق فحاصرونها وند عام ١٣٢ هـ ، وهزما ابن هبيرة عامل الأمويين على العراق ، وهذا كان نشاط أبي مسلم الخراساني محصوراً في أرض خراسان فقط ، انظر ابن الأثير الكامل ، ٤ ، ٣٠٤ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ٢٣٠ .

(٤) انظر اخبار الدولة العباسية ، ٢٣٠ ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٢ ، ٣٤٢ .

(٥) انظر هيلة القصير : العلاقات بين العرب والفرس ، ٩٠ .

وقد أسرف بعض الباحثين على أنفسهم حينما أكدوا على أن الدولة العباسية فارسية اختار المخططون لها خراسان لأن الموالي ناقدون على بني أمية ولأن الفرس يؤمنون بنظرية الحق الإلهي المقدس ومبدأ الحكم الوراثي وهم لذلك يفهمون التشيع بسهولة ومن هنا كانت استفادة العباسيين من الفرس عظيمة وقد قامت الدولة على اكتافهم^(١).

وقيام الدولة على اكتاف الفرس أمر مرفوض فدور العرب وأهل اليمن بالذات واضح بارز لا يحتاج بعد ماتقدم إلى بيان ، ويكاد أن يكون هو الدور الرئيسي بالإضافة إلى دور الموالي والقبائل العربية الأخرى .

أما اختيار خراسان مقراً للدعوة فهو لبعدها عن دار الخلافة وللصراع القبلي الذي يمكن استثماره في أرضها لصالح الدعوة .

وتجدر الإشارة إلى أن القبائل المضربة كانت في غالبيتها مع نصر بن سيار عامل الأمويين على خراسان حتى المناوئين له من بني تميم انضموا إليه بعد مصرع الحارث ابن سريج وفي مقدمة هؤلاء حاتم بن الحارث بن سريج الذي حارب مع نصر وقتل الكرماني^(٢).

ومع ذلك فقد وجد من بين التميميين أناس في صفوف الدعوة العباسية كان ثلاثة منهم^(٣) من النقباء الأئني عشر وقد قتل أحدهم وهو لاهز بن قريظ حينما اتهم بأنه أنذر نصر بن سيار بالهروب^(٤).

(١) انظر على سبيل المثال زاهية ندوة : الشعبية ، ٦٤ . وانظر مناقشة هذا الرأي في كتاب أبي مسلم الخراساني ، ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ١٣٤ .

(٣) هم لاهز بن قريظ وموسى بن كعب ، والقاسم بن مجاشع ، وجميعهم من بني امرئ القيس من تميم . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢٩٨ .

(٤) أرسل أبو مسلم نصر بن سيار وفداً لمهادنته وكان في الوفد لاهز بن قريظ فقرأ بحضرة نصر : أن الملاء =

وخرج أحد التميميين وهو خازم بن خزيمة في مرو الروذ ، وطمع في الاستيلاء عليها ، وحاول بعض قومه صده عن ذلك غير أنه قتل عامل نصر عليها وهو تميمي : مثله (١) ، وكاتب أبا مسلم الخراساني (٢) .

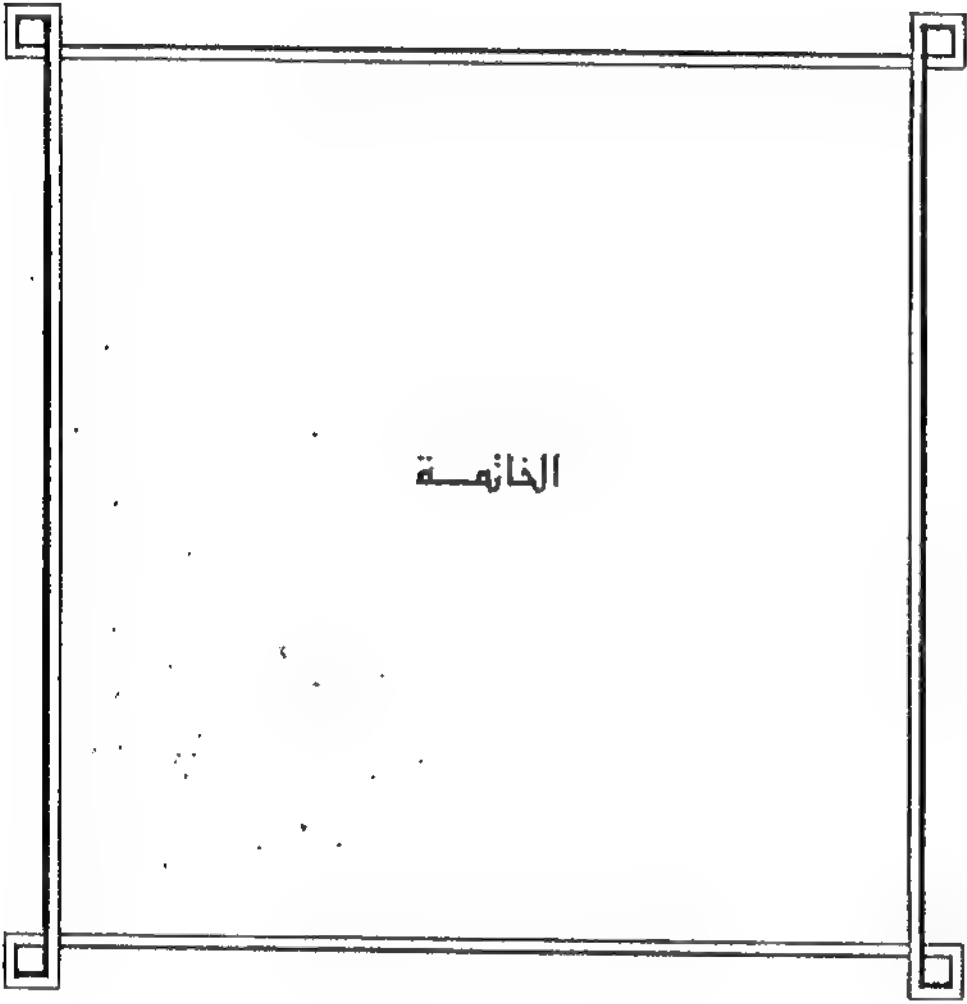
= يأترون بك ليقتلوك فخرج إني لك من الناصحين ، ففهمها نصر وهرب ، وقيل إن أبا مسلم التهم لاهز بن قريظ بأنه قد انذر نصراً عندما قرأ هذه الآية فقتله عام ١٣٠ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ٣٠٩ .

(٢) هو بشر بن جعفر السعدي التميمي ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ١٤٥ .

(٣) وقد أصبح خازم بن خزيمة وهو دارمي تميمي من كبار القادة العباسيين انظر ابن الأثير : الكامل ،

ج ٥ ، ٢٩٥ ، ٣١٧ ، وترجم صاحب أعلام تميم لخازم بن خزيمة ولكنه ساق اخبار ابنه خزيمة

الماصر لهارون الرشيد الخليفة العباسي . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٢٥٣ .



خاتمة :

تبحث دراسة القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر في العصر الأموي في جوانب تاريخية وحضارية مهمة ، وتسعى إلى التعرف على شتى نواحي الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ولم يكن ذلك ممكناً لو اقتصر البحث على تواريخ المشاهير من الحكام والولاة وتدوين آثارهم ، ولكنه تجاوز ذلك إلى الغوص في أحوال الشعوب والالتفاف حول شؤون الحياة المعاشة وحوادثها ومؤثراتها فاكسبت الدراسة تنوعاً شمولياً يتمركز حول حياة القبائل العربية باعتبارها الشعب الجديد الذي فتح خراسان ونشر الإسلام فيها واستقر في حواضرها فصبغها بالصبغة العربية الإسلامية ، وجعل مواطنه هناك مراكز للتعريب انتشرت منها اللغة إلى أقاليم عدة ، وقواعد صلبة انطلقت منها الجيوش الفاتحة إلى بلاد ماوراء النهر حتى نتج عن ذلك انشاء مراكز استقرار أخرى ومواطن تعريب جديدة ، وقواعد متقدمة تؤمن العمليات الجهادية المنطلقة شرقاً إلى حدود الصين .

وكانت القبائل العربية هي صاحبة الحركة الحية الفعالة في التاريخ الخراساني أبان العصر الأموي فمنها المستوطنون الجدد ومنها القادة والولاة والأمرأ والقضاة والعلماء والشعراء ومنها أصحاب الثورات والفتن .

وحدث التأثير المتبادل بين القبائل العربية وسكان البلاد الأصليين لكن العرب لم يلغوا انتماءهم بل هو قد اتسع وتنوع فانتموا إلى الأصول العربية الكبرى حين ابتعدوا

عن مواطنهم الأولى كما أنهم انتموا إلى الخطط التي عرفوا بها مع انتمائهم إلى المدن والقرى التي يعيشون فيها في خراسان وبلاد ماوراء النهر وكل ذلك في ظل الإسلام وفي دائرة فلكه ، كما أن سكان البلاد الأصليين لم يلغوا انتماءهم إلى أمصارهم وأقاليمهم لكنهم عرفوا مع ذلك نظام المعاهدة التي أصبحوا بموجبها منتمين إلى القبائل العربية حلفاً ، بدون تمايز طبقي يفرق بين المحالف والحليف لأن الإسلام يمنع ذلك ويرفضه ، بعكس نظام حلف العرب الجاهلي الذي يقر الطبقية بين المتحالفين .

وانعكست آثار الاحتكاك بين العنصرين العربي والعجمي على جوانب عديدة في حياة خراسان وبلاد ماوراء النهر فتعددت المباحث اللازمة لهذه الدراسة واتسعت مع مراعاة الحوادث السياسية ، وتتبع المطاعن الكثيرة التي وجهت إلى تاريخ تلك الفترة لبيان أن ما قيل عن اضطهاد العرب لسكان البلاد الأصليين (الموالي) ماهو إلا مجرد وهم وافتراء جاء إما نتيجة للانسحاق وراء الفكر الشعبي أو للتأثر بالدراسات الاستشراقية الغير منصفة ، فالعرب لم يحرموا الموالي من المناصب ، ولا الموالي منعوا من العطاء ، أما اللبس الحاصل بشأن الضرائب فهو نتيجة للخلط بين مفهومي الخراج والعجزة وعدم التمييز بينهما أو هو مغالطة مقصودة للتأكيد على ظلم العرب للموالي منع تجاهل أن العجمي (المولى) قد ظل مساوياً للعربي في المنزلة والعطاء والرزق ، وأن من يحاول أن يحرم الموالي من عطائهم يكون عرضة للعقوبة والجزاء ، وكل ذلك قد تمت مناقشته في هذه الدراسة وبيانه مع إيضاح أن الأرض الخراجية تظل خراجية سواء كان صاحبها مسلماً أو كافراً عربياً أو عجمياً أما العجزة فلم يعرف في تاريخ خراسان وبلاد ماوراء النهر في عصر بني أمية أنها أخذت ممن أسلم وحين حاول أشرس السلمي فرضها بمشورة من بعض العجم انكرها العرب والعجم على حد سواء .

وكذلك فإنه لا يوجد سند تاريخي لما يقال عن وجود تمايز طبقي رفع العرب بموجبه أنفسهم عن الموالي فلم تشر المصادر التاريخية الموثوقة إلى ذلك ولا الدراسات المنصفة ألحت إليه ، وليس ماورد في بعض الحوادث الفردية مما يصلح لأن يكون حكماً عاماً تبني عليه الأسس العلمية للبحوث ، كما أنّ مصادر الأدب وأخبار الظرفاء والشعراء التي أوحى بالتمايز وألحت في بيان الفارق الطبقي في مسألة المعاهدة لا يركن إليها في البحوث التاريخية فهي إما قصص تعتمد الخيال أو تسلية تنزع إلى التشويق من خلال المبالغة والتهويل .

كما أن أحكام بعض الباحثين قد أغفلت النفسية العربية البدوية حين مناقشة رفض العرب الاصهار إلى الموالي ، ونسيت العادة التي تملئها أنفة العربي من الإصهار إلى بعض الأقوام حتى ولو كانوا من بني جنسه العرب ، تلك الأنفة التي تتضح حينما يكون العربي قريباً من بداوته وتكاد تتلاشى حين يتحضر وتتشبع روحه بالإيمان ، وغفلت أيضاً عن أنّ أنفة العربي هذه لم تمنع من وجود مصاهرات عديدة بين العرب والعجم كان من نتائجها أن عدداً من مشاهير العرب في خراسان ينتمون إلى أمهات أعجميات .

ومن الافتراءات المضللة القول بأنّ الموالي في خراسان وبلاد ماوراء النهر قد أنشؤوا عدداً من الثورات تمرداً على الحكم العربي الإسلامي في عهد بني أمية بما معناه أن الإيمان لم يدخل في قلوب أولئك القوم .

وقد بينت هذه الدراسة أن هذا الزعم مرفوض ، واشتراك بعض الموالي في ثورة الحارث بن سريج لا يعني أن هذه الثورة خاصة بهم ، فصاحبها عربي وكما انضوى تحت لوائها أناس من الموالي فإن أقواماً من العرب قد اشتركوا فيها ، وكذلك الشأن فيما

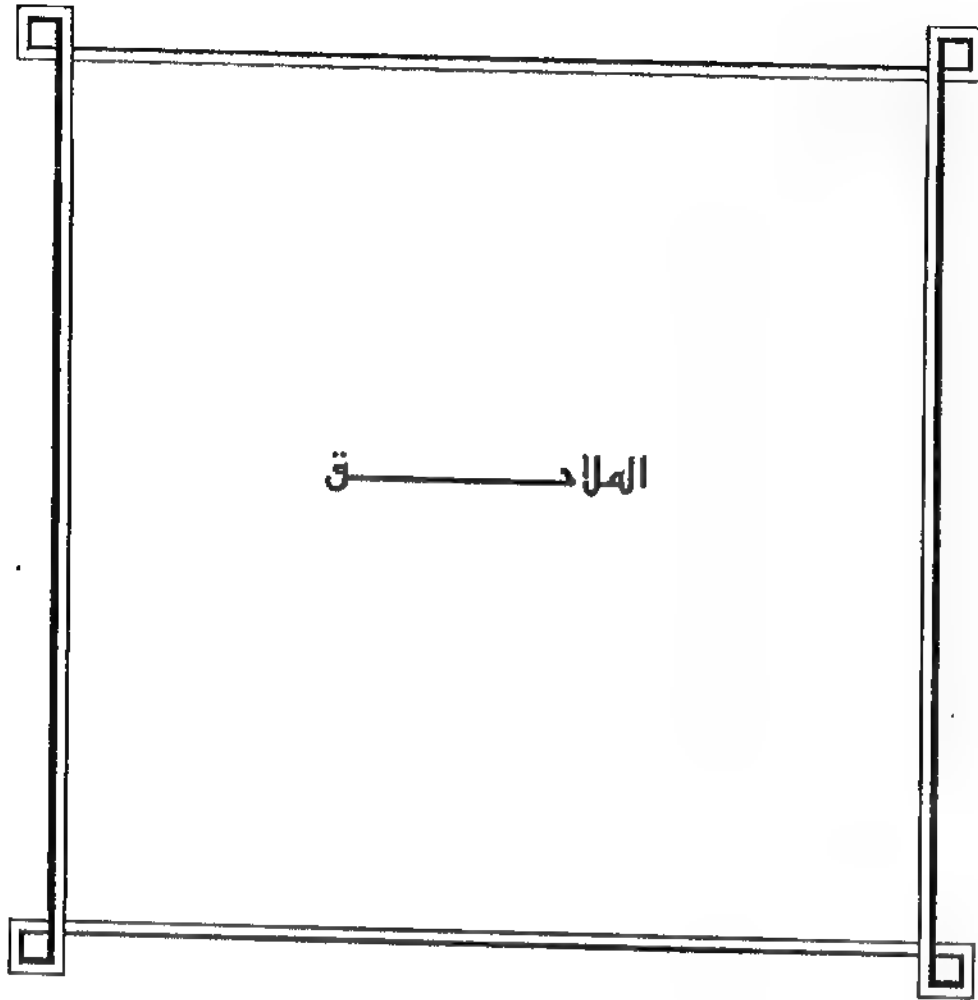
يعرف بثورة الموالي أيام أشرس السلمي فقد كانت عربية عجمية ، أما ضعف إيمان أولئك القوم فمردود بكون منطقة خراسان وبلاد ماوراء النهر أسرع الأقاليم الإسلامية المفتوحة تعرباً ومن أقواها تعمقاً في الدين حتى غدا أهلها مصادر يتلقى عنهم الناس في العراق والشام ومصر العلوم الشرعية ، وبرز فيهم مشاهير في القضاء والفتيا .

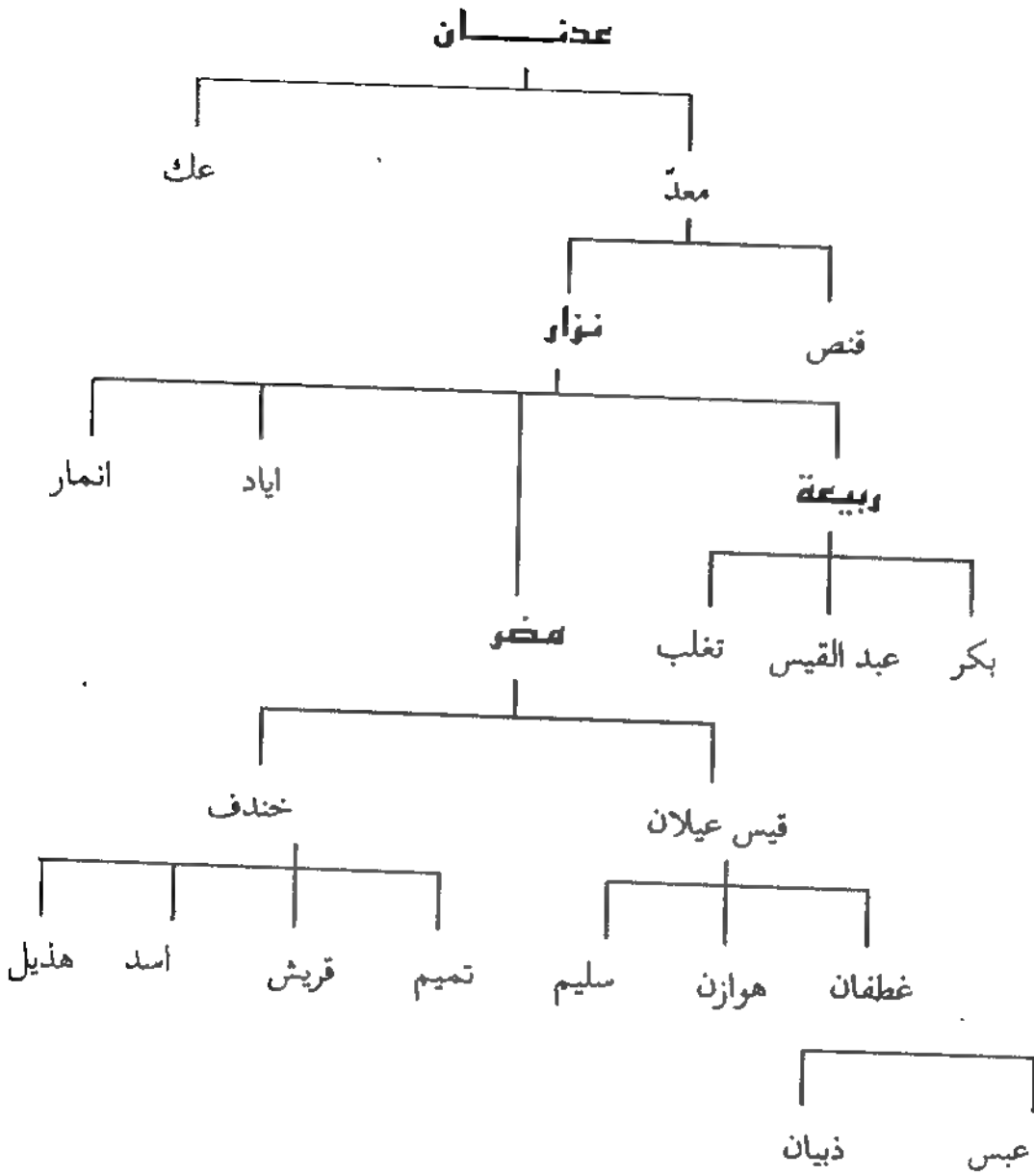
وتبين هذه الدراسة أيضاً أن الدعوة العباسية قد نمت بين ظهرائي العرب وإن دعوى أن الموالي ثاروا على الحكم الأموي بتبنيهم الدعوة العباسية دعوى متهافنة ، وفرية ردها كثير من المؤلفين ، ووردت في مصنفات عدة يباهي بعض أصحابها بأنها تعتمد على المنهجية العلمية ، والموضوعية في البحث وهي أبعد ما تكون عن ذلك ، إذ كيف تكون موضوعية وهي تصطدم بالأدلة والوقائع التاريخية التي تمّ بيانها في هذا البحث بعد استقائها من مظانها الأصلية ، وبعد بيان أن الحق والضيق اللذين قيل أنهما يحيطان بحياة الموالي ودفعاهم إلى الثورة إنما ضخم أمرها كتضخيم أمر العصبة القبلية نفاذاً إلى القول بأن الموالي رفضوا الظلم العربي المطبق المزعوم فأقاموا دولة بني العباس بمظهر فارسي على أنقاض الدولة الأموية ذات المظهر العربي مع تناسي وتجاهل الدور الرئيسي الكبير للقبائل العربية في قيام الدولة العباسية ، ذلك الدور الذي تحمّله القبائل اليمانية بشقيه الفكري والعسكري فقام بالنشاط الفكري زعيم النقباء سليمان ابن كثير وهو يمانى حتى نمت الدعوة في خراسان وترعرعت ، يسانده في ذلك النقباء وأكثرتهم يمانيون ، وقام بالنشاط العسكري قواد يمانيون ساروا بالجيش لهدم الدولة الأموية وفي مقدمة هؤلاء قحطبة بن شبيب وابنه الحسن .

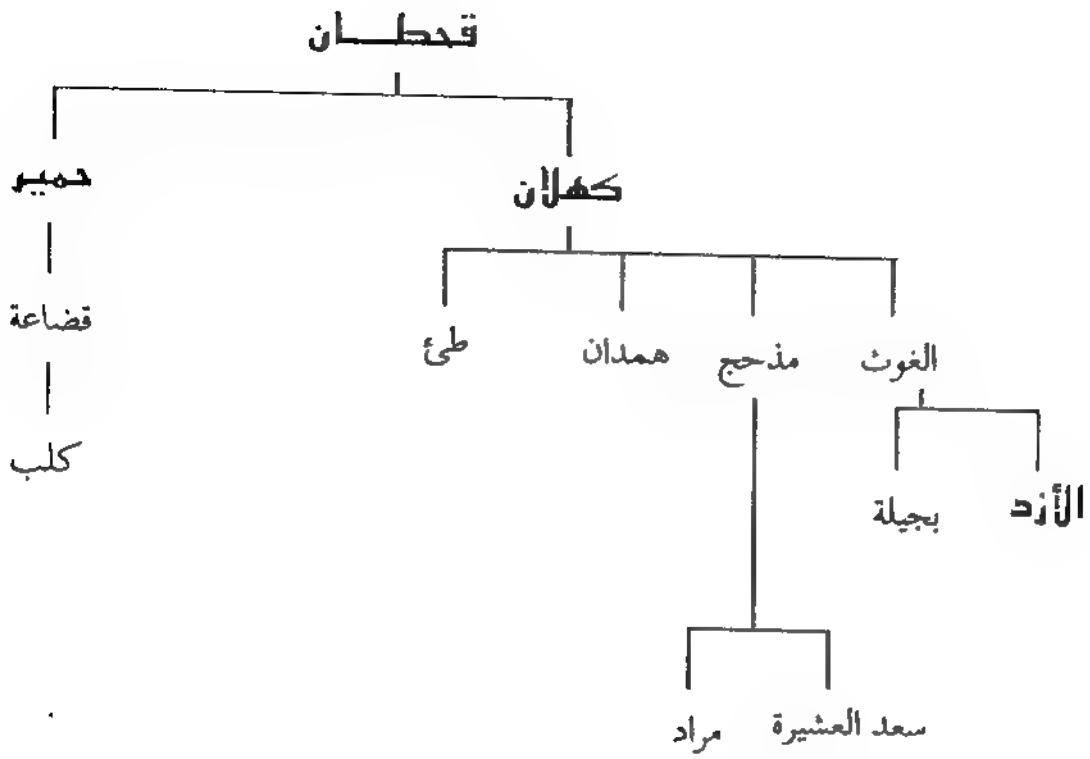
وهكذا فإن كثيراً من الأحكام التعميمية التي أخذت على أنها مسلمة في تاريخ العرب في خراسان كموضوع العصبة ، ودور العرب والموالي في الحوادث

السياسية احتاجت إلى كثير من المناقشة المتأنية ، وإعادة النظر للتوصل إلى تنقية تاريخ تلك الفترة مما علق به من شوائب ومما ألصق به من المفتريات التي تلقفها كثير من أصحاب المصنفات العلمية على أنها وقائع ثابتة لا تقبل الجدل .

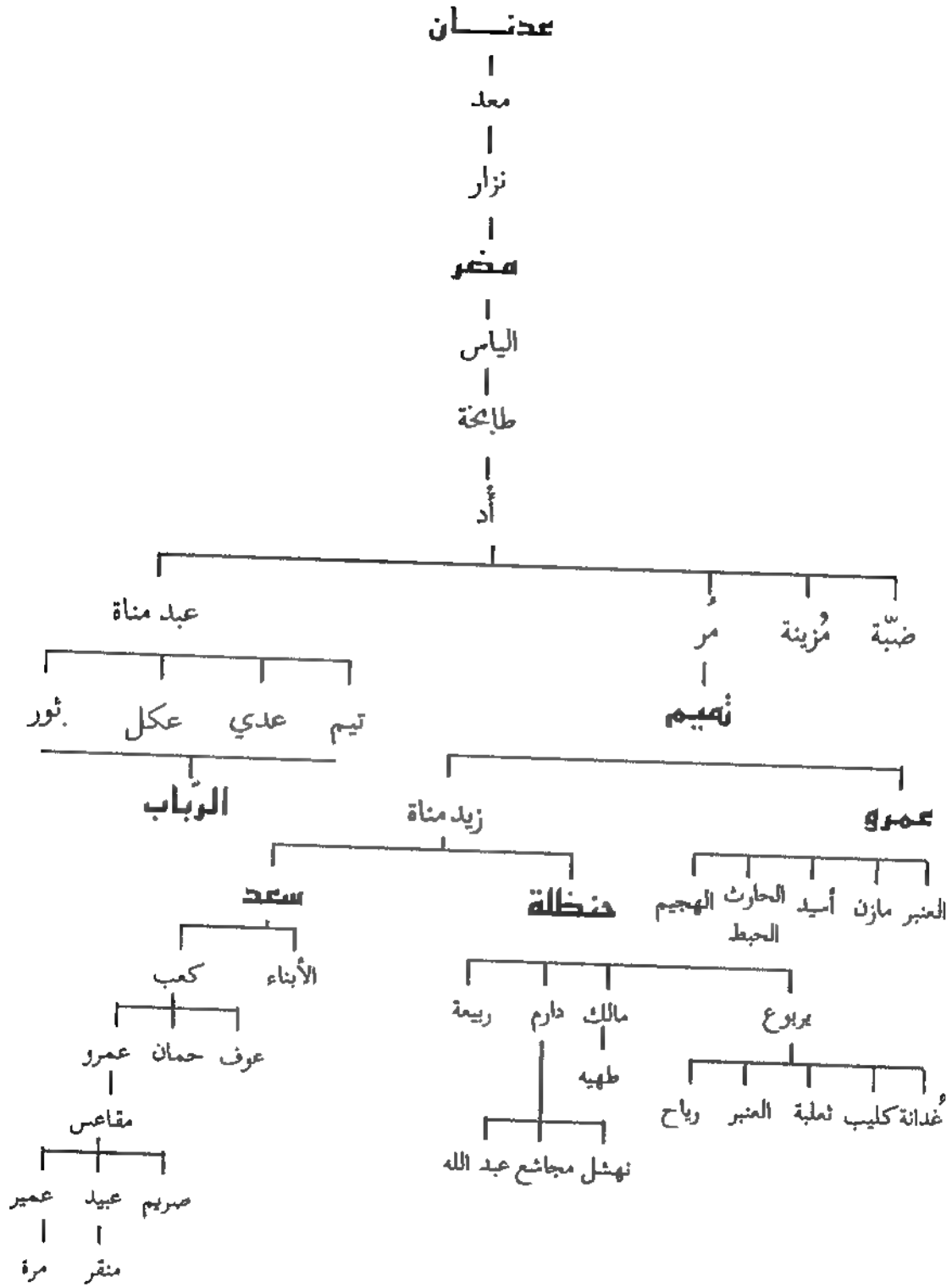
والله الموفق .



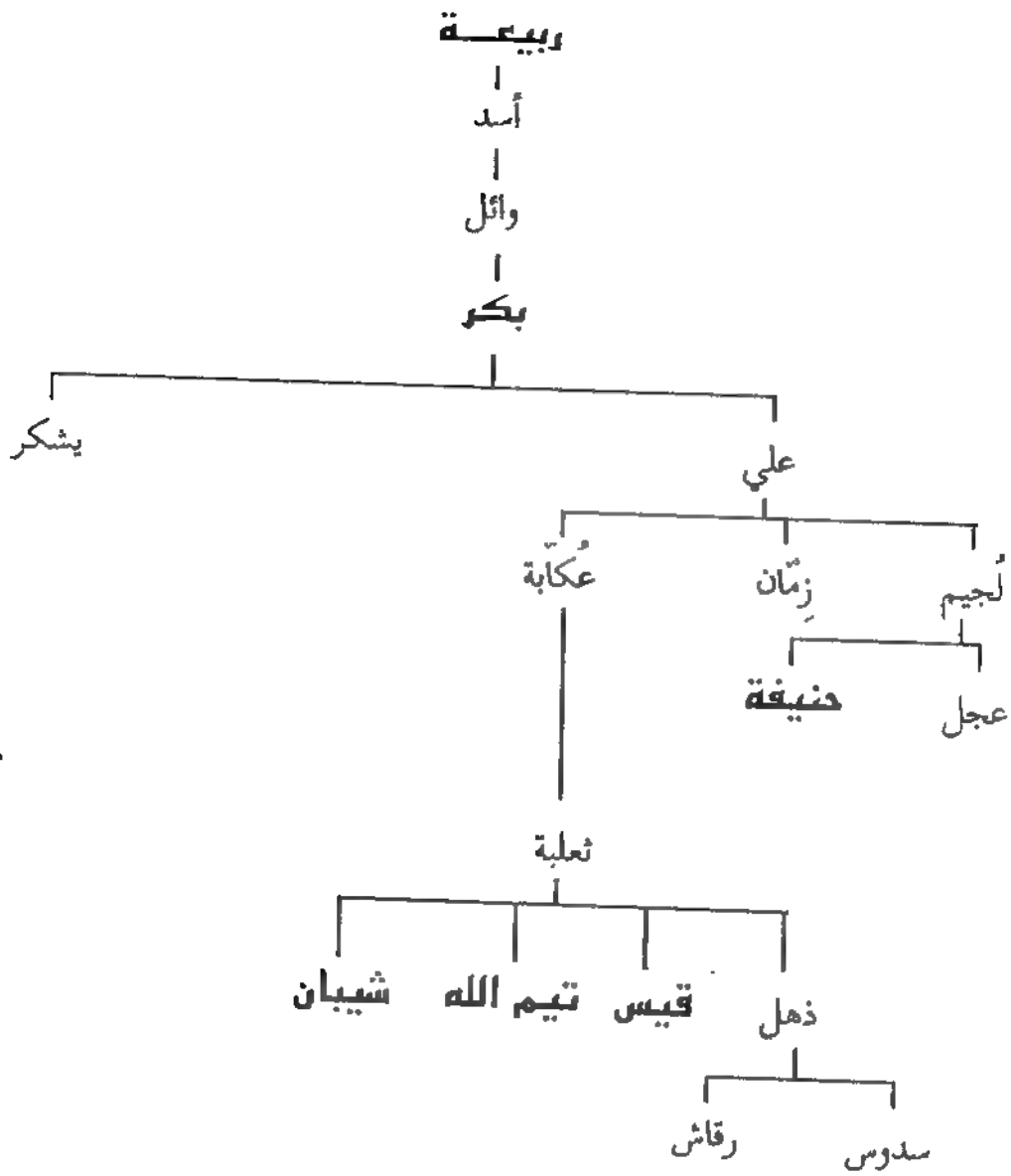




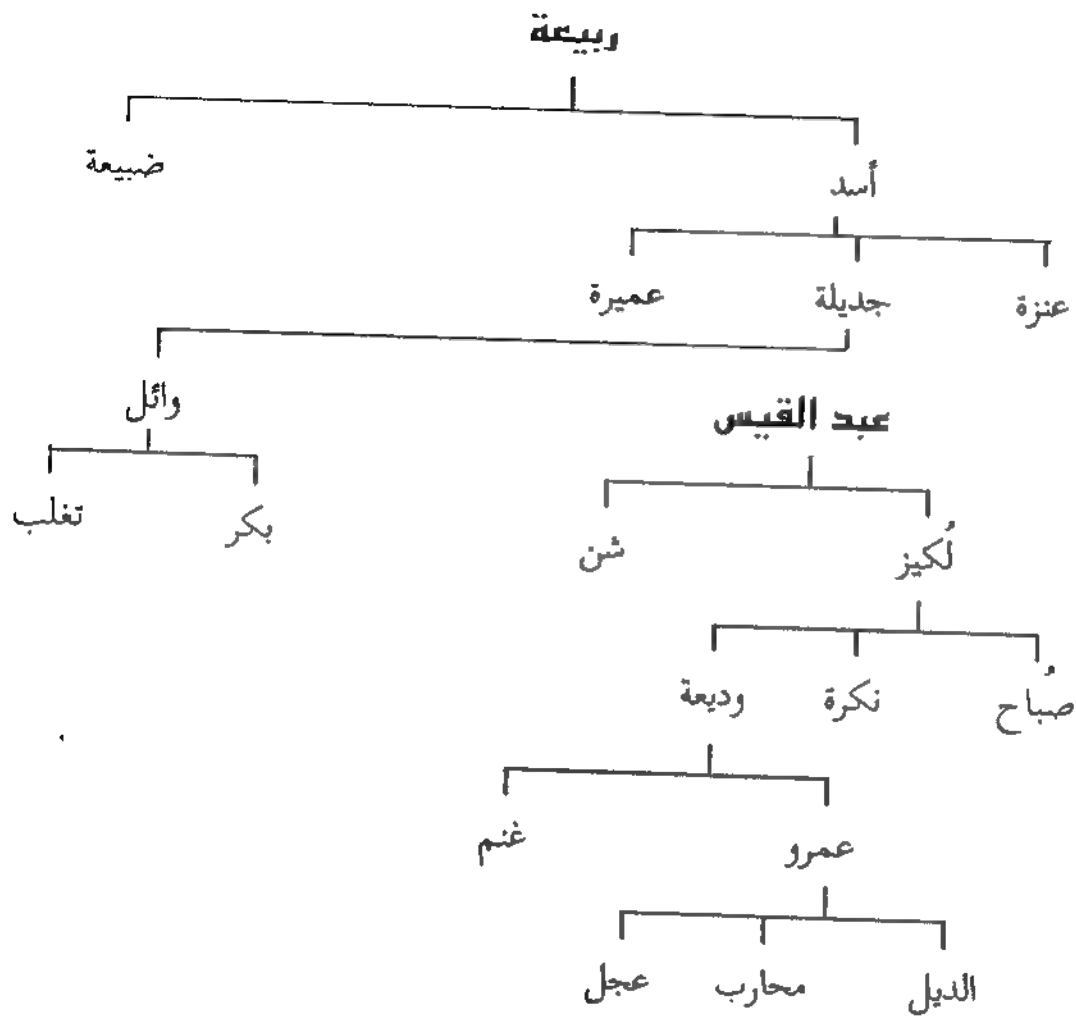
بنو زعيم المضر بن العدنانيون



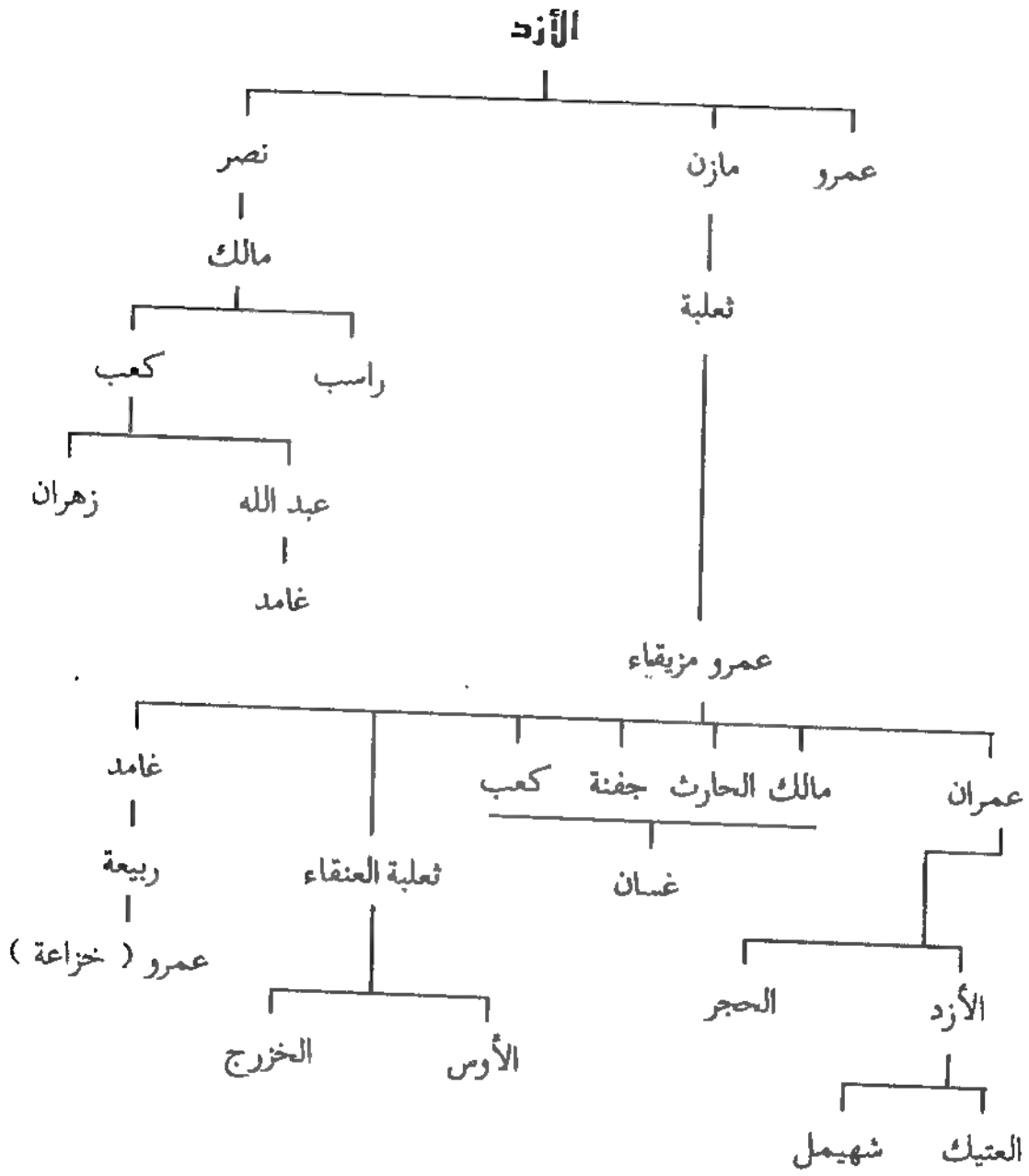
بنو بكر بن وائل الربيعيون العدنانيون



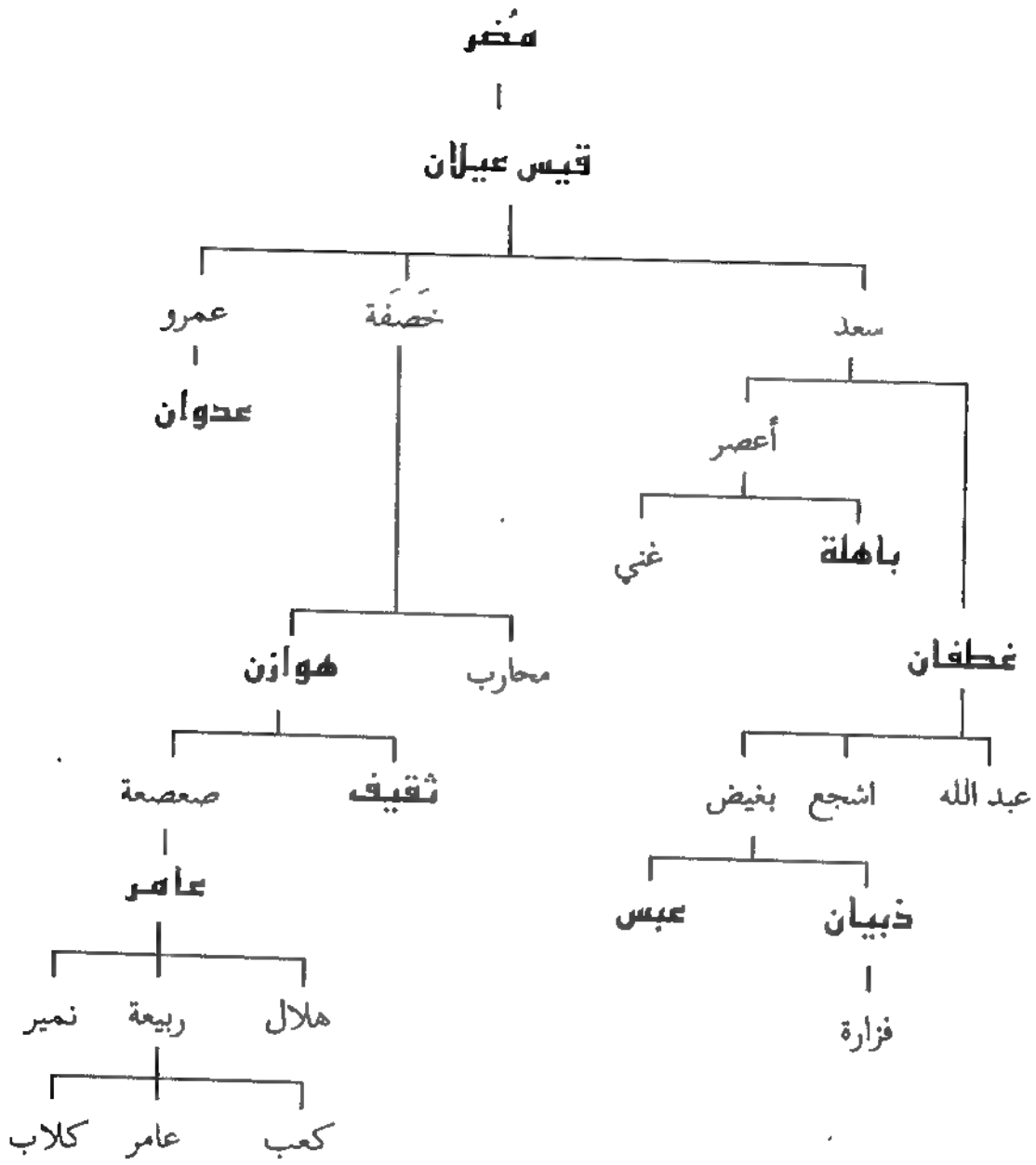
عبد القيس الربيعيون العدنانيون



الأزد القحطانيون اليمانيون



أهل العالية (قيس)



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : كتب السنة المطهرة .

ثالثاً : ابن الأثير : (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني ت ٦٣٠ هـ)

أسد الغابة في معرفة الصحابة ، القاهرة ١٢٨٦ هـ .

الكامل في التاريخ ، ط ٥ ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .

إحسان بنت خلوص :

الطريق إلى سمرقند ، ط ١ ، دمشق ١٤١٠ هـ .

إحسان النص :

العصبة القبلية وأثرها في الشعر الأموي ، بيروت ١٩٧٣ م .

أحمد أمين :

فجر الإسلام ، القاهرة ١٩٧٥ م .

أحمد الطاهر الهكي :

امرؤ القيس حياته وشعره ، مهمل المكان ، ١٩٧٩ م .

أحمد عادل كمال :

سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية ، بيروت ١٤٠١ هـ .

القادسية ، بيروت ١٣٩٧ هـ .

الأخطل : (غياث بن غوث التغلبي ت ٤٠٠ هـ)

ديوان الأخطل ، بيروت ، ١٩٧١ م .

أرسن وشيد :

الشرطة في العصر الأموي ، ترجمة أحمد البغدادي ، الكويت ، ١٤١٠ هـ .

الأصبهاني : (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد ت ٣٥٦ هـ)

الأغاني ، ط ٣ ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ .

الأصطخوسي : (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ت ٢٤٦ هـ)

مسالك الممالك ، تحقيق محمد جابر الجني ، القاهرة ١٣٨١ هـ .

الأصمعي : (أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، ٢١٦ هـ)

الأصمعيات ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .

الأصدي : (أبو القاسم الحسن بن بشر ٣٧٠ هـ)

المؤتلف والمختلف ، تحقيق عبد البستار فراج ، القاهرة ١٩٦١ م .

الأنباري : (محمد بن القاسم ت ٣٢٧ هـ)

شرح المعلقات ، ١٩٢٠ م .

أهين بدوي :

القصة في الأدب الفارسي ، بيروت ، ١٩٢٠ م .

أوس بن حجر : (أوس بن حجر الأسدي التميمي)

ديوان أوس بن حجر ، تحقيق محمد يوسف نجم ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ .

بارتولد ، فاسيلي فلاديمير :

تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ترجمة صلاح الدين هاشم ، ط ١ ،
الكويت ، ١٤٠١ هـ .

بروكلمان ، كارل بروكلمان :

تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي .

بسام العسلي :

قتيبة بن مسلم ، ط ٣ ، بيروت ١٤٠٠ هـ .

البُستِي : (أبو حاتم محمد بن حَبَّان البُستِي التميمي ، ٣٥٤ هـ)

مشاهير علماء الأمصار ، نشر م ، فلايشهر ، بيروت .

ابن بطوطة : (محمد بن عبد الله بن محمد ، ٧٧٩ هـ)

رحلة ابن بطوطة ، بيروت .

ت ١٠٩٣ هـ

البغدادى : (عبد القادر بن عضر

خزانة الأدب ، القاهرة ، ١٢٩٩ هـ .

البكري : (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي ٤٨٧ هـ)

معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٩٤٥ م .

البلاذري : (أحمد بن يحيى ت ٢٧٩ هـ)

أنساب الأشراف ، تحقيق إحسان عباس ، ١٩٧٩ م .

فتوح البلدان ، تعليق رضوان محمد رضوان ، بيروت .

التبويزي : (يحيى بن علي بن محمد الشيباني ٥٠٢هـ)

شرح المعلقات ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ .

أبو نھام : (حبيب بن أوس الطائي ت ٢١٠هـ)

ديوان الحماسة شرح التبريزي ، ط ، بيروت .

الجاحظ : (أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ)

البخلاء ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .

البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

جرجي زيدان :

تاريخ التمدن الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٣١م .

جويو : (جرير بن عطية الخطفي التميمي ، ١١٠هـ)

ديوان جرير ، بيروت ، ١٣٩٨هـ .

الجمحي : (محمد بن سلام الجمحي ت ٢٣٢هـ)

طبقات فحول الشعراء ، بيروت ، ١٩٦٩م .

جميل المصري :

أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري ، ط ١ ،

عمان ، ١٤١٠هـ .

حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة ، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ .

الموالي ، موقف الدولة الأموية منهم ، ط ١ ، عمان ، ١٤٠٨ هـ .

جواد علي :

تاريخ العرب قبل الإسلام ، بغداد ، ١٩٥١ م .

الجوهري : (إسماعيل بن حماد الجوهري)
ت ٩٢٩٢ هـ

الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، ١٣٧٦ هـ .

ابن حبيب : (أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ٢٤٥ هـ)

مختلف القبائل ومؤلفها ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ .

ابن حجو : (شهاب الدين أحمد بن علي ت ٨٥٢ هـ)

الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، ١٣٩٢ هـ

ابن أبي الحديد : (عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المدائني ت ٦٥٥ هـ)

شرح نهج البلاغة ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ

ابن خزم : (علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ٤٥٦ هـ)

جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٤ ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .

حسن إبراهيم حسن :

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط ٦ ، القاهرة ،

١٩٦٤ م .

حسن بيونا :

تاريخ إيران القديم ، ترجمة محمد عبد المنعم والسباعي محمد ، القاهرة ،
١٩٧٩ م .

حسن محمود وإبراهيم الشريف :

العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٧٧ م .

حسين حسن :

أعلام تميم ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

حسين طهوان :

الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ، ط ١ و بيروت ، ١٩٧٤ م .

الشعر من مخزومي الدولتين ، ط ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

حسين هونس :

أطلس تاريخ الإسلام ، ط ١ ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ .

الخطيئة : (جرول بن أوس العبسي)
ت نحو ٤٥ هـ

ديوان الخطيئة ، شرح أبي سعيد السكري ، بيروت ، ١٤٠١ هـ .

حمد الجاسر :

جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، الرياض ، ١٤٠١ هـ .

معجم شمال المملكة ، الرياض ، ١٣٩٧ هـ .

معجم المنطقة الشرقية ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ .

حمد الحقيـل :

كنز الأنساب ومجمع الآداب ، الرياض ، ١٤٠١هـ .

ابن حوقل : (أبو القاسم محمد بن حوقل ت ٣٨٠هـ)

صورة الأرض ، نشر ، ج ، هـ كرامز ، ليدن ، ١٩٦٧م .

الخربوطلي ، علي حسني :

تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

أبن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد ، ٨٠٨هـ)

العبر ودريان المبتدأ والخبر ، بيروت ، ١٣٩١هـ .

المقدمة ، بيروت ، ١٣٩٠هـ .

ابن خلـكان : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ)

وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٢م .

ابن خياط : (أبو عمرو خليفة بن خياط^{اللقب} (شباب) المصفر ت ٢٤٠هـ)

تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم العمري ، ط ٢ ، الرياض ، ١٤٠٥هـ .

الطبقات ، تحقيق أكرم العمري ، ط ٢ ، الرياض ، ١٤٠٢هـ .

ابن دريد : (أبو بكر محمد بن الحسين ٣٢١هـ)

الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

الدينوري : (أبو حنيفة أحمد بن داود ت ٢٨٢هـ)

الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، جمال الدين الشيال ، بيروت ،

١٩٧٩ م .

الذهبي : (شمس الدين محمد بن أحمد ت ٧٤٨ هـ)

الأمصار ذوات الآثار ، تحقيق محمد الأرناؤوط ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .

تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام القاهرة ، ١٣٧٦ هـ .

ابن رشيقي : (أبو علي الحسن بن رشيقي القيرواني ت ٤٥٦ هـ)

العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، ١٩٧٢ م .

زاهية قدورة :

الشعبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٢ م .

الزركلي : (خير الدين)

الأعلام ، بيروت ، ١٩٦٩ م .

زهير بن أبي سلمى : (زهير بن أبي سلمى بن رياح المزني)

ديوان زهير ، ١٣٩٨ هـ .

الزهيوي : (محمود غناوي)

نقائض جرير والفرزدق ، بغداد ، ١٩٥٤ م .

ابن سعد : (محمد بن سعد بن منيع ت ٢٣٠ هـ)

الطبقات الكبرى ، بيروت ، ١٩٥٧ م .

سعد بن جنيدل :

معجم عالية نجد ، الرياض ، ١٩٧٨ م .

أبن سعيد : (أبو الحسن علي بن موسى بن محمد الغنسي الأندلسي ت ٦٨٥ هـ)

نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق نصرت عبد الرحمن ، ط ١ ،
عمان ، ١٩٨٢ م .

السويدي : (أبو الفوز محمد أمين البغدادي السويدي)
ت ١٤٤٦ هـ

سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، بغداد ، ١٢٨٠ هـ .

السيد عبد العزيز سالم :

تاريخ الدولة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ م .

سيف بن عمرو : (الأسدي الضبي التميمي ، ٢٠٠ هـ)

الفتنة ووقعة الجمل ، جمع أحمد حمروش ، بيروت ، ١٩٧٧ م . .

السيوطي : (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ)

تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

شارل بلا :

الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ترجمة إبراهيم الكيلاني ، دمشق ،

١٩٦١ م .

شكري فيصل :

حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري ، ط ٦ ، بيروت ، ١٩٨١ م .

المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

الشنقيطي : (أحمد الأمين الشنقيطي)

المعلقات العشر ، ط ١ ، حلب .

شوقي صيف :

التطور والتجديد في الشعر الأموي ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

الشهرستاني : (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ت ٥٤٨ هـ)

الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز الوكيل ، بيروت .

صالح العلي :

امتداد العرب في صدر الإسلام ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .

صالح الوشمي

أبو مسلم الخراساني ، ١٣٩٩ هـ .

الطبري : (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ)

تاريخ الأمم والملوك ، ١٣٩٩ هـ .

الطرماح : (الطرماح بن حكيم الطائي)

ديوان الطرماح ، تحقيق عزة حسن ، ط ١ .

طه حسين :

حديث الأربعاء ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

الفتنة الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

ت ١١
عامر بن الطفيل : (عامر بن الطفيل بن مالك الكلابي العامري)

ديوان عامر بن الطفيل ، رواية أبي بكر الأنباري ، ط ١ .

ابن عبد البر : (عمر بن يوسف بن عبد الله ت ٤٦٣ هـ)

الأنباء على قبائل الرواه ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .

الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق محمد الجبالي ، القاهرة ، ١٣٥٠ هـ .

ابن عبد الحق : (عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ت ٧٢٩ هـ)

مراسد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي الجبالي ، ط ١ ، ١٣٧٤ هـ .

ابن عبد الحكيم : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ت ٢٥٧ هـ)

فتوح مصر وأخبارها ، نشر هنري ماسيه ، القاهرة ، ١٩١٤ م .

عبد الحميد الهيني :

شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ .

ابن عبد ربه : (أبو عمرو أحمد بن محمد الأندلسي ت ٣٢٨ هـ)

العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، ١٩٤٠ .

عبد الله بن خميس :

معجم اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٨ هـ .

عبد الواحد ذنون :

العراق في عهد الحجاج ، ط ١ ، بغداد ، ١٤٠٥ هـ .

أبو عبيدة : (معمربن المثنى ٢٠٩هـ)

نقائض جرير والفرزدق ، ليدن ، ١٩٠٥م .

ابن العربي : (القاضي أبو بكر بن العربي ت ٥٤٣هـ)

العواصم من القواصم ، تحقيق محب الدين الخطيب ، بيروت ، ١٩٧٩م .

ابن عساكو : (علي بن الحسن بن هبة^{الله} ت ٥٧١هـ)

التاريخ الكبير ، تحقيق عبد القادر افندي بدران ، دمشق .

التهذيب ، دمشق ، ١٣٣٢ هـ .

علقمة الفحل : (علقمة بن عبدة الحنظلي التميمي)

ديوان علقمة ، ط ١ ، ١٣٩٧هـ .

عون الشريف قاسم :

شعر البصرة في العصر الأموي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ .

فاروق عمر :

طبيعة الدعوة العباسية ، ط ١ ، بيروت .

فاطمة جمعة :

الاتجاهات الحزبية في الإسلام منذ عهد الرسول حتى عصر بني أمية ، بيروت .

فاسبري ، أرهينوس :

تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة أحمد محمود

الساداني ، ط ١ .

فان فلوطن : المسيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ترجمة
حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٣٤م .

الفوزدق : (همام بن غالب بن صعصعة التميمي ١١٠هـ)

ديوان الفوزدق ، شرح على فاعور ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

فلهاوزن ، يوليوس :

تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة محمد أبو ريدة ، حسين مؤنس ، ط ٢ ، ١٩٦٩م .

الفيروز آبادي : (مجد الدين يعقوب ت ٨١٧هـ)

القاموس المحيط ، ط ١ ، ١٣٨١هـ .

القالبي : (أبو علي اسمعيل بن عبيدون ت ٢٥٦هـ)

الأمالي ، القاهرة ، ١٩٥٣م .

ابن قتيبة : (محمد بن عبد الله بن مهسلم الدينوري ت ٢٧٦هـ)

الإمامة والسياسة ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ . (منسوب لابن قتيبة) . .

الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط ٣ ، ١٩٧٧م .

المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

قدامة بن جعفر : (أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي ٣٢٩هـ)

الخراج وصناعة الكتابة ، شرح محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، ١٩٨١م .

القطامي : (عمير بن شبيب التغلبي ت ١٢٠هـ)

ديوان القطامي ، لندن ، ١٩٠٢م .

القلقشندي : (أحمد بن علي بن عبد الله ت ٨٢١هـ)

صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، القاهرة ، ١٩١٣ م .

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، بغداد ، ١٩٥٨ م .

ابن كثير : (أبو الفدا الحافظ بن كثير ت ٧٧٤ هـ)

البداية والنهاية ، ط ٤ ، ١٤٠١ هـ .

كستور ، م :

مكة والحيرة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة يحيى الجبوري ، بغداد ،

١٩٧٦ م .

الكلبي : (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ت ٢٠٤ هـ)

كي لستونج :

بشير فرسي

بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة كوركيس عواد ، بغداد ، ١٩٥٤ م .

ماسنيون :

خطط البصرة وبغداد ، ترجمة إبراهيم السامرائي ، ١٩٨١ م .

خطط الكوفة ، ترجمة تقي محمد المصعبي ، ١٩٧٩ م .

الماوردي : (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠ هـ)

أدب الدنيا والدين ، تحقيق مصطفى السقا ، بيروت ، ١٩٧٨ م .

المبرد : (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٦ هـ)

الكامل في اللغة والأدب ، بيروت .

مجهول :

أخبار الدولة العباسية ، تحقيق عبد العزيز الدوري ، بيروت ، ١٩٧١ م .

مجهول :

العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، بغداد .

محمد البار :

أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ، ط ١ ، جدة ، ١٤٠٥ هـ .

محمد جمال الدين سرور :

الحياة السياسية في الدولة الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

محمد حلمي أحمد :

١ الخلافة والدولة في العصر العباسي ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٣٩٥ هـ .

محمد ضياء الدين الرئيس :

الخارج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، ط ٤ ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

محمد الطيب النجار :

الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ، ط ٣ ، القاهرة ، - ١٣٩٧ هـ .

محمد العبودي :

معجم القصيم ، الرياض ، ١٩٨٠ .

محمود شاكر :

خراسان ، دمشق ، ١٩٧٩ م .

محمود شيت خطاب :

قادة فتح العراق والجزيرة ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

قادة فتح بلاد فارس ، بيروت ، ١٣٨٥ .

المرتضى : (الشريف علي بن الحسين العلوي ٤٣٦ هـ)

الأمالي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

الموزباني : (محمد بن عمران ٣٨٤ هـ)

معجم الشعراء ، عبد الستار ^{تحيه}فراج ، ١٩٦٠ م .

المسعودي : (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦ هـ)

التبيه والاشراف ، بيروت ، ١٩٨١ م .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٥ ، ١٩٧٣ م .

المغربي : (الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي ٤١٨ هـ)

الإيناس في علم الأنساب ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ .

المقدسي : (شمس الدين أبو عبد الله محمد ^{به أم}ت ٣٨٠ هـ)

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، ١٩٠٩ م .

المقدسي : (مطهر بن طاهر المقدسي ت ٣٥٥ هـ)

البدء والتاريخ ، بغداد ١٩١٦ م .

ابن منظور : (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، ت ٧١١ هـ)

لسان العرب ، بيروت .

النابعة : (زياد بن معاوية بن ضباب الديلمي الغطفاني)

ديوان النابعة الديلمي ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ .

ناجي حسن :

القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي ، ط ١ ، ١٩٨٠ م .

المنقري : (نصر بن مزاحم المنقري السعدي التميمي ت ٢١٢ هـ)

وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٣٦٥ هـ .

المهدي حموده الغزي :

الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية ، تونس ، ١٩٧٦ م .

الهاشمي : (الخطيب علي بن الحسن الهاشمي)

وقعة النهروان أو الخوارج ، طهران ، ١٣٧٤ هـ .

ابن هشام : (أبو محمد بن عبد الملك ت ٢١٣ هـ)

السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا ، ط ٢ ، ١٩٧١ م .

هيلة القصير :

العلاقات بين العرب والفرس في العصر العباسي الأول ، الرياض ، ١٤٠١ هـ .

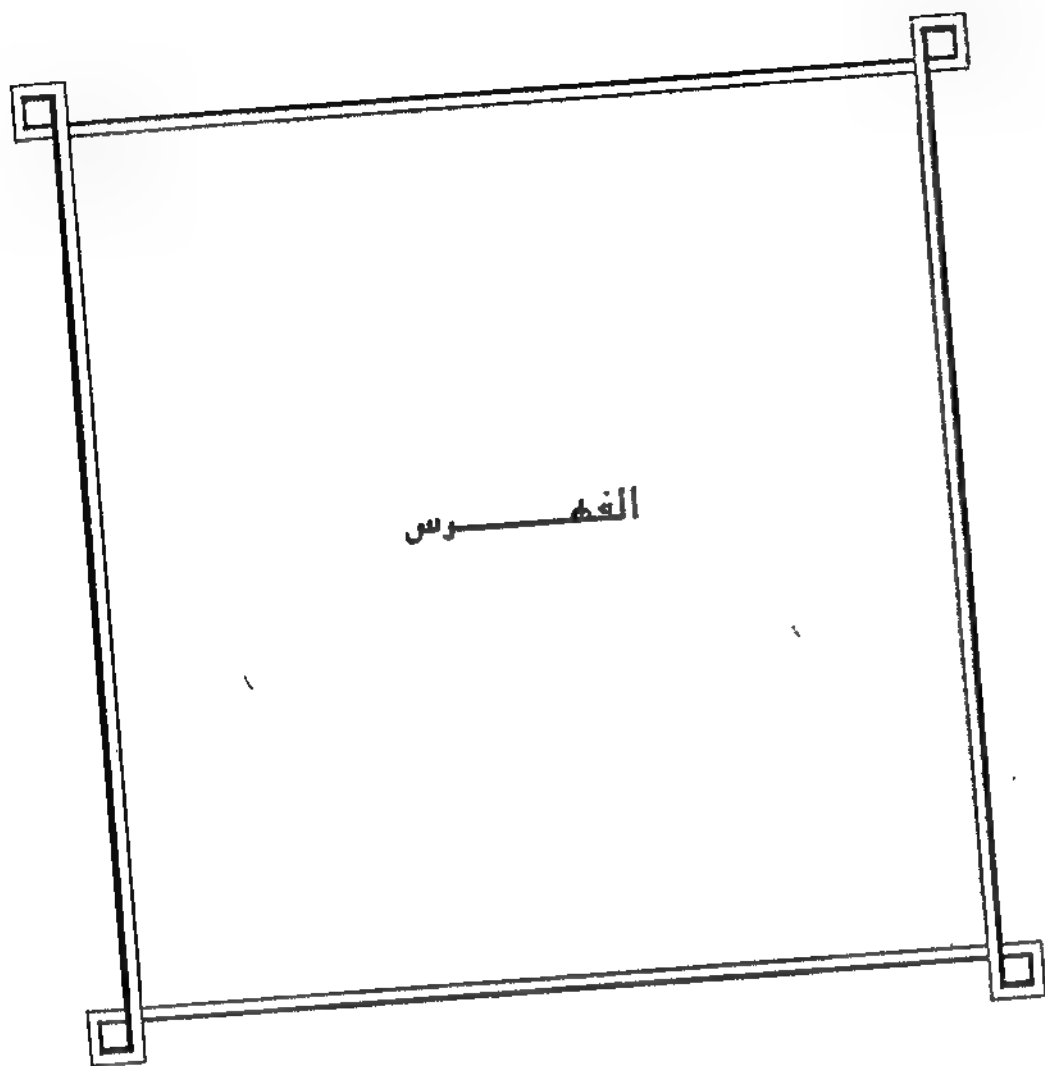
ياقوت : (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي ت ٦٢٦ هـ)

معجم البلدان ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ .

اليقوببي : (أحمد أبي يعقوب بن جعفر بن واضح ت ٢٨٤ هـ)

البلدان ، ليدن ، ١٨٩١ م .

تاريخ اليعقوبي ، النجف ، ١٣٥٨ هـ .



الفهرس

الصفحة

الموضوع

٤	المقدمة
١٧	التمهيد :
١٨	- بيئة خراسان وبلاد ماوراء النهر الجغرافية والاقتصادية .
٢٥	- السكان ، الأصول والمعتقدات .
٣٠	- علاقة العرب بخراسان وبلاد ماوراء النهر قبل الفتح الإسلامي .

الفصل الأول :

٤٥	القبائل العربية التي شاركت في فتوح خراسان وبلاد ماوراء النهر واستوطنت فيهما .
٤٦	١ - بنو تميم
٦٦	٢ - بكر بن وائل
٨٠	٣ - عبد القيس
٨٦	٤ - الأزد
٩٤	٥ - أهل العالية

الفصل الثاني :

- ١٠٩ سياسة بني أمية في توطين القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر
- ١١١ ١ - نظام ولاية خراسان وبلاد ماوراء النهر في عهد بني أمية
- ١ - نظام الولاية زمن الخلفاء الراشدين بعد الفتح
- ١١٤ ٢ - نظام الولاية زمن الأسرة السفينية (٤٠ - ٦٤ هـ)
- ١٢٣ ٣ - نظام الولاية في خلافة عبد الله بن الزبير (٦٤ - ٧٣ هـ)
- ١٢٧ ٤ - نظام الولاية زمن الأسرة المروانية (٧٣ - ١٢٥ هـ)
- ٥ - نظام الولاية زمن اضطراب الأسرة الأموية بعد هشام (١٢٥ - ١٣٢ هـ)
- ١٤١ ٢ - لماذا لم يقدم الأمويون على انشاء مدن إسلامية خاصة بالعرب
- ١٤٣ ٣ - توطين العرب واثره على السياسة الأموية
- ١٥٠ ٤ - أهم مواطن استقرار القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر
- ١٦٠ - نيسابور
- ١٦٩ - مرو
- ١٧٦ - هراة
- ١٨٧ - بلخ
- ١٩٧ - البروقان
- ٢٠٤ - سمرقند

الفصل الثالث :

- ١ - الصراع القبلي في خراسان وبلاد ماوراء النهر وموقف القبائل العربية من الحوادث السياسية. ٢١٨
- ١ - العصية القبلية وموقف الإسلام منها ٢١٩
- ٢ - موقف القبائل العربية من حركة عبد الله بن الزبير ٢٣٧
- ٣ - ولاية عبد الله بن خازم على خراسان وصراعه مع بكر بن وائل ثم مع بني تميم ٢٤٩
- ٤ - آل المهلب وظهور عصية الأزدي واثار ذلك في الحياة السياسية العامة. ٢٦٢
- ٥ - قتيبة بن مسلم وظهور عصية القيسية واثار ذلك في الحياة السياسية العامة. ٢٧٣
- ٦ - موقع بني تميم في الصراع القبلي ٢٨٣

الفصل الرابع :

- ١ - حياة القبائل العربية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ٢٩٨
- ١ - علاقة القبائل العربية بالأعاجم ٢٩٩
- ٢ - موقف القبائل العربية من الحياة الجديدة وأهم الأعمال التي زاولها العرب في خراسان وبلاد ماوراء النهر ٣١٦
- ٣ - موقف القبائل العربية من الفتن المذهبية ٣٢٦

٤ - شعر القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر وأثر اللغة والأدب العربيين في تلك البلاد ٣٣٩

٥ - جهود العلماء العرب في خراسان وبلاد ماوراء النهر في الدراسات الشرعية ٣٥٩

الفصل الخامس :

١ - إسهام القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر في الفتوح الإسلامية شرقاً وموقفها من سقوط دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس ٣٦٩

١ - سياسة الولاة في تسيير حركة الفتح وموقف القبائل العربية منها ٣٧٠

٢ - أهم المواقع التي أسهمت القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر في فتحها ٣٨١

٣ - الفتن المذهبية والتمهيد لظهور الدعوة العباسية وموقف القبائل العربية من هذه الدعوة ٣٨٧

٤ - أهم القبائل العربية التي أسهمت في قيام دولة بني العباس وسقوط دولة بني أمية ٣٩٥

الخاتمة ٤٠٨

الملاحق ٤١٣

المصادر والمراجع ٤٢٢

الفهرس ٤٤٥